بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،وسع كل شيء برحمته،وعم جميع الكائنات بفضله ولطفه وإحسانه،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره وسلم تسليما كثيرا

أما بعد:

فإن شرف العلم تابع لشرف المعلوم،ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه،وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو الملك الخلاق العليم،الموصوف بصفات الكمال ،والمتره عن كل نقص وعيب، أو أن يمثل بمثال سبحانه الكبير المتعال.

ولا ريب أن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات.

وكما أنه أجل العلوم وأشرفها وأعظمها ،فهو أصلها كلها ،فكل علم هو تابع للعلم به،فمن عرف الله عرف ما سواه،ومن جهل به فهو لما سواه أجهل، فعلى أساس العلم الصحيح بالله وأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح، والتوحيد الخالص،وتنبني مطالب الرسالة جميعها ،فلا حياة ،ولا نعيم،ولا سرور،ولا أمان،ولا طمأنينة للقلوب إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ،و أن يكون أحب إليها مما سواه،والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية ،وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكون إلا شقيا معذبا ،كما هو حال الكافرين.[١]

ولما كان هذا الباب بهذه الأهمية وكان من المتعين علي في مرحلة العالمية (الماجستير) أن أتقدم بموضوع للبحث فقد اخترت أن يكون موضوع دراستي في هذه المرحلة هو "**المسائل العقدية المتعلقة بصفة الرحمة لله تعالى والرد على المخالفين على ضوء الكتاب والسنة**"

---

(١) انظر:الصفات الإلهية،د/محمد التميمي.ص٤

أسباب اختيار الموضوع:

أولا:رغبتي في فهم باب الأسماء والصفات على ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

ثانيا:كثرة مسائل العقيدة المتعلقة بصفة الرحمة؛ مما يوجب تخصيصها بدراسة مركزة وموضوعية تجمع مسائلها، وتوضح مكانتها، وتزيل عنها ما علق بها من أدران التعطيل والتجهم.

ثالثا:وجود المخالفين لأهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وغيره؛ يوجب على الدارسين الاعتناء بهذا الباب لبيان مذهب أهل السنة والجماعة، ورد كل ما خالفه من الباطل.

رابعا:الإيمان بأسماء الله وصفاته له آثار في توحيد العبد، وعبادته، وتصرفاته، وسلوكه وهذا مما يحتاجه الناس في حياتهم، فتوضيح ذلك لا تخفى ضرورته في حياتنا المعاصرة.

الدراسات السابقة:

بعد أن وقع اختياري على هذا العنوان ليكون موضوع دراستي لنيل درجة الماجستير أخذت في البحث عن الدراسات السابقة، وهل الموضوع بُحث من قبل أم لا؟ فلم أجد بعد البحث والمراجعة دراسة أكاديمية تدرس هذا الموضوع من جميع جوانبه.

وتبين لي أن هناك رسالة ماجستير لباحثة من جامعة أم القرى من قسم الكتاب والسنة بعنوان(الرحمة في السنة المطهرة)، وقد حصلت على جزء مصور من الرسالة من قسم الرسائل في جامعة أم القرى، وعند مراجعته تبين لي ما يلي:

١- أن الباحثة وهي من قسم الكتاب والسنة خصصت دراستها في دراسة الرحمة في السنة المطهرة.

٢-أن الباحثة تحدثت عن الرحمة في السنة على وجه العموم، و لم تخصص دراستها

في صفة الرحمة لله تعالى؛ لذا هي تحدثت عن رحمة الله كنوع من أنواع الرحمة في الفصل الأول فقط من الباب الثاني والذي ذكرت فيه أن الرحمة صفة من صفات الله تعالى وذكرت أنواع الرحمة العامة والخاصة، وطلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين للرحمة الخاصة، ثم سارت على حسب خطتها، وذكرت رحمة الملائكة، ورحمة الأنبياء والرحمة عند المخلوقات.

٣- لم تذكر الباحثة كثيرا من المسائل الاعتقادية المتعلقة بصفة الرحمة لله -عز وجل- ،واسمي الله سبحانه وتعالى (الرحمن والرحيم)، وعند حديثها عن ثمرات الرحمة لم تذكر إلا ثمرات الرحمة في الدنيا في مجال العلاقات الاجتماعية، وفي مجال الدعوة، وذكرت ثمراتها الأخروية في مسألتين فقط: في كون الرحمة سببا لدخول الجنة، وأن الرحمة سبب للمغفرة.

٤-لم تذكر الباحثة في الرسالة أقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة، والرد عليها، والذي يظهر-والله أعلم-أن الباحثة لم ترد من دراستها دراسة صفة الرحمة لله تعالى بل أرادت منها دراسة موضوع الرحمة بوجه عام في السنة ويبين ذلك ما ذكرته في مقدمة الرسالة والفهرس المرفق مع هذه الخطة.

أما الفروق بين دراستي للموضوع وتلك الرسالة السابقة فهي كما يلي:

أولا: اشتملت الرسالة على فصل فيه مبحثان، وتسعة مطالب، وتسع عشرة مسألة في اسمي الله (الرحمن والرحيم) والمسائل العقدية المتعلقة بهما، وهذا لم يذكر في الرسالة السابقة.

ثانيا:اشتملت الرسالة على فصل في إثبات صفة الرحمة وتقريرها مع استيعاب الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة بخلاف الرسالة السابقة.

ثالثا:اشتملت الرسالة على بيان أنواع الرحمة المضافة إلى الله تعالى بأدلتها، وأقوال أئمة السلف وهذا لم يذكر في الدراسة السابقة .

رابعا:اشتملت الرسالة على مبحث في المسائل العقدية المتعلقة بصفة الرحمة، وفيه ستة عشر مطلبا تضمن كثيرا من المسائل المتعلقة بهذه الصفة، وهذا لم يذكر في

الرسالة السابقة.

خامسا:اشتملت الرسالة على فصل كامل في الآثار الإيمانية لصفة الرحمة، وهذا لا يوجد في الرسالة السابقة.

سادسا:اشتملت الرسالة على مبحثين في مظاهر رحمة الله في الكتاب والسنة، وفي أسباب رحمة الله الواردة في الكتاب والسنة، وهذا لم يذكر في الرسالة السابقة.

سابعا:اشتملت الرسالة على باب كامل في الرد على الانحرافات المتعلقة بصفة الرحمة والتعريف بالمخالفين وأقوالهم، وعرض ما تشبثوا به من شبهات وردها، وكشف ما فيها من الزيف والباطل، وهذا لم يذكر في الرسالة السابقة.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس فنية؛ فكانت كالتالي:

المقدمة

وقد اشتملت على الافتتاحية ،وأهمية الموضوع ،وأسباب الاختيار،والدراسات السابقة وخطة البحث،ومنهج البحث.

التمهيد وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:تعريف كلمة (المسائل العقدية)الواردة في العنوان.

المطلب الثاني:تعريف كلمة (المتعلقة)الواردة في عنوان البحث.

المطلب الثالث:بيان معنى (الصفة)وذكر أقسام الصفات.

المطلب الرابع:بيان المقصود بـــ(المخالفين)بإيجاز.

المطلب الخامس:في بيان التزام أهل السنة والجماعة ما جاء في الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما.

الباب الأول :صفة الرحمة وما يتعلق بها من مسائل ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول:إثبات اسمي الله (الرحمن الرحيم)،وما يتعلق بهما من مسائل وفيه مبحثان:

المبحث الأول:إثبات اسمي الله (الرحمن الرحيم)، والأسماء المضافة الدالة على صفة الرحمة وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول:بيان معناهما في اللغة، والمعنى المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثاني:بيان ما بين الاسمين الكريمين من فروق.

المطلب الثالث:ذكر الأدلة على ثبوتهما من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

المطلب الرابع :مقتضى اسميّ الله (الرحمن الرحيم)، وأثرهما.

المطلب الخامس:ما جاء في تسمية الله (أرحم الراحمين، وخير الراحمين).

المطلب السادس:ما جاء في تسمية الله (ذو رحمة واسعة وذو الرحمة).

المبحث الثاني:المسائل العقدية المتعلقة باسمي الله (الرحمن الرحيم)وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:المسائل العقدية المشتركة بين الاسمين (الرحمن الرحيم) وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى:ذكر أسماء الله الحسنى المقاربة لاسمي الله (الرحمن الرحيم) في المعنى.

المسألة الثانية: دلالات اقتران الاسمين (الرحمن الرحيم)، والأدلة على ذلك.

المسألة الثالثة:دلالات ختم الآيات بالاسمين الكريمين (الرحمن الرحيم).

المسألة الرابعة:دعاء الله تعالى باسميه(الرحمن الرحيم)، والأدلة على ذلك.

المسألة الخامسة:حكم تسمية المخلوق بالرحمن الرحيم.

المطلب الثاني:المسائل العقدية الخاصة باسمه تعالى (الرحمن)، وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى:في أن اسم الجلالة (الرحمن)من الأصول التي ترجع إليها الأسماء والصفات.

المسألة الثانية:بيان أن اسم الله (الرحمن)متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

المسألة الثالثة:في أن اسم الله (الرحمن) هو مفتاح جميع الأفعال.

المسألة الرابعة:ورود اسم الله (الرحمن)مقترنا باستواء الله على العرش ودلالة ذلك.

المسألة الخامسة:ما جاء في الاستعاذة باسم الله (الرحمن) ودلالة ذلك.

المسألة السادسة:ما جاء في أفضلية إضافة العبودية إلى اسم الله(الرحمن)ودلالة

ذلك.

المطلب الثالث:المسائل العقدية الخاصة باسمه تعالى (الرحيم)وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى:اقتران اسم الله (الرحيم)باسم الله (التواب)ودلالة ذلك.

المسألة الثانية:اقتران اسم الله(الرحيم)باسم الله (الرؤوف)ودلالة ذلك.

المسألة الثالثة:اقتران اسم الله (الرحيم)باسم الله(الغفور)ودلالة ذلك.

المسألة الرابعة:اقتران اسم الله (الرحيم)باسم الله(العزيز)ودلالة ذلك.

المسألة الخامسة:اقتران اسم الله (الرحيم)باسم الله (البر)ودلالة ذلك.

المسألة السادسة:اقتران اسم الله (الرحيم)باسم الله(الرب)ودلالة ذلك.

المسألة السابعة:اقتران اسم الله (الرحيم)باسم الله(الودود)ودلالة ذلك.

الفصل الثاني :إثبات صفة الرحمة ،وما يتعلق بها من مسائل وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول:إثبات صفة الرحمة المضافة لله تعالى ،وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:بيان معنى الرحمة المضافة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني:من معاني كلمة الرحمة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث:الأدلة على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى وفيه مسألتان:

المسألة الأولى:الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

المسألة الثانية:الأدلة الشرعية العقلية.

المطلب الرابع:بيان نوع صفة الرحمة هل هي ذاتية أو فعلية؟

المطلب الخامس:بيان أقسام الرحمة وفيه مسألتان:

المسألة الأولى:أنواع الرحمة المضافة إلى الله تعالى.

المسألة الثانية:أقسام رحمة الله بعباده.

المبحث الثاني:المسائل العقدية المتعلقة بصفة الرحمة لله تعالى وفيه ستة عشر مطلبا:

المطلب الأول :بيان معنى كون((قل هو الله أحد))صفة الرحمن والأدلة على ذلك.

المطلب الثاني:معنى كتابة الله على نفسه الرحمة ودلالة ذلك.

المطلب الثالث:بيان المراد بقرب رحمة الله الوارد في قوله((إن رحمت الله قريب من المحسنين))ودلالة ذلك.

المطلب الرابع :الأدلة على سعة رحمة الله،وأن رحمته سبقت غضبه وما تتضمنه من المسائل.

المطلب الخامس:ما جاء في رجاء رحمة الله .

المطلب السادس:حكم التوسل إلى الله بصفة الرحمة.

المطلب السابع:حكم الاستعاذة بصفة الرحمة .

المطلب الثامن:حكم القسم بصفة الرحمة.

المطلب التاسع:حكم دعاء صفة الرحمة .

المطلب العاشر:حكم تعبيد الاسم لصفة الرحمة.

المطلب الحادي عشر:حكم القنوط من رحمة الله وأثره على التوحيد.

المطلب الثاني عشر:حكم قول :اللهم ارحمني إن شئت وأثره على توحيد العبد.

المطلب الثالث عشر:حكم قول :اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك.

المطلب الرابع عشر :في الصفات المقاربة لصفة الرحمة في المعنى.

المطلب الخامس عشر :اقتران صفة الرحمة بغيرها من الصفات ودلالات ذلك.

المطلب السادس عشر:نفي المماثلة عن الخالق جل وعلا في صفة الرحمة.

المبحث الثالث:من صور ومظاهر رحمة الله في الكتاب والسنة.

المبحث الرابع:من أسباب رحمة الله الواردة في الكتاب والسنة.

الفصل الثالث:الآثار الإيمانية للإيمان بصفة الرحمة لله تعالى وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الربوبية.

المبحث الثاني:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الألوهية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تحقيق العبادة.

المطلب الثاني:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في باب المعاملات.

المطلب الثالث:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في باب الأخلاق.

الباب الثاني:الرد على انحرافات المخالفين المتعلقة بصفة الرحمة وفيه فصلان:

الفصل الأول:الرد على انحرافات المخالفين العقدية المتعلقة باسمي الله تعالى (الرحمن الرحيم)وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول:أول من أنكر اسم الله تعالى(الرحمن)والأدلة على ذلك.

المبحث الثاني:الرد على من أنكر اسم الله (الرحمن).

المبحث الثالث:الرد على من استبعد أن يكون اسم(الرحمن)نعتا لله تعالى.

المبحث الرابع:الرد على من زعم المجاز في اسم الله (الرحمن).

المبحث الخامس:الإلحاد في اسمي الله (الرحمن الرحيم)ورده.

الفصل الثاني:انحرافات المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الرحمة والرد عليها وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد: بيان موقف أهل السنة والجماعة من الصفات الاختيارية وذكر المخالفين فيها إجمالا.

المبحث الأول:مذاهب المخالفين المثبتين لصفة الرحمة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:من يثبت الرحمة ويجعلها لازمة كالكلابية وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:ذكر قولهم في صفة الرحمة.

المسألة الثانية :بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة:الرد عليهم.

المطلب الثاني:من يثبت الرحمة ويجعلها حادثة بعد أن لم تكن كالكرامية وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:ذكر قولهم في صفة الرحمة.

المسألة الثانية:بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة:الرد عليهم.

المطلب الثالث:من يمثل الرحمة بصفات المخلوقين كقدماء الرافضة وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:ذكر قولهم في صفة الرحمة.

المسألة الثانية:بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة:الرد عليهم.

المبحث الثاني:مذاهب النفاة لصفة الرحمة وفيه مطلبان :

المطلب الأول:مذاهب الفلاسفة في صفة الرحمة وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:ذكر قولهم في صفة الرحمة.

المسألة الثانية:بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالث:الرد عليهم.

المطلب الثاني:مذهب أهل الكلام في صفة الرحمة وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:مذهب الجهمية في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم.

المسألة الثانية:مذهب المعتزلة في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم.

المسألة الثالثة:مذهب الأشاعرة في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم.

الخاتمة:وفيها ذكر لأهم النتائج والتوصيات

الفهارس:

١ -فهرس الآيات.

٢-فهرس الأحاديث والآثار.

٣-فهرس الأعلام.

٤-فهرس الفرق والطوائف.

٥-فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة.

٦-فهرس المصادر والمراجع.

٧-فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

١-جمع المادة العلمية من مظانها المعتبرة،مستدلا بالآيات والأحاديث مدعما ما أجمعه من مسائل بأقوال أئمة السلف وأقوال أهل العلم.

٢-ذكر أقوال المخالفين وما اعتمدوا عليه من شبه في ردهم لصفة الرحمة ثم تفنيدها وردها بأدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

٣-عزو الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

٤- عزو الأحاديث ،فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بعزوه إلى الصحيحين أو أحدهما،وما كان في غيرهما أعزوه إلى مصادره مع ذكر كلام أهل العلم عليه في بيان درجته.

٥-الترجمة الموجزة للأعلام غير المشهورين.

٦-التعريف الموجز بالفرق والطوائف والأماكن والبلدان وكل ما يحتاج إلى تعريف.

٧-تفسير المصطلحات العلمية والألفاظ الغريبة الواردة في البحث.

٨-الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٩-عمل الفهارس الفنية للرسالة على النحو المبين في الخطة.

التمهيد

وفيه خمسة مطالب :

توطئة:

المطلب الأول : تعريف كلمة (المسائل العقدية).

المطلب الثاني : تعريف كلمة (المتعلقة).

المطلب الثالث : بيان معنى (الصفة) وذكر أقسام الصفات.

المطلب الرابع : بيان المقصود بـــ (المخالفين) بإيجاز.

المطلب الخامس: في بيان التزام أهل السنة والجماعة بما جاء في الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما

توطئة

سأتناول – بمشيئة الله تعالى – في هذا التمهيد توضيح معاني مفردات عنوان البحث محاولا الإيجاز قدر المستطاع؛ لما لتحديد المصطلحات [(١)] من أهمية قبل الدخول في أبواب البحث وفصوله؛ليتميز المحدود – المعرّف – عن غيره، ولئلا يقع الباحث، أو القارئ في اللبس والخطأ، لاختلاف دلالة الكلمات ومعانيها[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [(٣)]:((المحقِّقون من النظَّار يعلمون أن الحدَّ فائدته (التمييز بين المحدود وغيره) كالاسم ليس فائدته تصوير المحدود،وتعريف حقيقته ؛ وإنما يدَّعي هذا أهل المنطق اليوناني أتباع أرسطو[(٤)]ومن سلك سبيلهم وحذا

---

(١) المصطلحات:جمع مصطلح وهو ما تعارف عليه أهل علم معين من الألفاظ والتراكيب في التعبير عن حقائق ذلك العلم وكل علم له مصطلحاته الخاصة به.انظر:المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية١١-١٢

(٢) انظر :الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية ص١٧.

(٣) هو شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية:أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله النميري الحراني،ولد في حران ،في ربيع الأول سنة٦٦١هـ تحوَّل به والده إلى دمشق،فنبغ واشتهر،وكان آية في العلم، وأفتى ودرَّس وهو دون العشرين من العمر،وقد اعتنى بالقرآن والسنة ،وناصر عقيدة السلف، ودافع عنها ورد على المخالفين في كثير من كتبه ،وكان مشهورا بالزهد والورع والعبادة مع الشجاعة ونبل الأخلاق وصنَّف الكثير من المؤلفات في شتى العلوم،توفي في سجن قلعة دمشق ليلة الاثنين ٧٢٨/١١/٢٠هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته! رحمه الله رحمة واسعة انظر:البداية والنهاية لابن كثير ٢٨١/١٣ ،و٥٥٢/١٤-٥٥٨،والدرر الكامنة لابن حجر١٤٤/١،ترجمة رقم ٤٠٩، تذكرة الحفاظ٤/ ٢٧٩، الأعلام لخير الدين الزركلي ١٤٤/١

(٤) هو أرسطو طاليس،فيلسوف يوناني تتلمذ على ((أفلاطون)) ومعنى أرسطو طاليس تام الفضيلة أو محب الحكمة، وكان يحاضر ماشيا ،فسمي هو وأتباعه بـ(المشائين)، وكان بارعا في الطب ولكن غلب عليه علم الفلسفة، وهو أول من قال بقدم العالم، وكان مشركا يعبد الأوثان، توفي سنة٣٢٢ق.م. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن

حذوهم تقليدا لهم من الإسلاميين [١]، وغيرهم))[٢]

وقال في موضع آخر:((...وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله، فإذا ردَّ الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة؛فالمعاني الصحيحة ثابتة فيهما، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة..))[٣]

بهذا البيان الشافي،والكلام الوافي يبين شيخ الإسلام./ .أهمية الرجوع في معاني الألفاظ إلى الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة أخذ به وما خالفهما رُدَّ و لم يؤخذ به،وهذا ما سأبذل فيه جهدي في هذا البحث سائلا الله سبحانه وتعالى التوفيق والهداية.

لذا فإن في هذا التمهيد خمسة مطالب سأتناولها فيما يلي بالبيان والتوضيح:

أبي أصيبعة ٨٦

(١) لعل المراد الفلاسفة الذين ظهروا في الإسلام كابن سينا والفاربي وغيرهما .

(٢) الرد على المنطقيين ص٥٦

(٣) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١/ ٢٣٧.

المطلب الأول:تعريف كلمة المسائل العقدية

هذا المطلب يتكون من كلمتين وهما:((المسائل))، و((العقدية))؛ لذا فسأقوم بإذن الله

أولا:ببيان معنى كل كلمة بمفردها، ثم ببيان معنى الكلمتين مجتمعتين لمعرفة ما يراد بهما؛ وما يدلان عليه ، فإلى بيان ذلك:

أولا:بيان معنى كلمة ((المسائل)):

أ-المسائل لغة:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية لمعرفة معنى كلمة ((المسائل))الواردة في عنوان الرسالة نجد أن أصحابها قد جمعوا الشيء الكثير من معانيها، فتحدثوا عن أصل مادتها، واشتقاقها، واستعمالاتها لدى العرب؛ فيحسن بنا أن نقطف – ولو شيئا قليلا – من أقوال أرباب العربية؛ لبيان معنى هذه الكلمة ، وستكون البداية بذكر قول الأقدم منهم:

فيقول الخليل بن أحمد الفراهيدي:[(١)]((سأل:يسأل سؤالا ومسألة .والعرب قاطبة تحذف همزة سَلْ، فإذا وُصلت بفاء،أو واو هُمزت كقولك:فاسأل واسأل ...وجمع المسألة:مسَائِل، فإذا حذفوا الهمزة قالوا:مَسَلة))[(٢)]

وقال ابن فارس[(٣)]:((سأل :السين والهمزة واللام كلمة واحدة:يقال:سأل

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي اليحمدي، من أئمة اللغة والأدب، وهو واضع علم العروض وهو أستاذ سيبويه النحوي ولد في البصرة(سنة ١٠٠هـ) ،ومات بها، له مصنفات عدة منها (كتاب العين)،و(معاني الحروف)،و(كتاب العروض).انظر : سير أعلام النبلاء٧/٤٢٩، ,الأعلام للزركلي ٢/٣١٤.

(٢) كتاب العين ٧/٣٠١

(٣) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين ، من أئمة اللغة والأدب،ويكاد يجمع كل من ترجم له أنه كان على مذهب أهل السنة محبا للحديث،

يسأل سؤالا ومسألة ،ورجل سُؤَلة:كثير السؤال))[١]

وقال الجوهري[٢]:((سأل:السؤل ، ما يسأل الإنسان، وقرئ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾[٣]بالهمزة وبغير الهمزة ،وسألته الشيء،وسالته عن الشيء سؤالا ومسألة وقوله تعالى:﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[٤]أي عن عذاب[٥].

وبعد استعراض هذه الأقوال من كتب اللغة يتضح أن (المسائل)جمع مسألة ،وكيفما تصرفت هذه اللفظة فإن معناها يدور حول السؤال والطلب ؛ فمسألة مصدر من سأل يسأل سؤالا وسؤلا.

وتقول سألته عن الشيء:أي استخبرته، والسؤال إذاً استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى معرفة، أو استدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال[٦].

ب-المسائل اصطلاحا:

هي المطالب التي يبرهن عليها في علم من العلوم ويكون الغرض من ذلك العلم

من مؤلفاته:(معجم مقاييس اللغة)،و(جامع التأويل)،و(وذم الخطأ في الشعر)، توفي في الري سنة ٣٩٥هـ.انظر : السير ١٧/ ١٠٣، الأعلام ١/١٩٣

(١) معجم مقاييس اللغة ص٢٧٩

(٢) هو أبو نصر،إسماعيل بن حماد الجوهري ،قيل أنه أو من حاول ((الطيران))، ومات في سبيله.لغوي من الأئمة .له مصنفات عدة منها:(الصحاح)،وهو أشهر كتبه،و(العروض)، توفي في سنة ٣٩٣ه ، انظر :العبر في خبر من غبر١٨٤/٢، الأعلام للزركلي ٣١٣/١

(٣) سورة طه :آية ٣٦.

(٤) سورة المعارج :آية ١.

(٥) الصحاح ١٠٤٠/٤

(٦) انظر:لسان العرب٣١٨/١١-٣١٩،وأيضا المفردات للراغب،كتاب السين ٢٥٠/١

معرفتها.[١]

وعُرِّفت المسألة أيضا:بأنها قضية نظرية في الأغلب تتألف منها حجتها ،وهي مبانيها التصديقية ؛وقد تكون ضرورية محتاجة إلى تنبيه.

وأن المراد بالمسألة :هي القضية الكلية التي تشتمل بالقوة على أحكام تتعلق بجزئيات موضوعها[٢]

ولعل التعريف الثاني هو الأقرب إلى المراد من كلمة(المسائل)الواردة في عنوان الرسالة؛ لأن الذي يظهر أنه يوافق ما تعارف عليه العلماء عند تسميتهم لمصنفاتهم بهذا الاسم.

وأيضا من هذه التعريفات يتضح أنها لم تخرج عن أحد المعاني اللغوية التي دلت عليها مادة((سأل))،والتي جاء أن من معانيها الطلب، وكذلك هي في المعنى الاصطلاحي الأول فالمسائل هي المطالب التي يبرهن عليها في العلم، والهدف الذي يُسعى إليه في ذلك العلم هو معرفتها وتحقيقها.

لذا يقول علماء اللغة في بيان معنى الطَّلب:هو محاولة وجدان الشيء، وأخذه، ومن هذا قولهم:كَلأٌ مُطْلب:أي بعيد المطلب،وقد أطلب الكَلَأ:أي تباعد وطلبه القوم[٣]

وكما أن ساكني البادية يجتهدون في طلب الكلأ الذي به حياة أنعامهم؛فيطلبونه وإن تباعد عنهم مهما كلفهم ذلك من متاعب وتكاليف ، فكذلك المسائل العلمية التي تحيا بها القلوب؛فلا بد من طلبها،وإن تباعدت ،ولا يكون ذلك إلا ببذل كل غالٍ ونفيس في سبيل طلبها وتحصيلها.

ومن الملاحظ في هدي علماء الإسلام أنهم يطلبون العلم السنين ذوات العدد،ثم لا ينتهون عن ذلك بل يتزودون لمثلها، مقتدين في ذلك بالأنبياء والمرسلين، ثم إن من علمائنا من صنفوا مصنفات وأطلقوا عليها اسم (المسائل)، أو صدَّر عنوان كتابه

---

(١) انظر:كتاب التعريفات ص٢١١

(٢) انظر: الكليات للكفوي ص ٨٥٧

(٣) انظر:كتاب العين٧/٤٣٠،لسان العرب١١/٥٥٩- ٥٦٠

بالمسائل، وهذا معروف عنهم في القديم والحديث مما يبرهن على صحة هذا الإطلاق؛ بل إن منهم من تَرِدُ عليه الأسئلة، والاستفتاءات، فيقوم بالإجابة عنها، فيطلق على ما صنَّف اسم (المسائل)، ومن ذلك:(كتاب مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى[١])،حيث قال في مقدمة كتابه مبينا سبب تأليفه:((..سألتموني–أحسن الله توفيقكم–عن مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في...))[٢] ثم عدَّد–رحمه الله–تسع مسائل من مسائل الإيمان سئل عنها؛وكأنه رحمه الله خصص كتابه–الإيمان–للإجابة عما ورد إليه من مسائل، ومن الكتب التي استعمل في مسماها اسم المسائل كتاب (مسائل العقود في السنة[٣]لأبي عمر الطلمنكي[٤])[٥]

---

(١) هو القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، ولد ببغداد سنة (٣٨٠هـ)، قال الذهبي :((صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب))، ومن مؤلفاته:(أحكام القرآن)، و(مسائل الإيمان)، و(عيون المسائل)، وألف كتاب(إبطال التأويلات لأخبار الصفات)، ردا على كتاب ابن فورك(مشكل الحديث وبيانه)، فثار عليه الأشعرية ومن تابعهم، حتى ذكروا أن ابن الجوزي ألف كتابه (دفع شبه التشبيه) للرد على كتاب القاضي هذا.ومع أنه له مواقف في الرد على أهل الباطل إلا أن العلماء أخذوا عليه سلوكه طريقة المتكلمين، وأخذه بأقوال الأشاعرة في بعض مصنفاته. توفي رحمه الله (٤٥٨هـ) .انظر:سير أعلام النبلاء ١٨/٨٩

(٢) مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ص١٤٧.

(٣) ويسمى:الوصول إلى معرفة الأصول في مسائل العقود في السنة.

(٤) هو أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لُبٍّ بن يحيى،المعافري الأندلسي،الطَّلَمَنْكيُّ.وطَلَمَنْك نسبة إلى مدينة بثغر الأندلس .ولد رحمه الله سنة(٣٤٠هـ) بطلمنك وتوفى بها مرابطا في محرم سنة(٤٢٨هـ)، وكان–رحمه الله–فاضلا ضابطا،شديدا في السنة،سيِّفا مجردا على أهل الأهواء والبدع.انظر :سير:أعلام النبلاء ،للذهبي١٧/٥٦٦

(٥) انظر :تاريخ تدوين العقيدة السلفية ص١٢٥

وغير ذلك من المصنفات الكثيرة التي سميت بهذا الاسم[١].

ثانيا:بيان معنى العقيدة لغة وشرعا:

أ-تعريف العقيدة لغة:العقيدة كلمة مأخوذة من مادة(عَقَدَ)والتي يقول عنها ابن فارس:((عقد:«العين والقاف والدال» أصل واحد يدل على شدٍّ،وشِدَّةِ وُثوق،وإليه ترجع فروع الباب كلُّها))[٢].

ولقد ذكر علماء اللغة أن معاني هذه المادة -عقد -تدور حول معانٍ عدة فمن ذلك ما يلي:

١- تأتي مادة عقد بمعنى اللزوم ومن ذلك قولهم:عقد قلبه على الشيء، بمعنى لَزِمَهُ، وعقد قلبه على كذا فلا يترع عنه.[٣] ولقد جاء استعمال هذه المادة بهذا المعنى في السنة المطهرة وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الخيل:«...الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة...»[٤].قال ابن الأثير[٥]:(أي ملازم لها كأنه معقود

---

(١) مثل :كتاب (مسألة الاستواء)،لأبي العباس الطَّرِقي،وكتاب (مختصر في الرد على الأشعرية والقدرية في مسألة الكلام)لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني .انظر :تاريخ تدوين العقيدة السلفية،لعبد السلام بن برجس-رحمه الله-ص١٥٥و١٦٥

(٢) معجم مقاييس اللغة ص٦٥٤-٦٥٥

(٣) انظر:كتاب العين ١/١٤٠-١٤١،معجم مقاييس اللغة٦٥، الصحاح،١/٣١٢، لسان العرب٣/٢٩٦-٣٠٠.

(٤) أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة -رضي الله عنه-كتاب الزكاة،باب٦إثم مانع الزكاة،وفضلها حديث رقم٢٦انظر:صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٥٧

(٥) هو مجد الدين أبو السعادة المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ثم الموصلي، المعروف بابن الأثير الكاتب صاحب (جامع الأصول)، و(غريب الحديث) اتفق المؤرخون على أنه ولد سنة(٥٤٤هـ)،أصيب بمرض النقرس ففقد الحركة في يديه ورجليه،وألف تصانيفه إملاءً على طلبته الذين كانوا في عونه،ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل سنة(٦٠٦هـ). انظر:السير للذهبي ٢١/ ٤٨٩، والأعلام للزركلي ٥/ ٢٧٢

فيها)[١]

٢- وتأتي بمعنى الميثاق،والمعاهدة، ومما جاء في هذا المعنى في كتاب الله قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[٢]

وقيل:هي العهود، والمعاقدة المعاهدة،والميثاق[٣]،وقد حكى ابن جرير الطبري[٤]-يرحمه الله-في تفسيره إجماع أهل التأويل:أن (العقود)في الآية بمعنى العهود[٥].

وقال في موضع آخر:يقال منه:عقد فلان بينه وبين فلان عقدا فهو يعقده...إذا واثقه على أمر وعاهده عليه عهدا بالوفاء له بما عاقده عليه.[٦]

٣-وتأتي هذه المادة أيضا بمعنى الربط والشدِّ بقوةٍ وإحكام.

قال في لسان العرب:((العقد نقيض الحل...))[٧]وقال ابن جرير ((والعقود جمع عقد وأصل العقد،عقد الشيء بغيره،وهو وصله به كما يعقد الحبل بالحبل ،إذا وصل به شدًّا)).[٨]

ومن هذا الباب ما رواه الإمام أحمد –رحمه الله-من حديث رويفع-ط -[٩]أن

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر٣/٢٧١.

(٢) سورة المائدة:آية١

(٣) انظر:كتاب العين١/١٤٠،معجم مقاييس اللغة ص٦٥٤-٦٥٥،الصحاح١/٣١٢-٣١٣

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري،أبو جعفر:قال عنه الذهبي:الإمام العَلَم المجتهد عالم العصر ،صاحب التصانيف البديعة، ولد سنة (٢٢٤ه)، وكانت وفاته ببغداد سنة (٣١٠ه)، أوثق من نقل في التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على غزارة علمه انظر: السير ٢٦٧/١٤، الأعلام ٦٩/٦.

(٥) انظر:تفسير الطبري،المسمى جامع البيان في تأويل القرآن٤/٣٨٥.

(٦) المصدر نفسه٤/٣٨٦

(٧) لسان العرب٣/٢٩٦

(٨) تفسير الطبري٣/٣٨٦

(٩) هو رُوَيْفِع بن ثابت بن السَّكن الأنصاري، نزل مصر،وتوفي ببرقة، وهو أمير عليها سنة(٥٦ه). انظر:الإصابة في تمييز الصحابة،لابن حجر ٢/٤١٦، والأعلام٣/٣٦.

النبي ->- قال: «ـــ..من عقد لحيته فإن محمدا بريء منه...» [(١)]

قال ابن الأثير: ((كانوا يعقدونها في الحرب، فأمرهم بإرسالها، كانوا يفعلون ذلك تكَبُّرا وعُجبا)) [(٢)]

٤- وتأتي مادة عقد بمعنى الإبرام. قال الخليل بن أحمد: ((وعُقْدة كلِّ شيء: إبرامه)) [(٣)]

ومما جاء على هذا المعنى في الأثر عن معاذ -ط- أنه قال: «مَنْ عَقد الجزْية في عُنُقه بَرِئ مما عليه رسول الله -> -» [(٤)] وعَقْدُ الجزية كِناية عن تقريرها على نفسه كما تُعْقد الذمَّة للكِتابيِّ عليها [(٥)].

٥- وتأتي عقد على معنى: اشتدَّ، وصَلُبَ، وغَلُظَ. قالوا وذلك من قولهم: واعْتَقد الشيء أي اشتد وصلب، ويقال أيضا: عقد العسل، وعقد التمر، وانعقد أي قوي وصلب، ومما جاء فيه من كلام العرب ما قاله أحدهم في ناقته:

أُجُدٌ إذا اسْتَنْفَرْتَها من مَبْرَكٍ حَلَبتْ مغابنها بِرُبٍّ مُعْقَد [(٦)]

٦- وتأتي مادة عقد في اللغة بمعنى التأكيد.

أخذوا ذلك من قولهم: عقد العهد واليمين يعقدهما عَقْدا، وعقَّدهما بمعنى

---

(١) أخرجه الأمام أحمد في مسنده، الأحاديث رقم (١٦٩٩٢، ١٦٩٩٣، ١٦٩٩٧)، ج٦، ص٤٧، وأخرجه: أبو داود، في سننه، كتاب الطهارة، باب: ما ينهى عنه أن يستنجى به، حديث رقم٣٦، ج١، ص١٠، وأخرجه: النسائي في كتاب الزينة، حديث رقم ١٢، ج٨، ص١٣٥. وإسناد الحديث صحيح؛ فقد صحح إسناده الألباني -/-، في مشكاة المصابيح وقال: (إسناد النسائي صحيح..)، انظر: مشكاة المصابيح ٢٠٣/١

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢٧٠/٣

(٣) كتاب العين ١٤٠/١

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في الدخول في أرض الخراج، حديث رقم ٣٠٨١، ج٣، ص١٨٠. قال عنه الألباني: ضعيف الإسناد انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود ٨١/٧، ورواه البيهقي في الكبرى ١٣٩/٩

(٥) انظر: لسان العرب ٢٩٩/٣، النهاية لابن الأثير ٢٧٠/٣.

(٦) انظر: كتاب العين ١٤٠/١، الصحاح ٣١٢/١، لسان العرب ٢٩٨/٣.

أكدَّهما.وقد استشهد علماء اللغة على هذا المعنى بقول الله:﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾ [(١)]

واحتجوا بقراءة التشديد الواردة في قوله(عَقَّدَتْ) وقالوا:معناه التوكيد، والتغليظ.[(٢)]

وقد ذكر ابن جرير الطبري في معنى الآية ما يوافق المعنى الذي ذكره أهل اللغة حيث قال-/-:((وأما معنى قوله :﴿ــعَقَدَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾ ، فإنه :وَصَلت ،وشَدَّت، ووكَّدت ،﴿أَيۡمَـٰنُكُمۡــ﴾يعني:مواثيقكم التي واتق بعضكم بعضا...))[(٣)]

٧-وجاء استعمال هذه المادة في لغة العرب كذلك بمعنى الثبوت.

قال الخليل بن أحمد في كتاب العين:((واعتقد الإخاء،والمودة بينهما:أي ثبت.[(٤)]

٨-ومن معانيها:الوجوب.

قال ابن فارس:((وعُقْدة النكاح وكل شيء:وجوبه وإبرامه والعقد في البيع إيجابه))[(٥)].

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن ما سبق ذكره من معانٍ لمادة عقد هي بعض ما ذكرته كتب اللغة المتقدمة، وأنه لم يرد فيها معنى العقيدة بلفظها غير أنه يلاحظ على معاجم اللغة المتأخرة أنها قد ذكرت كلمة العقيدة بمعناها الاصطلاحي، وما يُرادفها من عبارات .

ومن ذلك :ما ذكر في المصباح المنير: أن العقيدة:هي ما يدين الإنسان به،فهي

---

(١) سورة النساء،آية ٣٣

(٢) انظر:لسان العرب ٣/٢٩٦-٣٠٠.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٤/٥٤.

(٤) كتاب العين ١/١٤٠-١٤١.

(٥) مقاييس اللغة ص٦٥٤-٦٥٥.

الإيمان بحقيقة معينة إيمانا لا يقبل الشك،أو الجدل.(١)

وجاء في المعجم الوسيط أن **العقيدة** هي :الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، ويرادفها الاعتقاد، والمعتقد، وجمعها عقائد.(٢)

ولا شك أن معنى العقيدة الذي ذُكر في معاجم اللغة المتأخرة إنما جاء على المعنى الاصطلاحي العام حيث أنه يدخل في هذا المعنى كل عقيدة يعتقدها الناس: سواء كانت عقيدة صحيحة،أو عقيدة باطلة؛فهي على هذا المعنى مرادفة لكلمة(دين)،أو (مِلَّة).

والعقيدة التي يجب أن نعلمها ونعتقدها ونعمل بها؛هي العقيدة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة، وأخذ بها سلف الأمة،وهذا سيكون واضحا بمشيئة الله تعالى عند بيان التعريف الاصطلاحي الخاص بالعقيدة الإسلامية التي شرعها رب العالمين ورضيها للناس أجمعين،ولكن قبل هذا أود أن أطرح سؤالا ثم أجيب عنه فأقول : **هل وردت كلمة العقيدة في الكتاب والسنة،وفي كلام سلف الأمة؟**

وللجواب عن ذلك يقال:أما القرآن الكريم فلم ترد فيه كلمة العقيدة بلفظها ،وإنما وردت فيه مادتها؛كما في كقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ (٣)

وقوله:﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾(٤)

وأما السنة المطهرة،فقد ورد فيها لفظ العقيدة،وذلك كما في حديث زيد بن ثابت-ط-(٥)عن النبي->-قال:«نضَّر الله امراءً سمع مني حديثا،فأدَّاه إلى من هو

---

(١) انظر:معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير ص٢١٠،والمصباح المنير كتاب العين ٤٢١/٢

(٢) القاموس المحيط ص٦١٤.

(٣) سورة النساء،آية ٣٣

(٤) سورة البقرة،آية ٢٣٥

(٥) زيد بن ثابت بن الضحاك،الأنصاري الخزرجي،أبو سعيد،استصغر يوم بدر،وشهد أحدا وما بعدها.من كُتَّاب الوحي،وأمره النبي ->-أن يتعلم لغة اليهود،فتعلمها في نصف شهر. البخاري

أحفظ منه؛فرُبَّ حامل فقه ليس بفقيه،ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.لا ينعقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة.قال قلت:ماهنَّ؟قال:إخلاص العمل لله،والنصيحة لولاة الأمر،ولزوم الجماعة،فإن دعوتهم تحيط من ورائهم... »[١] والشاهد من هذا الحديث قوله:(لا ينعقد قلب مسلم على..)أو(لا يعقد)[٢]فقد أخذ من ذلك بعض الباحثين ورود كلمة العقيدة في السنة المطهرة،[٣]وعند تأمل الشاهد من الحديث يلاحظ أنه يدل على هذا فهو يتحدث عن أشياء هي من أعمال القلوب فلا ينفع العمل بها إلا إذا صدرت عن عقيدة سليمة صحيحة، تكون ثابتة في القلب يعقد عليها صاحبها قلبه ونيته.

قال في فتح المنان:((قوله:لا يعقد بضم أوله على ما لم يسم فاعله، والعقد نقيض الحَلِّ،يقال:عقد النية على فعل كذا إذا عزم عليه،والعقد: الجمع بين أطراف الشيء، نحو عقد البيع والعهد ويقال:عقد العهد واليمين يعقدهما عقدا إذا أكَّدَهما))[٤]

مع الفتح ١٣/ ١٨٥،وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر-ط-وكان من علماء الصحابة توفي على قول الأكثر سنة(٥٤٥).انظر ترجمته:ابن حجر،الإصابة في تمييز الصحابة٢/٤٩٠.

(١) أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ الدرامي في مقدمة السنن،باب:الاقتداء بالعلماء،حديث رقم٢٣٥،ولشيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر دراسة لهذا الحديث رواية ودراية، وذكر-أمد الله عمره في طاعته-أن الحديث متواتر عن النبي->-وأنه مروي عن٢٤صحابيا، وأنه قد خرجه٣٧إماما، ومخرج في أكثر من ٤٥كتابا، وأن طرقة قد بلغت ١٥٧طريقا.انظر:مجموع كتب ورسائل عبد المحسن البدر،ج٣ص٢٩٧،وص٤٨٩، أما الشيخ الألباني رحمه الله فقد حكم عليه بالصحة بطرق متعددة في عدد من كتبه ومن ذلك:صحيح الجامع، رقم٦٧٦٣، ج٢،ص١١٤٥،والصحيحة، رقم:٤٠٤،ج١/٦٨٩

(٢) انظر:فتح المنان شرح مسند الدرامي حديث رقم ٢٤٠،ج١ص٣٢٧

(٣) انظر: التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية لمحمد الخمِّيس ٥٧/١، وعلم العقيدة عند أهل السنة محمد يسري ص ١٢٩

(٤) فتح المنان شرح مسند الدارمي ٣٢٨/١

ما جاء عن السلف من استخدامهم لكلمة العقيدة:

السلف الصالح - عليهم رحمة الله - كانوا سبَّاقين لكل خير ؛ وذلك بفضل تمسكهم بالكتاب والسنة؛ لذا ورد عنهم استخدام هذا المصطلح مبكرا، بل هذا الإطلاق قد تعارفوا عليه قديما وحديثا، وهذا يُؤخذ من أقوالهم،وأسماء المصنفات التي صنفوها وأطلقوا عليها هذا الاسم،أو ما يُرادفه، وعند ذكر المؤلفات التي وردت عنهم ووسموها بهذا الاسم سيتضح هذا الأمر جلياً؛ لذا سأكتفي في هذا الموضع بذكر جملة من أقوالهم للاستشهاد بها على سبقهم واستخدامهم لكلمة (العقيدة)قبل غيرهم فمن ذلك:

-:مما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم.

ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - في تفسير قوله تعالى﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَـٰنِكُمۡ﴾ [١]، وفيه قالت:هم القوم يتدارؤُون في الأمر فيقول هذا:لا والله، وبلى والله، وكلا والله، يتدارؤُون فيه لا تعقد عليه قلوبهم، وفي رواية (ما لم يعقد عليه قلبه)[٢]

-:ومما جاء عن غير الصحابة.

ما جاء عن الإمام الزُّهْري - رحمه الله - [٣]((فيمن قال:إن لم أفعل كذا وكذا ؛ فامرأتي طالق ثلاثا:يسأل عما قال، وعقد عليه قلبه حين حلف بتلك اليمين؛ فإن سمى أجلا أراده، وعقد عليه قلبه حين حلف.جُعل ذلك في دينه وأمانته))[٤]

---

(١) سورة البقرة،آية ٢٥٥.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج٢،ص٤١٧.

(٣) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبد الله بن شهاب المدني الزهري، من بني زهرة،من قريش أبو بكر:أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء،تابعي ولد سنة٥٨ه وتوفي سنة ١٢٤ه انظر:العبر في خبر من غبر ١٢١/١، الأعلام للزركلي٧٩/٧

(٤) ذكره الإمام البخاري،كتاب الطلاق،باب١١/الطلاق في الإغلاق والكره.البخاري مع الفتح ٣٨٨/٩

وبأثر عائشة - وقول الإمام الزهري، يظهر أن السلف الصالح يطلقون (عقد القلب)على ما يضمره الإنسان في قلبه، وما يعقد عليه نيته، ويعزم عليه، وكذلك الاعتقاد إنما سمي اعتقادا؛ لأن القلوب تعقد عليه، وتدين به، وتلزمه[(١)]

ومن هذا ما جاء عن السلف من ذكرهم لاعتقادهم وبيانه للناس فقد سمَّوا ما هم عليه من عقيدة الكتاب والسنة، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة باسم(الاعتقاد) :

كاعتقاد أبي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري[(٢)]، واعتقاد الإمام الأوزاعي،[(٣)]واعتقاد سفيان بن عيينة[(٤)]، واعتقاد الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم[(٥)]عليهم رحمة الله .

بل جاء عنهم ما هو أوضح من ذلك،فقد أخرج الإمام اللالكائي[(٦)]- رحمه الله - بسنده عن عبد الرحمن بن أبي حاتم[(٧)]أنه (قال:سألت أبي[(١)]،وأبا زرعة[(٢)]عن

(١) انظر:شرح الواسطية لابن إبراهيم ص١٩

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله،الثوري الكوفي، ولد سنة٩٧ه ومات سنة١٢٦ه قال أحمد بن حنبل:قال لي ابن عيينة:لن ترى بعينيك مثل سفيان الثوري حتى تموت.انظر:سير أعلام النبلاء٧/٢٢٩

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ،أبو عمرو الأوزاعي ،شيخ الإسلام وعالم أهل الشام،أصله من سبي السند،ولد في حياة الصحابة سنة٨٨ه واستقر بدمشق قال الإمام مالك في الأوزاعي: الأوزاعي إمام يقتدى به توفي سنة١٥٧ه. انظر:سير أعلام النبلاء٧/١٠٧.

(٤) سفيان بن عيينة بن أبي عمران،أبو محمد ولد بالكوفة وسكن مكة ولد سنة١٠٧ه وتوفي في سنة ١٩٨ه وكان رحمه الله صاحب سنة وإتباع(سير أعلام النبلاء،ج٨،ص٤٥٤.

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/١٥١-١٨٦

(٦) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي .أبو القاسم،قال عنه الذهبي:الإمام الحافظ المجوِّد المفتي.عاجلته المنية في سنة ٤١٨ه انظر:السير ١٧/٤١٩

(٧) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي،أخذ علم أبيه،وعلم أبي زرعة

مذاهب أهل السنة في أصول الدين ،وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ،وما يعتقدان من ذلك؟ فقالا:..)[٣]فهذا السؤال الموجه لهذين الإمامين؛ سؤال لهما عما يعتقدان؟ وعما يضمران في قلبيهما من مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين ، فهذا يؤكد ما ذكرنا من سبق السلف في استخدام هذا المصطلح، وأنهم قد تعارفوا على إطلاقه.

ومِنْ وُرُود لفظ العقيدة عن السلف كذلك:ما جاء في مقدمة الإمام الطحاوي رحمه الله[٤]((فنقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له))[٥].

وكذلك قال الإمام اللالكائي -رحمه الله- في مقدمة شرح أصول اعتقاد أهل السنة:((أما بعد:فإن أوجب ما على المرء:معرفة اعتقاد الدين ،وما كلف الله به عباده من فهم توحيده،وصفاته،وتصديق رسله...))[٦].

ولما سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-عن اعتقاد الإمام الشافعي -رحمه الله[٧] - أجاب بقوله:((اعتقاد الشافعي رضي الله عنه ، واعتقاد سلف الأمة

وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال توفي سنة ٣٢٧هـ.(سير أعلام النبلاء١٣/٢٦٣).

(١) هو محمد بن إدريس الحنظلي،كان حافظا عالما بصيرا بعلل الحديث وهو من الأعلام المشهورين توفي رحمه الله سنة ٢٧٧هـ السير١٣/٢٢٧.

(٢) عبيد الله بن عبد الكريم بن زيد بن فرُّوخ الرازي كان إماما متقنا حافظا صادقا توفي رحمه الله سنة٢٦٤هـ. السير ١٣/٦٥.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/١٧٦.

(٤) هو الإمام أبو جعفر،أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي،والطحاوية نسبة إلى طحا قرية من صعيد مصر ،وكان إماما فقيها من الحنفيين وكان ثقة ثبتا،ولد سنة ٢٣٩هـ وتوفي سنة ٣٢١هـ انظر:مقدمة شرح الطحاوية ١/٤٠-٤٧

(٥) انظر:ابن أبي العز،شرح الطحاوية،تحقيق:عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط١/١٢٢

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/٩

(٧) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي،أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة

كمالك، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق هو اعتقاد المشائخ المقتدى بهم...فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين،وكذلك أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد، والقدر،ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء،واعتقاد هؤلاء ما كان عليه الصحابة ،والتابعون لهم بإحسان،وهو ما نطق به الكتاب والسنة))[(١)].

وقال الإمام السفاريني -رحمه الله- في نظمه(الدرة المضيَّة في عقد إهل الفرقة المرضيَّة):

((فمن هنا نظمت لي عقيدة أرجـــــــــوزة
وجـــــيـــــــــــــزة مـــــفـــــــيـــــــــــدة
نظـــــــمتها في ســــــــلكها مقـــدمـــــة وست
أبواب كذاك خاتمة))[(٢)].

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم[(٣)]ـــــ رحمه الله :((اعتقاد مصدر اعتقد والاعتقاد من العقد مأخوذ من عقد الأصابع على ما تشد عليه، وهو يطلق على التصديق مطلقا، وعلى ما يعتقد من الأمور الدينية مما يُشد عليه ويُعتقد، وتعيه وتمسكه القلوب، وسمي الاعتقاد اعتقادا؛ لأن القلوب تعقد عليه، وتدين به وتلزمه،

والجماعة توفي رحمه الله في ٢٠٤هـ انظر:الأعلام للزركلي٦/٢٦

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٥٨

(٢) انظر:ابن عثيمين ،شرح العقيدة السفارينية ص٧٤

(٣) هو الشيخ العلامة مفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،كُفَّ بصره في الرابعة عشر من عمره ،وعوضه الله عقلا كبيرا وفهما ثاقبا وعلما نافعا توفي رحمه الله ١٣٨٩هـ انظر:عبدالله البسام،علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/٢٤٢

واعتقاد الشيء قبل عمله، والغالب أن من اعتقد بقلبه عَمِلَه))[(١)]

وقال الشيخ محمد خليل هراس: ((الاعتقاد:مصدر اعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة له .بمعنى عقد عليه الضمير،والقلب،ودان لله به،وأصله من عقد الحبل ثم استعمل في التصميم ،والاعتقاد الجازم))[(٢)]

ويقول الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله–((والعقيدة :ما يدين به الإنسان ،يقال :له عقيدة حسنة أي:سالمة من الشك.والعقيدة عمل قلبي،وهي إيمان القلب بالشيء،والتصديق به))[(٣)].

وبعد ذكر هذه الكوكبة المضيئة من أقوال وعبارات علماء أهل السنة السابقين واللاحقين ؛فإنه قد بان للعيان أن كلمة العقيدة ليست كلمة مستحدثة في العصر العباسي للمعنى الذي استعملت فيه كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين المعاصرين[(٤)]فإن ما جاء في السنة،وأقوال سلف الأمة يرد هذا القول ،وما ذُكر أعظم دليل على ذلك ،ولو استقرئت نصوص الشريعة، والمصادر الأصلية عند أهل السنة والجماعة لظهر الأمر أكثر من ذلك؛ لأن الاستقراء له رجاله ويحتاج لوقت وجهد،والذي حملنا على هذا القول ثقتنا بعلماء السلف، وأنهم لا يتعارفون على أمر إلا وله أصل من نصوص الشرع، وأنه لا يخالف ما دلت عليه ،ولو كان فيه أدنى مخالفة لكانوا من أبعد الناس عنه! والله أعلم.

ب–تعريف العقيدة اصطلاحا:

---

(١) شرح الواسطية لمحمد بن إبراهيم،تحقيق:عبد المحسن القاسم،ص١٩.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس،تعليق:إسماعيل الأنصاري ص١٤

(٣) عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان ص٨،و الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد أيضا له ص ٦

(٤) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص٦٣نقلا عن الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الغربية محمد مبارك ٧٥.

لقد تعددت عبارات العلماء والباحثين، وتنوعت في تعريف العقيدة في الاصطلاح ، فمنهم من عرفها بمعناها العام بصرف النظر عن نوع الاعتقاد أهو حق،أم باطل، ومنهم من قصر تعريفه على العقيدة الإسلامية التي أمرنا الله عز وجل بها في كتابه وعلى لسان رسوله ـــــــ > ــ وأخرج ما سواها، فمن ذلك:

:تعريف العقيدة في الاصطلاح العام:

لقد جاء عن أهل العلم تعريفات كثيرة عرفوا بها العقيدة، وهم يريدون بها المعنى العام للعقيدة فمن ذلك:

١-العقيدة هي:((الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد))(١)

٢-العقيدة:هي الأمور التي يجب أن تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينا ثابتا عند أصحابها لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك.(٢)

٣-ما عقد الإنسان قلبه عليه، ودان لله عز وجل به.(٣)

:تعريف العقيدة الإسلامية:

ومن أهل العلم من قصر تعريف العقيدة على معناها الخاص بالعقيدة الإسلامية، و لم ينظر لغيرها من العقائد فمن ذلك:

١- قال الشيخ صالح الأطرم:((فالمعتقد معناه:التصديق الجازم فيما يجب لله من الوحدانية والربوبية والإفراد بالعبادة والإيمان بأسمائه وصفاته العليا)).(٤)

---

(١) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية منها لناصر العقل ص١١.

(٢) انظر:مدخل لدراسة العقيدة ص٨٨،وعبد الله الأثري،الوجيز في عقيدة السلف الصالح ص٢٤، والعقيدة في الله ص٩، ومناهج الدعوة في العقيدة ص١٣

(٣) انظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ص٢٣.

(٤) الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم ص٧

٢-ويعرفها الشيخ ناصر بن عبد الكريم العقل بقوله:((هي الإيمان الجازم بالله،وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته،وكتبه، ورسله، واليوم الآخر،والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره،وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله ـــــ > ـــ بالطاعة، والتحكيم، والإتباع)).[1]

وهذه الأقوال السابقة التي ذُكرت في تعريف العقيدة الإسلامية متوافقة،وليست متباينة،فدلالتها واحدة، وجميعها جامعة مانعة، فما أُجمل في بعضها فُصِّل في البعض الآخر، والنتيجة منها واحدة؛ حيث حددت العقيدة الإسلامية المبينة على الكتاب والسنة، وأخرجت ما سواها.

ثالثا:المراد بالمسائل العقدية.

في الصفحات السابقة تم ذكرت معنى المسائل لغة واصطلاحا،ثم تبع ذلك بيان معنى العقيدة لغة وشرعا، وبقي أمر ذو أهمية:ألا وهو ما المراد بالمسائل العقدية؟ وما الذي تعنيه هاتان الكلمتان عند اجتماعهما ؟

لذا فإن المراد **بمسائل الاعتقاد**: هي تلك الخصال الإيمانية المتعلقة بالقلب والمجزوم بصحتها، والتي يجب على الإنسان اعتقادها، ويجب أن تذكر قولا أو تعمل عملا . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ ـــ في بيان ذلك:((وذلك أن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها ويجب أن تذكر قولا، أو تعمل عملا ،كمسائل التوحيد والصفات، والقدر، والنبوة، والمعاد، أو دلائل هذه المسائل...))[2]

ويندرج تحت هذه المسائل فروع متعددة هي من تفاصيل التوحيد والإيمان، فالتوحيد ثلاثة أقسام:توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ومنه الإيمان بالملائكة ، والإيمان بالكتب، بما فيها القرآن الكريم، والإيمان بالنبوة

---

(١) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص١١-١٢.

(٢) درء تعارض العقل والنقل١/٨٨

كذلك، وهو يشمل الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وما يتبع ذلك من مسائل، ومنه الإيمان برسالة نبينا محمد ـــــ > ـــــ وكذا الإيمان بالمعاد، وما يدخل تحت الإيمان به:من الإيمان بالموت ،وما بعده من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، والبعث، والنشور، والجنة والنار، والحساب ، والميزان، والصراط، وغيرها مما يدخل تحت الإيمان باليوم الآخر، ومنه الإيمان بالقدر ـــــ خيره وشره ـــــ الذي يدخل تحت الإيمان بالله وتوحيده؛ لأن حقيقته الإيمان بعلم الله السابق لكل شيء ، وكتابته لمقادير الخلق وعموم مشيئته وقدرته وخلقه.[١]

وبالجملة فجميع مسائل الاعتقاد المفصَّلة في الكتاب والسنة [٢]ترجع إلى أصول الإيمان الستة التي فسر بها النبي ـــــ > ـــــ الإيمان في حديث جبريل ـــــ × ـــــ حين سأله عن الإيمان فقال له:((الإيمان:أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))[٣]

---

(١) انظر:الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه لعبد الرزاق طاهر ص٢٤-٢٥

(٢) يقول شيخ الإسلام رحمه الله:فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا قاطعا للعذر ؛إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين،وبلغه للناس .انظر:درء التعارض ٨٨/١

(٣) أخرجه مسلم،كتاب الإيمان،باب المؤمن والكافر،حديث رقم١،ج١،ص١٢٦مسلم بشرح النووي.

المطلب الثاني

تعريف كلمة(المتعلقة)الواردة في عنوان البحث

كلمة (المتعلقة)كلمة مأخوذة من (العلاقة) التي تختلف حركة العين فيها بحسب استعمالاتها؛فإذا استعملت في المحسوسات كسرت عينها فيقال:عِلاقة ولا يصح حينئذ فتحها،وإذا استعملت في المعاني فتحت فيقال:عَلاقة ولا يقال:عِلاقة بالكسر.

قال الجوهري:((والعِلاقة :بالكسر:علاقة القوس والسوط ونحوهما،والعَلاقة بالفتح:علاقة الخصومة،وعلاقة الحب))[١]

وقال في اللسان:((والعِلاقة:المِعْلاق الذي يُعَلَّق به الإناء.والعلاقة

---

(١) الصحاح ٣/٩٢٩-٩٣٠

بالكسر:علاقة السيف والسوط،وعلاقة السوط ما في مقبضه من السير،وكذلك علاقة القَدَح والمصحف والقوس وما أشبه ذلك..والعَلاقة ،بالفتح :علاقة الخصومة.)).[(١)]

إذاً سيكون الحديث في هذا البحث ـــــ بمشيئة الله تعالى ـــــ عن المسائل العقدية ذات العَلاقة الخاصة بصفة الرحمة لله تعالى وذلك بجمع مسائل هذه الصفة ثم دراستها وذكر أقوال أهل العلم فيها؛ ليسهل الرجوع إليها والإفادة منها،ولتأخذ مكانها في منظومة الدراسات التي تماثلها.فنسأل الله عز وجل العون والسداد.

المطلب الثالث

بيان معنى الصفة،وذكر أقسام الصفات

سيكون الحديث-بمشيئة الله تعالى-في هذا المطلب عن معنى الصفة لغة واصطلاحا وعن بعض المسائل التي اشتمل عليها المعنى الاصطلاحي، وكذلك ذكر أقسام الصفات عند أهل السنة والجماعة؛ مجتنبا في جميع ذلك الإطالة المملة ، والاختصار المخل بإذن الله تعالى :

أولا:معنى الصفة لغة:

جاءت كلمة ((الصفة)) في معناها اللغوي على معان:كالأمارة اللازمة

(١) لسان العرب ٢٦٥/١٠.

للشيء،وعلى معنى تحلية الشيء ونَعْته،فالوصف وصفك الشيء بحِلْيته ونعته.[١]
قال ابن فارس:((وصف :الواو والصاد والفاء أصل واحد، وهو تحلية الشيء.ووصفْتُه
أصِفه وَصفاً، والصفة الأمارة اللَّازمة للشيء، كما يقال وَزَنْتُه وَزْنًا))[٢]
فالوصف هو:الإظهار والبيان للبصر، أو السمع،كما يقول الفقهاء:
ثوب يصف البشرة، أو لا يصف البشرة.قال تعالى﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] وقال تعالى﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٤]
وصح عنه ــــ عليه الصلاة والسلام ــــ أنه قال:«لا تنعت المرأةُ المرأةَ لزوجها حتى كأنه ينظر إليها»[٥] والنعت الوارد في الحديث هو بمعنى الوصف.[٦]
جاء في كتاب التعريفات أن :((الصفة من الوصف، فالوصف بيان الواصف حال الموصوف سواء أكان ذلك الواصف صادقا في بيان الحال،أو كاذبا؛...لأن الوصف فعل الواصف وقد يكون حقا، وقد يكون باطلا.
أما الصفة:فهي حالة الشيء على ما هو عليه؛ لأن الصفة حال الشيء كما هو))[٧]
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ ـــــ:((والصفة:مصدر وصفت الشيء أصفه وصفاً وصفة، مثل وعد وعداً وعِدةً، ووزن وزنا وزنة، وهم يطلقون اسم المصدر على المفعول، كما يسمون المخلوق خلقاً ويقولون:درهم ضرب الأمير، فإذا

---

(١) انظر:كتاب العين ١٦٢/٧،ولسان العرب٣٥٦/٩
(٢) معجم مقاييس اللغة ص١٠٥٤.
(٣) سورة الأنعام، آية ١٣٩
(٤) سورة الصافات، آية ١٨٠
(٥) أخرجه البخاري،كتاب النكاح، باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها،حديث رقم ٥٢٤٠،انظر: الفتح ٩/ ٣٣٨
(٦) انظر:مجموع الفتاوى٢٠٥/٦.
(٧) التعريفات للجرجاني ص٢٥٢.

وُصِفَ الموصوف بأنه وَسِعَ كل شيء رحمة وعلما،سُمِيَ المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة. فيقال:للرحمة والعلم والقدرة صفة، بهذا الاعتبار، هذا حقيقة الأمر))[١]

قال في اللسان:((وأما النحويون فليس يريدون بالصفة هذا؛ لأن الصفة عندهم هي النعت))[٢] أي المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة.[٣]

قال شيخ الإسلام:((والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف كقول الصحابي في ((قل هو الله أحد)):أحبها؛ لأنها صفة الرحمن، وتارة يراد بها المعاني التي دلَّ عليها الكلام،كالعلم والقدرة))[٤]

وبناء على ما سبق ذكره من أقوال أهل العلم يمكن القول أن الوصف والنعت مترادفان،وقد أكثر الناس القول في الفرق بينهما،ولا سيَّما علماء الكلام،ولا فائدة من الخوض في ذلك [٥]والله أعلم.

ثانيا:تعريف الصفة اصطلاحا:

الصفة في الاصطلاح: هي ما قام بالذات الإلهية من المعاني والنعوت[٦] مما يميزها

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٢٠٥

(٢) لسان العرب ص٣٥٦-٣٥٧

(٣) انظر:الصفات الإلهية في الكتاب والسنة لمحمد أمان الجامي ص٨٣

(٤) مجموع الفتاوى،ج٣ ص٢٠٨.

(٥) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة ص٨٣.

(٦) بالنسبة للفرق بين الصفة والنعت:هناك من يفرق بينهما في الإطلاق اللغوي،وأكثر اللغويين على أنهما لغتان لا فرق بينهما؛ولهذا يقول نحاة البصرة: باب الصفة، ويقول نحاة الكوفة:باب النعت، والأمر كما يقول ابن القيم في المدارج ٣/٣٦٣:والمراد واحد والأمر قريب.أما في النصوص الشرعية وفي كلام السلف فلم يرد ما يدل على أن بينهما فرقا؛بل ورد استعمال الكلمتين في حق الله،كقول شيخ الإسلام:...العلم به نفسه-أي

عن غيرها ،ووردت به نصوص الكتاب والسنة.[١]

أو يقال ((:هي ما قام بالله ـــ لأ ـــ من المعاني والنعوت الواردة في الكتاب والسنة))[٢]

وهذا التعريف – فيما يظهر لي –تعريف جامع مانع وهذا شرط في كل تعريف كما هو معلوم حيث أنه يشمل جميع الصفات الثبوتية التي أثبتها الله سبحانه في كتابه أو على لسان رسوله –<–، أما تعريف الصفات السلبية فسيأتي –بإذن الله– عند ذكر أقسام الصفات،كما أن التعريف مانع للمعرَّف فلا يدخل فيه ما ليس منه، فقد حدد الفرق بيت ما يضاف إلى الله إضافة صفة، وما يضاف إليه إضافة تشريف وتكريم،كما أنه حدد الفرق بين الصفة وبين الاسم هذا من جهة ،وبين الصفة والخبر من جهة أخرى.

ومما يؤكد على أن التعريف السابق جامع مانع؛ دلالته على أمر له أهميته في هذا الباب، ألا وهو أن صفات الله تعالى متوقفة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ فلا مجال فيها للاجتهاد والاستحسان المجرد .[٣]**وفيما يلي تفصيل لبعض المسائل التي اشتمل عليها التعريف:**

المسألة الأولى:أقسام ما يضاف إلى الله تعالى:

مسألة ما يضاف إلى الله –عز وجل– من المسائل التي حصل فيها النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم؛ فضلت فيها أفهام،وزلت فيها أقدام،وهدى الله أهل السنة للطريق السَّوي.

الله– وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت عليه أسماؤه الحسنى. الفتاوى٣/٣٣٣، وانظر:هذه المسألة مدارج السالكين ٣/٣٦١–٣٦٣

(١) انظر:الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص١٢،والصفات الإلهية في الكتاب والسنة ص٨٤

(٢) النفي في باب صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة ص٥١.

(٣) المصدر نفسه ص٥١

والقصد هنا هو ذكر المنهج الحق في أقسام ما يضاف إلى الله–سبحانه وتعالى–لذا فإن علماء أهل السنة أكدوا على أن ما يضاف إلى الله –عز وجل– **ينقسم إلى قسمين**(١):

القسم الأول:ما يضاف إلى الله إضافة ملك وتشريف.

وضابط ذلك:أن كل ما يضاف إلى الله وكان عيناً قائمة بنفسها،أو حالًّا في ذلك القائم،فهو مملوك لله –عز وجل–ولا يكون ذلك صفة من صفاته؛لأن الصفة قائمة بالموصوف.

القسم الثاني:ما يضاف إلى الله إضافة الصفة إلى الموصوف.

وضابط ذلك:أن كل ما يضاف إلى الله و كان صفة قائمة بغيرها ولا يقوم بنفسه كالعلم ،والكلام ،فهو صفة له –سبحانه وتعالى–.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يقرر ذلك:((وما أُضيف إلى الله،أو قيل هو منه فعلى وجهين:

–إن كان عينا قائمة بنفسها ؛فهو مملوك له،ومن لابتداء الغاية كما قال تعالى:﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾(٢) وقال في المسيح:﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾(٣).

–وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم،والكلام؛فهو صفة له كما يقال:كلام الله وعلم الله)).(٤)

المسألة الثانية:الفرق بين الصفة والاسم.

تعريف الصفات السابق قد دلَّ على أن هناك فروقا بين صفات الله–تعالى–وبين أسمائه–جل وعلا–وهذه الفروق أخذها أهل العلم من نصوص الأسماء والصفات ؛نتيجة تتبعهم واستقرائهم لها **فمن ذلك**:

---

(١) انظر:الصفات الإلهية للشيخ د/محمد بن خليفة ص٢٥، رسائل في العقيدة للحمد٢٢٧

(٢) سورة:مريم، آية ١٧.

(٣) سورة النساء، آية ١٧١.

(٤) مجموع الفتاوى١٧/١٤٦،و٦/٨٥

-أن **الصفة**:هي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من نعوت الكمال القائمة بالذات كالرحمة والعلم والحكمة والسمع والبصر،[١]فالله —سبحانه وتعالى-لا يتصف إلا بما قام به لا بما يخلقه في غيره،وهذه حقيقة الصفة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :فإن كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به،لا بما هو مباين له،صفة لغيره.[٢]

وأما **الاسم**:فهو ما دل على الذات،وما قام بها من صفات الكمال مثل:الرحمن، والرحيم، والحكيم ، والسميع، والبصير؛ فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله — تبارك وتعالى- ،وعلى ما قام بها من الرحمة،والحكمة،والسمع،والبصر؛فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد،[٣]وهناك فروق أخرى غير ما ذكر ستذكر لاحقا-بإذن الله-في هذه الرسالة أفردها بمباحث خاصة بها:كمسألة تعبيد الاسم للأسماء والصفات،ودعاء الله بأسمائه وصفاته،وذكر الصيغ الجائزة وغيرها؛فنترك الحديث عنها حتى يأتي وقته وحينه.

المسألة الثالثة:أن صفات الله توقيفية.

مما دل عليه تعريف الصفات أنها توقيفية:بمعنى أنه يجب الوقوف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة، فصفات الله-عز وجل-لا مجال فيها للاجتهاد والاستحسان؛بل الواجب فيها أن يوصف الله بما وصف به نفسه في كتابه،وبما وصفه به رسوله- >-في سنته[٤]قال الإمام أحمد-/ -:((لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه،أو وصفه به رسوله->-لا يتجاوز القرآن والحديث))[٥].وقال شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) انظر:فتاوى اللجنة الدائمة ٣/١٦٠، وشرح أسماء الله،د حصة بنت عبد الله الصغير ص٣٧، ودفع إيهام التشبيه ص٣٩

(٢) انظر:مجموع الفتاوى٦/١٩١.

(٣) انظر:فتاوى اللجنة الدائمة٣/١٦٠.

(٤) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة ص٨٤، والصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص ١٥

(٥) ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص٢٥٥

-/-:القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه،أو وصفه به رسوله،وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث))[١]وغير هذا كثير مما جاء عن السلف-عليهم رحمة الله-من الأقوال التي تؤكد وجوب سلوك هذه المنهج ألا وهو الوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة في هذا الباب وعدم الخروج عنهما،وسيكون هناك زيادة إيضاح وبيان في هذه المسألة-بمشيئة الله تعالى-حينما نصل إلى المطلب الخامس من هذا التمهيد فإلى ذلك الحين،سائلين المولى جل وعلا التوفيق والإعانة والسداد.-والله أعلم-

ثالثا:أقسام الصفات:

لما جعل أهل السنة والجماعة الكتاب والسنة هما الأساس الذي بنوا عليه عقيدهم وجميع أمور دينهم؛جاءت-بحمد الله-أقوالهم في جميع ذلك صائبة،ومن كل آفة سالمة.ومن ذلك قولهم في أقسام صفات الباري فقد قسَّمُوها حسب فهمهم لنصوص الكتاب والسنة أقساما متعددة؛**بناء على اعتبارات متنوعة بيانها كما يلي:**

أ-أقسام الصفات على وجه العموم:

الصفات عموما تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول:صفات كمال مثل:صفة الرحمة،وصفة العلم،وصفة الحياة،وصفة القيومية،وصفة القدرة،وغيرها من صفات الكمال الواردة في الكتاب والسنة،فهذه تثبت لله-سبحانه وتعالى-على ما يليق بجلاله وعظمته،ويمتنع أن يماثله فيها شيء من الأشياء.

القسم الثاني:صفات نقص:كالسِّنة،والنوم والعجز،والموت،وغيرها من صفات النقص، فهذه يتره الله عن الاتصاف بها؛ وذلك لأنه موصوف بصفات الكمال متره عن صفات النقائص والعيوب.[٢] قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ /ـــ :((وبهذا

(١) نفس المصدر ص ٢٥٥

(٢) انظر:كتاب الصفدية١/١٠٢.

جاءت الكتب الإلهية؛ فإن الله تعالى وصف نفسه فيها بصفات الكمال على وجه التفصيل...فأثبت لنفسه ما يستحقه من الكمال بإثبات الأسماء والصفات، ونفى عنه مماثلته المخلوقات)).(١) وبمثل قول شيخ الإسلام قال تلميذه ابن القيم حيث قال:((فأما توحيد العلم ،فمداره على إثبات صفات الكمال،وعلى نفي التشبيه والمثال، والتتريه عن العيوب والنقائص))(٢)

ب:أقسام الصفات باعتبار ورودها في النصوص:

تنقسم صفات الله من ناحية ورودها في نصوص الكتاب والسنة إلى قسمين:

الأول:صفات مثبتة:وهي الصفات التي أثبتها الله –جل وعلا–لنفسه في كتابه،أو على لسان رسوله->-.

والصفات المثبتة كلها صفات مدح وكمال، وهي ـــ ولله الحمد ـــ كثيرة جداً في نصوص الكتاب والسنة أخبر الله بها عن نفسه، وأخبر بها رسوله ـــ > ـــ ؛ عن ربه ومولاه –جل وعلا– فوجب قبول وتصديق خبر الله، وخبر رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وذلك بإثبات هذه الصفات لله حقيقة على الوجه اللائق به،كصفة الرحمة، وصفة الحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والتزول إلى السماء الدنيا، والوجه واليدين، ونحو ذلك.(٣)

الثاني:صفات منفية (أي سلبية): وهي الصفات التي نفاها الله–سبحانه وتعالى–عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ـــ > ـــ.

والصفات المنفية كلها صفات نقص في حقه ـــ سبحانه وتعالى ـــ :كصفة الموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز؛ فهذه الصفات وأمثالها يجب

---

(١) المصدر نفسه ١/١٠٣

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين١/٣٣.

(٣) انظر:القواعد المثلى،ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ٣/٢٨٤،والصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص٥٧–٥٨.

نفيها عن الله -عز وجل- مع إثبات ضدِّها على الوجه الأكمل.[١]

ج-أقسام الصفات باعتبار أدلة ثبوتها:

صفات الله تعالى الثبوتية المتعلقة بذاته المقدسة،وأفعاله المحكمة تنقسم باعتبار ما يدل عليها **من النصوص الشرعية والأدلة العقلية إلى قسمين:**

القسم الأول:الصفات السمعية العقلية:وهي الصفات التي دلَّ على ثبوتها لله ـــــ سبحانه وتعالى ـــــ الدليل السمعي (النقلي)وهو دليل الكتاب والسنة مع دلالة العقل على ثبوتها.

فهذا النوع من الصفات الأصل في ثبوتها لله -عز وجل- الدليل السمعي ويشاركه في إثباتها الدليل العقلي ، وهي أكثر صفات الرب-سبحانه وتعالى-كصفة العلم، وصفة السمع، وصفة البصر، وصفة العلو والكلام والحياة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -/-:((السلف والأئمة وغيرهم لهم في إثبات كونه متكلما طريقان:فإنهم يثبتون ذلك بالسمع تارة وبالعقل أخرى...))[٢]

القسم الثاني:السمعية وتسمى الخبرية و النقلية: وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع، والخبر عن الله أو عن رسوله->-.

فهذا النوع من الصفات لا طريق إلى معرفته إلا طريق الكتاب أو السنة فقط، مع أن العقل السليم لا ينافيه،وذلك مثل:صفة اليدين، والنزول إلى السماء الدنيا.[٣]

يقول ابن تيمية-/-((...ولهذا كان العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل عند الأئمة المثبتة،وأما الاستواء على العرش فِمن الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل))[٤]

---

(١) انظر:القواعد المثلى،ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين٣/٢٨٥،وشرح القصيدة النونية للشيخ محمد خليل هراس٢/٥٥

(٢) شرح الأصبهانية ص٤٥٣

(٣) انظر:رسائل في العقيدة لمحمد بن إبراهيم الحمد ص٢٢٦.

(٤) مجموع الفتاوى٥/١٤٠

د:أقسام الصفات الثبوتية باعتبار تعلقها بذات الله–أ– وبمشيئته وقدرته:

قسَّم علماء أهل السنة والجماعة صفات الله بهذا الاعتبار إلى قسمين وهما:

القسم الأول:الصفات الذاتية:وهي التي لا تنفك عن الله.(١)

أو هي:الصفات الملازمة للذات.(٢)

ويمثل العلماء للصفات الذاتية:بصفة العين، والنفس، والعلم،والحياة، والقدرة، والقَدَم ، فكل هذه الصفات، وأمثالها، مما ورد في الكتاب والسنة مما توصف به الذات العلية مع عدم تعلق القدرة والمشيئة بها فهي من الصفات الذاتية.

القسم الثاني:الصفات الفعلية: وتسمى الصفات الاختيارية:وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة.(٣) أو هي:التي تنفك عن الذات(٤)، ومن الأمثلة على الصفات الفعلية:صفة الاستواء، والمجيء، والإتيان، والتزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية وفعلية باعتبارين:باعتبار تكون صفة ذاتية، وباعتبار آخر تكون صفة فعلية :كصفة الكلام فهي من حيث نوعها وأصلها فهي صفة ذاتية، وباعتبار آحاد الكلام، وأفراده صفة فعلية.

وذلك لأن أفراد الكلام، وآحاده تقع بمشيئة الله عز وجل(٥).

وصفة الرحمة كما سيمر بنا من هذا النوع من الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –/–((...ولهذا قال الإمام أحمد في رواية حنبل في كتاب المحنة: لم يزل الله عالما متكلما غفورا.فبين–أي الإمام أحمد– اتصافه بالعلم– وهو صفة ذاتية محضة ـــــوبالمغفرةـــــــ وهي من الصفات الفعلية،والكلام

(١) انظر:الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز السلمان ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه ص٥٧.

(٣) المصدر نفسه ص٥٧.

(٤) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص٦٥.

(٥) انظر:فتح العلي الأعلى بشرح القواعد المثلى لعبيد الجابري ص١٣١.

الذي يشبه هذا وهذا))[١]

ويقسم العلماء كذلك الصفات الفعلية الآنفة الذكر إلى قسمين[٢]:

الأول:**صفات فعلية متعدية**:وهي ما تعدت لمفعولها بلا حرف جر مثل:صفة الخلق،والإحياء،والإماتة والهدى والنصر ونحوها.

الثاني:**صفات فعلية لازمة** :وهي ما تتعدي لمفعولها بحرف جر كالاستواء، والمجيء، والإتيان ونحو ذلك، وممن ذهب إلى هذا التقسيم لدلالة القرآن،ولغة العرب على ذلك:شيخ الإسلام ابن تيمية -/-حيث قال:((القول الثالث:إثبات الفعلين اللازم والمتعدي كما دل عليه القرآن فنقول:إنه كما أخبر عن نفسه:إنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش،وهو قول السلف،وأئمة السنة))[٣].

المطلب الرابع:بيان المقصود بـــ (المخالفين)بإيجاز

لا يزال الاختلاف والصراع بين الحق والباطل قائما، مُنْذُ أن خلق الله آدم

---

(١) مجموع الفتاوى١٢/٢٣٥.

(٢) انظر:الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص٦٦.

(٣) مجموع الفتاوى٨/١٤.

ــــــــ×ـــــــ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فلا يزال الناس في فرقة وشتات،وفي خُلْفٍ واختلاف، في أديانهم،واعتقاداتهم، ومللهم، ونحلهم، ومذاهبهم، وآرائهم،(١) ولا يسلم من ذلك إلا من عصمه الله ،وتولاه برحمة منه يقول الله ــــــــأـــــــ ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــــــــ/ـــــــ:((ولست تجد اتفاقا وائتلافا إلا بسبب إتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث وما يتبع ذلك،ولا تجد افتراقا واختلافا إلا عند من ترك ذلك وقدَّم غيره عليه، قال تعالى﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولا وفعلا، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك)).(٣)

وسيكون الحديث في هذا المطلب عن بيان المقصود بالمخالفين لأهل السنة والجماعة في الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه ألا وهو (صفة الرحمة)، دون ذكر المخالفين لهم في مسائل الاعتقاد الأخرى وسيكون البدء فيما يلي بأشد هؤلاء المخالفين ضررا وخطرا على الإسلام وأهله :

أولا: الفلاسفة:

١ –ـــ بيان المراد بالفلاسفة:

قبل الدخول في بيان المراد بالفلاسفة سأبين معنى كلمة (الفلسفة)في اللغة والاصطلاح ؛ليكون المعنى واضحا جليا:

فالفلسفة لغة:بمعنى محبة الحكمة ،أو إيثار الحكمة.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم٢/١٤٩٢.

(٢) سورة هود، آية ١١٨ـــــــ ١١٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٤/٣٦.

لأن أصل هذه الكلمة (الفلسفة)كلمة يونانية مركبة من كلمتين:((فيلو))بمعنى محب،و ((سوفيا)) بمعنى الحكمة؛ فيكون معناها محبة الحكمة، والفيلسوف هو ((فيلا)) و ((سوفا)) وفيلا بمعنى المحب،وسوفا بمعنى الحكمة وعلى هذا يكون معنى الفيلسوف: أي محب الحكمة.(١)

وأما الفلسفة في الاصطلاح:الفلسفة من المصطلحات التي اختلف أربابها في تحديد مفهومها؛ وذلك لما بينهم من الاختلاف الشديد الذي لا يعلم مداه إلا الله، وهكذا الباطل طُرق وأبواب متشعبة، وأما الحق فليس له إلا وجه واحد؛لذا تعدد تحديد مفهوم الفلسفة لدى الفلاسفة،فكل منهم يحدد لها مفهومها بحسب اتجاهه ومذهبه ،كما أن هناك سببا آخر وراء اختلافهم في تحديد مفهومها؛وذلك أن الفلسفة مرت بأطوار مختلفة أدت إلى اختلاف مفهومها لدى الفلاسفة؛فمن هذه الحدود التي ذكروها:

أ ـــــ تعريف الفلسفة عند المشَّائين (٢)من الفلاسفة حيث قالوا:الفلسفة:التشبه بالإله على قدر الطاقة(٣).

ب ـــــ البحث عن الحقيقة.(٤)

ج ـــــ ومن أشهر الأقوال في تعريفها: أنها البحث عن العلل، والمبادئ الأولى للموجودات،وإدراك الحقائق الثابتة بقدر الطاقة(٥)

---

(١) انظر:الملل والنحل٢/٥٨،وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان٢/٢٥٦،شرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس ص١٤٥،وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ص ٦٠

(٢) المشَّاؤون:جمع مشَّاء وهو كثير المشي،والمشاؤون لقب أطلق على أرسطو وأتباع فلسفته؛ لأنه كان يلقي دروسه على طلابه وهو يمشي، وهم يسيرون حوله.انظر:موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة، ص٩٢.

(٣) انظر:الصفدية٢/٣٣٢.

(٤) انظر:رسائل في الأديان والفرق والمذاهب لمحمد إبراهيم الحمد ص١١.

(٥) انظر:شرح القصيدة النونية لهراس١/١٤٥.

ولاشك أن هذه التعريفات عليها كثير من الملاحظات،ولسنا بحاجة لمعرفة الراجح منها،حيث أن الرأي الذي يُرَجَّح:هو بطلان الفلسفة فيما يتعلق بالعلم الإلهي،ولعل ما يأتي ذكره من أقوال العلماء يفي ـــــ بإذن الله ـــــ بالغرض في بيان ما تنطوي عليه الفلسفة من ضلال وفساد،كما أن من هذه التعريفات ما يُوحي إلى الطور الذي استقرت عليه الفلسفة؛حيث صارت تطلق في آخر أطوارها على آراء محددة، ونظرات خاصة للكون، والوحي، والنبوات، والإلهيات، ونحو ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ـــــ وهو يبين حال الفلاسفة وعلومهم :«إن جميع العقلاء الذين خبروا كلام أرسطو وذويه في العلم الإلهي،قد علموا أنهم من أقل الناس نصيبا في معرفة العلم الإلهي،وأكثر الناس اضطرابا وضلالا؛ فإن كلامه وكلام ذويه في الحساب والعدد ونحوه من الرياضيات مثل كلام بقية الناس، والغلط في ذلك نادر ، وكلامهم في الطبيعيات دون ذلك، وكلامهم في ذلك غالبه جيد، وفيه باطل، وأما كلامهم في الإلهيات ففي غاية الاضطراب مع قلته، فهو لحم جمل غث، على رأس جبل وعر،لا سهل فيُرتقى، ولا سمين فينتقل،هو قليل كثير الضلالة، عظيم المشقة، وهذا أمر يعرفه كل من له نظر صحيح في العلوم الإلهية؛ فلا يستدل بكلام هؤلاء في العلم الإلهي[1]»

المراد بالفلاسفة[2]:

فبعد أن استقر لدينا معنى الفلسفة نأتي لذكر المراد بهم كما أوضحه أهل العلم:

---

(١) انظر:بيان تلبيس الجهمية ٣٣٣/١،والأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين لابن السعدي ص٥

(٢) من أشهر الفلاسفة قبل الإسلام:* أفلاطون بن أرسطن،وهو رومي الأصل يوناني المنشأ وهو آخر الفلاسفة المتقدمين عاش في الفترة ما بين(٤٢٧ـــــ٣٤٧ق.م).
أرسطو:وقد سبقت ترجمته * أفلوطين: لا يعرف له نسب لأنه كما كان يذكر عنه أنه يخجل من وجوده في جسم، ويأبى أن يذكر شيئا عن أهله ووطنه عاش في الفترة مابين (٢٠٥ـــــ٢٧٠م) . انظر: موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة ص٨٥

يقول ابن القيم ــــــ/ــــــ :((والمقصود أن الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها وقد صار هذا الاسم في عُرْف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، و لم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه))[١]

وعن المراد بالفيلسوف عند الفلاسفة أنفسهم يقول ابن القيم كذلك:((فإن الفيلسوف عندهم هو من كان كافرا بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فكل فيلسوف لا يكون عندهم كذلك؛ فليس بفيلسوف في الحقيقة، وإذا رأوه مؤمنا بالله وملائكته، وكتبه، ورسله،ولقائه، معتقدا بشريعة الإسلام نسبوه إلى الجهل والغباوة))[٢].

وأما المتأخرون من المتكلمين فإنهم إذا أطلقوا اسم الفلاسفة فإنهم يريدون بذلك أرسطو وأتباعه، وهم المشاؤون خاصة، الذين هذَّبَ ابن سينا[٣]طريقتهم،وبسطها وقررها،وهي التي يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين.[٤]

٢ــــ نشأة الفلسفة:

لقد اختلفت آراء المهتمين بالفلسفة في القديم والحديث في تاريخ نشوء المذاهب الفلسفية، وليس الهدف هو الترجيح بين هذه الآراء فليس هناك كبير فائدة من وراء تتبع ذلك، إنما هي شر وُجِدَ وانتشر وارتبط انتشاره ببلاد اليونان، على الرغم من وجود فلسفات سابقة في الحضارات المصرية، والهندية، والفارسية القديمة،[٥]وما ذاك إلا لاهتمام فلاسفة اليونان بنقلها من تراث الشعوب الوثنية، وبقايا الديانات السماوية؛ فجاءت فلسفتهم خليطا بين نزعات شتى.

ثم إن الفلسفة برزت بروزا ظاهرا على يد أفلاطون، ومن بعده أرسطو وأتباعهما.

---

(١) إغاثة اللهفان٢/٢٥٧.

(٢) نفس المصدر٢/٢٦٠.

(٣) تأتي ترجمته قريبا

(٤) نفس المصدر٢/٢٥٧.

(٥) انظر:موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ص٦٥

هذا ما يتعلق بنشأة الفلسفة، أما عن كيفية وصولها لبلاد الإسلام فهذا ما سنعرفه في الفقرة التالية.

٣-ـــ دخول الفلسفة ديار الإسلام:

لم يكن المسلمون في صدر هذه الأمة ليرضوا بمصدر للتلقي غير الكتاب والسنة، لذا كان حكمهم صارما في كل مَنْ أتاهم بمصدر غير الوحي المطهر؛ بل يَعُدُّون ذلك خروجا عن جادة الطريق المستقيم الذي بينه لهم رسول الله ـــــــ>ـــــــ؛ لذا فقد عصمهم الله؛ فكانوا من أبعد الناس عن الفلسفة وجحيمها.

ولما فُتِحَتْ أرضُ فارس ، ودخلها المسلمون وجدوا فيها كتبا كثيرة؛ فكتب سعد بن أبي وقاص ـــــــشـــــــ(١)إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـــــــطـــــــ يستأذنه في نقل تلك الكتب إلى المسلمين فكتب إليه عمر ـــــــطـــــــ أن «اطرحوها في الماء؛فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منها، وإن تكن ضلالا فقد كفانا الله»، فطرحوها في الماء، أو في النار.(٢)

وهذا الموقف من عمر ـــــــطـــــــ إنما هو امتثال لأمر النبي ـــــــ>ـــــــ وذلك حينما رآه النبي ـــــــ>ـــــــ ينظر في ورقات من التوراة فغضب عليه وقال له:«أمتهوكون(٣)فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية...والذي نفسي بيده لو كان موسى ـــــــ>ـــــــ حيا ما وسعه إلا

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي، خال رسول الله ـــــــ> ـــــــ وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، شهد بدرا والحديبية، وكان أحد الستة أهل الشورى، وكان مستجاب الدعوة، وتوفي سنة ٥٥٦ه انظر السير:٩٢/١، وما بعدها.

(٢) انظر:مقدمة ابن خلدون ص٤٨٠

(٣) التَّهَوُّك:هو التَّهَوُّر ، والوقوع في الشيء بغير مبالاة. والمُتَهَوِّك المتحير انظر:مادة (ه و ك) المعجم الوسيط، ص٨٨٢

أن يتبعني»[١]

واستمر هذا الصفاء، وذلك النقاء حتى دخلت علوم الأوائل إلى المسلمين في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم لكنها لم تكثر فيهم، ولم تشتهر بينهم وذلك لأن السلف كانوا يمنعون من الخوض فيها ثم اشتهرت في زمن البرمكي[٢]ثم قوي في زمن المأمون[٣] الذي طلب من بعض ملوك الروم أن يرسل ما لديه منها،فلما أُرسلت وتُرجمت أكبَّ عليها طوائف من المسلمين فوقعت الفتنة وبسببها انحرف مَنْ انحرف فكانت تلك الكتب شرا ووبالا على المسلمين[٤]

٤ـــــ أقسام الفلاسفة[٥]:

قسَّم العلماء الفلاسفة إلى قسمين وهما:

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند٣/٣٨٧والدرامي في السنن١/١١٥وابن أبي عاصم في السنة٣٧والحديث حسنه الألباني انظر:إرواء الغليل٦/٣٤رقم ١٥٨٩

(٢) هو يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل مؤدب الرشيد العباسي، ومعلمه، وقد اشتهر بجوده، وحسن سياسته، وقرَّبَهُ الرَّشَّيدُ وفوض إليه أمور الخلافة، ولم يزل كذلك حتى نُكبت البرامكة، فسُجن حتى مات سنة١٩٠ه أنظر:البداية والنهاية،١٠/٦٣٦والأعلام ٩ /١٧٥

(٣) هو عبد الله بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر أمير المؤمنين،ولد سنة١٧٠ه،استمر في الخلافة ٢٠ سنةو٥أشهر قال ابن كثير:وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة قال بالبدعة العظمى والطامة الكبرى القول بخلق القرآن.انظر:البداية ١/٧١٧ـــــ٧٢٣.

(٤) انظر:الفتاوى٥/٣٢٥

(٥) في كشف الظنون قُسِّمَ البحث والنظر في الفلاسفة إلى قسمين حيث قيل:(...ثم اعلم أن البحث والنظر في هذا العلم لا يخلو:إما أن يكون على طريق النظر،أو على طريق الذوق.فالأول:إما على قانون فلاسفة المشائين فالمتكفل له كتب الحكمة،أو على قانون المتكلمين فالمتكفل حينئذ كتب الكلام...والثاني:إما على قانون فلاسفة الاشراقيين، فالمتكفل له حكمة الاشراقيين ونحوه، أو على قانون الصوفية واصطلاحهم فكتب الصوفية) انظر:كشف الظنون١/١٦١.

الأول: الطبائعيون أو الطبيعيون.

الثاني: الفلاسفة الإلهيون الدَّهريون.

ومن الأئمة الأعلام الذين قسَّموا هذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية ــــــ/ــــــ حيث قال بعد أن ذكر القسمين السابقين :((فأما الطبيعيون:فلا يقرون بوجود موجود وراء الفلك وما يحويه، وحقيقة قولهم أن هذا العالم واجب الوجود بنفسه، ليس له مبدع ولا فاعل وهذا هو التعطيل الذي كان يعتقده فرعون حيث أنكر رب العالمين...

ثم قال:وأما الإلهية الدهريون الذين يقولون بقدم العالم وصدوره عن علة قديمة كابن سينا وأمثاله فهؤلاء وإن كانوا مقرِّين بمبدع هذا العالم فقولهم مستلزم لقول أولئك المعطلة وإن كانوا لا يلتزمون قولهم))(١)

٥ــــ هل للإسلام فلاسفة(٢):المتأمل لحقيقة الفلاسفة،وما هم عليه من معتقدات باطلة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ليوقن أشدَّ الإيقان أن هذه الطائفة مناقضة لرسل الله في كل ما أخبرت به، وأن الفلسفة ليست من الإسلام في شيء، وأن عملية الخلط بين الفلسفة اليونانية والإسلام أمر خطير بل هو تبديل لشريعة الله التي ارتضاها لعباده، ومما يؤكد ذلك أن ننظر بعين الاعتبار إلى ما نشأ عن ذلك منذ أن أدخلت الفلسفة في علوم الإسلام إلى عصرنا هذا؛ فقد نشأ عن ذلك:طوائف زاغت وضلت ولم تعرف حقيقة التوحيد الذي خلقت من أجله؛

(١) الصفدية١/٢٤٢ــــــ٢٤٣.

(٢) أشهر الفلاسفة الذين ظهروا في الإسلام :١ــــــ الكندي:وهو يوسف بن يعقوب الكندي المتوفى سنة٢٦٠ه ويطلق عليه فيلسوف العرب.٢ــــــ الفارابي:هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان ولد سنة ٢٥٩ه ويطلق عليه المعلم الثاني بعد المعلم الأول أرسطو توفي سنة ٣٣٩ه. ٣ــــــ ابن سينا:هو أبو الحسين عبد الله بن علي بن سينا الفيلسوف المشهور المعروف بابن سينا الملقب بالشيخ الرئيس توفي سنة ٤٢٨ه.انظر:موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الفلاسفة ص ١٠٢ــــــ١١٩

فوصفت الله بالسلوب والنقائص، ونفت عنه سبحانه وتعالى كل كمال وصف به نفسه،أو وصفه به رسوله ـــــ>ـــــ في الكتاب والسنة؛ زاعمة أن هذا هو التوحيد الذي أمر الله به العبيد،كما نشأ عن الخلط بين فلسفة اليونان والإسلام فلسفة خليطة وفلاسفة نسبوا إلى الإسلام ظلما وزرا:كالكندي،والفارابي،وابن سينا،والإسلام منهم براء ومن فلسفتهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ـــــ :((وكان يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف الإسلام في وقته/ثم قال/ أعني الذي في الإسلام،وإلا فليس الفلاسفة من المسلمين، كما قالوا لبعض أعيان القضاة الذين كانوا في زماننا:ابن سينا من فلاسفة الإسلام فقال:ليس للإسلام فلاسفة))[١]

٦ ـــ من معتقدات وضلالات الفلاسفة:

الفلاسفة من أجهل الناس في الشرائع، والأمور الإلهية، ومن أبعدهم عن معرفة الحق، وأكثرهم اضطرابا، وتناقضا.(وكلامنا هنا في ضلال هؤلاء المتفلسفة الذين يبنون ضلالهم بضلال غيرهم، فيتعلقون بالكذب في المنقولات وبالجهل في المعقولات)[٢]

فطائفة كهذه لا تستحق أن يثق بهم أحد، أو يرفع من شأنهم،وهم أحق بما وصفهم به ابن تيمية ـــــ/ـــــ بقوله:((فإنهم أجهل الناس في الإلهيات، وأبعدهم عن معرفة الحق فيها، وكلام أرسطو معلمهم فيها قليل،كثير الخطأ، فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى))[٣]

ومما يبرهن على ضلالهم وبطلان ما هم عليه شدة افتراقهم والاختلاف الذي بينهم مع زعمهم أن الذي هم عليه حق مقطوع به قامت عليه براهينهم ودلائلهم[٤]،

---

(١) الفتاوى٩/١٠١.

(٢) المصدر نفسه٩/٩٥.

(٣) المصدر نفسه١٩/٨٩.

(٤) انظر:المصدر نفسه٤/٣٥بتصرف.

فالفلاسفة ليست أمة واحدة، بل هم أصناف متفرقون وبينهم من التفرق والاختلاف ما لا يحصيه إلا الله وحده.

وهذا من العقوبات الإلهية التي يصيب الله بها بعض عباده، فإنه كلما كان القوم أبعد عن إتباع الهدى الذي جاءت به الرسل إلا وقعوا في الضلال والافتراق بقدر بعدهم عن منهج الله كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي أمامة ــــــطــــــ عن النبي ـــــــ>ــــــ أنه قال:«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»ثم قرأ قوله تعالى﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾[١] [٢]

فإذا تقرر ذلك فإن من ضلالتهم وعقائدهم الباطلة ما يلي:

١-ـــ منهم من ينكر وجود الله ـــــــلأــــــ وهذا سبق ذكره عند ذكر أقسام الفلاسفة.

٢-ـــ قولهم بقدم العالم وأول ما عُرِفَ هذا عن معلمهم الأول ـــــــ أرسطوـــــــ الذي له من التعظيم عندهم فوق ما يعظم به الأنبياء،بل يرون عرض ما جاءت به الأنبياء على كلامه فما وافقه منها قبلوه،وما خالفه منها لم يهتموا به [٣]

٣-ـــ أما عن موقفهم من أركان الإيمان فهم من أعظم الناس جحدا لها وإنكارا.ذكر ذلك عنهم العلماء الموثوقون،والمعروفون بالأمانة والصدق،ومَنْ هم

---

(١) سورة الزخرف:آية ٥٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة، حديث رقم ٢٢٢٦٧، ج٢٨٣/٨، وابن ماجه في المقدمة،باب اجتناب البدع والجدل،حديث رقم٤٨،ج١٩/١،الترمذي،في التفسير،باب ومن سورة الزخرف،حديث رقم٣٢٥٣، ٣٥٣/٥وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٣) انظر:إغاثة اللهفان ٢٥٩/٢.

أعرف بمذاهبهم وطرائقهم من غيرهم،كشيخ الإسلام ابن تيمية[(١)(٢)] وتلميذه ابن القيم[(٣)]وابن أبي العز الحنفي[(٤)(٥)]وغيرهم رحمة الله على الجميع.

٤ــــــ يقولون:بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات وأنه لا يفعل بقدرة ومشيئة.

٥ــــــ يقولون:بأن مترلة الفيلسوف كمترلة النبي،والذي يظهر من حالهم أن الفيلسوف عندهم أفضل من النبي.

٦ــــــ الجنة والنار عندهم إنما هي أمثال مضروبة وخيالات لتفهيم العوام، دون أن تكون لها حقيقة في الخارج.

٧ــــــ ويرون أن العقل مقدم على الوحي.

وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة[(٦)]التي ضلوا وأضلوا بها كثيرا من الناس ممن انخدع بأقوالهم وما زخرفوه من القول؛ مما حمل علماء الإسلام على التصدي لهم، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم؛ فحذروا منهم أشدَّ التحذير لما بان لهم فساد هذه

---

(١) يقول شيخ الإسلام عن نفسه:(..أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام،وأول من ابتدعها،وما كان سبب ابتدعها)ويقول أيضا:(..كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه) انظر:الفتاوى ١٦٣/٣و١٨٤.

(٢) انظر:الصفدية ٢١٨/١.

(٣) انظر:إغاثة اللهفان٢٥٩/٢.

(٤) هو أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين،المعروف بابن أبي العز، حنفي المذهب تابع للدليل،وقد ناله من الأذى ما نال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم بسبب القول بالحق وإتباعه للدليل وكان قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية توفي سنة ٧٩٢هـ.انظر:الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٨٧/٣، الأعلام للزركلي ٣١٣/٥.

(٥) انظر:شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي٤٥٥/٢ــــــ ٤٥٦

(٦) انظر:الصفدية٢٣٧/١ــــــ ٢٣٩وإغاثة اللهفان٢٥٩/٢ــــــ٢٦٢،شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز٤٥٥/٢ــــــ٤٥٦،ورسائل في الأديان والفرق ص١٧ــــــ١٨.

الطائفة وخطرهم على المسلمين فقاموا ديانة وأمانة بالنصح للمسلمين، ومن أولئك الأفذاذ والأئمة الأعلام ـــــ كما سبق أن ذُكرـــــ شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم فقد ذكرا أن ضلال هؤلاء وجهلهم أعظم من ضلال اليهود والنصارى ومشركي العرب والهند والترك.(١)

وممن حذر منهم أيضا:الإمام الذهبي (٢)ــــــ/ـــــ حيث قال:((فالحِذَارَ الحِذَارَ من هذه الكتب ـــــ أي كتب الفلاسفة ـــــ واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل،وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة، والفوز فليلزم العبودية، وليُدْمِن الاستعانة بالله، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام، وأن يُتَوَّفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين والله الموفق)).(٣)

فهذه أهم معتقدات هؤلاء الضلال،وهذه نداءات العلماء الربانيين في التحذير منهم؛ فلا يحل لمسلم عاقل بعد ذلك أن يعظم هؤلاء، أو يرفع من شأهم ـــــ كحال بعض المخدوعين اليوم ممن خُدعوا بكلمة الفلسفة ـــــ بل الواجب في حق هؤلاء ـــــ أي الفلاسفة ــ بغضهم وعداوتهم؛ لشدة عداوتهم لله ولرسوله ـــــ>ـــــ وللمؤمنين.والله أعلم.

ثانيا:الرافضة

من الفرق المخالفة في صفة الرحمة ،وفي باب الاعتقاد عموما الرافضة ـــــ وبإذن الله ـــــ سيمر ذكر قولهم بقسميهم المتقدمين منهم والمتأخرين في هذه الصفة

---

(١) انظر:الصفدية ٢٣٧/١ـــــ٢٣٩،وإغاثة اللهفان٢٥٩/٢ـــــ٢٦٢

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله كان حافظا مؤرخا علامة محققا، مهر في علم الحديث وجمع فيه المجاميع المفيدة والكثيرة، طاف كثيرا في البلدان وكف بصره سنة ٧٤١ه له تصانيف كثيرة منها:دول الإسلام، وتاريخ الإسلام الكبير وسير أعلام النبلاء، واختصر تهذيب الكمال لشيخه المزي، وله الميزان في نقد الرجال، توفي رحمه الله في ٨٤٨ه. انظر:الدرر الكامنة ٣٣٧/٣، الأعلام للزركلي ٣٢٦/٥.

(٣) انظر:سير أعلام النبلاء٣٢٨/١٩ـــــ٣٢٩

عند ذكر أقوال المخالفين من هذه الرسالة والمراد هنا هو التعريف بهم وبإيجاز فإلى ذلك:

١ –ــ معنى الرافضة لغة واصطلاحا:

فالرافضة لغة:من رفض يرفض رفضا بمعنى ترك، قال ابن فارس رفض:الراء والفاء والضاد أصل واحد، وهو الترك...وقال:وكل متفرق مرفَضٌّ، ويقال للطَّريق المتفرِّقة أخادِيده:رِفَاض..والرَّوافض:جنود تركوا أميرهم وانصرفوا.[١]وهذا المعنى موافق للمعنى الاصطلاحي وسبب تسمية الرافضة كما يأتي:

وفي الاصطلاح:((هم الذين يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر ـــــبـــــ ويتبرؤون منهما ويسبون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وينتقصونهم))[٢]

وقال عبد الله بن الإمام أحمد:سألت أبي من الرافضة؟ فقال:الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر ـــــ ب [٣]

وعرفهم قوام السنة ـــــ/ـــــ أيضا بقوله:((هم الذين يشتمون أبا بكر وعمر ـــــ بـــــ))[٤]

فإذاً الذي يسب الصحابة ـــــشـــــ يسمى عند السلف رافضيا؛ فكيف بمن زاد على ذلك؟من ناحية تكفيرهم والبراءة منهم، أو اعتقد أن الصحابة قد ارتدوا بعد الرسول ـــــ>ـــــ إلا قليلا منهم،فهو أولى بهذا الوصف من غيره للتحذير منه ومن معتقده الباطل.

لكن الذي يظهر ـــــ والعلم عند الله عز وجل ـــــ أن العلماء الذين اكتفوا

---

(١) انظر:معجم مقاييس اللغة،ص٣٩٥

(٢) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ١/ ٨٥

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ٢/ ٥٤٨برقم١٢٧٣،والخلال في كتاب السنة ٤٩٢برقم ٧٧٧

(٤) الحجة في بيان المحجة٢/٤٧٨

في تعريف الرافضة بذكر سبهم لأبي بكر وعمر ـــــــ ب ـــــــ دون غيره من عقائد الرافضة الباطلة التي تبين حالهم:أنهم ذكروا الأمر الذي انفردت به الرافضة دون غيرهم من الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وهو سب الشيخين والبراءة منهما.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــــ/ـــــــ:«...فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما دون غيرهم من الطوائف»[١].

والرافضة لم تقف عند هذا؛ بل شرهم في ازدياد، وضررهم على الإسلام وأهله لا يخفى؛ فهم أصل جميع البدع التي تظهر في الإسلام، وهم البوابة العظمى التي دخل منها كل ملحد ومنافق وزنديق للإفساد في الإسلام[٢].

ولم أجد ـــــــ مع ضعفي وقلة حيلتي ـــــــ قولا ينطبق على حال الرافضة ويكشف ما هم عليه في القديم والحديث أقرب من قول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــــ/ـــــــ فيهم حيث قال:«...الرافضة :أمة ليس لها عقل صريح ، ولا نقل صحيح، ولا دين مقبول،ولا دنيا منصورة، بل هم من أعظم الطوائف كذبا وجهلا، ودينهم يُدْخِل على المسلمين كل زنديق ومرتد،كما دخل فيهم النُّصِيِّرية، الإسماعيلية وغيرهم، فإنهم يعمدون إلى خيار الأمة يعادونهم، وإلى أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين يوالونهم، ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه، وإلى الكذب المختلق الذي يعلم فساده يقيمونه...»[٣].

والرافضة فرقة من فرق الشيعة حيث قسَّم العلماء الشيعة إلى ثلاثة أصناف[٤]:

أ ـــــــ الغلاة: وهم الذين يعتقدون الإلهية، والنبوة في علي ـــــــ ط ـــــــ

---

(١) الفتاوى٤/٢٦٦

(٢) انظر:الفتاوى١٣/١٤١بتصرف

(٣) الفتاوى ٤/٢٨٨

(٤) انظر:مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ١/٦٦، مجموع الفتاوى ٢٨/٢٦٠، ٣٥/١١٢، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١/١٤٠.

وغيره ـــــ أي من أئمتهم ـــــ مثل النصيرية[١]والإسماعيلية[٢]والسبئية[٣]قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ـــــ:((والغالية يُقتلون باتفاق المسلمين،وهم الذين يعتقدون الإلهية والنبوة في علي، وغيره.مثل:النصيرية والإسماعيلية ومن دخل فيهم من المعطلة الذين ينكرون وجود الصانع أو ينكرون القيامة أو ينكرون ظواهر الشريعة مثل الصلوات الخمس وصيام رمضان...))[٤]

ب ـــــ الرافضة أو الإمامية:

وسبب تسميتهم بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ـــــ رضي الله عنهما

---

(١) النصيرية:وهي تنسب إلى محمد بن نصير النميري الذي عاش في القرن الثالث الهجري والمتوفى سنة ٢٧٠ه ولما سئل شيخ الإسلام عنهم أجاب:بأنهم أكفر من اليهود والنصارى بل ومن كثير من المشركين وضررهم على المسلمين أعظم من الكفار المحاربين وفي الحقيقة هم لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه. الفتاوى ٩١/٣٥وص٩٨ بتصرف.وهم يوجدون اليوم في جبال النصيرية في سوريا، وفي لواء الإسكندرونة في تركيا،وفي حمص وحماة وفي حلب عدد قليل منهم وفي شمال نابلس من فلسطين وكذلك في لبنان.انظر:موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع ،لشيخنا د/ إبراهيم الرحيلي ١٤٤/١بتصرف

(٢) سموا بذلك لزعمهم الانتساب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وزعموا أن والده جعفر نص على إمامته من بعده وأوصى بذلك. وعلماء النسب أجمعوا على أن إسماعيل قد مات في حياة والده وهذه الفرقة من فرق الشيعة لها أسماء كثيرة كالباطنية والقرامطة والسبْعية والبابكية والإباحية انظر: فرق معاصرة،لشيخنا د/غالب العواجي٤٨٦/٢ وهم ليسوا بأحسن حالا من سابقتهم النصيرية فقد حكم العلماء عليهم بالكفر والزندقة والخروج عن ملة الإسلام انظر:الفتاوى [٩٣/٣٥] حيث قال: ظاهر مذهبهم الرفض،وباطنه الكفر المحض.وانظر أيضا:الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢١١

(٣) هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي غلا في علي ـــــ رضي الله عنه ـــــ وزعم أنه نبي ثم زعم أنه إله، ووصل خبرهم إلى علي فأمر بإحراقهم،والقصة مشهورة، وأما حكمهم فهو كحكم من سبقهم من الغلاة انظر:الفرق بين الفرق،ص١٧٣، ١٧٦

(٤) الفتاوى٢٦٠/٢٨

ــــــــ كما هو موضح في تعريف الرافضة السابق وممن ذهب إلى هذا القول أبو الحسن الأشعري[(١)] فقد قال:وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر[(٢)]

وقال بعضهم:إنما سموا رافضة لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب[(٣)]؛حين طعن بعض جنوده في أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك وتولاهما فرفضوه فقال لهم:رفضتموني،قالوا:نعم فيقال أنهم سموا الرافضة لذلك[(٤)]

والذي يبدو لي: أنه عند التأمل في القولين في سبب التسمية أنهما متقاربان؛وذلك أن سبب رفضهم لزيد إنما كان بسبب توليه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فكأنهم رفضوا أبا بكر وعمر أولا،ثم رفضوا زيدا ثانيا؛ لنهيه عن الطعن في أبي بكر وعمر ولأنه قد تولاهما ،والله أعلم

ج ــــــ الزيدية:وسموا زيدية لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[(٥)]

٢ –ــ بداية ابتداع الرفض،وزمن ظهوره:

هذه الطائفة تختلف عن غيرها في نشأتها؛فإن الفرق قد تكون بدايتها ضعيفة ثم

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن الأشعري من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ــــــ رضي الله عنه ــــــ ،وأبو الحسن الذي ينتسب إليه الأشاعرة كان في بداية أمره على مذهب المعتزلة حيث قضى أربعين سنة من عمره معتزليا ثم انتقل إلى مذهب الكلابية وألف في الرد على المعتزلة، ناقضا ما كان ألفه في تصحيح مذهبهم توفي سنة ٣٢٤هـ انظر: سير أعلام النبلاء١٥/ ٨٥ ،والأعلام ٤/٢٦٣

(٢) انظر:الأشعري ،مقالات الإسلاميين١/٨٩.

(٣) علما أن هذا الذي يرجحه شيخ الإسلام حيث قال في منهاج السنة بعد ذكر قول أبي الحسن في سبب تسمية الرافضة :((قلت:الصحيح أنهم سموا رافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما خرج بالكوفة أيام هشام بن عبد الملك .انظر:منهاج السنة ج٢،ص٥٠٨.

(٤) انظر:مقالات الإسلاميين١/١٣٧،ومنهاج السنة١/٢٢

(٥) مقالات الإسلاميين١/١٣٦

تأخذ في طريق الابتداع شيئا فشيئا حتى تغدو بعيدة عن الحق والهدى بحسب بدعتها ـــــ هذا إذا لم يتداركها الله برحمته ويردهم إلى الحق بفضله ـــــ أما الرافضة فعلى خلاف ذلك؛ فإنها بدأت غالية بعيدة عن الحق،منحرفة عن طريق الهدى انحرافا شديدا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ـــــ :((وليس في فرق الأمة أكثر كذبا،واختلافا من الرافضة من حين نبغوا))[1]؛ لأن أول من أظهر الرفض دخل من باب التشيع وكان قصده هو الصدُّ عن سبيل الله وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا:((فأول من ابتدع الرفض كان منافقا زنديقا،يقال له:عبد الله بن سبأ / أظهر الإسلام وأبطن اليهودية / فأراد بذلك إفساد دين المسلمين،كما فعل ((بولص))[3]صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى حيث ابتدع لهم بدعا أفسد بها دينهم،وكان يهوديا فأظهر النصرانية نفاقا؛فقصد إفسادها ،وكذلك كان ابن سبأ يهوديا فقصد ذلك وسعى في الفتنة؛لقصد إفساد الملة،فلم يتمكن من ذلك ؛لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة؛قتل فيها عثمان ـــــ رضي الله عنه ـــــ وجرى ما جرى من الفتنة))[4]

فهذا وقت ابتداع الرفض على يدي هذا الرجل الخبيث ـــــ عبد الله بن سبأ ـــــ الذي تظاهر بالإسلام زمن عثمان ـــــ **ط** ــ

---

(١) الفتاوى٣٥/١١٢.

(٢) انظر:منهاج السنة١/٩بتصرف

(٣) هو شاؤول اليهودي أحد ألد أعداء النصرانية،وأحد اليهود المتعصبين ،ولد في طرسوس وتربى بها ثم انتقل إلى أورشليم ،ولما بعث المسيح كان من أشد الناس على ديانته ثم زعم أنه على النصرانية لأجل إفسادها وتحقق له ما أرد حينما أدخل في النصرانية ما ليس منها،ودعى النصارى إليها فقبلت فوقعوا في الانحراف .انظر:دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لسعود الخلف ص٢٥٤ـــــ٢٥٦.

(٤) الفتاوى٣٥/١١٢.

أما عن وقت ظهور التكلم بالرفض؛فإنما كان في زمن علي ـــــ ط ـــــ وبعد مقتل الحسين ـــــ ط ـــــ صار لهم اجتماع وقوة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ـــــ في هذا:((ثم ظهر في زمن علي التكلم بالرفض لكن لم يجتمعوا ويصير لهم قوة إلا بعد مقتل الحسين ـــــ ط ـــــ بل لم يظهر اسم الرفض إلا حين خرج زيد بن علي بن الحسين بعد المائة الأولى لما أظهر الترحم على أبي بكر وعمر ـــــ ب ـــــ رفضته الرافضة فسُمُّوا (رافضة)))[1]

٣ــ من أهم اعتقاداتهم التي خالفوا بها أهل السنة[2]:

١ــ قولهم أن النبي ـــــ > ـــــ نص على استخلاف علي بن أبي طالب ـــــ ط ـــــ باسمه،وأظهر ذلك وأعلنه.

٢ــ الرافضة كفَّرت أبا بكر وعمر وعثمان،وعامة المهاجرين والأنصار ـــــ ش ـــــ .

٣ــ وهم يستحلون دماء من خرج عنهم،ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى.

٤ــ إجماعهم على وجوب رجعة [3]كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

٥ــ اتفاقهم على إطلاق لفظ البداء[4] في وصف الله تعالى.

---

(١) الفتاوى ٢٦٨/٢٨

(٢) انظر:مقالات الإسلاميين ٨٩/١،الملل والنحل ١٤٦/١،الفتاوى ٢٦٢/٢٨

(٣) الرجعة من العقائد الأساسية لدى الشيعة وقد استمدوها من اليهودية ،وهي تعني عندهم قيام المهدي المزعوم ـــــ وهو إمامهم الاثنا عشر ورجوعه إلى الدنيا بل يعتقدون أنه سيَرْجع ،ويُرْجع أئمتهم بل وأعداءهم لمحاكمتهم وقتلهم.انظر:مصطلحات في كتب العقيدة دراسة وتحليل ص٢٤٣.

(٤) البداء أيضا عقيدة رافضية باطلة استمدوها من اليهود وهو العلم بالشيء بعد أن لم يُعْلَم، أو هو ظهور رأي جديد.والشيعة تصف الله به؛فالله عندهم يفاجأ بالأشياء دون علمه بها أو على خلاف ما كان يعلمها ؛فهم ينسبون الجهل والنسيان لله

ثالثا:أهل الكلام:

أهل الكلام أو المتكلمون هم:أولئك الطوائف الذين انتسبوا إلى الكلام المذموم باعتقادهم،والمجادلة عنه.[١]وهم في الجملة: كل من تكلم في إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها وأعرضوا بها عما جاء في الكتاب والسنة[٢].فهؤلاء الذين سلكوا هذا المسلك وبنوا الدين على القياس الفاسد الكلامي، وقاموا برد ما جاء في الكتاب والسنة، هم الذين ذمهم السلف وشنعوا عليهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــــ/ـــــــ:((والسلف والأئمة ذموا أهل الكلام المبتدعين الذين خالفوا الكتاب والسنة،ومن خالف الكتاب لم يكن كلامه إلا باطلا، فالكلام الذي ذمه السلف يذم لأنه باطل، ولأنه يخالف الشرع))[٣].

وبناءً على ما سبق فإن العلماء عدوا من أهل الكلام كل من سلك المنهج الكلامي في أبواب العقيدة،ومن أشهرهم الجهمية،والمعتزلة،والأشاعرة[٤]،ومن سلك طريقهم[٥].

فإذا تم معرفة أهل الكلام وأشهر فرقهم؛فسوف أتناول هذه الفرق بشيء من التعريف والبيان وأذكر أهم معتقداتهم التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد مع الإيجاز والاختصار:

أ ـــــ الجهمية:

ـــــأـــــ تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.المصدر نفسه ص٢٦١ـــــ٢٦٢.

(١) انظر:موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ،للغصن ٢٨/١

(٢) انظر:فتح البرية للعثيمين ص٧٦

(٣) انظر:كتاب النبوات ص٢١٥ـــــ٢١٦.

(٤) انظر:موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة٢٨/١،ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل٤٩/١ـــــ٥٢

(٥) مثل:الماتريدية وبعض طوائف الشيعة ،والإباضية .انظر:منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل٤٩/١ـــــ٥٢

وهم أتباع الجهم بن صفوان(١)سموا بذلك نسبة إليه(٢)،وتعتبر الجهمية من أوائل الفرق الكلامية التي عارضت الكتاب والسنة بشبهاتها العقلية، وقد أصبح لقب الجهمية يطلق على الفرق الكلامية التي جاءت من بعدهم وأخذت بأفكارهم وعلى رأسهم المعتزلة(٣).

وأهم معتقداتهم التي خالفوا فيها أهل السنة ما يلي(٤):

١ ــ إنكارهم لجميع الأسماء والصفات، وقولهم بخلق القرآن.

٢ ــ القول بالجبر في باب القدر:حيث ينكرون قدرة العبد واختياره في فعله، وأنه مجبور على فعله.

٣ ــ هم في باب الإيمان مرجئة:حيث زعموا أن الإيمان بالله هو المعرفة، وأن الكفر هو الجهل بالله، وهذا شر أقوال المرجئة.

---

(١) جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية الذي أخذ مقالة التعطيل عن الجعد بن درهم وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه وقيل أن الجعد بن درهم أخذ مقالته عن أبَان بن سمعان،وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت الَبِيد بن الأعصم،وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر،الذي سحر النبي ـــــــ<ـــــــ .وقال عنه الذهبي:الضال المبتدع هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئا لكنه زرع شرا عظيما، قيل أنه ترك الصلاة ٤٠يوما شاكا بربه قتله مسلم بن أحوز بمرو في آخر ملك بني أمية في سنة ١٢٨هـ.انظر:الملل والنحل للشهرستاني١/٨٦، وسير أعلام النبلاء ٦/٢٦،الأعلام٢/١٤١ومعجم ألفاظ العقيدة ص١٣٣.

(٢) انظر:الفتاوى ٥/١٧،والبداية والنهاية١٠/٤٣٩.

(٣) انظر:منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ١/٤٩حاشية رقم٣،وجناية التأويل الفاسد على العقيدةص١٦٢.

(٤) مقالات الإسلاميين١/٢١٤،الملل والنحل١/٨٦ــــــ٨٧،مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات ص٨٦

٤ـــــــ ينكرون رؤية الخلق لله يوم القيامة.

٥ـــــــ القول بفناء الجنة والنار يوم القيامة:حيث زعم جهم أهما تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما إذ لا يتصور ـــــــ حسب زعمه ـــــــ حركات لا تتناهى.

ب ـــــــ المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري(١)

وقال الإمام المقريزي(٢)ـــــــ/ـــــــ وهو يعرِّف بالمعتزلة بعد استقرار مذهبهم : ((المعتزلة:الغلاة في نفي الصفات الإلهية القائلون بالعدل والتوحيد وأن المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده))(٣)

أما عن وقت ظهورها وابتلاء الأمة بها كما يذكر علماء الفرق أنها ظهرت في أوائل القرن الثاني ما بين سنة ١٠٥ه وسنة ١١٠ه بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال(٤) ونشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر(٥)،

وأفكارها إنما هي خليط من آراء وأفكار الفرق المخالفة فجمعت بين أفكار

---

(١) المعتزلة وأصولهم الخمسة،عواد بن عبد الله المعتق ص١٤

(٢) هو أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي المقريزي مؤرخ الديار المصرية، وقد ولد ونشأ في القاهرة ثم مات فيها من مصنفاته:كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ويعرف بخطط المقريزي،وقيل أن مصنفاته زادت على مئتي مجلد كبير.انظر: معجم المؤلفين ٢٠٤/١، الأعلام١/١٧٧

(٣) الخطط المقريزية٤/١٦٤.

(٤) هو واصل بن عطاء الغزال،ولد سنة ٨٠ه وتتلمذ على الحسن البصري، توفي سنة ١٣١ه انظر:الخطط المقريزية٤/١٦٤والفرق بين الفرق،٢٤ ،الملل والنحل١/٤٨

(٥) انظر:فرق معاصرة، غالب عواجي٣/١١٦٣

الجهمية والقدرية[١] والخوارج[٢]والرافضة[٣]يقول الإمام المقريزي:((وقلما يوجد معتزلي إلا وهو رافضي إلا قليلا منهم))[٤]

وهذا يوضح سر الارتباط بين أهل الأهواء حتى في الوقت المعاصر فإن آراء وأفكار المعتزلة موجودة الآن و لم تنقرض ــــــ كما يتصور ويزعم من يقلل من شأن دراسة العقائد ــــــ؛فإن أفكار المعتزلة اليوم باقية وموجودة يدين بها و يعتقدها الرافضة الإمامية والزيدية والإباضية[٥]

وللمعتزلة أسماء أطلقها العلماء عليهم،كما أن لهم أسماء سموا بها أنفسهم:

فمن الأسماء التي أطلقت عليهم مثل:المعتزلة ــــــ والقدرية ــــــ والوعيدية

---

(١) القدرية نسبة إلى القدر حيث زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته ليس لله في فعله مشيئة ولا خلق وهم مجوس هذه الأمة؛ سموا بذلك لأنهم يشبهون المجوس القائلين بأن للعالم خالقين النور يخلق الخير والظلمة تخلق الشر وكذلك القدرية قالوا إن للحوادث خالقين؛ فالحوادث التي من فعل العبد يخلقها العبد، والتي من فعل الله يخلقها الله.انظر:معجم ألفاظ العقيدة،ص٣٣٠و٣٣٧

(٢) الخوارج:جمع خارج وهم من يدين بمذهب الخوارج قال الإمام الآجري في تعريفهم:((هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديما وحديثا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين)) الشريعة، ص ٢١ــــــ٢٢ وتنقسم الخوارج إلى سبع فرق رئيسية كبرى:وهي المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والإباضية والثعالبة، وتتفرع من هذه فروع شتى ويجمعهم الاتفاق على تكفير عثمان وعلي ــــــ رضي الله عنهما ــــــ وأصحاب الجمل، والحكمين ومن رضي بالتحكيم، ووجوب الخروج على الإمام إذا جار ولو في نظرهم وتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار.انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد، ص١٦٧وما بعدها.

(٣) انظر:مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات ص٨٨.

(٤) الخطط المقريزية٤/١٦٩.

(٥) انظر:مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات ص٨٨.

ـــــــ والمعطلة ــــــ والمعتزلة الجهمية.

ومن الأسماء التي أطلقوها على أنفسهم مثل:أهل العدل والتوحيد أو العدلية وأهل الحق والفرقة الناجية.

وللمعتزلة أصول خمسة يقوم عليها مذهبهم بعد استقراره، ولا يسمى الشخص معتزليا حتى يقوم بها وهي إجمالا كما يلي(١):

١ -ــ التوحيد. ٢ -ــ العدل. ٣ -ــ الوعد والوعيد. ٤ـــــ القول بالمترلة بين المترلتين.

٥ـــــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أقوالهم التي خالفوا بها السلف ما يأتي(٢):

١ -ــ أنهم وافقوا الجهمية في إنكار الصفات الإلهية، وإنكار رؤية الله يوم القيامة، والقول بخلق القرآن.

٢ -ــ شاركوا القدرية في إنكارهم لقدرة الله في أفعال العباد، وأخذوا عنهم القول بأن العباد يخلقون أفعالهم.

٣ -ــ القول بأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وأنه في مترلة بين مترلتين وأنه لا بد أن يدخل النار ويخلد فيها.

٤ـــــ مشاركتهم للرافضة في الطعن في أصحاب النبي ـــــ>ـــــ (٣).

---

(١) من أراد الاستزادة في معرفتها والرد عليها، فليرجع:فرق معاصرة للعواجي٣/١١٧٨وما بعدها، والمعتزلة وأصولهم الخمسة، لعواد بن عبد الله المعتق، ص٨١والصفحات التي تليها.

(٢)انظر:الملل والنحل١/٤٤ـــــ٤٥، ومجموع فيه الصفات الإلهية ص٨٧،ووسطية أهل السنة بين الفرق ص٣٣٧

(٣) ومن ذلك قول واصل بن عطاء في علي ومعاوية ـــــ ب ـــــ: (لو أن كليهما جاء عندي يشهد على حزمة بقل ما قبلت شهادتهما) وقوله: (إن كليهما فاسق لا بعين)، انظر:مجموع فيه الصفات الإلهية ص٨٧.

ج ــــــ الأشاعرة:

طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتكلم الذي كان معتزليا، ثم انتقل إلى مذهب ابن كلاب، وهذا اللقب ينصرف عند الإطلاق إلى أولئك الذين اتبعوه في فترة انتسابه إلى ابن كلاب(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــــ/ـــــــ :((وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة إليه...))(٢)

أما عن نشأة هذه الطائفة فإن من أهل العلم من حددها بفترة انتقال الأشعري من مذهب الاعتزال إلى مذهب ابن كلاب والتي كانت تقريبا في عام (٣٠٠هـ)أو (٣٠٤هـ) أي أنها نشأت بعد مضي القرون الثلاثة المفضلة(٣).

ومن هنا يطلق على الأشعرية بأنهم كلابية لانتسابهم لأبي الحسن الأشعري في هذه الفترة والتي جمع فيها الأشعري بين منهجين مختلفين وهو منهج أهل السنة وآخر باطل وهو منهج الجهمية! إقتداء بابن كلاب فنتج عن ذلك مذهب ومنهج خليط مركب لا هو سني خالص، ولا كلامي عقلي خالص، ولقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــــ/ـــــــ في مواضع من كتبه فمن ذلك قوله:((فأما ابن كلاب فقوله مشوب بقول الجهمية، وهو مركب من قول أهل السنة،وقول الجهمية، وكذلك الأشعري في الصفات، وأما في القدر والإيمان فقوله قول الجهم))(٤).

وقال في موضع آخر((والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية، اخذوا من

---

(١) انظر:الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية ص١٣٩بتصرف.

(٢) الفتاوى ٥/٦٥.

(٣) انظر: مقدمة على كتاب الإبانة عن أصول الديانة ضمن مجموع رسائل في العقيدة للشيخ حماد الأنصاري، ص١٠٦، وبحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية المعاصرة ص٦٤

(٤) الفتاوى ١٦/١٧٩.

هؤلاء كلاما صحيحا، ومن هؤلاء أصولا عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة))[(١)].

ثم إن عقيدة الأشاعرة بعد ذلك انتشرت في الأمصار الإسلامية انتشارا ذريعا، بل مخيفا؛لأنه قد بُلِيَ بهذا المعتقد علماء أجلاء لهم مكانتهم وقدرهم من علماء التفسير والحديث والفقه وغيرهم ممن قاموا بأعمال جليلة للإسلام والمسلمين، ولا نملك في أمثال هؤلاء إلا أن نقول كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــــــ عليه رحمة الله ــــــ يغفر الله لمن أخطأ فيها بعد اجتهاده[(٢)].

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الأشعرية اعتناق بعض الحكام والسلاطين لها واعتبارها عقيدة أهل السنة والجماعة والدفاع عنها والدعوة إليها بشدة إلى درجة استباحة دم من خالفها كما فعل (تومرت[(٣)] وأتباعه في بلاد المغرب)[(٤)]

يقول الإمام المقريزي ــــــ/ــــــ في هذا:((فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح من خالف عقيدة ابن تومرت...فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيهم إلا الله خالقها ــــــ سبحانه وتعالى ــــــ فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم من يخالفه إلا أن يكون مذهب الحنابلة

---

(١) الفتاوى١٦/٢٦٠

(٢) انظر:الفتاوى١٦/١٧٩.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الذي يلقب بتومرت، رحل في طلب العلم، وقيل رحل إلى العراق وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري ثم عاد إلى المغرب وأخذ يعلمهم ويفقههم ووضع لهم عقيدة تلقفها عنه عامتهم وبايعه الناس ولقبوه أو تلقب هو بالمهدي وهو مؤسس دولة الموحدين ثم مات سنة٥٢٤هـ، فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيسي أحد طلابه وأقربهم إليه وتلقب بأمير المؤمنين وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين وتسموا بالموحدين.انظر الخطط المقريزية، ٤/١٨٥والأعلام٦/٢٢٨، ومعالم تاريخ المغرب والأندلس ص٢٠٣

(٤) انظر:الصفات الإلهية لمحمد أمان ص١٥٥.

أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـــــ ط ـــــ فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون تأويل ما ورد من الصفات إلى أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على الأشاعرة..))(١)

ثم مرت الأشعرية بأطوار مختلفة في كل طور من أطوارها تزداد بعدا عن الكتاب والسنة ومنهج أهل السنة والجماعة ـــــ الذي يزعمون أنهم عليه إلى اليوم ـــــ لاسيما حينما أدخل فيها أربابها تلك الأسس والمعتقدات الدخيلة من:الفلسفة، والتصوف، والمنطق ، والكلام، والجدل، حتى أصبحت عقيدة الأشاعرة مزيجا من تلك الأخلاط(٢).

لذلك فالأشاعرة اليوم من أكثر المنتسبين إلى السنة وقوعا في المخالفات العقدية وفي البدع،فكثر فيهم بدع القبور والتبرك البدعي بالأشخاص والأشياء وبدع العبادات والأذكار والموالد وغيرها(٣)

أهم المسائل العقدية التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة(٤):

الأشاعرة بعد استقرار مذهبهم خالفوا أهل السنة والجماعة في كثير من مسائل الاعتقاد فمنها على سبيل المثال:

١ ـــ أن مصدر التلقي عندهم في الإلهيات والنبوات هو العقل(٥)

---

(١) الخطط المقريزية٤/١٨٥

(٢) انظر:بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية المعاصرة ص٦٦.

(٣) انظر:المصدر نفسه ص٦٧

(٤) انظر:الخطط المقريزية ٤/١٨٧،مجموع الصفات الإلهية ص٩٧،وسيطة أهل السنة ص٣٣٩،جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ص٢٥٣ـــــ٣٥٤.

(٥) الأشاعرة يقسمون أبواب العقيدة إلى ثلاثة أقسام:إلهيات، نبوات، سمعيات، فالسمعيات عندهم ما يتعلق بمسائل الآخرة من البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وسموها

٢-ـ قالوا:إن الإيمان هو مجرد التصديق،وإن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان.
٣-ـ خالفوا أهل السنة في أسماء الله وصفاته، فلم يثبتوا لله إلا سبع صفات هي:العلم، والحياة، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام.
٤ـــ قولهم:بأن كلام الله كلام نفسي بلا حرف ولا صوت.
٥ـــ أنهم أخرجوا توحيد الألوهية من تقسيمهم، وهو التوحيد الذي بعث الله به المرسلين عليهم السلام؛ فالتوحيد عندهم هو:أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وواحد في صفاته لا نظير له.
٦ـــ نفي وتأويل الصفات الخبرية؛ كالوجه،واليدين،والساق،ونحو ذلك.وتأويل الصفات الاختيارية؛كالاستواء،والنزول،والغضب،والرحمة.وسيأتي ـــ بإذن الله ـــ زيادة إيضاح لموقفهم من الصفات.

د ـــ الكلابية:

الكلابية من الفرق الإسلامية التي خالفت أهل السنة والجماعة، وهم طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلى أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري(١)وكان في مسلك هذه الفرقة ميل إلى البدع ومخالفة للسنة ومقارفة للكلام، وهذا الذي حمل السلف من أهل السنة على التحذير منهم(٢).

سمعيات لأن مصدرها عندهم السمع(النصوص الشرعية)وما عداها مصدره العقل.انظر: مجموع الصفات لمحمد بن خليفة ص٩٧.

(١) هو رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب القطان صاحب التصانيف،وأصحابه هم الكلابية، أدرك بعضهم أبو الحسن الأشعري، وكان يرد على الجهمية توفي بعد الأربعين ومائتين.قال عنه الذهبي:والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة،وذكر له مصنفات منها:كتاب الصفات والرد على المعتزلة.انظر:الذهبي،سير أعلام النبلاء، ج١١،ص١٧٤ـــ١٧٦.

(٢) انظر:آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة،هدى بنت ناصر الشلالي ص٥٢ـــ٥٥، وسيطة أهل السنة ص٨٢ـــ٨٦

وممن حذر من الكلابية وهجرهم وأمر بهجرهم الإمام أحمد بن حنبل ـــــ/ـــــ قال شيخ الإسلام ابن تيمية /ـــــ:((وأما الحارث المحاسبي[١]فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب ،ولهذا أمر أحمد بهجره،وكان أحمد يحذر من ابن كلاب وأتباعه...))[٢].

وحقيقة حالهم أنهم برزخ بين السلف والجهمية ولذا قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ـــــ:((كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين:فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله ــ-تعالى-ــ من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا.فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها...))[٣]

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الكلابية هم سلف الأشعرية؛ فقد تبنى الأشاعرة أفكارهم من بعدهم فاختفى اسم الكلابية، واشتهر مذهب الأشاعرة وتطور المذهب ودخلت فيه أشياء لم تكن في السابق.والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل.

من المسائل التي خالف الكلابية فيها أهل السنة:

١-ــ أشهر ما خالفوا فيه أهل السنة ،ووافقوا فيه الجهمية:مسألة قيام الأفعال الاختيارية بذات الله تعالى.وهذه المسألة خصص لها بحث مستقل في هذه الرسالة سيكون الحديث عنها بشيء من التفصيل في موضعه بإذن الله تعالى.

٢-ــ وقولهم أيضا:إن الإيمان قول اللسان، واعتقاد القلب.

---

(١) هو الحارث بن أسد، المحاسبي البغدادي، الزاهد المشهور، ولقب بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه،من كلامه:(خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم)،تكلم بشيء من علم الكلام فهجره الإمام أحمد بن حنبل، فاختفى فلما مات لم يصل عليه إلا أربعة نفر.انظر: السير ١٢/ ١١٠، الأعلام٢/١٥٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل١/٣٦٧.

(٣) المصدر نفسه ١/٣٦٧.

٥ ـــــ الكرامية[(١)]:

من المخالفين في صفة الرحمة:الكرامية وهم :أتباع محمد بن كَرَّام السجستاني[(٢)]المتكلم، وكانوا من مثبتي الصفات ولذلك يُعَدَّون من طوائف الصفاتية الذين يثبتون الصفات إلا أنهم خاضوا في طلب كيفيات بعض الصفات إلى أن انتهى بهم المقام إلى القول بالتجسيم ونسب إليه التشبيه[(٣)]وقد أطلقوا على الله تعالى أنه جسم[(٤)]ولذا اعتبرهم العلماء من أهل البدع.[(١)]

---

(١) الكرامية فرق متعددة أوصلها البعض إلى اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة:العابدية ـــــ النوبية ـــــ الزرينية ـــــ والإسحاقية ـــــ الواحدية ـــــ الهيصمية.انظر:الملل والنحل١/١٠٨،الفرق بين الفرق ص٢٧.

(٢) هو محمد بن كرام بن عراق بن حزابة أبو عبد الله السجستاني زعيم الطائفة الكرامية، ولد في سجستان وحج وجاور بمكة خمس سنين، وورد نيسابور فحبسه طاهر بن عبد الله، ثم انصرف إلى الشام، وعاد مرة أخرى إلى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر وخرج منها سنة(٢٥١ه)وسار إلى بيت المقدس ومات بغزة في صفر سنة ٢٥٦ه فدفن بالقدس.قال عنه الذهبي في السير:محمد بن كرام السجستاني المبتدع شيخ الكرامية كان زاهدا عابدا ربانيا، بعيد الصيت، كثير الأصحاب،ولكنه يروي الواهيات كما قال ابن حبان ـــــ أي أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد ـــــ:(خذل حتى التقط من المذاهب أرداها ،ومن الأحاديث أوهاها)وقال الذهبي أيضا:وقد سُجن ابن كرام، ثم نفي.وكان ناشفا عابدا، قليل العلم.وكانت الكرامية كثيرين بخرسان ولهم تصانيف ثم قلُّوا وتلاشوا. انظر: الخطط المقريزية٤ /١٨٣، السير١١/٥٢٣ـــــ٥٢٤

(٣) التشبيه:لغة:إثبات مشابه للشيء.واصطلاحا:اعتقاد أن صفات الله أو ذاته تشبه صفات المخلوقين أو ذواتهم.والفرق بينه وبين التمثيل:أن التمثيل مساواة من كل وجه، وأما التشبيه فمساواة في بعض الصفات . انظر:شرح الواسطية لابن عثيمين،١/٩٧ـــــ١١٧، ومعجم ألفاظ العقيدة،للفالح ١٠٤

(٤) الجسم:قيل هو القائم بنفسه وقيل الجسم هو الموجود وقيل:هو جماعة البدن والأعضاء من الناس وغيرهم، وقيل هو الذي تصح رؤيته بالأبصار.انظر:معجم ألفاظ العقيدة٨٥،

وهم مع مخالفتهم فإن فيهم قربا إلى أهل السنة والحديث، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:((والكلابية وكذلك الكرامية فيهم قرب إلى أهل السنة والحديث،وإن كان في مقالة كل من الأقوال ما يخالف أهل السنة والحديث))(٢).

ولكن لا يفوت هنا أن أبين أن قولهم في الإيمان منكر لم يسبقهم إليه أحد، يقول ابن تيمية ـــــ/ــــ:((والكرامية قولهم في الإيمان منكر لم يسبقهم إليه أحد حيث جعلوا الإيمان قول اللسان، وإن كان مع عدم تصديق القلب، فيجعلون المنافق مؤمنا، لكنه يخلد في النار؛ فخالفوا الجماعة في الاسم دون الحكم، وأما الصفات والقدر والوعيد فهم أشبه من أكثر طوائف الكلام التي في أقوالها مخالفة للسنة))(٣)

ومن مخالفاتهم لأهل السنة(٤):

١ -ـــ أنهم يبالغون في الإثبات ويخوضون في شأن الكيفية(٥)

٢ -ـــ أن الكرامية يثبتون الصفات بما فيها أن الله تعالى تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن، وسيأتي ـــــ إن شاء الله ـــــ معرفة قولهم هذا بالتفصيل وشبهتهم في ذلك والرد عليه في الباب الأخير من هذه الرسالة.

مصطلحات في كتب العقائد ص٨٥ـــــ٨٦

(١) انظر:الخطط٤/١٨٣،مجموع فيه الصفات الإلهية ص١٣٢ـــــ١٣٣،مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها١/٣٠٢ـــــ٣٠٣

(٢) الفتاوى٦/٣٦.

(٣) الفتاوى٣/٧١

(٤) انظر:الملل والنحل١/١٠٨ـــــ١١٣،مجموع فيه الصفات الإلهية ص١٣٢ـــــ١٣٤ومقالة التشبيه ١/٣٠٢ـــــ٣١٤

(٥) التكييف:حكاية كيفية الصفة كقول القائل:يد الله، أو نزوله إلى الدنيا كذا وكذا، أو غير ذلك، أو يسأل عن صفات الله بكيف.انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ١٠٢، ومصطلحات في كتب العقيدة ص١٠ .

٣ـــ قولهم في الإيمان:إنه الإقرار باللسان دون التصديق بالقلب وعمل الجوارح، وقد سبق ــــــ قريبا ــــــ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية:أن قولهم هذا منكر و لم يسبقهم إليه أحد.

وغير ذلك من أقوالهم التي خالفوا فيه أهل السنة والمقصود هنا هو التعريف بهم وبمقالتهم والإيجاز في ذلك،وبهذه الفرقة أكون قد أنهيت هذا المطلب وهو التعريف بالمخالفين في صفة الرحمة والله أعلم.

المطلب الخامس

في بيان التزام أهل السنة والجماعة ما جاء في الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما:

من أصول أهل السنة والجماعة المتفق عليها بينهم:وجوب التزام ما جاء في الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما، يل يرون أن الواجب أن يُجعل ما أنزله الله من الكتاب والحكمة أصلا في جميع الأمور، وما سواه من كلام الناس يعرض عليه فما وافق الكتاب والسنة قُبِلَ، وما خالف الكتاب والسنة رُدَّ[(١)].

يقول الإمام أحمد بن حنبل ــــــ/ــــــ في اعتقاده:((أصول السنة عندنا:التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ــــــ>ــــــ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين .

والسنة عندنا آثار رسول الله ــــــ>ــــــ،والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول والأهواء؛

(١) انظر:الفتاوى١٧/١٦٩،و٤/٣٨،و١٦/٤٧١.

إنما هو الإتباع وترك الأهواء))[١].

هذا هو أصلهم كما نصَّ عليه الإمام أحمد؛ حيث أهم يدورون مع الكتاب والسنة حيث دارا[٢]وهذا من تمام تسليمهم، وكمال إتباعهم لما في الكتاب والسنة، فعلى هذا الأساس المتين بنوا كلامهم في الأصول والفروع لا على رأي احد، ولا معقوله، ولا قياسه[٣].

ومما يبن التزامهم بهذا الأصل وعدم خروجهم عنه ما يلي:

أولا:تقريرهم لوجوب هذا الأصل وأهميته والتحذير مما يضاده ويخالفه:

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن سفيان الثوري ـــــــ/ـــــــ قال:«كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز ـــــــ/ـــــــ[٤]يسأله عن القدر؛فكتب:أما بعد، أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، وإتباع سنة نبيه ـــــــ>ـــــــ،وترك ما أحدث المُحْدِثُون بعد ما جَرَت به سنته، وكُفُوا مُؤْنته فعليك بلزوم السنة فإنها لك ـــــــ بإذن الله ـــــــ عصمة ...»[٥]

وجاء عن الإمام الزهري ـــــــ/ـــــــ أنه قال:«الاعتصام بالسنة نجاة»[٦]

ولا شك أن الاعتصام بالسنة اعتصام بكتاب الله ـــ-تعالى-ـــ إذ لا فرق بينهما عند أهل السنة والجماعة.

وجاء مثل ذلك عن الإمام مالك ـــــــ/ـــــــ فقد قال:«السنة مثل سفينة نوح

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد ص٢٥ــــــ٤٢، شرح أصول اعتقاد أهل السنة١/١٥٦.

(٢) جاء عن الأوزاعي أنه قال:ندور مع السنة حيث دارت .انظر:مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة الإمام السيوطي ص٦٤.

(٣) انظر:الفتاوى١٦/٢٦٠.

(٤) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص الخليفة الصالح والملك العادل توفي سنة ١٠١ه.انظر:سير أعلام النبلاء٥/١١٤، الأعلام للزركلي٥/٥٠.

(٥) أخرجه أبو داود،كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم ٤٦١٢،ج٤،ص٢٠٢

(٦) الحجة في بيان المحجة ١/٢٤٦.

من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك»[(١)]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ـــــ معلقا على كلام الإمام مالك:((وهذا حق؛ فإن سفينة نوح إنما ركبها من صَدَّقَ المرسلين واتبعهم، وأن من لم يركبها فقد كَذَّب المرسلين، وإتِّباع السنة هو إتباع الرسالة التي جاءت من عند الله؛ فاتباعها بمنزلة من ركب مع نوح في السفينة باطنا وظاهرا، والمتخلف عن إتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن إتباع نوح ـــــ عليه السلام ـــــ وركوب السفينة معه))[(٢)]

ويقول الإمام الآجُرِّي ـــــ/ـــــ[(٣)]:((علامة من أراد الله ـــــلأـــــ به خيرا:سلوك هذه الطريق:كتاب الله ـــــلأـــــ،وسنن رسوله ـــــ>ـــــ وسنن أصحابه ـــــ رضي الله عنهم ـــــ ومن تبعهم بإحسان ـــــ رحمة الله تعالى عليهم...))[(٤)].

وقال ابن عبد البر ـــــ/ـــــ[(٥)]:((ليس في الاعتقاد كله، في صفات الله وأسمائه، إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ـــــ>ـــــ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى٤/٨٤.

(٢) المصدر نفسه٤/٨٤

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، البغدادي الآجُرِّي، قال عنه الذهبي:الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم الشريف، صاحب التواليف، منها:كتاب (الشريعة في السنة)، وكتاب (الرؤية) ولد ببغداد وانتقل إلى مكة، وتوفي بها سنة ٣٦٠هـ. انظر:السير للذهبي١٦/١٣٣،الأعلام٦:/٩٧

(٤) الشريعة ص١٤.

(٥) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أبو عمر النَّمَرِيُّ، الأندلسي، القرطبي، حافظ المغرب،شيخ الإسلام،قال الذهبي عنه:كان إماما دَيِّناً، ثقة، صاحب سنة وإتباع، ومن مصنفاته:التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وجامع بيان العلم وفضله.ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ انظر:السير١٨/١٥٣

كله، أو نحوه؛ يسلم له ولا يُنَاظَر فيه))[١]

ومن علماء السلف الذين قرروا هذا الأصل شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــــ عليه رحمة الله ـــــــ الذي جاهد كثيرا أهل الأهواء والبدع من أجل إلزامهم بهذا الأصل والتمسك به مستعينا بالله في ذلك مستدلا بكتاب الله وسنة رسوله ـــــــ>ـــــــ وبما كان عليه مَنْ قبله من علماء السلف حتى لقي الكثير من الإيذاء في سبيل ذلك، ومن هذه المواقف التي مرت به: ما قاله في المجلس الذي عقد له بأمر السلطان، وأن يسأل عن اعتقاده فأجاب بقوله:((أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله ـــــــ>ـــــــ، وما أجمع عليه سلف الأمة، فما في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، مثل صحيح البخاري ومسلم))[٢]وفي موضع آخر قال:((يؤخذ من كتاب الله تعالى، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمة))[٣].

أما عن وجوب التزام ما جاء في الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما فيحدثنا شيخ الإسلام ابن تيمية عن ذلك أيضا بقوله:((فلهذا كانت الحجة الواجبة الإتباع الكتاب والسنة والإجماع؛ فإن هذا حق لا باطل فيه، واجب الإتباع لا يجوز تركه بحال، عام الوجوب، لا يجوز ترك شيء مما دلت عليه هذه الأصول، وليس لأحد الخروج عن شيء مما دلت عليه))[٤]

ولعل ما ذكر من أقوالهم كافٍ في بيان التزامهم بما جاء في الكتاب والسنة وأن الخير كل الخير إنما يكون في إتباعهم والسير على خطاهم فبذلك تجتمع الكلمة ويُوَحَّد الصف ويُنْبذ كل قول أو اعتقاد مخالف لما كانوا عليه مما دل عليه الكتاب

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر٢/١١٧ـــــــ١١٨.

(٢) ابن تيمية،الفتاوى٣/١٠٦.

(٣) المصدر نفسه٣/١٣٠

(٤) المصدر نفسه١٩/٧.

والسنة.

ثانيا:أدلتهم على وجوب التزام ما جاء في الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما:

أقوال علماء أهل السنة والجماعة السابقة وغيرها مما ذكروه في جميع مسائل الدين لم تكن أقوالا مبنية على آراء وأهواء بل كانت أقوالهم في دين الله مبينة على الدليل من الكتاب والسنة، وبذلك أصابوا طريق النبوة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :((فمن بنى الكلام في العلم:الأصول، والفروع على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين فقد أصاب طريق النبوة))(١)

لذا فإن من أدلتهم على هذه المسألة ما يلي:

أ ـــــ أدلتهم من الكتاب:

١ ـــــ قال الله تعالى:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (٢)

٢ –ـــ وقال تعالى:﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ (٣)

٣ –ـــ وقوله تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾(٤)

---

(١) المصدر نفسه ٢١٠/١٠

(٢) سورة الأنعام:آية ١٥٣

(٣) سورة طه، الآيتان ١٢٣ـــــــ١٢٦

(٤) سورة النساء، آية ٦٥

٤ــــــ وقال تعالى:﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (١)

٥ــــــ وقال تعالى:﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

فهذه الآيات وغيرها الكثير من كتاب الله مما يذكره علماء السلف مستدلين بها على وجوب التزام ما جاء في الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما، لتدل دلالة واضحة على ما ذهبوا إليه، وأن الواجب على الناس إتباعه، ورد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة، وأن من لم يتبع ذلك كان منافقا، وأن من اتبع الهدى فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذلك حشر يوم القيامة ضالا شقيا معذبا(٣).

ب ــــــ أدلتهم من السنة المطهرة:

لقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب التزام الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما بأحاديث صحيحة كثيرة فمن ذلك:

١ـــ ما أخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله ـــــــ ط ـــــــ أن رسول الله ـــــــ<ـــــ قال في خطبة الوداع:«...وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به:كتاب الله تعالى»(٤)

٢ـــ وروى الإمام مالك في الموطأ؛ أنه بلغه أن رسول الله ـــــــ<ـــــ

(١) سورة النساء، آية ١١٥.

(٢) سورة الأعراف، الآيات ١ـــــــ٣

(٣) الفتاوى١٧/١٦٧بتصرف

(٤) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ـــــ<ـــــ حديث رقم(١٢١٨)،صحيح مسلم بشرح النووي٨/٣٢٧

قال:«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مَسَكْتُمْ بهما: كتابَ الله وسنةَ نبيه»[١]

٣-ـــ وعن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ــــــ>ــــــ يخطب الناس؛ فيحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول:«من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ــــــ>ــــــ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة»[٢].

٤ــــــ وروى أبو داود والترمذي عن العرباض بن سارية ــــــ ط ــــــ قال: صلى بنا رسول الله ــــــ>ــــــ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع؛ فماذا تعهد إلينا، قال:«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٣]

٥ــــــ ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود ــــــ ط ــــــ قال: خط رسول الله ــــــ>ــــــ خطا بيده ثم قال:«هذا سبيل الله مستقيما»وخط عن

---

(١) الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم(٣) ، ج٢، ص٨٩٩ والحديث قوى سنده الألباني في الصحيحة ورد على من ضعفه انظر: الصحيحة ٣٦١/٤ حديث رقم١٧٦١

(٢) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب في خطبته ــــــ>ــــــ حديث رقم(٨٦٧) مسلم بشرح النووي ٤٦٤/٦

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم(٤٦٠٧) ٢٠٠/٤، والترمذي في العلم، باب (١٦)ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم(٢٦٧٦) ٤٣/٥ وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، كما أخرجه ابن ماجه في المقدمة: باب(٦)إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهدين، رقم٤٢ ج١،ص١٥. وقال ابن رجب: قال الحافظ أبو نعيم: هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين، انظر: جامع العلوم والحكم ص٢٥٧

يمينه وشماله، ثم قال:«هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[١] .[٢]

قال الإمام الآجري ـــــ/ ـــــ بعد أن ذكر جملة من أدلة الكتاب والسنة المتعلقة بهذا الباب:((فيما ذكرت في هذا الجزء من التمسك بشريعة الحق، والاستقامة على ما ندب الله ـــــلأـــــ إليه أمة محمد ـــــ>ـــــ ؛ ما إذا تدبره العاقل علم أنه قد لزمه التمسك بكتاب الله ـــــلأـــــ ، وسنة رسول الله ـــــ>ـــــ وسنة الخلفاء الراشدين، وجميع الصحابة ـــــشـــــ وجميع من تبعهم بإحسان ـــــ رحمهم الله ـــــ، وأئمة المسلمين، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، ومجانبة أهل البدع...))[٣]

ثالثا:أمثلة تطبيقية من واقع حياتهم:

أهل السنة حينما قالوا بوجوب التزام الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما، لم يكن ذلك قولا باللسان فقط؛ بل كان ذلك عن عقيدة وقرت في قلوبهم، ونطقت بها ألسنتهم، وصدقتها أفعالهم، وهي شاهدة على أن القوم كانوا ملتزمين بالوحيين الكتاب والسنة، وهي كثيرة مشهورة، وفي بطون الصحاح و المسانيد مذكورة،

---

(١) سورة الأنعام:آية رقم ١٥٣

(٢) أخرجه الإمام أحمد٣٩٧/٣،وابن ماجة في المقدمة باب(١)إتباع سنة رسول الله ـــــ<ـــــ حديث رقم١١ والآجري في الشريعة، في باب ذكر أمر النبي ـــــ> ـــــ أمته بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفرقة، ص١٠، وابن أبي عاصم في السنة، باب(٧)حديث رقم ١٦، واللالكائي في شرح السنة، في الحث على التمسك بالكتاب والسنة حديث رقم ٩٤،٩٥،ج١ص٨٠ـــــ٨١ وقال ابن باز ـــــ/ ـــــ:رواه الإمام أحمد والنسائي بإسناد صحيح. انظر:مجموع فتاوى ومقالات ابن باز٢٣٩/١

(٣) الشريعة للإمام أبي بكر الآجري ص٥٣ـــــ٥٤.

حتى أنها لا تكاد أن تحصى إلا بمشقة وكُلفة شديدة؛ **فمن مواقفهم الجميلة، وأحوالهم النبيلة في هذا ما يلي:**

المثال الأول :

عن عبد الله بن ثابت قال:جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ـــــ>ـــــ فقال:يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريضة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال:فتغير وجه رسول الله ـــــ>ـــــ قال عبد الله:فقلت له:ألا ترى ما بوجه رسول الله ـــــ>ـــــ؟ فقال عمر:رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ـــــ >ـــــ رسولا، قال: فَسُرِّيَ عن النبي ـــــ >ـــــ ثم قال:«والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين» (١)

ولقد انتفع عمر بن الخطاب ـــــ ط ـــــ بعد ذلك من هذا الموقف فقد نزلت به نوازل فكان يقضي فيها بما يوافق ما في كتاب الله وما تلقاه عن رسول الله ـــــ >ـــــ فمن ذلك:

١ -ـــ أنه لما فتحت الإسكندرية وُجد فيها كتب كثيرة من كتب الروم، فكتبوا فيها إلى عمر؛ فأمر بها أن تحرق، وقال:حسبنا كتاب الله(٢).

٢ -ـــ ولما أُتي إليه برجل انتسخ أحد الكتب السابقة قرأ عليه قول الله تعالى:﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾(٣) ثلاث مرات وضربه ثلاث ضربات، ثم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من رواية عبدالله بن ثابت رضي الله عنه برقم (١٥٨٦٤) ٣٧٨/٥

(٢) انظر:مجموع الفتاوى٢٧/١٧

(٣) سورة يوسف:آية رقم١ــــــ٣

أمره بمحوه وأن لا يقرأه ولا يقرئه أحدا من الناس.قال شيخ الإسلام ابن تيمية:فقرأ عليه عمر هذه الآيات، ليبين له أن القرآن أحسن القصص فلا يحتاج معه إلى غيره، وذكر أن مثل هذه القصة المأثورة عن ابن مسعود ـــــ ط ـــــ لما أتي بما كتب من الكتب السابقة محاه، وذكر فضيلة القرآن كما فعل عمرـــــ ط ـــــ [(١)]وأنه قال:إنما هلك من كان قبلكم بإتباعهم الكتب وتركهم كتاب الله[(٢)]

المثال الثاني:

روى البخاري ـــــ/ـــــ عن أبي السوار العدوي[(٣)] قال:سمعت عمران بن حصين يقول:قال رسول الله ـــــ<ـــــ :«الحياء لا يأتي إلا بخير»، فقال بُشَيْرُ بن كعب:إنه مكتوب في الحكمة إن منه وقارا، ومنه سكينة، فقال عمران:أحدثك عن رسول الله ـــــ<ـــــ وتحدثني عن صحفك.[(٤)]

وفي رواية عند مسلم ـــــ/ـــــ أنه قال له:((إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينة ووقارا لله ومنه ضعف.قال:فغضب عمران حتى احمرتا عيناه وقال:ألا أَرَانِي أحدثك عن رسول الله ـــــ<ـــــ وتُعارض فيه))[(٥)]

المثال الثالث:

أخرج اللالكائي بسنده عن عمر ـــــ ط ـــــ أنه قال:((اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ـــــ<ـــــ برأي اجتهاد و والله ما

---

(١) انظر:الفتاوى١٧/٢٧

(٢) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله،٣٤٩/١،الأثر رقم ٦٠

(٣) أبو السوار العدوي هو حسان بن حُرَيث يروي عن علي وعمران بن الحصين رضي الله عنهما، وكان من ورعه أنه كان قد يعرض له الرجل فيشتمه، فيقول: إن كنت كما قلت إني إذا لرجل سوء. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٥١/١١

(٤)أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب (٧٧)الحياء، حديث رقم ٦١١٧، البخاري مع الفتح٥٢١/١٠

(٥)الإمام مسلم،كتاب الإيمان، باب الحياء خير كله، حديث رقم ٣٧، مسلم بشرح النووي ٢٠٤/١

آلو عن الحق وذلك يوم أبي جندل[1] و الكتاب بين يدي رسول الله ـــــ>ـــــ وأهل مكة فقال:(اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم)فقالوا:إنا قد صدقناك بما تقول!ولكن تكتب:باسمك اللهم.قال :فرضي رسول الله ـــــ>ـــــ وأبيت عليهم حتى قال :(يا عمر تراني قد رضيت وتأبى) قال:فرضيت))[2].

ومثله جاء عن سهل بن حُنَيف ـــــ ط ـــــ كما عند البخاري بسنده عنه أنه قال:((أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرُدَّ أمر رسول الله ـــــ>ـــــ لرددته...))[3].

قال ابن حجر ـــــ/ـــــ :وهو كنحو قول علي ـــــ ط ـــــ فيما أخرجه أبو داود بسند جيد:((لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه))[4]

المثال الرابع:

---

(١) يعني:أرد به يوم الحديبية، وإنما نسبه لأبي جندل لأنه لم يكن فيه على المسلمين أشد من قصته فقد كان أول رجل نفذت فيه شروط صلح الحديبية، وأبو جندل هو العاص بن سهل بن عمرو رضي الله عنه انظر:فتح الباري٦/٢٨١، صحيح مسلم بشرح النووي١٢ /٤٧٦، سير أعلام النبلاء ١/١٩٢

(٢) أخرجه:اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج١/١٢٦قال:ابن حجر في الفتح: أخرجه البيهقي في المدخل هكذا مختصرا وأخرجه هو والطبري والطبراني مطولا ١٣/٢٨٩، والهروي في ذم الكلام برقم (٢٧٣)، ٢/٢١٠

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب(٧) ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، حديث رقم ٧٣٠٧،الفتح ج١٣، ص٢٨٢.ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، حديث ٩٤(١٧٨٥)،ج١٢،ص٤٧٤، بشرح النووي

(٤) انظر فتح الباري، ١٣/٢٨٩، وحديث علي ـــــ ط ـــــ أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب كيف المسح حديث رقم ١٦٢، ج١ص٤٢

أخرج ابن بطة(١)بسنده:أن رجلا قال لابن عباس ـــــــ ط ـــــــــ :((الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال ابن عباس:الهوى كله ضلالة.قال:فقال ابن عباس:قال لي معاوية:أعلى ملة ابن أبي طالب أنت؟.قلت:ولا على ملتك.أو قال:ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ــــــ>ـــــــ))(٢).

المثال الخامس:

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن زِرِّ بن حُبيش(٣) أنه قال:((سألت أبي بن كعب عن المعوذتين .فقال:سألت رسول الله ــــــ>ـــــــ فقال لي:«قيل لي، فقلت».قال: ـــــــ أي أبي بن كعب ـــــــ فنحن نقول كما قال رسول الله >))(٤)

المثال السادس:

عن سعيد بن المسيب ـــــــــ/ـــــــ (٩٤هـ)(٥):أنه رأى جلا يصلي بعد

---

(١) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري الحنبلي، قال فيه الذهبي:(الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق)، ابن بطة، مصنف كتاب الإبانة الكبرى توفي سنة ٣٨٧ه انظر:سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٩

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة، ج١/١٠٩، رقم ٢٣٨وقال محقق الإبانة إسناده صحيح، وأخرجه اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١/١٣٠، رقم ٢٢٥، والآجري، الشريعة، ص٥٨.

(٣) هو زِرُّ بن حُبَيْش بن حُبَاشَة بن أوس، الإمام القدوة مقرئ الكوفة مع السلمي، أبو مريم الأسدي، ويكنى أيضا أبا مُطرِّف، أدرك أيام الجاهلية، قدم المدينة حرصا منه لُلقِيِّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيهم وحدَّث عنهم، وكان من أعرب الناس توفي سنة ٨١هـــ وقيل ٨٢هـــ .السير ١٦٧/٤

(٤) البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٩٧٧، الفتح٧٤١/٨

(٥) هو سعيد بن المسيب بن حزْن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، توفي سنة ٩٤ه.انظر: سير أعلام النبلاء٢١٧/٤، الأعلام ٣٠٢/٣

طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيها الركوع؛ فنهاه فقال:يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة، قال:لا، ولكن يعذبك على مخالفة السنة(١).

المثال السابع:

روي عن الإمام مالك ـــــ/ـــــ (٢)أنه قال :إنما أنا بشر أخطئ وأصيب؛ فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه(٣).

فرضي الله عن أئمة الإسلام، وجزاهم عن نصيحتهم خيرا، فقد عاشوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ـــــ>ـــــ بل ويعدون ذلك من أعظم نعم الله ـــــ **لأ** عليهم ـــــ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن السلف الصالح:((وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم:اعتصامهم بالكتاب والسنة))(٤)

لذا فإنه لم يرد عنهم أدنى معارضة لنصوص الكتاب والسنة لا بآرائهم ولا عقولهم بل المأثور عنهم الانقياد للنصوص والإذعان له والتسليم لما جاءت به.

يقول الإمام الزهري ـــــ/ـــــ:((من الله تعالى الرسالة وعلى الرسول ـــــ>ـــــ البلاغ وعلينا التسليم؛ أمُّروا أحاديث رسول الله ـــــ>ـــــ كما جاءت))(٥)

---

(١) قال الألباني عن أثر سعيد رحمه الله :رواه البيهقي بسند صحيح.انظر:إرواء الغليل٢/ ٢٣٦

(٢) هو أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة.قال عنه الذهبي: هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، توفي سنة ١٧٩هـ. سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٨، الأعلام ٥/٢٥٧

(٣) ذكره ابن القيم في أعلام الموقعين١/٧٥

(٤) مجموع الفتاوى١٣/٢٨

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد٧١، وأبو نعيم في حلية الأولياء٣/٣٦٩،وذكره البخاري في كتاب التوحيد تعليقا، باب٢٦، الفتح١٣/٥١٨

ولعل من المناسب أن أشير في ختام هذا المطلب إلى ما وفَّق الله إليه أهل السنة وأنعم به عليهم من الاتفاق والائتلاف مع اختلاف بلدانهم وافتراق أزمانهم.

يقول قوام السنة الاصبهاني ـــــــ/ـــــــ [(١)]في بيان ذلك:((ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق؛ أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافا ولا تفرُّقا في شيء ما وإن قَلَّ!بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد!وهل على الحق دليل أبين من هذا؟))[(٢)].

وهذا بفضل الله ثم بفضل التزامهم الكتاب والسنة، (فأولئك القوم من عين واحدة شربوا فعليها يردون، وعنها يصدرون قد وافق الخلف الغابر للسلف الصادر)[(٣)]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــــ/ـــــــ:((ولست تجد اتفاقا وائتلافا إلا بسبب إتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث وما يتبع ذلك ،ولا تجد افتراقا واختلافا إلا عند من ترك ذلك وقدَّم غيره عليه...))[(٤)]والله تعالى أعلم وأحكم.

---

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التميمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، من أعلام الحفاظ .وكان إماما في التفسير والحديث واللغة وفاته سنة٥٣٥هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٠، الأعلام١/٣٢٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة٢/٢٢٤ــــــ٢٢٥.وفي تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، للشيخ عبد الرزاق البدر، ذكر أن هذا القول لأبي المظفر السمعاني ،ص١٧

(٣) انظر:الإبانة لابن بطة٢/١٢٤

(٤) الفتاوى لابن تيمية ٤/٣٦.

الباب الأول

صفة الرحمة وما يتعلق بها من مسائل

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : إثبات اسمي الله (الرحمن الرحيم)،وما يتعلق بهما من مسائل.

الفصل الثاني: إثبات صفة الرحمة وما يتعلق بها من مسائل.

الفصل الثالث: الآثار الإيمانية للإيمان بصفة الرحمة لله تعالى .

الفصل الأول

إثبات اسمي الله (الرحمن الرحيم) وما يتعلق بهما من مسائل:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات اسمي الله (الرحمن الرحيم) والأسماء المضافة الدالة على صفة الرحمة

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة باسمي الله (الرحمن الرحيم).

المبحث الأول

إثبات اسمي الله(الرحمن الرحيم والأسماء المضافة الدالة على صفة الرحمة)

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان معناهما في اللغة والمعنى المضاف إلى الله تعالى

المطلب الثاني: بيان ما بين الاسمين الكريمين من فروق .

المطلب الثالث: ذكر الأدلة على ثبوتهما من الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

المطلب الرابع: مقتضى اسمي الله (الرحمن الرحيم) وأثرهما .

المطلب الخامس : ما جاء في تسمية الله (أرحم الراحمين وخير الراحمين)

المطلب السادس: ما جاء في تسمية الله (ذو رحمة واسعة وذو

الرحمة)

المطلب الأول

بيان معنى(الرحمن الرحيم) في اللغة والمعنى المضاف إلى الله تعالى

أولا: المعنى في اللغة:

قال الخليل بن أحمد: ((الرحمن الرحيم :اسمان مشتقان من الرحمة ...))(١)

وأصل الرحمة في اللغة : الرِّقة والعطف والرأفة. قال ابن فارس:((رحم: الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة يقال: من ذلك رحمه يرحمه إذا رق له وتعطف عليه))(٢).

وهنا لابد من التنبيه على « أن الرحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيوانا له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه، وإن كان مَلكا فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق »(٣)و« رحمة العباد رقة في القلب إذا وجدها الراحم من نفسه انعطف على المرحوم وانثنى عليه، ورحمة الله للعباد جود وفضل »(٤)

وإنما جرى التنبيه في هذا الموضع لئلا يفهم من المعنى اللغوي معنى باطلا لا يليق بالله سبحانه وتعالى. وسيأتي في البحث بيان وافٍ ــــ بإذن الله ــــ لهذه المسألة .

---

(١) كتاب العين٣/٢٢٤.

(٢) مقاييس اللغة ص٤٢٥

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لمحمد بن الموصلي ٣/٨٦٨

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٠

ثانيا: معنى الاسمين المضاف إلى الله تعالى:

الرحمن الرحيم:هما وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم؛لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة،والرحيم ذوالرحمة للمؤمنين يوم القيامة [١]

وهذا المعنى موافق لمعناهما في اللغة، وإليه ذهب أكثر أهل العلم، بل قال ابن كثير -/- [٢] :أنه يفهم من كلام ابن جرير حكاية الاتفاق على ذلك ،وأنه يدل عليه تفسير بعض السلف[٣] فمن الآثار والأقوال الدالة عليه ما يلي :

١- ما رواه ابن جرير -/- بسنده عن أبي سعيد الخدري ــــ ط ــــ [٤]قال : قال : رسول الله ــــ > ــــ: «إنَّ عيسى ابن مريم قال:الرحمن رحمن الآخرة والدنيا، والرحيم رحيم الآخرة»[٥]

---

(١) انظر:تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٩/١ وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣٤/١.

(٢) هو أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البُصرَوي الشافعي، الحافظ المؤرخ المفسر، لازم الحافظ المزي وصاهره، كما أخذ الكثير عن ابن تيمية، خلف مصنفات مفيدة: كتفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤هــــ انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣٧٣/١، الأعلام٣٢٠/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٩

(٤) هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري ــــ ط ــــ شهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان، حدث عن النبي ــــ > ــــ فأكثر و أطاب، وهو من فقهاء الصحابة توفي سنة ٧٤هـــ انظر: البداية والنهاية ٦/٩، السير١٦٨/٣

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره،ج١،ص٨٤، وذكره ابن كثير أيضا في تفسيره وقال في حكمه عليه : (وهذا غريب جدا، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ــــ > ــــ ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات)، انظر: تفسير القرآن العظيم٩٣/١ــــ٩٤،

٢- ما ذكره ابن كثير -/- عن ابن عباس ــــ **ب** ــــ في تفسير الرحمن الرحيم قوله:هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. قال ابن كثير :أي أكثر رحمة[١] ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم ــــ/ــــ بعد أن ذكر تفسير ابن عباس ــــ **ب**ــــ السابق: « المقصود السعة،يعني: أسماء مبالغة أن كلا منهما صفة مبالغة،هذا معنى« رقيقان أحدهما أرق وأوسع من الآخر»، وأوسعهما الرحمن، ولهذا جاء في التفسير رحمن الدنيا والآخرة، فلولا رحمته العامة ما بقي أحد على وجه الأرض، أما الرحيم فهي خاصة بالمؤمنين »[٢].

٣- وقال ابن كثير أيضا: وقال ابن المبارك ــــ/ــــ :« الرحمن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب » [٣] .

٤ــــ ما رواه ابن جرير الطبري -/- بسنده عن عثمان بن زُفَر، قال: سمعت العَرْزَميَّ يقول:« الرحمن الرحيم، قال:الرحمن بجميع الخلق، الرحيم،قال:بالمؤمنين»[٤] **٥ــــ** قال الإمام البخاري ــــ/ــــ[٥] في أول كتاب التفسير من صحيحه :« الرحمن الرحيم: اسمان من الرحمة، الرحيم والراحم

---

(١) ذكره ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٩٨/١، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن١٠٦/١، وذكر ابن حجر في الفتح أن الخطابي أورده عن ابن عباس وقال : والحديث المذكور عن ابن عباس لا يثبت لأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، والكلبي متروك الحديث وكذلك مقاتل .انظر الفتح: ٣٥٩/١٣.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن إبراهيم ص٢٥

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٩٨/١،وأيضا القرطبي في تفسيره ١٠٥/١، وذكره عنه ابن حجر في الفتح١٥٥/٨

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٨٤/١.

(٥) هو أبو عبدالله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حبر الإسلام ، والحافظ لحديث رسول الله ــــ> ــــ وهو صاحب الصحيح ، توفي في سنة ٢٥٦هـــ انظر : السير ٣١٩/١٢، الأعلام ٣٤/٦.

بمعنى واحد كالعليم والعالم»[(١)] . **٦ـــــ** وقال قوام السنة الأصبهاني -/- :« ومن أسماء الله تعالى الرحمن الرحيم : فالرحمن يجمع كل معاني الرحمة ... وأما الرحيم :فقيل معناه المبالغ في الرحمة .. قيل في التفسير الرحمن الرحيم : اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر»[(٢)] **٧ـــــ** وذكر ابن حجر [(٣)]عن الخطابي أنه قال: « ذهب الجمهور إلى أن الرحمن مأخوذ من الرحمة مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة لا نظير له فيها ... ونقل عنه أيضا أنه قال: فالرحمن: ذو الرحمة الشاملة، والرحيم : فعيل بمعنى فاعل وهو خاص بالمؤمنين قال تعالى ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [(٤)]»[(٥)]

٨ـــــ وقال أبو إسحاق الزجاج[(٦)] في تفسير أسماء الله الحسنى:« فأما الرحمن الرحيم، فهما اسمان رقيقان وأحدهما أرق من الآخر . وقال:بعض أهل التفسير: الرحمن الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم، وأوسع عليهم في رزقهم ، والرحيم : خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان،وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع » [(٧)]

٩ـــــ ويقول ابن القيم ــــ /ــــ في كلام جميل له حول معنى الرحمن الرحيم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير، ٨/١٥٥، البخاري مع الفتح.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/١٢٥ـــــ١٢٦

(٣) هو أبو الفضل، أحمد بن حجر بن محمد الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والحديث، علت شهرته وانتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر. توفي في ٨٥٢هـــ انظر الأعلام١/١٧٨

(٤) سورة الأحزاب، آية ٤٣

(٥) انظر: فتح الباري١٣/٣٥٩

(٦) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق عالم بالنحو واللغة ولد في بغداد، وتوفي سنة ٣١١هـــ الأعلام ١/٤٠

(٧)تفسير أسماء الله الحسنى لأبي إسحاق الزجاج ص٢٨.

:« فالرحمن: الذي الرحمة وصفه.والرحيم: الراحم لعباده؛ولهذا يقول تعالى:﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١)

و لم يجئ رحمان بعباده، ولا رحمان بالمؤمنين، مع ما في اسم الرحمن الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف، وثبوت جميع معناه الموصوف به.

ألا ترى أنهم يقولون : غضبان للممتلئ غضبا، وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن ملئ بذلك، فبناء فَعْلان للسعة والشمول...» (٢)

١٠ـــ ويقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السِّعْدي ـــ/ ـــ: « الرحمن الرحيم : اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة؛ لأنه دفع هذه الرحمة، وأباها بتكذيبه للخبر وتوليه عن الأمر فلا يلومنَّ إلا نفسه» (٣).

١١- وقال عبدالعزيز السلمان -/- : « والرحمن الرحيم اسمان دالان على أنه تعالى ذو رحمة واسعة عظيمة وسعت كل شيء وعمت كل حي،وهما من أبنية المبالغة لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى» (٤).

١٢- ويقول الشيخ ابن عثيمين -/- كذلك في معناهما : « الرحمن: فهو ذو الرحمة الواسعة؛ لأن فعلان في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء كما يقال : رجل غضبان إذا امتلأ غضبا.

والرحيم : اسم يدل على الفعل؛لأنه فعيل بمعنى فاعل فهو دال على الفعل.

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١٧

(٢) مدارج السالكين١/٤٢.

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ السعدي ٨/١٧٩

(٤) الأسئلة والأجوبة الأصولية لعبدالعزيز السلمان ص١٤.

فيجتمع من «الرحمن الرحيم» أن رحمة الله واسعة ، وأنها واصلة إلى الخلق» (١)
فهذه بعض آثار وأقوال علماء وأئمة الإسلام في بيان معنى اسمي الجلالة (الرحمن الرحيم) وهي كثيرة ـــ ولله الحمد ـــ كلها تدل على المعنى الذي كاد أن يكون من الأمور المتفق عليها بينهم كما حكى ذلك إمام المفسرين ابن جرير يرحمه الله تعالى. أما مسألة التفريق بين الرحمن والرحيم، وهل هما بمعنى واحد أما لا ؟ هذا ما سيتضح ـــ بإذن الله تعالى ـــ في المطلب القادم.

المطلب الثاني:
بيان ما بين الاسمين الكريمين من فروق

الله —سبحانه وتعالى—وصف أسماءه في كتابه بأنها حسنى في أربع آيات من كتابه وهي: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).
وقوله:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٣) وقوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٤)
وقوله:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٣٨/١.
(٢) سورة الأعراف:آية ١٨٠
(٣) سورة الإسراء :آية ١١٠
(٤) سورة طه: آية٨.

﴿ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (١)

فلما كانت أسماؤه ــــ سبحانه وتعالى ــــ دالة على أوصاف الكمال ،ونعوت الجلال كانت بذلك حسنى؛ فهي ليست ألفاظا مجردة لا معنى لها،بل إن كل اسم من أسماء الله تعالى يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -/-: « ...كما يُسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر،وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات ... وكذلك أسماء الرب -تعالى- إذا قيل : الملك القدوس، المؤمن، المهيمن العزيز، الجبار الخالق الباري المصور، فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة والصفات متعددة ...»(٢)

ويقول ابن القيم ــــ/ــــ:« أسماء الرب ــــ تبارك وتعالى ــــ دالة على صفات كماله. فهي مشتقة من الصفات،فهي أسماء،وهي صفات،وبذلك كانت حسنى،إذ لو كانت ألفاظا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال » (٣) فإذا تقرر هذا؛ فإن من أسماء الله ــــ **لأ** ــــ الرحمن الرحيم وهما ــــ كما سبق ذكره ــــ اسمان مشتقان من الرحمة، دالان على اتصاف الله بصفة الرحمة الواسعة العظيمة؛ فإذا كانا كذلك فهل هما متفقان في كل شيء أم أن بينهما فرقا واختلافا ؟ فلعظم هذين الاسمين الكريمين وقع الاختلاف بين أهل العلم في هذه المسألة :

فقيل: هما بمعنى واحد (٤).

---

(١) سورة الحشر :آية ٢٤

(٢) الفتاوى١٩/٩١ــــ ٩٢.

(٣) مدارج السالكين١/٣٦ــــ٣٧

(٤) ذكر هذا القرطبي وقال: قد تجمع العرب بين لفظين مشتقين من أصل واحد، وإن كان المعنى واحدا. وذكر هذا القول عن أبي عبيدة معمر بن المثنى.انظر : الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي،ص٤٠٦

وقيل:ـــــــ وهو الصحيح ــــ بأنه يوجد بينهما فرق واختلاف في بعض المعاني والوجوه . قرر ذلك جمع من أهل العلم ــــ وما سبق ذكره من أقوال العلماء في معناهما يدل على ذلك ـــــــ وممن قال بذلك إمام المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره حيث قال :« فإن قال قائل: فإذا كان الرحمن الرحيم اسمين مشتقين من الرحمة؛ فما وجه تكرير ذلك، وأحدهما مؤدٍّ عن معنى الآخر ؟

قيل له : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت، بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها...» ثم أخذ –رحمه الله– يبين ما بين الاسمين من فروق. [1]

وكذلك ممن قال بالفرق بينهما الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال بعد أن ذكر هذه المسألة والخلاف فيها : « والتحقيق أن جهة المبالغة فيهما مختلفة »[2].

لذا فإن العلماء القائلين بالتفريق بينهما ذكروا عدة فروق فمن ذلك ما يلي :

أولا :أن بينهما عموما وخصوصا من حيث المعنى ؛فالرحمن: هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة .

وأما اسمه الرحيم :هو ذو الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[3] وقال تعالى:﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾[4].[5]

ثانيا:ومن أنفس ما قيل في الفرق بينهما ما قاله ابن القيم في بدائع الفوائد حيث قال: «وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى ...وهو أن الرحمن دال على الصفة

(١) جامع البيان في تأويل القرآن١/٨٤.

(٢) فتح الباري٨/١٥٥.

(٣) سورة التوبة: آية ١١٧

(٤)سورة الأحزاب: آية٣٤

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص٨، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها لعبدالعزيز بن ناصر ص١١٩،واللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب لسليمان اللاحم ص٩٩ـــ ١٠٠،و النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ص٥٩

القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف،والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته»[١] **ثالثا**:أن بينهما عموما وخصوصا، من ناحية اللفظ، فالرحمن اسم خاص بالله ـــــ **لأ** ـــــ لا يسمى به غيره بخلاف الرحيم فإنه يجوز أن يوصف به غير الله ـــــ كما سيتضح ذلك عند ذكر المسألة الخاصة به في هذا البحث ـــــ إن شاء الله تعالى.[٢]

رابعا:أن (الرحمن) أبلغ من الرحيم، ولكونه كذلك قُدِّم عليه في البسملة والفاتحة . قال ابن كثير ـــــ/ ـــــ«بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن؛لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولا إنما تكون بأشرف الأسماء،فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص» [٣]

المطلب الثالث

ذكر الأدلة على ثبوتهما من الكتاب والسنة وإجماع الأمة

لما كانت أسماء الله ـــــ سبحانه وتعالى ـــــ من الأمور الغيبية التي لا يمكن أن يهتدى إليها إلا عن طريق الوحي، وأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله ـــــ أ ـــــ من الأسماء؛ لقوله ـــــ > ـــــ:«لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[٤]؛ قرَّرَ أهل السنة والجماعة: أن أسماء الله توقيفية، وأنه يجب الوقوف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة؛ فلا يثبت منها إلا ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ـــــ > ـــــ وأنه لا ينفى منها اسم أثبته الله –سبحانه

---

(١) بدائع الفوائد ١/٢٧

(٢) انظر: المسألة الخامسة من المبحث الثاني من هذا الباب

(٣) تفسير القرآن العظيم١/٩٨

(٤) أخرجه الأمام مسلم ، كتاب الصلاة، باب (٤٢) ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم ٢٢٢،ج٤،ص١٥١ـــــ١٥٢،صحيح مسلم بشرح النووي

وتعالى–أو أثبته له رسوله ــــ > ــــ [(١)] يقول الإمام السفاريني ـــــ/
ــــ في منظومته عن أسماء الله تعالى :

لَكِنّـــــــــــــــــــــــــــــــهَ
ـــــــــــا في الحـــــــــــقِّ
تَوقِيــــــــــــــــــــــــــــفِ
ـــــيـــــــةّ
لَنَـــــــــــــــــــــــــــــا
بِـــــــــــــــــــــــــذَا
أدلـــــــــــــــــــة وفِيَّـــــــــــــــــــــة
[(٢)] فإذا تقرر هذا الأصل

فإنه يقال بعد ذلك : إن من أسماء الله الحسنى الثابتة له –جل وعلا– في الكتاب والسنة : اسماه الكريمان الرحمن الرحيـــــــم. وفيـــــــــما يلي تفصـــــــيل أدلـــــــــــة ثبوتهما من الكتاب والسنة وإجماع الأمة :

أولا :الأدلة من كتاب الله سبحانه وتعالى :

اسما الجلالة الرحمن الرحيم من أسماء الله الحسنى التي وردت كثيرا في كتاب الله ــــ لأ ــــ ودلت الآيات على ثبوتهما وتسميـــــــــة الله بهما ، فقـــــــــــد ورد هــــــــــــذان الاسمـــــــــــــــان في بعـــــــــض الآيات مقترنين، كما أن كلا منهما قد ورد في بعضها منفردا،

---

(١) انظر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي رحمه الله ٢٦٧/٣، الأسئلة والأجوبة الأصولية ص٥٢، و شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص٢٣

(٢) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ص١٥٥وفي مسألة الأدلة على أن أسماء الله توقفيه انظر: المصدر نفسه:ص١٦٨وما بعدها، و معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي ص٤٢ــــ ٤٥

وكذلك فإن اســـــــم الله الرحيم جاء مقترنا ببعض الأسماء الأخرى في كتاب الله ـــــلأ ـــــ وسوف يُبين ذلك فيما يلي(١) :

أــــ ورود الاسمين مقترنين:

ورد هذان الاسمان مقترنين في ستة مواضع من كتاب الله عز وجل وهي :

١- قال جلت قدرته في فواتح السور غير التوبة(٢):﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

٢- وقال سبحانه وتعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (٣)

٣- وقال جل وعلا:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٤)

٤ــــ وقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(٥)

٥ــــــ وقال عز من قائل عليما:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(٦)

٦ــــ وقال جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ

(١) انظر: رحمة الله أسبابها وآثارها، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، عدد٤٥، عام١٤١٦ص١٨٥وما بعدها، ولله الأسماء الحسنى لعبدالعزيز الجليل ص١١٨، النهج الأسمى لمحمد النجدي ص٥٨، شرح أسماء الله تعالى الحسنى لحصة بنت عبدالعزيزص١٢٨ وذكر بعض الأدلة عليهما أيضا البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص٦٩والقرطبي الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص٣٩٩

(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص٦٩

(٣)سورة الفاتحة، الآية٣

(٤) سورة البقرة،الآية ١٦٣

(٥) سورة النمل، الآية٣٠

(٦) سورة فصلت، الآيتان ١،٢

وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١) .

ب ـــ ورود اسم (الرحمن) منفردا:

ذكر اسم الله (الرحمن) في القرآن في واحد وخمسين موضعا منها :

١- قال تعالى :﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ (٢)

٢- وقال سبحانه:﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾(٣)

٣- وقال سبحانه :﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ (٤)

٤ـــوقال عز وجل :﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾(٥)

ج ـــ ورود اسم (الرحيم) منفردا :

اسم الله (الرحيم) ورد ذكره في كتاب الله ـــ لأ ـــ في مئة واثنين وثلاثين موضعاً في كثير منها جاء مقترنا بغيره من أسماء الله الحسنى، و لم يذكر منفردا إلا في ثلاثة مواضع فقط سنقتصر على ذكرها فما يلي :

١- قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم

(١) سورة الحشر، آية ٢٢

(٢) سورة الرعد، آية ٣٠

(٣) سورة الإسراء، آية ١١٠

(٤) سورة مريم، آية ١٨

(٥) سورة مريم، آية ٢٦

بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[١]

٢- وقال:﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٢]

٣- وقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[٣]

ثانيا: الأدلة من السنة المطهرة :

الأحاديث الدالة على إثبات اسمي الجلالة(الرحمن الرحيم)، وأنهما من أسماء الله الحسنى كثيرة؛ فقد تكرر ذكرهما في أحاديث المصطفى ــــ > ــــ ومن ذلك :

١- عن أبي هريرة ـــــطـــ أنه سمع النبي ــــ >ـــــ يقول :«قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾،قال الله تعالى:أثنى علي عبدي،وإذا قال: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال:مجدني عبدي،وقال مرة : فوض إلي عبدي، فإذا قال:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾،قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل...» [٤]

٢- ومنها ما جاء في صحيح البخاري من حديث عروة بن الزبير[٥] عن المسور

(١) سورة النساء،الآية ٢٩

(٢) سورة الإسراء،الآية٦٦

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٤٣

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة،حديث رقم ٣٩٥،ج٤، ص٧٨، مسلم بشرح النووي.

(٥) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبدالله :أحد الفقهاء السبعة

بن مخرمة [١] ومروان بن الحكم [٢]في ذكر صلح الحديبية الذي عقده النبي ـــــ > ـــــ مع قريش حيث جاء فيه «...فدعا النبي ـــــ > ـــــ الكاتب، فقال النبي ـــــ > ـــــ : « بسم الله الرحمن الرحيم»،فقال سهيل[٣]:أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هي ولكن اكتب باسمك اللهمَّ،كما كنت تكتب، فقال المسلمون:والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم،فقال النبي ـــــ > ـــــ : اكتب باسمك اللهم »[٤] .

٣- أخرج ابن خزيمة ـــــ / ـــــ بسنده[٥] عن نِيَار بن مُكْرِمِ الأسلمي ـــــ صاحب رسول الله ـــــ > ـــــ قال[٦]:لما نزلت ﴿ الم (١) غُلِبَتْ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

بالمدينة.كان عالما صالحا كريما؛ لم يدخل في شيء من الفتن توفي بالمدينة عام ٩٣هـــــ. انظر: سير أعلام النبلاء٤٢١/٤، والزركلي،الأعلام ٢٢٦/٤.

(١) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري،أبو عبدالرحمن :من فضلاء الصحابة وفقهائهم، أدرك النبي ـــــ > ـــــ وهو صغير وسمع منه.توفي سنة ٦٤هـــــ .انظر : الذهبي ، السير٣٩٠/٣،الزركلي ٢٢٥/٧.

(٢) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف أبو عبدالملك :الخليفة الأموي، وهو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص وإليه ينسب (بنو مروان)، ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة،فلما كانت أيام عثمان جعله من خاصته واتخذه كاتبا له، توفي في دمشق سنة ٦٥هـــــ . انظر: السير٤٧٦/٣،الأعلام٢٠٧/٧

(٣) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري،خطيب قريش، وأحد سادها في الجاهلية، أسره المسلمون في بدر وأفتُدي، ثم أسلم عام الفتح وسكن مكة ثم سكن المدينة ومات بالطاعون في الشام عام ١٨هـــــ .انظر : السير،ج١،ص١٩٤،الأعلام ج٣،ص١٤٤

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب (١٥) الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط،حديث(٢٧٣١) البخاري ،ج٥،ص٣٢٩ـــــ٣٣٣

(٥)كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة٤٠٥/١

(٦) هو نيار بن مكرم الأسلمي،اختلف في صحبته وذكر ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة عن البخاري أنه قال : روى عن النبي ـــــ > ـــــ وعن عثمان: قال ابن

سَيَغْلِبُونَ ﴾ (١) إلى آخر الآيتين، خرج رسول الله ـــ > ـــ «فجعل يقرأ :بسم الله الرحمن الرحيم :﴿ الم (١) غُلِبَتْ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ ... ﴾ (٢) فقال رؤساء مشركي مكة : ياابن أبي قحافة :هذا مما أتى به صاحبك،قال : لا والله ،ولكنه كلام الله وقوله.... » (٣)

٤ـــ ما أخرجه البخاري من حديث أبي سفيان ـــ ط ـــ وحديثه مع هرقل عن النبي ـــ > ـــ ودعوته وفيه... ثم دعا بكتاب رسول الله ـــ > ـــ الذي بعث به دِحْيَة إلى عظيم الروم، فقرأه، فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم.سلام على من اتبع الهدى أما بعد ... »(٤)

٥ـــ وعن أبي هريرة ـــ ط ـــ قال : قال رسول الله ـــ > ـــ:« من تصدق بصدقة مـــــــــن كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا، ولا يصعد إلى السماء إلا الطيب؛ فيقع في كف **الرحمن**،فيربيه كما يربي أحدكم فصيله حتى إن التمرة لتعود مثل الجبل العظيـــــــــــــــم »(٥)

٦ـــ عن أبي سعيد الخدري ـــ ط ـــ

أبي حاتم عن أبيه : له صحبة؛وكذا قال ابن حبان :له صحبه ، ثم أعاده في التابعين ... وقال ابن حجر: وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين ،وأنكر أن يكون له صحبة .انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر٦/٣٨٢

(١)سورة الروم، الآيات ١ـــ٣

(٢) سورة الروم الآيات ١ـــ ٤

(٣) أخرجه الترمذي، في كتاب التفسير،(باب:٣١،ومن سورة الروم) بألفاظ متقاربة،ثم قال : هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مكرم .انظر : سنن الترمذي،ج٥،ص٣٢٠ـــ٣٢٢،تحقيق : أحمد شاكر ، وقال ابن حجر في الإصابة:وقد أخرج الترمذي في صحيحه، وابن خزيمة حديثه ـــ أي نيار بن مكرم ـــ في مراهنة أبي بكر الصديق مع قريش في غلبة الروم ، ووقع في سياقه عند ابن قانع بسنده إلى عروة عن نيار بن مكرم :وكانت له صحبه؛ ورجال السند ثقات .انظر : الإصابة٦/٣٨٢.

(٤) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٦، حديث رقم(٧)، ج١،ص٣١ـــ٣٢

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب الزكاة، باب(٨) الصدقة من كسب طيب، حديث رقم١٤١٠،

قال:النبي ــــ > ــــ :« تكون الأرض يوم القيامــــــــــــــــــــة خبزة واحدة يَكْفَؤُها[١] الجبار بيده كما يَكْفَأُ أحدكم خبزته في السفر[٢] نُــــــــــــــــــــزُلاً لأهــــــــــــــــــــل الجنة. فأتى رجل من اليهود فقال: بارك **الرحمن** عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بترل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال : بلى.قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي –>– فنظر النبي –>– إلينا يضحك حتى بدت نواجذه... » [٣] ٧ــــ ومنها قوله ــــ > ــــ :«إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين **الرحمن** عز وجل، وكلتا يديه، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلَوُا »[٤]

٨ــــ عن ابن عمر ــــ **ك**ــــ قال: رأيت رسول الله ــــ >ــــ على المنبر يقول:«﴿ ...وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ... ﴾[٥]،ثم يقول :أنا الله،أنا **الرحمن**،أنا الجبار،أين المتكبرون؟حتى أني أخشى أن يسقط به المنبر» [٦] ٩ــــ عن عبدالله بن عمرو بن العاص يقول : إنه سمع رسول الله

ج٣،ص٢٧٨.وأخرجه مسلم كذلك ،كتاب الزكاة ،باب(١٨) فضيلة الإنفاق،حديث ١٠١٤،صحيح مسلم ،ج٧،ص٨١.

(١) قال ابن الأثير: يريد الخبزة التي يصنعها المسافر ويضعها في الملة، فإنها لا تبسط كالرقاقة، وإنما تقلب على الأيدي حتى تستوي. النهاية ١٨٣/٤

(٢) السفر قال ابن حجر: بفتح المهملة والفاء، ورواه بعضهم بضم أوله جمع سفرة وهو الطعام الذي يتخذه المسافر ومنه سميت السفرة. انظر: فتح الباري٣٧٣/١١

(٣) أخرجه البخاري ،كتاب الرقاق،باب(٤٤) يقبض الله الأرض يوم القيامة، حديث رقم ٦٥٢٠، الفتح،ج١١،ص٣٧٢.ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب نزل أهل الجنة، حديث٢٧٩٢ ،ج١٧،ص٢٧٦

(٤) أخرجه الإمام مسلم ،كتاب الإمارة،باب(٤) فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية،حديث رقم(١٨٢٧) مسلم بشرح النووي،ج١٢،ص٥٢٧.

(٥) سورة الزمر، الآية ٦٧.

(٦) أخرجه ابن خزيمة بهذا اللفظ، كتاب التوحيد ،باب(٢١) تمجيد الرب ــ عز وجل ــ

ـــــ > ـــــ يقول: « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع **الرحمن** كقلب واحد يُصَرِّفُهُ حيث شاء » ثم قال الرسول ـــــ >ــــــ:«اللهم مُصَرِّف القلوب صرِّفْ قـــــــلوبنا عـــــــــلى طـــــــــــاعتــــــــــك » [1]

١٠ـــــ عن أبي هريرة ـــــ ط ـــــ قـــــال : قـــــال رســـــــول الله ـــــ > ــــ: «إذا سألتم الله تــــــــعــــــــــــالى فاسألوه الفردوس، فإنها وسط الجنة، وأعلاها، وفوقها عرش **الرحمن**، منها تفجَّر أنهار الجنة »[2]

١١ عن جابرــــ ط ـــــ قال: سمعت النبي ـــــ > ـــــ يقول: «اهتزَّ عرش **الرحمن** لموت سعد بن معاذ »[3]

١٢- ما رواه أهل السنن عن النبي ـــــ > ـــــ أنه قال: يقول الله تعالى:«أنا **الـــرحـــــمـــــــــن** خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »[4] ١٣- عن أبي هريرة ــــط ـــــ قال: قال رسول الله ->-:«كلمتان خفيفتان عــــــــــلـــــــــــى اللسان، ثقيلتان في

نفسه حديث رقم ٩٧،ج١،ص١٧٣، وأخرجه مسلم بألفاظ متقاربة في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم(٢٦،٢٤،٢٥) ج١٧،ص٢٧٤.

(١) أخرجه مسلم في القدر، باب(٣) تصريف الله تعالى القلوب رقم (٢٦٥٤)، ج١٦، ص١٥٥

(٢) رواه البخاري ،الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث رقم(٢٧٩٠) ،ج٦/١١، وفي التوحيد حديث رقم (٧٤٢٣)، ج١٣/٤٠٤.

(٣) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار، باب(١٢) مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، حديث رقم(٣٨٠٣) ، الفتح، ج٧، ص١٢٢

(٤) أخرجه أبو داود،كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم،حديث رقم(١٦٩٤)ج٢،ص١٣٣، والترمذي،كتاب البر والصلة،باب(٩) ما جاء في قطيعة الرحم،حديث رقم (١٩٠٧) ،ج٤، ص٢٧٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ـــ مسند عبد الرحمن بن عوف ـــــ ط ـــــ أرقام الأحاديث (١٦٥٩،١٦٨٠،١٦٨١،١٦٨٦،١٦٨٧)، ج١، ص٤٠٥ ـــــ ٤١٣والحديث حكم عليه الألباني بالصحة انظر: الصحيحة ٢/٤٩رقم ٥٢٠

الميزان، حبيبتان إلى **الرحمن** : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم »[١]

١٤ـــ ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبدالرحمن بن خنبش التميمي ـــ ط ـــ [٢]أنه سئل كيف صنع رسول الله –>– ليلة كادته الشياطين؟ فقال: إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله –>– من الأودية والشعاب، وفيهم شيـــطـــان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها رسول الله ـــ > ـــ، فهبط إليه جبريل ـــ× ـــ فقال : يا محمد قل قال : «ما أقول؟ » قال: « قل أعوذ بكلمات الله التامة من شـــر مـــا خلق، و ذرأ و برأ ومن شر ما يترل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها،ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير، يا **رحمن** » . قال : فطفئت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالى[٣].

١٥ـــ عن ابن عمر ـــ ب ـــ قال:إن كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ـــ > ـــ في المجلس الواحد مائة مرَّة من قبل أن يقوم :«ربِّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنك أنت

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب الدعوات، باب(٦٥) فضل التسبيح،حديث رقم(٦٤٠٦)، ج١١،ص٢٠٦، وفي كتاب الأيمان، باب(١٩)، حديث رقم (٦٦٨٢)، ج١١،ص٥٦٦، وفي كتاب التوحيد،باب (٥٨) حديث رقم (٧٥٦٣)، الفتح ج١٣، ص٥٣٧، والإمام مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،حديث رقم(٢٦٩٤)، ج١٧، ص١٨٧،أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ٧١٧٠، ج٣، ص١٢في مسند أبي هريرة رضي الله عنه،

(٢) قال في الاستيعاب: قيل فيه عبدالله والصحيح عبدالرحمن ،وقال في تجريد أسماء الصحابة عبدالرحمن بن خنيش طال عمره .انظر :الاستيعاب ص٤٥٣،تجريد الصحابة ٣٤٦/١

(٣) أخرجه الإمام أحمد ، مسند عبدالرحمن بن خنبش، حديث رقم(١٥٤٦٠،١٥٤٦١) مسند الإمام أحمد ،ج٥،ص٢٦٨وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث الطحاوية: وأخرجه ابن السني في (عمل اليوم والليلة) (٦٤٢) ثم قال :... وإسناده صحيح.انظر : شرح العقيدة الطحاوية،لابن أبي العز، تحقيق: عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط،ج١، ص٢٦٨.

التَّوَّاب **الرَّحيم** »[1] ١٦ــــ عن أبي بكر الصديق ــــ ط ــــ أنه قال للنبي ــــ > ــــ: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال : «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور **الرحيم** »[2] .

١٧ــــ عن محجن بن الأدرع [3] أن رسول الله ــــ > ــــ دخل المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد، وهو يقول :«اللهم إني أسألك بالله (وفي رواية يا الله)، الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، أن تغفر لي ذنوبي؛إنك أنت الغفور **الرحيم** »..فقال نبي الله ــــ > ــــ:«قد غفر له، قد غفر له، قد غفر له » ثلاث مرات[4]

ثالثا: إجماع الأمة على إثبات اسمي الجلالة (الرحمن الرحيم)

---

(١) أخرجه أبو داود بهذا اللفظ، كتاب الصلاة، حديث رقم (١٥١٦)، ج٢،ص٨٥، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب (٥٧) الاستغفار،حديث رقم(٣٨١٤)،ج٢،ص١٢٥٣، والترمذي،كتاب الدعوات ، حديث ٣٤٣٤، بلفظ (إنك أنت التواب الغفور) وقال :هذا حديث حسن صحيح، ج٥، ص٤٦١، والإمام أحمد في المسند،عن ابن عمر ــــ ب ــــ حديث رقم(٤٧٢٦)،ج٢، ص٢٤٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة،حديث رقم(٦٣٢٦) الفتح، ج١١،ص١٣١

(٣) هو محجن بن الأدرع الأسلمي المدني،كان قديم الإسلام ،سكن البصرة،وهو الذي اختط مسجدها وعمر طويلا وقيل توفي في خلافة معاوية انظر : الإصابة ٥٧٨/٥

(٤) أخرجه الإمام أحمد من حديث محجن بن الأدرع رضي الله عنه،حديث رقم(١٨٩٩٦) مسند الإمام أحمد ،ج٧،ص١٤، وأخرجه أيضا أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول بعد التشهد ، حديث رقم (٩٨٥) سنن أبي داود،ج١،ص٢٥٩،النسائي ، باب الدعاء بعد الذكر،ج٣،ص٥٢،قال الألباني في التوسل : إسناده صحيح،ص٣١،وقال في صفة الصلاة: صححه الحاكم ووافقه الذهبي،ص١٨٦.

إن من الأصول المقررة، والمتفق عليها لدى سلف الأمة الإيمان بكل ما أخبر به النبي ـــــ > ـــــ من أسماء الله وصفاته؛ سواء مما جاء في القرآن الكريم أو السنة المطهرة.

يقول شيخ الإسلام -/-: «إن ما أخبر به الرسول عن ربه فإنه يجب الإيمان به ـــــ سواء عرفنا معناه أو لم نعرف ـــــ لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه. وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة، متفق عليه بين سلف الأمة»[1]

لذا جاءت أقوالهم في إثبات اسمي الجلالة (الرحمن الرحيم) مبنية على هذا الأصل؛ فلما وقفوا على ما جاء في الكتاب والسنة من إثبات هذين الاسمين لم يترددوا في القول بإثباتهما وأنهما من الأسماء الحسنى التي سمى الله بها نفسه،وسماه بها أعلم الخلق به رسوله -<- وأقوالهم في إثبات ذلك كثيرة معلومة، وفي تصانيفهم مثبتة مسطورة.

قال الإمام الحافظ ابن منده -/- :« ومن أسماء الله -عز وجل- الرحمن الرحيم » ثم ذكر معناهما عند أهل التأويل والأحاديث الدالة على إثباتهما لله سبحانه وتعالى[2].

ومن أكثر علماء أهل السنة ـــــ حسب ما وقفت عليه ـــــ ذكرا لأسماء الله الحسنى وصفاته وتقرير إثباتها وبيان معانيها وأدلتها وآثارها: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فمن أقوالهما في إثبات اسمي الله (الرحمن الرحيم)

---

(١) مجموع الفتاوى٣/٢٨.

(٢) كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد٢/٤٧ـــــ ٤٨.

: **يقول شيخ الإسلام** ابن تيمية – /– وهو يحدد ضابط الأسماء الحسنى التي يُدَعى الله بها :« الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يـــــدعى الله –تعالى– بها وهـــــي التي جـــــــاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها. والعـــــلـــــم والـــــقـــــدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح » [1] ويقول أيضا :« الله سمى نفسه في القرآن بالرحمن والرحيم ووصف نفسه في القرآن بالرحمة والمحبة ...»[2]

وقال في مجموع الفتاوى : « فإن الله سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات سمى نفسه حيا عليما، حكيما قديرا سميعا، بصيرا غفورا، رحيما إلى سائر أسمائه الحسنى ... » [3]

وقـــــال كذلك : «إن الله سبـــــحانه له الأسمـــــاء الحسنى، كما سمَّى نفـــــسه بـــــذلك،وأنـــــزل به كتبـــــه، وعلَّمه من شـــــاء من خـــــلقه كـــــاسمه (الحي) و(العليـــــم)، و(الرحيـــــم)، و(الحـــــكيم)، و(الأول)،و(الآخر)، و(العلي)، و(العظيم)، و(الكبير)،ونحو ذلك. وهذه الأسماء كلها أسماء مدح وحمد تدل على ما يُحمَدُ به، ولا يكون معناها مذموما، ...والله له الأسماء الحسنى، وليس له مثل السَّوء قط...» [4]

وأما تلميذ شيخ الإسلام الإمام ابن القيم –/– فهو كذلك قد ذكر اسمي الله (الرحمن الرحيم) في مواضع كثيرة من كتبه حيث قرر ثبوتهما لله تعالى فمن ذلك : قال في مختصر الصواعق :« إن من أسمائه

(١) شرح الأصبهانية ص٩

(٢) المصدر نفسه،ص٣٥.

(٣) الفتاوى ١٢٢/٥

(٤) نقض تأسيس الجهمية، ط مطبعة الملك فهد بالمدينة، تحقيق أحمد معاذ ٢٩٨/٣ـــــ٣٠٠

الحسنى الرحمن الرحيم »[١] وقال ـــــ
عليه رحمة الله ـــــ :«ورود الرحمن في أسمائه أكثر من ورود الرحيم »[٢]
وهذان الاسمان الحسنان(الرحمن الرحيم) من الأسماء التي أجمعت عليهما الأمة، ووقع الاتفاق على ثبوتهما بين أهل العلم وذكرا عند جميـــــــــــع العلمـــــــــــاء الذين صنـــــــــــفوا في عـــــــــــدِّ وإحصاء أسماء الله الحسنى بلا استثناء[٣] .

وممن حكى الإجماع عليهما: الإمام القرطبي -/- [٤]حيث قال:«الرحمن الرحيم ـــــ أ وتقدست أسماؤه ـــــ نطق بهما التنزيل... ...وجاءا في حديث أبي هريرة وتكررا في غير موضع من القرآن والسنة، وأجمعت عليهما الأمة » [٥]

وممن حكى الاتفاق عليهما أيضا :الحافظ ابن حجر ـــــ / ـــ فقد قال: « وقد وقع الاتفاق على أن الرحمن الرحيم اسمان مع كونهما مشتقين من صفة واحدة، ولو مُنِعَ من عدِّ ذلك للزم أن لا يُعد ما يشترك الاسمان فيه مثلا من حيث المعنى مثل الخالق والبارئ والمصور لكنها عُدَّت؛ لأنها ولو اشتركـــت في مـــــــعنى الإيجـــــــــاد والاخـــــــــتراع فـــــــــــهي مغايرة من جهة أخرى...»[٦]

فإذا كانا الرحمن الرحيم بهذه المثابة؛ فإنه يجب الإيمان بهما وإثباتهما لله -سبحانه- لدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ثبوتهما لله -تعالى-، كما أنه لا يجوز

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢٧٢/٣.
(٢) مختصر الصواعق ٣٤١/٢
(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص١٥٢
(٤)هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري المفسر، ومن كتبه الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان، والأسنى في شرح أسماء الله والتذكرة في أحوال الموتى والأخرة. انظر:الديباج المذهب لابن فرحون المالكي٢ /٣٠٨
(٥) الإمام القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص٣٩٩
(٦) فتح الباري١١/٢١٩

بحال إنكارهما أو نفيهما عن الله عز وجل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -/-: « الحمد لله لا خـــــــلاف بين المســــــــلمين أن العبد إذا دعا ربه يقول: يا الله يا رحمن وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام كما قال تعالى: ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى... ﴾[1] وكان النبي -<- يقول في دعائه : يا الله يا رحمن فقال المشركون: محمد ينهانا أن ندعوا إلهين وهو يدعو إلهين فقال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى... ﴾ أي المدعو إله واحد وإن تعددت أسماؤه كـــــــــمـــــــا قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[2] ومن أنكر أن يقال يا الله يا رحمن فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل »[3].

(١) سورة الإسراء، الآية ١١٠

(٢) سورة الأعراف، الآية١٨٠

(٣) الفتاوى٢٢/٢٨٦.

المطلب الرابع

مقتضى اسمي الله(الرحمن الرحيم) وأثرهما :

لقد اعتنى علماء السلف عناية عظيمة؛ ببيان مقتضيات الأسماء الحسنى وآثارها؛بل يعدُّون ذلك من أركان الإيمان بأسماء الله عز وجل ،وأن إثبات ذلك شرط في صحة الإيمان بالاسم؛لأنه مما جاء في الكتاب والسنة الذي يجب الإيمان به

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -/- : « إن ما أخبر به الرسول عن ربه؛فإنه يجب الإيمان به ـــــ سواء عرفنا معناه أو لم نعرفه ـــــ؛لأنه الصادق المصدوق،فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به، وإن لم يفهم معناه، وكذلك ما ثبت باتفاق الأمة،وأئمتها مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة متفق عليه بين سلف الأمة ».[1]

وممن قرر مذهب أهل السنة والجماعة في أحكام أسماء الله الحسنى، ومتعلقاتها وآثارها الإمام ابن القيم ـــــ / ـــــ فهو كثيرا ما يتكلم عن ذلك ومنه قوله في نونيته : واشْهَدْ عليـــهـــــــــــــم أنهـــــــــــــــم

قـــــــــــــد أثبـــتـــــوا الأسماء والأوصــــــــــــــاف

للدَّيّان وكذلك الأحكام أحكام الصفات

وهـــــــــــــــــــــــذه الأركـــــــــــــان

للإيمـــــــــــــــــــــان

قالــــــــــــــــوا عليـــــــــــــــــــــــــم

وهـــــــــــــــو ذو عـــــــــــــلـــــــــــــم

ويعلم غاية الإسرار والإعلان

إلى أن قال:

والوصـــــــــــــف معــــــــــــــنى قائــــــــــــــــم

بالذات والأسمـــــــــــــــاء أعـــــــــــــلامٌ له

(١) التدمرية لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٨

بـــوِزِان

أسمـــــــــــــــــــاؤه دلـــــــــــت على

أوصـــــــــافـــــه مشتقـــــــة منهـــــــــا

اشتقاق معان وصفـــــــــــــاته

دلــــــــــت علـــــــــى أسمائه

والفـــــعـــــــل مرتبـــــــط بـــــه الأمران

والحُـــــــــــكْــــــــــمُ

نِـــــسْبـــــتُـــــــهـــــا إلى

متعلقاتٍ تقتضي آثارُها ببيان(١)

ويؤكد الشيخ السعدي -/- أن الإيمان بذلك من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة حيث قال: « واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة،وأئمتها ما دل عليه الكتاب والسنة:من الإيمان بأسماء الله كلها، وصفاته،وبأحكام تلك الصفات ؛ فيؤمنون مثلا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم؛ فالنعم كلها من آثار رحمته، وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى؛فيقال: عليم: ذو علم عظيم، يعلم به كل شيء،فإن الله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى، والصفات العليا وأحكام تلك الصفات؛ فمن أثبت شيئا منها ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضا مبطلا». (٢)

فيؤخذ مما سبق أن الإيمان بالاسم عند أهل السنة والجماعة لا يتم إلا بإثبات ثلاثة أركان:

١- إثبات الاسم.

٢- إثبات ما دل عليه من معنى وهي الصفة التي تضمنها.

---

(١) التعليق المختصر على القصيدة النونية،صالح الفوزان ٢/٦٦٥ـــــ٦٦٨

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٨/١٧٩ــــ١٨٠وذكره أيضا في التفسير ١/٣٣

٣- وإثبات الأثر الذي ترتب عليه.

وهذه من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، وقد ذكرها غير واحد من أهل العلم[١].

والمطلب هذا خُصِّصَ للحديث عن الركن الثالث من أركان الإيمان بالاسم؛ ألا وهو الإيمان بما يتعلق بالاسم من آثار ،وهذا الأثر هو الحكم والمقتضى وهو ليس عاما في جميع الأسماء؛ فإن أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍ؛ فإنه يُثبت الاسم، وما دل عليه من معنى،وما دل عليه من حكم ومقتضى، واسما الجلالة (الرحمن الرحيم) من هذا النوع من الأسماء؛ لذا فإن من تمام الإيمان بهما أن يثبتا كاسمين لله تعالى،ويثبت كذلك ما يدلان عليه من الصفة، والأثر والمقتضى المترتب عليهما . وبيان ذلك يظهر بما ذكره أهل العلم من أمثلة توضح مقتضى وأثر هذين الاسمين الكريمين:

يقول ابن القيم -/- وهو يبين أن النعم كلها من آثار رحمة الله : « .. فانظر إلى ما في الوجود من آثار الرحمة الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله ـــــ > ـــــ وأنزل علينا كتابه وعلمنا من الجهالة ...»[٢]

وقال في مدارج السالكين :« إن أسماءه الحسنى تقتضي آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمسبباتها،فاسم (السميع، البصير) يقتضي مسموعا ومبصرا،واسم (الرزاق) يقتضي مرزوقا، واسم (الرحيم) يقتضي مرحوما ... حتى قال :ويستحيل تعطيل هذا الأسماء والصفات، إذ هي أسماء حسنى، وصفات كمال،ونعوت جلال، وأفعال حكمة وإحسان وجُودٍ؛فلا بد من ظهور آثارها في العالم» [٣].

---

(١) انظر: القواعد الحسان للسعدي ضمن مجموعته الكاملة،٩١/٨،الأسئلة والأجوبة الأصولية للسلمان٥١، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين٢٣ والتنبيهات السنية للرشيد٢٣.

(٢) مختصر الصواعق للموصلي٨٧٩/٣

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٢٣٠/١

ويقول الشيخ ابن عثيمين ـــــ / ـــــ وهو يبين كيفية الإيمان بأسماء الله الحسنى:((إذا كان الاسم متعديا فتمام الإيمان به إثبات الاسم،وإثبات الصفة التي تضمنها، وإثبات الأثر الذي ترتب عليه. مثل: الرحيم فتثبت الاسم وهو الرحيم،والصفة وهي الرحمة،والأثر وهو أنه سبحانه يرحم بهذه الرحمة [1]...)). [2]
وقال في موضع آخر وهو يمثل باسم الله (الرحمن):((... مثال ذلك في المتعدي ـــــ أي من أسماء الله ـــــ : الرحمن فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسما من أسماء الله دالا على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة، وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء ...))[3] .

وعلماء سلف الأمة حينما أَوْلَوُا هذه المسألة عنايتهم واهتمامهم،فهم مع تقريرهم لها استنادا على ما جاء في الكتاب والسنة: من وجوب الإيمان بها، وإثباتها؛ فهم في الوقت نفسه يردون على من أنكر ذلك من الفرق الضالة كالجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن عطل هذه الأسماء عن أوصافها ومعانيها يقول ابن القيم -/- :((...وكل اسم من أسمائه -سبحانه- له صفة خاصة ؛فإن أسماءه أوصاف مدح وكمال،وكل صفة لها مقتض وفعل : إما لازم،وإما متعدٍ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه،وهذا في خلقه،وأمره،وثوابه، وعقابه، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها. ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال عن المفعولات،كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله، وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته. وإذا كانت

---

(١) وتمام كلامه (وإن كان الاسم لازما فتمام الإيمان به إثباته وإثبات الصفة التي تضمنها مثل: الحي تثبت الاسم وهو الحي والصفة وهي الحياة .تعليقات على الواسطية ٢٦٣/٤

(٢) تعليقات على العقيدة الواسطية ضمن مجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين٢٦٣/٤
(٣) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ٢٣

أوصافه صفات كمال، وأفعاله حكما ومصالح، وأسماؤه حسنى؛ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه »[١]

وسبق أن ذُكر قول الشيخ ابن سعدي في الرد على من نفى شيئا من أحكام أسماء الله الحسنى وذلك عند قوله:« .. فإن الله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وأحكام تلك الصفات؛فمن أثبت شيئا منها ونفى الآخر،كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضا مبطلا»[٢].

هذا ما تيسر ذكره في هذا المطلب وسيُذكر لاحقا شيئ من آثار رحمة الله في مخلوقاته الواردة في الكتاب والسنة بنوع من التفصيل سائلين الله العون والتسديد والله أعلم.

المطلب الخامس

ما جاء في تسمية الله بــ ((أرحم الراحمين وخير الراحمين))

من أسماء الله الحسنى التي يدعى الله بها، ويمجد بها، ويقدس: الأسماء المضافة،ومن هذه الأسماء ما له علاقة بصفة الرحمة كاسمه تعالى (أرحم الراحمين) و(خير الراحمين) و(ذو الرحمة الواسعة)و(ذو الرحمة)،وبما أنه قد وقع في عدِّ هذه الأسماء ضمن أسماء الله الحسنى خلاف بين أهل العلم[٣] فسأكتفي بذكر قول من قال بثبوتها

(١) مدارج السالكين لابن القيم١/٤٥٠

(٢) تيسير اللطيف المنان لعبدالرحمن السعدي٨/١٨٠

(٣) انظر اختلاف العلماء في عدها ضمن الأسماء الحسنى ، كتاب الأسماء الحسنى، لعبدالله

دون الخوض في خلاف أهل العلم سائرا في ذلك حسب المسائل التالية :

المسألة الأولى : المراد بالأسماء المضافة:

ذهب بعض الباحثين إلى أن المراد بالأسماء المضافة : هي أسماء الله التي تطلق عليه بصيغة الإضافة مما يفيد اختصاصه سبحانه وتعالى بما دل عليه الاسم، أو تفضيله على غيره [(١)]

ومن الأمثلة التوضيحية لهذا التعريف ما يلي ذكره من أنواع الإضافة :

« فأما إضافة اسم إلى اسم آخر فقد يكون :

إضافة اسم إلى اسم مثل : رب العالمين.

أو إضافة اسم الفاعل إلى اسم مثل : مقلب القلوب .

أو إضافة اسم الفاعل إلى جملة اسمية مثل : مالك يوم الدين .

أو إضافة أفعل التفضيل إلى اسم مثل : أرحم الراحمين.

أو إضافة ذو التي بمعنى صاحب إلى اسم مثل : ذو الرحمة الواسعة .

ومن أمثلة اختصاصه بما دل عليه الاسم من معنى: كرب العالمين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه.

ومن أمثلة تفضيله على غيره فمثل : أرحم الراحمين ..»[(٢)]

المسألة الثانية:ذكر أقوال من أثبت الأسماء المضافة لله تعالى :

عند الرجوع لأقوال العلماء لمعرفة موقفهم من الأسماء المضافة،وهل هي من أسماء الله الحسنى؟أم أنها ليست منها؟ فقد تقدمت الإشارة إلى وجود خلاف في ذلك،

الغصن ص ٣٣١ـــــ ٣٦٢، ومقال رحمة الله بخلقه في القرآن الكريم ،محمد بن سريع السريع،مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد(٥٥)، رحب،عام ١٤٢٧هـــ ٢٣٠/١

(١) رسالة جهود شيخ الإسلام في توضيح المسائل الكلية للأسماء والصفات عند السلف، بحث غير منشور للباحث ذياب العلوي ص٣٩٦

(٢) المرجع السابق ٣٦٦

ولكن هناك جمع من العلماء الأجلاء في القديم والحديث ذهبوا إلى اعتبار الأسماء المضافة من أسماء الله الحسنى ، لما فيها من دلالة على ذات الله تعالى المقدسة؛مع ما تتضمنه من صفات الكمال المطلق لله عز وجل لذا سنذكر أقوالهم في هذا لاسيَّما الأقوال التي نصت على الأسماء المضافة المتعلقة بصفة الرحمة فإلى بيان ذلك:

١- فمن العلماء الذين ذكروا أسماء (أرحم الراحمين،و وخير الراحمين،و ذو الرحمة الواسعة) ضمن أسماء الله الحسنى :الإمام الحافظ ابن منده ـــــ / ـــــ حيث عقد فصلا في كتابه التوحيد بعنوان((من أسماء الله عز وجل : المضافة إلى صفاته، وأفعاله)) وذكر تحت هذا الفصل عددا من أسماء الله المضافة مثل : (ذو القوة المتين، وذو العرش المجيد، وذو الرحمة الواسعة)[(١)]، وفي موضع آخر ذكر (رب العرش العظيم، وخير الراحمين، وأرحم الراحمين)[(٢)]

٢- وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني ـــــ / ـــــ : « ومن أسمائه : خير الفاتحين، وخير الراحمين، وخير الغافرين، وأرحم الراحمين .. وقال وكل هذه أسماء ممنوعة لا تكون إلا لله عز وجل ».[(٣)]

٣- وممن ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ/ ـــــ حيث عدها من أسماء الله الحسنى وأنه قد ثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين فقد قال : « وكذلك أسماؤه المضافة مثل : أرحم الراحمين، وخير الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، و أحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه،ومقلب

---

(١) كتاب التوحيد لابن منده ٢٠٣/٢

(٢) المصدر نفسه٢٠٤/٢

(٣) الحجة في بيان المحجة وقال شيخنا د/ محمد بن ربيع مدخلي محقق كتاب الحجة تعليقا على كلام الإمام الأصبهاني السابق:لأن هذه أسماء قرنت بالتفضيل باسم التفضيل الصريح مثل أرحم الراحمين،أو بالتفضيل بخير مثل خير الراحمين .انظر الحجة في بيان المحجة، ١٥٣/١،حاشية رقم(٦).

القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة وثبت الدعاء بها[١] بإجماع المسلمين»[٢].

٤ـــ وممن ذكر الأسماء المضافة المتعلقة بصفة الرحمة ضمن أسماء الله الحسنى ابن الوزير[٣] في كتابه إيثار الحق على الخلق فقد قال: «فلنذكر هنا ما وجدناه منصوصا من الأسماء في كتاب الله باليقين من غير تقليد؛فإنها أصح الأسماء،وأحبها إلى الله تعالى حيث اختارها في أفضل كتبه لأفضل أنبيائه ...ثم قال: وهي هذه وهو الاعتقاد متى سأل عنه سائل؟ هو الله لا إله إلا هو الإله، الصمد، الواحد، الأحد، الرحمن، الرحيم، ذو الرحمة الواسعة.أرحم الراحمين، وخير الراحمين» [٤]

٥ـــ وذهب القنوجي[٥] إلى جواز إطلاقها على الله عز وجل لاسيما إذا قيدت بقيود تدل على أنها لا يمكن إطلاقها إلا على الله حيث ذكر في تقسيمه لأسماء الله أن منها ما يجوز إطلاقه على غير الله،ومنها ما لا يجوز فيه ذلك، وقال:« والثاني ـــ أي الذي لا يجوز إطلاقه على غير الله ـــ كقولنا :الله ،الرحمن إذ قيدت بقيود مخصوصة صارت بحيث لا يمكن إطلاقها إلا في حق الله تعالى كقولنا: يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين»[٦]

---

(١) في الأصل وثبت في الدعاء بها

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية٢٢/٢٨٤.

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، أبو عبدالله، من آل الوزير، من علماء اليمن، توفي سنة٨٤٠هـ من مؤلفاته: إيثار الحق على الخلق،والروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، وترجيح أساليب القرآن على قوانين المبتدعة واليونان وجميعها مطبوعة.انظر: الأعلام للزركلي٥/٣٠٠

(٤) إثار الحق على الخلق لابن الوزير١٥٩

(٥) هو نور الحسن بن العلامة محمد صديق حسن خان، هندي له مصنفات منها: الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات،والغنة ببشارة الجنة لأهل السنة،توفي سنة١٣٣٦هـــ الأعلام٨/٥١

(٦) الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات لنور الحسن القنوجي ص٢٥وما بعدها

هذا مما وقفت عليه من أقوال أهل العلم في عدهم لهذه الأسماء المضافة ضمن أسماء الله الحسنى ، ولعل تأمل أدلة هذه الأسماء المضافة والتي لها علاقة بصفة الرحمة يظهر لنا مدى صحة إضافتها إلى الله عز وجل مما يعين على ترجيح القول الحق فيها فإلى ذكر الأدلة في المسألة التالية.

المسألة الثالثة: ذكر الأدلة على الأسماء المضافة والتي لها علاقة بصفة الرحمة

أ ـــــ (أرحم الراحمين): جاء ذكر هذا الاسم في كتاب الله تعالى وفي سنة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام :

ـــــ **وروده في القرآن الكريم** : ورد ذكره في كتاب الله في أربعة مواضع :

١ـــ قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (١)

٢- قوله تعالى:﴿ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٢)

٣- وقوله تعالى:﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(٣)

٤ـــــ وقوله تعالى:﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٤)

ورود اسم الله (أرحم الراحمين) في السنة : جاء ذكره في عدة أحاديث منها:

(١) سورة الأعراف:آية رقم١٥١

(٢) سورة يوسف:آية رقم٦٤

(٣) سورة يوسف:آية رقم٩٢

(٤) سورة الأنبياء،آية ٨٣

١- عن أبي سعيد الخدري ــــ ط ــــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« يوم القيامة يشفع النبيون، والملائكة، ويشفع المؤمنون، ويبقى أرحم الراحمين قال: فيقبض قبضة، أو قبضتين من النار خلقا كثيرا لم يعملوا خيرا... » [١]

٢- وجاء عند الإمام مسلم أيضا في حديث طويل من رواية أبي سعيد ــــ ط ــــ عن النبي ــــ > ــــ وفيه«فيقول الله ــــ لأ ــــ شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ... » [٢]

٣- ومنها ما رواه ابن خزيمة -/- في كتاب التوحيد بسنده عن أبي بكر الصديق ــــ ط ــــ عن النبي -> - وفيه:« ... قال: يقول الله تبارك وتعالى: أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بالله شيئا. قال :فيدخلون الجنة » [٣]

٤ــــ وعن أبي هريرة ــــ ط ــــ قال : كان رجل من الأنصار عند النبي – >- ومعه صبي له فجعل يضم إليه صبيَّه فقال:« أترحمه »، فقال: نعم يا رسول الله.فقال:«الله أرحم منك وهو أرحم الراحمين »[٤]

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة،حديث رقم ٥٣٩،ج١/ص٣٦٨ ،وهو عند البخاري، كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٤٣٩، الفتح ج١٣،ص٤٢٠

(٢) أخرجه الإمام مسلم ،كتاب الإيمان،باب شفعت الملائكة،حديث رقم ٣٠٢، ج٣، ص٤٠٤

(٣) أخرجه ابن خزيمة،التوحيد٧٣٥/٢،رقم٤٦٨،والإمام أحمد في مسنده،٢٠/١،رقم١٥،وابن أبي عاصم في السنة، ١/ ٥٠٧برقم ٧٦٩مختصرا، ورواه مطولا في ٥٤٩/١ورقم٨٣٣ وقال محقق كتاب السنة لابن أبي عاصم ،د/ باسم الجوابرة :إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، السنة ٥٠٧/١

(٤) رواه ابن منده في كتاب التوحيد ٢٠٥/٢ورقم ٣٦٥ ،ورواه البخاري في الأدب المفرد بلفظ فيه اختلاف في نهايته حيث قال:(فالله أرحم بك، منك به، وهو أرحم الراحمين) قال عنه الألباني رحمه الله صحيح الإسناد انظر: صحيح الأدب المفرد،حديث٣٧٧،ص١٥٠

ب ـــــ (خير الراحمين) ورد ذكر هذا الاسم في القرآن في موضعين من سورة المؤمنون وهما:

١- قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(١)

٢- وقوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(٢) .

المسألة الرابعة الترجيح: في مسألة الأسماء المضافة السابقة (أرحم الراحمين،وخير الراحمين،وذو رحمة واسعة و ذو الرحمة) المتعلقة بصفة الرحمة وهل هي من أسماء الله الحسنى أم لا ؟

بعد استعراض النصوص الواردة فيها وأقوال أهل العلم الذين قالوا باعتبارها من أسماء الله الحسنى فالذي يُرجح –والعلم عند الله– صحة إطلاقها على الله سبحانه وتعالى وذلك **للأسباب التالية** :

أولا/ لصراحة دلالة نصوص الكتاب والسنة السابقة على صحة إطلاقها على الله عز وجل وهذا وحده يكفي ويغني عن غيره من الأسباب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –/–:« المدلول إذا كان وجوده مستلزما لوجود دليله؛ كان انتفاء دليله دليلا على انتفائه، أما إذا أمكن وجوده، وأمكن أن لا نعلم نحن دليل ثبوته، لم يكن عدم علمنا بدليل وجوده دليلا على عدمه،فأسماء الله وصفاته إذا لم يكن عندنا ما يدلنا عليها لم يكن ذلك مستلزما لانتفائها، إذ ليس في الشرع، ولا في العقل ما يدل على أنا لا بد أن نعلم كل ما هو ثابت له تعالى » (٣)

بل دلَّ الدليل على أن أسماء الله لا حصر لها؛فلا يستطيع أحد من البشر كائنا من

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم١٠٩

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ١١٨

(٣) الفتاوى ،ابن تيمية،٥٧٣/٧ ـــــ ٥٧٤

كان معرفتها كلها؛لأن من الأسماء ما لا يعلمها إلا الله فقد استأثر الله بعلمه بها[(١)] [(٢)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –/- :« والله في القرآن قال ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [(٣)]فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقا و لم يقل:ليست أسماؤه الحسنى إلا تسعة وتسعين اسما »[(٤)]

ثانيا/ ومما يدل على أنها أسماء لله تعالى أنه ثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين فهي أسماء في باب الدعاء فيجوز أن تقول: يا أرحم الراحمين، ياخير الراحمين، وياذا الرحمة، وياذا الرحمة الواسعة، فلوكانت صفات ما جاز مناداة الله بها فالصفات لاتدعى فلايقال: يارحمة الله،بل عد شيخ الإسلام ابن تيمية داعاء الصفة من الشرك كما يأتي بيانه بإذن الله في هذه الرسالة

ثالثا/ ومما يؤكد ذلك أيضا: أنها أسماء في باب الذكر، وفي باب الثناء، والخبر فيخبر بها عن الله عز وجل كما ورد في الكتاب والسنة

رابعا/ وكذلك هذه الأسماء المضافة المتعلقة بصفة الرحمة تدخل في الشروط والضوابط التي ذكرها العلماء في الأسماء الحسنى التي تصلح بأن يسمى الله بها من ناحية ورودها في الكتاب والسنة، وأنها تقتضي المدح والثناء بنفسها .

يقول ابن تيمية –/- :« الأسماء الحسنى المعروفة : هي التي يُدعى الله بها، وهي التي

---

(١) انظر:الفتاوى لابن تيمية٢٢/٢٨٢ـــــ ٢٨٥، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ،للشيخ عبدالله الغنيمان٢/٤٠٧،والأسماء الحسنى للغصن ص١٧٥

(٢) يدل على هذا حديث :١ــ ما جاء في من أصابه هم عند الأمام أحمد في المسند ١/٣٩١ وفيه (أسألك بكل اسم هو لك ...أو استأثرت به في علم الغيب عند...) ٢ــ وما كان يقوله ــــ > ــــ في سجوده عند الإمام مسلم في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود.وفيه(لا أحصي ثناء عليك ..)

(٣) سورة الأعراف،آية:١٨٠

(٤) الفتاوى لابن تيمية٢٢/٢٨٥

جاءت في الكتاب والسنة،وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها. والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي بنفسها صفات مدح، والأسماء الدالة عليها أسماء مدح»[١]

وقال محمد بن المرتضى اليماني -/-:« وميزان الأسماء الحسنى يدور على المدح بالملك والاستقلال ،وما يعود إلى هذا المعنى، وعلى المدح بالحمد والثناء،وما يعود إلى ذلك، وكل اسم دل على هذين الأمرين فهو صالح دخوله فيها »[٢]

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي -/- في ضابط الاسم :«وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة » [٣] .

وبهذا يتضح أنه يصح إطلاق هذه الأسماء المضافة والمتعلقة بصفة الرحمة على الله سبحانه وتعالى والله أعلم بالصواب وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١) شرح الأصبهانية لابن تيمية ص٩

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير،١٧٤

(٣) تيسير الكريم الرحمن ١٢٠/٣

المطلب السادس

ما جاء في تسمية الله (ذو رحمة واسعة وذو الرحمة)

من الأسماء المضافة والتي تدل على إثبات صفة الرحمة لله تعالى إسما الله تبارك وتعالى(ذو رحمة واسعة وذوالرحمة) وقد سبق بيان أقوال العلماء في إثباتها وأسباب ترجيحها في المطلب السابق مما يغني عن إعادتها هاهنا، وفي هذا المطلب سأكتفي بذكر نوع الإضافة في الاسمين المذكورين والإدلة عليهما من كتاب الله :

أولا: نوع الإضافة في (ذو الرحمة الواسعة وذو الرحمة)

الإضافة فيهما هي من باب إضافة صفاته تعالى القائمة به كقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[١] وقوله تعالى :﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٢] فالرحمة والجلال والإكرام والقوة كلها صفات مختصة به تعالى، دالة على عظمته وكماله سبحانه، بخلاف الإضافة في قوله تعالى:﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[٣] فإنها من باب إضافة المخلوق إلى خالقه على وجه التشريف[٤]

ثانيا: الأدلة على الاسمين الكريمين:

- (ذو رحمة واسعة)

ورد هذا الاسم في القرآن في موضع واحد من سورة الأنعام وهو قوله تعالى:﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٥]

- (ذو الرحمة)

---

(١) سورة الرحمن، آية ٢٧

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٨

(٣) سورة البروج، آية ١٥

(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنى لعبدالرزاق البدر ٣٢٨

(٥) سورة الأنعام، آية ١٤٧

ورد هذا الاسم في موضعين من كتاب الله تعالى:

١- في قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾(١)

٢- ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٣٣

(٢) سورة الكهف، آية ٥٨

المبحث الثاني

المسائل العقدية المتعلقة باسمي الله(الرحمن الرحيم)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المسائل العقدية المشتركة بين الاسمين (الرحمن الرحيم).

المطلب الثاني: المسائل العقدية الخاصة باسمه تعالى (الرحمن) .

المطلب الثالث: المسائل العقدية الخاصة باسمه تعالى (الرحيم)

المطلب الأول

المسائل العقدية المشتركة بين الاسمين (الرحمن الرحيم)

وفيه خمس مسائل :

المسألة الأولى: ذكر أسماء الله الحسنى المقاربة لاسمي الله(الرحمن الرحيم)في المعنى .

المسألة الثانية: دلالات اقتران الاسمين (الرحمن الرحيم)والأدلة على ذلك

المسألة الثالثة: دلالات ختم الآيات بالاسمين الكريمين (الرحمن الرحيم).

المسألة الرابعة: دعاء الله تعالى باسميه (الرحمن الرحيم)والأدلة على ذلك .

المسألة الخامسة : حكم تسمية المخلوق بالرحمن الرحيم.

المسألة الأولى

ذكر أسماء الله الحسنى المقاربة لاسمي الله (الرحمن الرحيم) في المعنى

ذكر أهل العلم [١]جملة من أسماء الله الحسنى بينها وبين اسمي الجلالة(الرحمن الرحيم) قرب في المعنى فمن ذلك :

أولا: اسم الجلالة (الرؤوف)

من أدلة ثبوته لله تعالى :

ورد اسم الله(الرؤوف) في القرآن في عشرة مواضع في كل منها يختم الله به الآية التي ورد فيها حيث أنه لم يرد في أثناء الآيات مطلقاً،وأكثر وروده في السور المدنية مقرونا باسم الله(الرحيم)[٢]ومن هذه المواضع التي ورد فيها:

١- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [٣]

٢- وقوله تعالى:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [٤]

٣- وقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[٥]

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية٥٣٣/١،وتفسير السعدي،٦٢١/٥ــــ ٦٢٢،وشرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة،للقحطاني ١٤٩ــــ١٥٢

(٢) انظر : مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،عدد ٥٥١،رجب،عام ١٤٢٧هــ،ج١ بحث رحمة الله بخلقه في القرآن،محمد السريع ص٢٢٨،النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى،محمد الحمود النجدي ص٤٥٢

(٣) سورة البقرة،آية،١٤٣

(٤) سورة آل عمران آية ٣٠

(٥) سورة الحديد،آية رقم ٩

معناه في اللغة :يقول ابن فارس -/-:«رَأَفَ: الرأء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على رقة ورحمة ». [(١)]

وقال في لسان العرب:«رأف: الرأفة الرحمة. وقيل: أشدُّ الرحمة » [(٢)]

و(الرأفة): كما يقول إمام المفسرين ابن جرير -/-:«أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا،ولبعضهم في الآخرة » [(٣)]

وقال كعب بن مالك الأنصاري [(٤)]ـــــ رضي الله عنه ـــــ:

نُطِيعُ نبيَّنا ونطيع ربَّاً هو الرحمن كان بِنا رؤوفاً[(٥)]

معناه المضاف إلى الله جل جلاله:

الرؤوف من أسمائه -تبارك وتعالى- معناه:كما يقول ابن جرير الطبري -/- عند تفسيره لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [(٦)]: أي((أن الله بجميع عباده ذو رأفة.والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا،ولبعضهم في الآخرة)) [(٧)]

وقال قوام السنة ـــــ /ـــــ:((الرؤوف :وهو فعول من الرأفة. وقيل: الرأفة أبلغ

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ص٤١٥.

(٢) لسان العرب لابن منظور١١٢/٩،وذكر هذا المعنى البغوي في التفسير،١٦١/١

(٣) تفسير الطبري٢١/٢

(٤) هو كعب بن مالك بن أبي مالك عمرو بن القَيْن الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ـــــ > ـــــ وصاحبه ـــــ ط ـــــ وأحد الثلاثة الذين خُلِّفُوا، فتاب الله عليهم،قال ابن كثيرـــ / ـــــ عنه :(شاعر الإسلام فأسلم قديما،وشهد العقبة) قيل :توفي ٥٠هـــ ،وقيل٥١:هـــ. انظر : السير،٥٢٣/٢،البداية والنهاية،٤٣٨/٨

(٥) لسان العرب١١٢/٩، ومقاييس اللغة٤١٥

(٦) سورة البقرة،آية،١٤٣

(٧) تفسير الطبري٢١/٢

الرحمة وأرقها)) (١)

وقال ابن الأثير -/- في بيان معناه كذلك:«في أسماء الله الرؤوف :وهو الرحيم بعباده، العطوف عليهم. والرأفة أرق من الرحمة» (٢)

الفرق بين الرأفة والرحمة:

مما تطرَّق إليه العلماء: مسألة التفريق بين الرأفة والرحمة؛لذا فقد جاءت أقوالهم فيها مختلفة. وملخص ما وقفت عليه من أقوالهم ما يلي:

ـــــ من أهل العلم من يذهب إلى أن الرأفة والرحمة بمعنى واحد، وأنه لا فرق بينهما،وممن نقل ذلك الزجاج؛ فقد قال: « يقال: إن الرأفة والرحمة واحد ».(٣)

وقال في لسان العرب :«الرأفة :الرحمة» (٤)

ـــــ ومن أهل العلم من ذهب إلى التفريق بين الرأفة والرحمة ومن الفروق التي ذكروها بين الرأفة والرحمة :

١- أن الرأفة أخص، والرحمة أعم.(٥)

٢- أن الرأفة أرق من الرحمة، ولا تكاد تقع في الكراهة،والرحمة قد تقع في الكراهة.(٦)

٣- أن الرأفة هي أشد الرحمة،وذلك أن الرأفة هي المترلة الثانية.يقال: فلان رحيم فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوف.(٧)

ثانيا:اسم الجلالة (البر):

---

(١) الحجة في بيان المحجة١/١٦١

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٢/١٧٦

(٣) تفسير أسماء الله للزجاج٦٢

(٤) السان العرب٩/١١٢

(٥) انظر : الحجة في بيان المحجة١/١٦١،ولسان العرب ٩/١١٢

(٦) النهاية لابن الأثير ٢/١٧٦،ولسان العرب ٩/١١٢

(٧) تفسير أسماء الله للزجاج٦٢،ولسان العرب ٩/١١٢

من أدلة ثبوته لله تعالى :

اسم الله تعالى(البَرُّ) لم يرد إلا مرة واحدة في كتاب الله -عز وجل-ـــ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١)

معناه في اللغة: البرُّ يطلق ويراد به معانٍ عدة :

ـــــ يطلق ويراد به الصدق، والبَرُّ الصادق، ويقال: بَرَّتْ يمينُه أي صدقت،وأَبَرَّها: أي أمضاها على الصدق (٢)

ـــــ ويأتي البر بمعنى الطاعة والصلاح يقال: بَرَّ يبر إذا صَلَحَ ،وبَرَّ فلان ربَّه أي أطاعه

ويقال: بررت والديَّ أبرُّهما، وهو رجل برٌّ بوالديه، وذلك إذا أطاعهما.(٣)

ـــــ ويأتي البر بمعنى:العطف (٤)

معناه المضاف إلى الله أ :

قال بن جرير -/- في تفسير قوله تعالى:(إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ)أي : اللطيف بعباده واستشهد على ذلك بالتفسير المأثور عن ابن عباس ـــــ **ب** ـــــ أنه قال في معنى (البر) أي: اللطيف.(٥)

وقال ابن منده -/-:« قال الحسن(٦):(بار) بعباده محسن إليهم لا ينقطع بره

---

(١) سورة الطور،آية ٢٨

(٢) انظر: لسان العرب ٥٢/٤

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٦١،و لسان العرب٥٢/٤

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة١٥٠/١،ولسان العرب٥٢/٤

(٥) انظر:جامع البيان ٤٩٣/١١وتفسير ابن عباس ـــــ رضي الله عنهماـــــ ذكره البخاري تعليقا في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الطور ،الفتح ٦٠١/٨ وفي كتاب التوحيد أيضا ٣٧٧/١٣وقال ابن حجر: وقد وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به انظر : الفتح ٦٠٢/٨

(٦) لعله الحسن البصري رحمه الله

وإحسانه»[(١)]

ومن أقوال أهل العلم في بيان معناه قولهم: البَرُّ من أسماء الله :هو العطوف على عباده المحسن إليهم الرحيم.

وقالوا : الله تعالى بر بخلقه في معنى :أنه يحسن إليهم، ويصلح أحوالهم [(٢)]

ويقول ابن القيم -/-: «ومن أسمائه (البر) وهذا البر من سيده كان عن كمال غناه، وكمال فقر العبد إليه»[(٣)]

ويقول أيضا في النونية:

والبَرُّ في أوصـــــــافه سبـــــــحانـــــــه هو كثرة الخيرات والإحسان

صدرت عن البر الذي هو وصفه فالبر حـــــــينئذ نوعـــــــان

وصف وفعل، فهو بر محســـــــن مُولي الجميل ودائم الإحسان [(٤)]

وبهذه الأقوال النيرات من علماء الإسلام ــــــ عليهم رحمة الله ــــــ يظهر جليا معنى هذا الاسم الجليل من أسمائه سبحانه وتعالى، وأن البَرَّ: هو الموصوف بالبر، وهو كثرة الخير والإحسان،فالبر وصفه -سبحانه- ،وآثار هذا الوصف جميع

---

(١) كتاب التوحيد لابن منده٢/٩١

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/١٥٠،والنهاية لابن لأثير ١/١١٦،تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج٦١

(٣) مدارج السالكين ١/٢٢٧

(٤) شرح النونية محمد خليل هراس٢/١٠٧

النعم الظاهرة و الباطنة فلا يستغنى مخلوق عن أحسانه وبره طرفة عين. (١)

ثالثا: اسم الجلالة (الوهاب):

من أدلة ثبوته لله تعالى :

١- قال الله تعالى:﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٢)

٢- قال الله تعالى:﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ (٣)

٣- قال الله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٤)

معناه في اللغة :الوَهَّاب : هو فَعَّال من قولك : وهَبْتُ ،أَهَبُ، هِبَةً.
والهبة : العطية وتمليك الشيء من غير مقابل،فإذا كَثُرَتْ من صاحبها سُـمِّيَ وهابا ،وفعال في كلام العرب للمبالغة، والله تعالى وَهَّاب الهبات كلِّها (٥)

معناه المضاف إلى الله أ :

الوهاب الكثير الهبة والعطية، والله –سبحانه وتعالى–وَهَّاب يهب لعباده واحدا بعد واحد ويعطيهم، فجاءت الصفة على (فَعَّال) لكثرة ذلك. (٦)
فالوهاب مبالغة من واهب، وهو الكثير الهبات والعطايا؛فما من نعمة بالعباد:دينية أو دنيوية، ظاهرة أو باطنة، عامة أو خاصة إلا وهي هبة من هباته، وعطية من

---

(١) انظر: الحق الواضح المبين ص،٤٤،شرح القصيدة النونية لهراس١٠٨/٢

(٢) سورة آل عمرن، آية ٨

(٣) سورة :ص، آية ٩

(٤) سورة :ص، آية ٣٥

(٥) انظر : اشتقاق أسماء الله ١٢٦،تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٣٨، النهاية لابن الأثير ٢٣١/٥

(٦) انظر : اشتقاق أسماء الله ص ١٢٦

عطاياه،فهو ـــ جلت عظمته وتقدست أسماؤه ـــ الذي وهب الهداية للمهتدي،وهو الذي وهب العلم للعلماء، والحكمة للحكماء،والمال للأغنياء، والولد لمن شاء. [١]

يقول ابن القيم -/- في هذا المعنى:

وكـــــــذلـــــك الـــــــوهـــــــــاب مـــــــن أســـــمـــــــــائـــــــــه فانظر مواهبه مدى الأزمان

أهل السماوات العلى والأرض عن تلك المواهب ليس ينفكان [٢]

المسألة الثانية

دلالات اقتران الاسمين (الرحمن الرحيم) والأدلة على ذلك

١- الأدلة

سبقت الإشارة عند ذكر أدلة ثبوت الاسمين (الرحمن الرحيم) لله -سبحانه- أن هذين الاسمين قد وردا في كتاب الله مقترنين في ستة مواضع. فمن ذلك:

أ ـــ قال تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [٣]

ب ـــ وقال تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٤]

٢- من دلالات اقترانهما :

لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة بهذين الاسمين مقترنين وذلك بأن يذكرا في النص الواحد جميعا.وكتاب الله -جل وعلا- وسنة نبيه ->- مترهان عن الباطل وحفظهما الله منه؛ لذا فإن هذا الاقتران بين الاسمين (الرحمن الرحيم)

(١) انظر: شرح القصيدة النونية لهراس،١٠٨/٢،فقه الأسماء الحسنى ١١٩.

(٢) شرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس١٠٨/٢

(٣)سورة الفاتحة، الآيتان٢،٣

(٤) سورة البقرة،الآية ١٦٣

الوارد فيهما لا بد أن يكون له دلالات عظيمة، وحكم جليلة؛ يوفق الله من شاء من عباده للوقوف عليها، ويفتح قلوبهم لها، ويصرف عنها من شاء -سبحانه-، وممن وفقهم الله لدلالات اقتران اسمي الله (الرحمن الرحيم)أهل السنة والجماعة؛ لذا كان مما قرروه **ونصوا عليه في هذه المسألة ما يلي:**

أولا : أن كل اسم من أسماء الله -جل وعلا- يتضمن صفة كمال تُثْبَت لله تعالى، فإذا اقترن باسم آخر من أسمائه الحسنى كان له سبحانه ثناء من كل اسم منهما باعتبار انفراده، وثناء من اجتماعهما،وذلك قدر زائد على مفرديهما[(١)]

يقول الشيخ ابن عثيمين -/-ـــ وهو يقرر أن أسماء الله كلها حسنى:«والحسن في أسماء الله -تعالى- يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال » [(٢)]

ثانيا: ما قاله ابن القيم -/- وهو يبين دلالة من دلالات اقتران الرحمن الرحيم : «وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى ... وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته،وإذا أردت فهم هذا، فتأمل قوله ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)﴾ [(٣)] وقوله ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٤)].ولم يجيء قط (رحمن بهم) فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب،وإن تنفست عندها مرآة قلبك، لم ينجل لك صورتها » [(٥)]

---

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى عبدالرزاق البدر ص ٤١

(٢) القواعد المثلى ٣/٢٧٠

(٣) سورة الأحزاب ٤٣

(٤) سورة التوبة ١١٧

(٥) بدائع الفوائد١/٢٧ــــ ٢٨

المسألة الثالثة

دلالات ختم الآيات بالاسمين الكريمين (الرحمن الرحيم).

أهمية العلم بدلالات ختم الآيات بأسماء الله الحسنى:

عند تلاوة كتاب الله -عز وجل- يجد القارئ كثيرا من الآيات قد ختمت بأسماء الله الحسنى، ومما لاشك فيه أن هذا الأسلوب القرآني الحكيم له دلالات ومناسبات عظيمة؛ بل إن تدبر هذه الدلالات من تدبر الآيات الذي أمرنا الله به في كتابه يقول ـ عز شأنه ـ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1]

ويقول سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]

و العلم بهذا النوع من العلوم معدود عند أهل العلم أنه من أجل العلوم وأشرف المعارف؛ لما يترتب عليه من معرفة الله تعالى ومعرفة أحكامه[3]

(١) سورة النساء،آية ٨٢

(٢) سورة محمد،آية ٢٤

(٣) انظر : بدائع الفوائد١/١٧٧، وفقه الأسماء الحسنى ٢٣١

وملاحظة العبد لختم الآيات في القرآن بالأسماء والصفات ينفعه ذلك في باب الدعاء والتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته؛ فيأخذ منها ما يناسب حاجته ومطلوبه فيدعو به امتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (١)

ومما يؤكد أهمية العلم بدلالات ختم الآيات بأسماء الله الحسنى أن هذه الأسماء تدل على معانٍ عظيمة من أهمها: دلالتها على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه الحسنى ومرتبط بها (٢)

لهذه الأهمية وغيرها أرادت أن أقف على بعض دلالات ختم الآيات باسمي الجلالة (الرحمن الرحيم) وسأقتصر في هذه المسألة على الآيات التي ختمت بالاسمين معا، وذلك لأن اسم الرحمن لم يرد في ختام الآيات إلا مقترنا باسم الله الرحيم، وأما اسم الله الرحيم جاء في ختام الآيات كثيرا ولكنه يأتي مع غيره من أسماء الله الحسنى وسأرجئ الحديث عن دلالاتها حتى يأتي موضعه ــــ بإذن الله ــــ من هذه الرسالة .

من دلالات ختم الآيات بالاسمين الكريمين (الرحمن الرحيم):

جاء ختم الآيات بالاسمين (الرحمن الرحيم) في ستة مواضع من كتاب الله –عز وجل– وكل موضع وردا فيه لا بد أن تكون له دلالة ومناسبة، فقد تظهر للمتأمل وقد لا تظهر؛ لذا سأستعرض بعض هذه المواضع محاولا استجلاء ما تتضمنه من دلالات فيقول وبالله التوفيق :

أــــ قوله تعالى:﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾(٣)

معناها: بسم الله: الباء للاستعانة :أي باسم الله أقرأ، مستعينا به، ومتيمنا،

---

(١) سورة الأعراف،آية ١٨٠

(٢) القواعد الحسان ضمن مجموعة السعدي ٨/٥٤

(٣) سورة الفاتحة،آية: رقم١

ومتبركا،و(اسم) مفرد أضيف إلى لفظ الجلالة (الله) وهو معرفة، فاستفاد العموم، فيعم جميع أسماء الله الحسنى، والمعنى بكل اسم من أسماء الله عز وجل.و(الله) أي ذو االألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وهو علم على الرب تبارك وتعالى خاص به، ولا يجوز أن يسمى به غيره وهو أصل أسماء الله الحسنى دال عليها جميعا،وعلى صفاته العليا.(١)

الرحمن الرحيم : قد سبق بيان معناهما فلا داعي لإعادته.

من دلالات ختم البسملة باسمي الجلالة الرحمن الرحيم :

١- تقديم أسلوب الترهيب الذي يؤخذ من لفظ الجلالة(الله) لما فيه من دلالة على عظمة الله وقهره،وختمه بأسلوب الترغيب الذي يؤخذ من قوله(الرحمن الرحيم) لما فيه من دلالة على فضل الله وإحسانه في البسملة، وفيه دلالة على أنه تعالى ذو رحمة واسعة، وأن رحمته غلبت غضبه ويؤكد ذلك تكرار (الرحمن الرحيم) في البسملة والفاتحة،وهذا كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴾(٣) وهذا وغيره مما يبعث في قلب المؤمن الطمأنينة ،فيلهج بالحمد والثناء لربه الرحمن الرحيم(٤)

---

(١) تفسير الطبري، ١/ ٨٠ ــــــ٨٣،وتفسير القرآن العظيم ١/٩٤ــــ ٩٩،وتفسير السعدي١/٣٣، واللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة ص٨٨

(٢) سورة الأعراف، آية ١٦٧

(٣) سورة الأحزاب، آية ٧٣

(٤) انظر :القواعد الحسان لتفسير القرآن ٨/ ٦٢،وأسماء الله الحسنى،لعبدالله الغصن ص١٠٥، اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة والفاتحة ص١٧١،ومقال رحمة الله بخلقه في القرآن، مجلة جامعة الإمام،عدد٥٥ ص٢٥٥و٢٥٦

٢- البدء باسم الجلالة (الله) في البسملة وختمها باسمي الله (الرحمن الرحيم) فيه دلالة على مسألة القول بتفاضل أسماء الله الحسنى وصفاته العليا [١]حيث قُدِّمَ فيها الأعظم والأهم ؛فاسمه تعالى(الله) هو أصل أسمائه تعالى،وبقية الأسماء تابعة له فهو أعظم من اسميه الرحمن الرحيم اللذين ختمت بهما الآية , والله أعلم

ب ـــــ من دلالات ختم الآيات بالرحمن الرحيم : أن يختم الله الآية بهما للاستدلال على ألوهيته، ووحدانيته، وأنه المستحق وحده للعبادة دون ما سواه.

وذلك كما في قوله تعالى:﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢] وفي قوله أيضا:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] ففي كل آية من هاتين الآيتين إخبار من الله -عز وجل- بأنه (إله واحد) لا شريك له في ذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم ختم الآية بـــــ (الرحمن الرحيم) الدليلا والبرهانا على الحكم السابق؛ لأنه ـــــ سبحانه ـــــ رحيم منعم، وغيره ليس كذلك، ومن كانت هذه صفاته كان حقيقا أن يفرد بالعبادة دون من سواه.[٤]

قال العلامة السعدي ـــــ / ـــــ: « ففي هذه الآية إثبات وحدانية الباري، وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها: وجود جميع النعم، واندفاع جميع النقم. فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى »[٥]

---

(١) انظر :في مسألة وجود التفاضل في أسماء الله وصفاته :مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧/ ٤١ـــــ ٤٧،و٨٨ـــــ ٩٩،وشفاء العليل لابن القيم ص٥٤٣

(٢) سورة البقرة، آية ١٦٣

(٣) سورة الحشر، آية ٢٢

(٤) انظر : رحمة الله بخلقه في القرآن ٢٤٧

(٥) تفسير السعدي١/١٨٩

ج ـــــ **من دلالات ختم الآيات بالرحمن الرحيم** : أن يذكر الله في الآية نعمته على عباده بإنزال القرآن العظيم، ثم يختم الآية بـــــ (الرحمن الرحيم) الدالين على رحمته -سبحانه وتعالى-ومناسبة ذلك للدلالة على أن هذا الإنزال إنما هو برحمة الله -جل وعلا- بل هو من أجلِّ ما أنعم الله به على العباد. [(١)]

ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾[(٢)]

قال أبو السعود[(٣)] -/- :«ونسبة التتريل إلى الرحمن الرحيم للإيذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية، واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[(٤)] ». [(٥)]

---

(١) انظر : رحمة الله بخلقه في القرآن،مجلة جامعة الإمام،عدد،٥٥ ص ٢٥٣

(٢) سورة فصلت، الآيتان ١ــــــ ٢

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود، من علماء الترك المستعربين ،صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، توفي سنة ٩٨٢هـــ انظر: طبقات المفسرين٢٩٨ـــــــ٢٩٩،الأعلام٧/٥٩

(٤) سورة الأنبياء،الآية، ١٠٧

(٥) تفسير أبي السعود ٥/٤٣٣

المسألة الرابعة

دعاء الله تعالى باسميه (الرحمن الرحيم)والأدلة على ذلك.

من رحمة الله بعباده أن أمرهم بدعائه،ووعدهم -جل وعلا- أن يجيبهم فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (١)

ومن عظيم فضله ــــ جل في علاه ــــ أنه يغضب على عبده إذا لم يسأله ويدعوه يقول ــــ عليه الصلاة والسلام:«من لم يسأل الله يغضب عليه »(٢).

بل إنه عليه الصلاة والسلام حصر العبادة كلها في الدعاء وذلك كما جاء في

---

(١) سورة غافر،آية :٦٠

(٢) أخرجه الترمذي ٤٥٦/٥،وابن ماجه١٢٥٨/٢،وأحمد ٤٤٢/٢من رواية أبي هريرة رضي الله عنه،وصححه الألباني في الصحيحة،رقم(٢٦٥٤)

الحديث الذي يرويه النعمان بن بشير ـــــ ط ـــــ أنه سمع رسول الله ـــــ > ـــــ يقول على المنبر :«الدعاء هو العبادة،قال ربكم: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾»(١)

ولما كان الدعاء بهذه المترلة فقد بين الله في كتابه، وعلى ألسنة رسله ـــــ عليهم السلام ـــــ لعباده كيف يدعونه، وبما يدعونه، حتى أنه أخبرهم عن أعظم ما يدعو به الداعون، وأجل ما يسأل به السائلون،وذلك حينما أمرهم أن يدعوه ويسألونه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا في قوله ـــــ أ ـــــ:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٢)

وهذه الآية أصل عظيم في باب دعاء الله بأسمائه الحسنى ،ومنه مسألة دعاء الله باسميه (الرحمن الرحيم) وقبل ذكر ما يدل على هذه المسألة من الكتاب والسنة فإنه يحسن بي أن أذكر بعض أقوال أهل العلم حول هذه الآية وما تشتمل عليه من أحكام في باب دعاء الله بأسمائه سبحانه فمن ذلك :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ / ـــــ:« أثبت له الأسماء الحسنى، وأمر بالدعاء بها فظاهر هذا : أن له جميع الأسماء الحسنى. وقد قال: جنس الأسماء الحسنى بحيث لا يجوز نفيها عنه كما فعله الكفار، وأمر بالدعاء بها، وأمر بدعائه مسمى بها خلاف ما كان عليه المشركون من النهي عن دعائه باسمه الرحمن، فقد يقال: قوله: (فادعوه بها) أمر أن يدعى بالأسماء الحسنى،وألَّا يُدعى بغيرها »(٣)

ويقول ابن القيم ـــــ/ ـــــ في الآية :« والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء

(١) أخرجه أبو داود٢/٧٨،والترمذي٥/٢١١وقال:حسن صحيح، وابن ماجه٢ / ١٢٥٨ وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير٢/١٥٠

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٠

(٣) الفتاوى٦/٨٣

الثناء،ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها ... » [١]

ويقول أيضا –رحمه الله– وهو يبين أكمل أنواع الدعاء :«**والدعاء ثلاثة أقسام:**

أحدها : أن يسأل الله –تعالى– بأسمائه وصفاته، وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

والثاني : أن تسأله بحاجتك وفقرك وذلك، فتقول :أنا العبد الفقير المسكين البائس الذليل المستجير ونحو ذلك .

والثالث: أن تسأل حاجتك، ولا تذكر واحدا من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل!وهذه عامة أدعية النبي ->- وفي الدعاء الذي علمه صدِّيق الأمة ــــ ط ــــ ذكر الأقسام الثلاثة ــــ يعني به قوله ــــ > ــــ :لأبي بكر ــــ ط ــــ حينما قال لرسول الله ــــ > ــــ :علمني دعاء أدعو به في صلاتي.قال قل:اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك،وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.[٢]ــــ ثم قال ابن القيم: فإنه قال في أوله :(ظلمت نفسي ظلما كثيرا)، وهذا حال السائل، ثم قال:(وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)،وهذا حال المسؤول، ثم قال:(فاغفر لي) فذكر حاجته، وختم الدعاء باسمين من الأسماء الحسنى تناسب المطلوب وتقتضيه » [٣]

ويقول العلامة السعدي –يرحمه الله– :«ومن تمام كونها (حسنى) ــ أي أسماء الله تعالى ــــ أنه لا يدعى إلا بها ولذلك قال : (فادعوه بها)، وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب فيقول

---

(١) مدارج السالكين١/٤٥٢،وبدائع التفسير لابن القيم ١/٤٣١

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان،باب الدعاء قبل السلام،حديث ٨٣٤،ج٢/٣١٧،و مسلم، كتاب الذكر،٢٧٠٥

(٣) جلاء الأفهام لابن القيم ص١٠٤ــــ ١٠٥

الداعي مثلا: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علي يا تواب، وارزقني يا رزاق ... ونحو ذلك ...»(١)

بعد استعراض هذه الأقوال من أهل العلم فإنه يقال: يشرع لكل أحد بل يستحب له أن يدعو الله باسميه الرحمن الرحيم مثلهما كمثل جميع أسماء الله الحسنى التي بين العلماء أحكام الدعاء بها ويدل على هذا كثير من نصوص الكتاب والسنة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢) ومما يوضح الاستدلال بها ما ذكره البغوي والقرطبي ــــ رحمهما الله تعالى ــــ من سبب نزولها حيث ذكرا : أن رجلا دعا الله في صلاته ودعا يا رحمن يا رحيم فقال بعض مشركي مكة: إن محمدا –>– وأصحابه يَدَّعُون أنهم يعبدون ربا واحدا، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾(٣)

٢- وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(٤)

ويقول ابن جرير ــــ / ــــ في معنى الآية:« يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن :(ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ) أيها القوم(أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ) بأي أسمائه جل جلاله تدعون ربكم، فإنما تدعون واحدا،وله الأسماء الحسنى. وإنما قيل ذلك له >،لأن المشركين

---

(١) تفسير السعدي٢/١٧٥ــــ ١٧٦

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٠

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي٣/٣٠٦ــــ ٣٠٧،الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص١

(٤) سورة الإسراء،آية: ١١٠

فيما ذكر سمعوا النبي ->- يدعوا ربه : يا ربنا الله، ويا ربنا الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجا لنبيه عليهم ›› (١)

ثم استدل على ما ذهب إليه في سبب نزول الآية ما رواه بسنده عن ابن عباس ـــب ـــ أنه قال : كان النبي ->- ساجدا يدعو : يا رحمن يا رحيم،فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدا، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾.(٢)

٣- عن أبي بكر ـــ ط ـــ أنه قال لرسول الله ـــ > ـــ :علمني دعاء أدعو به في صلاتي.قال قل:اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك،وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.(٣)

٤ـــ وعن عبدالله بن مسعود ـــ ط ـــ عن النبي ->- قال: «ما أصاب عبدا هم، ولا غم، ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي،ونور صدري،وجلاء حزني، وذهاب همي.إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا»(٤)

يقول ابن القيم ـ/ـ:‹‹وقوله : (أسألك بكل اسم)إلى آخره، توسل إليه بأسمائه كلها ما علم العبد منها وما لم يعلم وهذه أحب الوسائل إليه فإنها وسيلة بصفاته،

---

(١) تفسير الطبري١٦٥/٨

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١٦٥/٨

(٣) سبق تخريجه انظر:ص١٤٣.

(٤) أخرجه ابن حبان،برقم،٩٧٢،وابن أبي شيبة في مسنده،برقم٣٢٩،والبزار في مسنده،برقم ١٩٩٤،كلاهما من رواية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة ، برقم (٣٥٢٨).

وأفعاله التي هي مدلول أسمائه ››[١]

إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل على مشروعية واستحباب دعاء الله ـــــ سبحانه وتعالى ـــــ بأسمائه الحسنى ومنها: دعاؤه باسميه الرحمن الرحيم.

ونختم هذه المسألة ببيان حكم من أنكر أن يدعى الله سبحانه باسمه الرحمن فقد سئل شيخ الإسلام في الفتاوى عن مثل ذلك فأجاب -/- بقوله :‹‹الحمد لله لا خلاف بين المسلمين أن العبد إذا دعا ربه يقول : يا الله، يا رحمن وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾.[٢] وكان النبي ـــــ > ـــــ يقول في دعائه :((يا الله، يا رحمن)) فقال المشركون: محمد ينهانا أن ندعو إلهين، وهو يدعو إلهين فقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾.أي المدعو إله واحد، وإن تعددت أسماؤه كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٣] ومن أنكر أن يقال: يا الله يا رحمن فإنه يُسْتَتَاب فإن تاب وإلا قُتِلَ والله أعلم ››[٤]

---

(١) الفوائد لابن القيم ص٣٤

(٢) سورة الإسراء، آية ١١٠

(٣) سورة الأعراف، آية ١٨٠

(٤) الفتاوى ٢٨٦/٢٢

المسألة الخامسة:

حكم تسمية المخلوق بالرحمن والرحيم

سبق أن ذكرت في مسألة الفروق بين الاسمين أن بينهما فرقا من ناحية اللفظ في قضية التسمي بهما، وقد آن تفصيل هذه المسألة وهو كما يتضح فيما يلي :

أولا : حكم التسمي باسم الله (الرحمن):

ذكر العلماء أن من أسماء الله –لأ– أسماء خاصة تليق به، ولا تليق بغيره،كما أنه لا يحل أن يُسمى بها غيره، ومن هذه الأسماء اسم الله (الرحمن) بل منهم من حكى الإجماع على أنه لا يجوز للمخلوق أن يتسمى به كما سيذكر ذلك عند

ذكر أقوال العلماء ،وقالوا: لو تَسَمَّى به المخلوق فإنه يجب عليه تغييره احتراما لأسماء الله وتعظيما لها، ويمثلون كذلك لهذا النوع باسم الجلالة (الله)،واسمه(الخالق)،و(الرازق) وما كان مثلها في هذه الخاصية من أسماء الله الحسنى،**واستدلوا على ذلك بأدلة فمن ذلك:**

١- قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[(١)] فأخذ أهل العلم من هذه الآية دليلا على منع التسمي باسم الله الرحمن، وذلك أنه تعالى في هذه الآية عادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، وهو الله.[(٢)]

٢- وقوله ــــ جل وعلا :﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[(٣)] فالله سبحانه في هذه الآية أخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة وحده مما يدل على أن هذا الاسم خاص به لا يسمى به غيره[(٤)]

٣- عن أبي هريرة ــــ ط ــــ عن النبي -<- قال:«إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك؛ لا مالك إلا الله » [(٥)]

قال ابن باز ــــ يرحمه الله رحمة واسعة ــــ في تعليقه على فتح المجيد:« قيل:وإذا امتنع التسمي بما ذكر فباسم من له هذا الوصف كالله والجبار والرحمن أولى »[(٦)]

من الآثار الواردة في منع التسمي باسم الله (الرحمن):

أ ــــ ما جاء عن ابن عباس ــــ ب ــــ أنه قال في تفسير قول الله -لأ-:﴿

---

(١) سورة الإسراء،آية ١١٠

(٢) انظر: الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ص٣٩٩

(٣) سورة الزخرف، آية ٤٥

(٤) مرجع سابق ٣٩٩

(٥) أخرجه مسلم كتاب الآداب، باب الأسماء المحرمة،حديث رقم٢١٤٣،ج١٤،ص٣٠٠

(٦) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد،حاشية رقم ٣٧٨/١

﴿هَل تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[١] قال: ليس أحد يسمى الرحمن غيره[٢]

ب ـــــ وقول الحسن البصري [٣]الذي أخرجه الطبري في تفسيره أنه قال :(الرحمن) اسم ممنوع.[٤] أي أنه من أسماء الله التي مَنَعَ التسمي بها العباد

وأقوال العلماء في منع تسمية المخلوق باسم الله (الرحمن)، وأنه خاص بالله –جل وعلا– كثيرة جدا، فقد جاء عن غير واحد من أهل العلم نقل الإجماع على ذلك [٥] قال ابن

جرير الطبري –رحمه الله– بعد ذكره لقول الحسن البصري السابق:مع أن في إجماع الأمة من منع التسمي به جميع الناس ما يغني عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بقول الحسن وغيره[٦]

ثانيا: حكم التسمي باسم الله (الرحيم):

اسم الله (الرحيم) من أسماء الله تعالى التي ذكر أهل العلم: أنه من الأسماء التي يسمى بها الله ويسمى بها المخلوق ؛ ولكنهم مع ذلك نفوا المشابهة بين الله ـــــ سبحانه

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٥

(٢) رواه الحاكم في المستدرك،٢/٤٠٧،رقم ٣٤٢٠،وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره ابن منده في التوحيد٢/٣٧٥

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، سكن المدينة،وأعتق، وتزوج بها ،قال الذهبي: قال محمد بن سعد: كان الحسن ـــــ / ـــــ جامعا ، عالما، رفيعا ، فقيها، ثقة، حجة، مأمونا، عابدا، ناسكا.. قيل مات رحمه الله في رجب سنة عشر و مئة .انظر:السير ٤ /٥٦٣ـــــــ ٥٨٨

(٤) تفسير الطبري١/٨٨،قال عنه عبدالعزيز المبدل، في أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان :إسناده حسن .انظر: ٣/٨١٣

(٥) كابن جرير الطبري في تفسيره ١/٨٨، و ابن الحصار قال: والمعتمد في هذا الباب الإجماع من العلماء أنه لا يجوز أن يوصف بهذا الوصف، ولا يتسمى بهذا الاسم إلا الله عز وجل .انظر : المقصد الأسنى ١/٦٢ـــــ ٦٣

(٦) تفسير الطبري ١/١٣٣

وتعالى ـــــ وبين خلقه،فكل ما يطلق على الله وعلى غيره مما سمى به نفسه أو اتصف به نحو: الرحيم، والكريم، والرؤوف،و السميع والبصير، فلله -تعالى- ما يليق به من المعاني الكاملة السالمة من النقائص والعيوب، وللمخلوق ما يليق بضعفه. (١)

وكذلك فإن من الشروط والقيود التي اشترطها العلماء عند إطلاق هذا النوع من الأسماء على المخلوق أنهم قالوا: بشرط ألا يُراعى فيها معنى الصفة في الاسم إذا أُطلق على المخلوق، أما إذا رُوعي فيها المعنى الذي اشتقت منه فإن الظاهر عدم جواز التسمي بها؛ لأن النبي -<- غير اسم أبي الحكم الذي تكنى به لكون قومه يتحاكمون إليه، وقال النبي -<-ـــ:«إن الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْم » ثم كناه بأكبر أولاده شريح، فقال : «أنت أبو شريح ». (٢)

والذي يظهر أن الكنية التي تكنى بها الرجل، لُوحِظَ فيها معنى الاسم،فكان هذا مماثلا لأسماء الله ـــ-سبحانه وتعالى-فغيره النبي ـــ > ـــ احتراما لأسمائه جل وعلا (٣)

الأدلة على جواز إطلاق الرحيم على المخلوق :

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على جواز إطلاق اسم الرحيم على غير الله فمن ذلك:

١- ما استدل به ابن خزيمة ـــ / ـــ أن الله سبحانه أطلق هذا الاسم على نبينا محمد ـــ > ـــ حيث قال:«و أعلمنا أن نبينا محمدا المصطفى ـــ >

---

(١) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان١/١٢٧بشيء من التصرف

(٢) أخرجه النسائي في السنن،كتاب آداب القضاة٨/٢٢٦، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان١/٦٨ حديث٦٢ ،والحديث صحيح صححه الألباني انظر: صحيح الأدب المفرد رقم٦٢٣ص٣٠١ـــــ٣٠٢

(٣) انظر: المجموع الثمين لابن عثيمين،ص١٤٤ــــ١٤٧،وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد٣٨١

ــــ رؤوف رحيم فقال في وصفه:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١] »[٢]

٢- ومما يدل على ذلك ما جاء في قوله -<- عند مسلم:« أهل الجنة ثلاثة عفيف متصدق، وذو سلطان مقسط، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم ...»[٣]

فهذه الأدلة تدل على أن هذه الأوصاف تصح لله ولغيره، ولكن اتصاف الله بها لا يماثله شيء من اتصاف المخلوق بها؛ فإن صفات الخالق تليق به،وصفات المخلوق تليق به[٤]

يقول شيخ الإسلام ــــ /ـــــ:« ولهذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء؛وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم، مضافة إليهم، توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، و لم يلزم من اتفاق الاسمين، وتماثل مسماهما واتحاده ــــ عند الاطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص ــــ اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص... »[٥]

وهذا القول منه رحمه الله يقطع قول كل خطيب، وهو فتح من الله جعله الله على لسان شيخ الإسلام ولا هجرة بعد الفتح والله أعلم .

---

(١) سورة التوبة،آية ١٢٨

(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة١/٦٩ـــــــ٧٠

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،١٧/٣٢٠ رقم ٢٨٦٥

(٤) انظر: المجموع الثمين١/١٤٦

(٥) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/٣

المطلب الثاني

المسائل العقدية الخاصة باسمه تعالى(الرحمن)وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى:في أن اسم الجلالة (الرحمن) من الأصول التي ترجع إليها الأسماء والصفات .

المسألة الثانية:بيان أن اسم الله (الرحمن)متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

المسألة الثالثة:في أن اسم الله (الرحمن)هو مفتاح جميع الأفعال

المسألة الرابعة:ورود اسم الله(الرحمن)مقترنا باستواء الله على العرش ودلالة ذلك.

المسألة الخامسة :ما جاء في الاستعاذة باسم الله (الرحمن)ودلالة ذلك .

المسألة السادسة:ما جاء في أفضلية إضافة التعبيد إلى اسم الله (الرحمن) ودلالة ذلك.

المسألة الأولى

في أن اسم الجلالة (الرحمن) من الأصول التي ترجع إليها الأسماء والصفات

الرحمن هو من أسماء الله الحسنى الدالة على صفات الكمال، ونعوت الجلال

والجمال والإكرام، ومن حيث هو اسم جاء في القرآن العظيم مفردا غير تابع،كقوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(١) وقوله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾(٢) ومن حيث هو صفة جاء تابعا لاسم (الله)كقوله تعالى في البسملة:﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ (٣)

ومما اختص به هذا الاسم أنه يُعدُّ عند بعض أهل العلم من الأصول التي ترجع إليها الأسماء الحسنى والصفات العليا،وأن معاني أسماء الله تدور عليه.

ولقد قَرَّرَ هذه المسألة الإمام ابن القيم -/- في غير موضع من كتبه؛ فمن ذلك ما ذكره في كتابه الفوائد وهو يتحدث عن الفاتحة وما تضمنته، وأن سعادة العبد التامة موقوفة على معرفته لفاطره وبارئه، ومعرفة أسمائه وصفاته،و.بمراعاته لحقوقه – سبحانه– عليه حيث قال :«فكمال الإنسان، وسعادته لا تتم إلا .بمجموع هذه الأمور، وقد تضمنتها سورة الفاتحة، وانتظمتها أكمل انتظام؛فإن قوله :﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (٤)

يتضمن الأصل الأول،وهو معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى،وهي اسم (الله، والرب، والرحمن).فاسم الله متضمن لصفات الألوهية، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر.ومعاني أسمائه تدور على هذا »(٥)

وقال في مدارج السالكين وهو يتحدث عن المطالب العالية التي اشتملت عليها

---

(١) سورة طه، آية:٥

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١ــــ٢

(٣) سورة الفاتحة، آية: ١

(٤) سورة الفاتحة،آية: ٢ــــ٤

(٥) الفوائد ص٢٧

سورة الفاتحة:«فاشتملت على التعريف بالمعبود -تبارك وتعالى- بثلاثة أسماء ، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها،ومدارها عليها،وهي (الله ،والرب، والرحمن)،وبنيت السورة على الإلهية،والربوبية، والرحمة:فـ (إياك نعبد)مبني على الإلهية،و(إياك نستعين) على الربوبية،وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة،والحمد يتضمن الأمور الثلاثة،فهو المحمود في إلهيته،وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجَدِّه[1] »[2]

وممن ذكر أن اسم الرحمن من أصول الأسماء الحسنى ما ذكره ابن حجر-/- عن بعض الشُّرَّاح أنه قال:« لله الأسماء الحسنى، وفيها أصول وفروع: أي من حيث الاشتقاق. قال: وللأصول أصول:أي من حيث المعنى، فأصول الأصول اسمان : الله،والرحمن؛ لأن كلا منهما مشتمل على الأسماء كلها.قال الله -تعالى- ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3]؛ولذلك لم يتسم بهما أحد ..».[4]

المسألة الثانية

بيان أن اسم الله (الرحمن) متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب

---

(١) الجَدُّ: العظمة وفي التنزيل ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن آية ٤]أي عظمته وقيل غناه. انظر:لسان العرب٣/١٠٨

(٢) مدارج السالكين١/١٣،وبدائع التفسير١/٣٣

(٣) سورة الإسراء،آية: ١١٠

(٤) فتح الباري ١٠/٥٧١

الله سبحانه وتعالى رحمن رحيم، أرحم بعباده من الوالدة بولدها، موصوف بصفة الرحمة التي وسعت كلَّ شيء، وعمت كلَّ حي،وهذه الرحمة التي هي صفته تقتضي ألا يترك عباده هملا من غير أن يرسل إليهم رسلا، ومن دون أن يترل عليهم كتبا؛لأنه جل وعلا إنما خلقهم لعبادته. فكانت حاجتهم للرسالة عظيمة؛ فبها سعادة العباد، وعليها نجاتهم يوم المعاد.

لذا كان مما يقتضيه اسم الجلالة (الرحمن) المتضمن لصفة الرحمة: إرسال الرسل وإنزال الكتب ،واستنادا على هذا المقتضى قَرَّرَ علماء السلف ـــــ عليهم رحمة الله ـــــ أن اسم الرحمن متضمن لإثبات النبوات.

ومن هؤلاء الأفذاذ: الإمام ابن القيم ـــــ / ـــــ فقد استدل باسم الرحمن في البسملة وسورة الفاتحة على إثبات إرسال الرسل،وإنزال الكتب فقد قال : «الموضع الثالث [١] :من اسمه (الرحمن)فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم، فمن أعطى اسم (الرحمن) حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحَبِّ ، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح[٢] »[٣]

وقال ـــــ رحمه الله في سياق الاستدلال باسم الله (الرحمن) على هذه المسألة وهو يعدد ما جمعته سورة (ق) من أصول الإيمان، وأركان عقيدة الإسلام، فيقف عند قوله تعالى:﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾[٤] فيذكر أنها تتضمن الإقرار بوجود الله، وربوبيته، وقدرته، وعلمه، واطلاعه على تفاصيل

---

(١) أي من المواضع التي تدل على إثبات النبوات في سورة الفاتحة

(٢) الأشباح: جمع شبح قال في اللسان: الشَّبَحُ:ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق.ويجمع على أشباح وشبوح.انظر: ٤٩٤/٢،مادة: (شبح)

(٣) مدارج السالكين ١٤/١

(٤) سورة ق، آية: ٣٣

أحوال العبد،وأنها تتضمن الإقرار بكتب الله ورسله، وأمره ونهيه،والإقرار بوعده ووعيده، ولقائه؛فلا تصح خشية الرحمن بالغيب إلا بعد هذا كله.(١)

وبهذا يظهر جليا أن إرسال الرسل ـــــ عليهم السلام ـــــ وإنزال الكتب،إنما هو برحمة الله كما قال ـــــ أ ـــــ في رسول الله محمد ــ >:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(٢)

المسألة الثالثة :

في أن اسم الله (الرحمن) هو مفتاح جميع الأفعال

اسم الجلالة (الرحمن) هو أظهر أسماء الله الحسنى التي تُفْتَتَحُ بها جميع

---

(١) انظر: الفوائد لابن القيم ص٢١

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧

الأفعال؛وذلك أن من رحمة الله بعبده المؤمن أنه لا يفعل فعلا دينيا أو دنيويا إلا شُرِعَ له ابتداؤه وافتتاحه بذكر اسم الله ـــ ﻷ ـــ يقول ابن القيم -/ــ عند ذكره لفوائد حذف العامل في (بسم الله) :«ومنها: أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية في كل عمل، وقول، وحركة،وليس فعل أولى بها من فعل...»[1]

ولما كان معنى قول: (بسم الله الرحمن الرحيم) ـــ كما سبق بيانه ـــ أنه يعم جميع أسماء الله الحسنى؛ كان أظهر هذه الأسماء في افتتاح الأفعال الأسماء الواردة في البسملة، والتي لا يصح أن يحل محلها غيرها في قول:(بسم الله الرحمن الرحيم)[2] ومنها اسم الجلالة الرحمن،والذي قال فيه ابن القيم -/ــ في مَعْرِض ردِّه على من ادَّعى المجاز في اسمه -تعالى- الرحمن :« كيف يكون أظهر الأسماء التي افتتح الله بها كتابه في أمِّ القرآن، وهي من أظهر شعار التوحيد، والكلمة الجارية على ألسنة أهل الإسلام،وهي (بسم الله الرحمن الرحيم)التي هي مفتاح الطهور،والصلاة، وجميع الأفعال كيف يكون مجازا؟...» [3]

فابن القيم رحمه الله ذكر جملة من الأفعال والمواضع التي تشرع فيها البسملة أو قول (بسم الله) لتكون كالدليل والبرهان على أن اسم الله (الرحمن) هو من أظهر الأسماء الذي يفتتح به الأفعال.

فمن المناسب هنا ذكر بعض هذه المواضع زيادة في البيان والتوضيح :

أولا/ من المواضع التي تشرع فيها البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)ما يلي:

١- عند قراءة القرآن، وبخاصة أوائل السور إلا الابتداء بسورة براءة.[4]

٢- عند بداية الكتب والرسائل والمسائل العلمية،اقتداءً بكتاب الله وبما صحَّ من سنة رسول الله ـــ > ـــ فقد كان يبتدئ بها رسائله ـــ > ـــ

(١) بدائع الفوائد١/٢٨

(٢) انظر: اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب،لسليمان اللَّاحِم ص٨٤

(٣) مختصر الصواعق المرسلة٣/٨٦٧

(٤) انظر: موسوعة علوم القرآن ص١١٢، واللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة ص١٦١

ومكاتبته الملوك في زمانه يدعوهم إلى الإسلام ،كما جاء في كتابه إلى هرقل عظيم الروم، فقد ابتدأه بقوله -<- :«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ... » [١]

ثانيا/ من المواضع التي يشرع فيها قول:(بسم الله)[٢]ما يلي :

١- عند الوضوء لما جاء في حديث أبي هريرة ــــ ط ــــ أنه قال: قال رسول ــــ الله صلى الله عليه وسلم ــــ :

«لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ».[٣]

٢- كذلك يشرع قول:(بسم الله) عند الأكل لحديث عمرو بن سلمة ــــ ط ــــ قال: كنت غلاما في حجر النبي -<- وكانت يدي تطيش في الصَّحفة فقال:«يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك »[٤]

هذه بعض المواضع التي يشرع فيها البدء بقول (بسم الله الرحمن الرحيم)، أو قول(بسم الله) ذُكِرَت للتمثيل بها، والاستدلال على ما ذكره ابن القيم من أن اسم الرحمن هو مفتاح جميع الأفعال

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن القيم ــــ / ــــ ما سبقه إليه إمام المفسرين ابن جرير ــــ / ــــ حيث أشار إلى مثل هذا، فقد قال :«إن الله ــــ تعالى ذكره وتقدست أسماؤه ــــ أدَّب نبيه محمدا -<- بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٧،ج١/٣١

(٢) انظر هذه المواضع : كتاب اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة ١٦٢وما بعدها

(٣) أخرجه الترمذي،في الطهارة، باب ما جاء في التسمية،حديث٢٥،٢٦ انظر: جامع الترمذي١/٣٧ــــ٣٩، وابن ماجه في كتاب الطهارة،حديث ٣٩٧،ج١ /١٣٩، وأخرجه الحاكم ، حديث ٥١٥٢٠وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه انظر:المستدرك ١/٢٣٢ والحديث حكم عليه الألباني بأنه صحيح الإسناد انظر:صحيح الجامع٢/١٢٤٩

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل مما يليه، حديث ٥٣٧٧،ج٩/٥٢٣،ومسلم في كتاب الأشربة، حديث٢٠٢٢

أمام جميع أفعاله،وتقدَّم إليه في وصفه بها قبل جميع مُهمَّاته، وجعل ما أدَّبه به من ذلك وعلمه إياه منه، لجميع خلقه سنة يستَنُّون بها، وسبيلا يتبعونه عليها، فبه افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل:(بسم الله) على ما بطن من مراده الذي هو محذوف »[١].

المسألة الرابعة :

ورود اسم الله (الرحمن) مقترنا باستواء الله على العرش ودلالة ذلك.

(١) تفسير الطبري ١/٧٨

أ ـــــ ذكر الأدلة :

ورد اسم الجلالة (الرحمن)، مقترنا باستواء الله ـــــ سبحانه ـــــ على عرشه العظيم في موضعين من كتاب الله الكريم :

١- قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (١)

٢- وقال تعالى:﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ (٢)

ب ـــــ دلالة اقتران استواء الله على عرشه باسمه الرحمن :

عرش الرحمن ـــــ جل وعلا ـــــ هو أنزه المخلوقات، وأطهرها، وأشرفها، وأعلاها ذاتا وقدرا ، وأوسعها؛ ولذلك صلح لاستواء الله -سبحانه- عليه (٣) ولقد جاء ذكر العرش في القرآن الكريم في واحد وعشرين موضعا، منها: موضعان ـــــ كما سبق ـــــ ذكر الله فيهما أنه استوى على عرشه، وقرن ذلك باسمه الرحمن؛ وهذا الاقتران له دلالته، وله مناسبته ولابد! ولعل سائلا يسأل ويقول : ما دلالة اقتران استواء الله على عرشه باسمه تعالى الرحمن؟

يجيب على هذا التساؤل الإمام ابن القيم -رحمه الله- والذي تكرر منه ذكر ذلك في مواطن من مؤلفاته ـــــ فيقول عن اسم الله الرحمن:« .. ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيرا، كقوله -تعالى- ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ فاستوى على عرشه باسم الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات، وقد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم كما قال -تعالى- :﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾(٤) فاستوى على

---

(١) سورة طه، آية: ٥

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٩

(٣) انظر : الفوائد لابن القيم ص٣٥

(٤) سورة الأعراف، آية ١٥٦

أوسع المخلوقات بأوسع الصفات؛فلذلك وسعت رحمته كل شيء، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ـــــ ط ـــــ قال: قال رسول الله ـــــ > ـــــ :«لما قضى الله الخلق كتب في كتاب ـــــ فهو عنده موضوع على العرش ـــــ إن رحمتي تغلب غضبي[1]. وفي لفظ: فهو عنده على العرش »[2]

فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عنده على العرش، وطابق بين ذلك وبين قوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب – تبارك وتعالى– إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهم ››[3]

ويقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي ـــــ رحمة الله عليه ـــــ في تفسير آية الفرقان : ‹‹ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾الذي هو سقف المخلوقات، وأعلاها، وأوسعها، وأجملها،﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ استوى على عرشه ـــــ الذي وسع السماوات والأرض ـــــ باسمه الرحمن ـــــ الذي وسعت رحمته كل شيء ـــــ فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات ››[4]

بهذا القول المبين من ابن القيم والشيخ السعدي تتضح الدلالة، وتستبين المناسبة من اقتران استواء الله على عرشه باسمه الرحمن –جل وعلا– وذلك أن الرحمن – سبحانه– الذي تسمى بهذا الاسم دون خلقه، واشتق هذا الاسم من صفته ـــــ قد استوى على عرشه ــــ الذي وسع المخلوقات ــــ برحمته؛ لتسع كلَّ شيء كما

(١) الحديث له طرق كثيرة مع اختلاف في بعض الألفاظ، منها ما أخرجه مسلم في كتاب التوبة ،باب سعة رحمة الله تعالى ، حديث ٢٧٥١، النووي ٢٢٤/١٧،واللفظ له، وأخرجه البخاري ، كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٥٥٤،الفتح ٥٢٣/١٣

(٢) وهو عند الإمام مسلم أيضا وقد سبق تخريجه

(٣) مدارج السالكين ١/ ٤٢ـــــ ٤٣

(٤) تفسير السعدي٤٨٩/٥

وسع عرشه كلَّ شيء [١]

(١) انظر : مدارج السالكين٣/٢٦٧،مختصر الصواعق المرسلة للموصلي ٣/ ٨٨٠ـــــ ٨٨١

المسألة الخامسة:

ما جاء في الاستعاذة باسم الله (الرحمن) ودلالة ذلك.

الاستعاذة لغة :

يقال:عُذْتُ أعوذ،كما يقال: عَاذَ يَعُوذ عَوْذاً وعِياذاً و مَعاذاً بمعنى: لاذ به، ولجأ إليه واعتصم.

ومنه قوله –>– للتي استعاذت منه :«لقد عُذتِ بـــمَعَاذ ...»[١]

والـــمَعَاذ في الحديث: الذي يُعاذ به.

فالاستعاذة في كلام العرب تأتي على معانٍ: كالالتجاء، والاعتصام، والتَّحرُّز[٢].

ولبيان حقيقة معنى الاستعاذة يقول ابن القيم :هو «الهروب من شيء تخافه إلى مَنْ يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذا،كما يسمى ملجأً وَوزرا» [٣]

ويقول ابن القيم –رحمه الله– في كلام جميل له بعد ذكره لمعاني الاستعاذة:«..وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات، وإنما هي تمثيل وإشارة وتفهـــيم، وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام و الانطراح بين يدي الـــرب والافتقار، والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة.

ونظير هذا التعبير عن معنى محبته وخشيته وإجلاله ومهابته؛فإن العبارة تقصر عـــن وصف ذلك، ولا تدرك إلا بالاتصاف بذلك، لا بمجرد الوصف والخبر ..»[٤]

الاستعاذة شرعا:

هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر[٥]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، حديث:٥٢٥٥،٥٢٥٤،ج٩/٣٥٦ البخاري مع الفتح

(٢) انظر : العين ٢/٢٢٩،ومقاييس اللغة٦٩٣،ولسان العرب٣/٤٩٨

(٣) بدائع الفوائد ١/٤٣٩

(٤) المصدر نفسه ١/٤٤٠

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١/٩٠

حكم الاستعاذة وحكم صرفها لغير الله :

لا ريب أن الاستعاذة عبادة من أجلِّ العبادات، بل هي من حقائق توحيد الله في ألوهيته [١] ؛لذا أمر الله في كتابه أن يستعاذ به، وألَّا يستعاذ بغيره من خلقه، والنبي -ﷺ- في سنته تواترت عنه أحاديث كثيرة تبين كيف امتثل – عليه الصلاة والسلام – أمر ربه؛فاستعاذ به وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى،وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر .

فلما كانت الاستعاذة من العبادات التي يجب إخلاصها لله -تعالى- فقد نصَّ العلماء على أنه لا يجوز صرفها لغير الله، وأن صرفها لغير الله شرك بالله :

وجاء في بيان هذا في فتح المجيد :« فما كان عبادة فصرفه لغير الله شرك في العبادة، فمن صرف شيئا من هذه الاستعاذة لغير الله فقد جعله شريكا له في عبادته، ونازع الرب في إلهيته ،كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابدا لغير الله،ولا فرق » [٢]

بل حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم :

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-:

«... وكذلك الاستعاذة بالمخلوقات[٣]. بل إنما يستعاذ بالخالق -تعالى- وأسمائه وصفاته؛ ولهذا احتج السلف كأحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق فيما احتجوا به بقول النبي -ﷺ-:«أعوذ بكلمات الله التامات »[٤]قالوا : فقد استعاذ بها ولا يُستعاذ بمخلوق »[٥]

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ٤٦٢/١

(٢) فتح المجيد ص١٤٠

(٣) هذا عطف على كلام سابق أي لا تشرع وينهى عنها انظر : الفتاوى٢٣٣/١

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، حديث، ٢٧٠٨،ج١٩٦/١٧ مسلم بشرح النووي

(٥) الفتاوى ٢٣٣/١

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله -رحمه الله تعالى-:«وقد أجمع العلماء أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله، ولهذا نَهَوْا عن الرُّقَى التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شيء من ذلك» (١)

الاستعاذة باسم الله (الرحمن) وما جاء فيه:

من كلام العلماء السابق يتبين لنا أن الاستعاذة المشروعة هي ما كانت بالله، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأن أي استعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي استعاذة شركية بدعية ممنوعة .

لذا فالاستعاذة باسم الله (الرحمن) من الاستعاذة المشروعة؛ لأنها استعاذة باسم من أسماء الله الحسنى .

ولقد وردت الاستعاذة به في كتاب الله(٢) -تعالى- قال الله -أ- عن مريم-عليها السلام-:﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ (٣)

معنى الآية، ودلالة الاستعاذة باسم الله (الرحمن) دون غيره فيها:

أما بالنسبة لمعنى آية سورة مريم حسب ما وقفت عليه من كلام المفسرين وذلك أنهم ذكروا :

أن الله -سبحانه وتعالى-لما أخبر مريم ـــ عليها السلام ـــ أنه اصطفاها، وطهرها، واصطفاها على نساء العالمين؛أمرها -جل وعلا- بدوام الطاعة والعبادة، وأن تخلص في سجودها وعبادتها لله رب العالمين وذلك كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ

(١) تيسير العزيز الحميد ١/ ٤٦٣

(٢) أكثر ما وردت الاستعاذة في القرآن باسمه تعالى (الله) ووردت كثيرا باسمه (الرب) و لم ترد باسم الرحمن إلا في موضع واحد من سورة مريم .انظر : اللباب في تفسير الاستعاذة ٢٣ـــ٢٥

(٣) سورة مريم، آية: ١٨

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (١)

عند ذلك امتثلت أمر ربها، فاتخذت لنفسها حجابا ــــ حتى عن أقرب الناس إليها ــــ لتنعم بعبودية ربها، وتنفرد بمولاها؛ فبينما هي على تلك الحال من القنوت، والإخلاص والخضوع والذل لله ــــ سبحانه وتعالى ــــ أرسل الله إليها جبريل ــــ × ــــ قال تعالى:﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (٢)

فلما تبدى لها الملك في صورة رجل من البشر؛ خافت منه على نفسها ــــ وقد كانت في بُعْدٍ عن الناس ولا عائذ لها ، ولا عاصم لها إلا ربُها ومولاها ــــ عند ذلك ولكمال تعظيمها لربها استعاذت به من هذا الداخل عليها من قبل أن يبدأها بقول أو فعل فقالت :﴿ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ (٣)

يقول علامة القصيم الشيخ السعدي ــــ يرحمه الله تعالى ــــ عند تفسير الآية:

« (إني أعوذ بالرحمن) أي : التجئ به وأعتصم برحمته أن تنالني بسوء

(إن كنت تقيا) أي إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه، فاترك التعرض لي .

فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه،وأمره بلزوم التقوى... وهو ... لم ينطق لها بسوء، أو يتعرض لها.

وإنما ذلك خوفا منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة، والبعد عن الشر وأسبابه.

وهذه العفة ــــ خصوصا مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع ــــ من أفضل الأعمال.

---

(١) سورة آل عمران،الآيتان: ٤١، ٤٢

(٢) سورة مريم، الآيتان: ١٦، ١٧

(٣) سورة مريم، آية: ١٨

ولذلك أثنى الله عليها فقال:﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[1] وقال:﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] فأعاضها الله بعفتها، ولداً من آيات الله، ورسولا من رسله »[3]

دلالة الاستعاذة باسم الله (الرحمن) في الآية دون غيره :

ذكر اسم الله (الرحمن) في الآية من المواضع التي اختص بها هذا الاسم من بين الأسماء التي تدل على صفة الرحمة؛ حيث لم يذكر في أثناء الآيات الكريمة منها غيره.

لذا قال أهل العلم : لما كان هذا الاسم مختصا به تعالى حسن مجيئه مفردا غير تابع، كمجيء اسم الله . وأن كل موضع يذكر فيه فإنما يكون لدلالة ومناسبة ــــ فقد نقف عليها وتظهر لنا أو لا تظهر .

فمن دلالات ذكر الرحمن في أثناء الآيات :أن يذكر اسم الرحمن في معرض التوسل به -سبحانه وتعالى-رجاء أن يترل من رحمته على عباده .

وعلى هذا الوجه فسر العلماء سبب ذكر مريم ــــ عليها السلام ــــ اسم الرحمن دون غيره من أسماء الله الحسنى في استعاذها .

فقد قالوا : وذكرها صفة الرحمن دون غيرها من صفات الله -تعالى- لأنها أرادت من الله أن يرحمها، وأن يدفع عنها من خافته، وظنت أنه يريدها على نفسها فتوسلت إليه باسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء جل جلاله[4] .

---

(١) سورة التحريم، آية: ١٢

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩١

(٣) تفسير السعدي ٥/٩٧ـــــ٩٨

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٢٣٥/٤،التحرير والتنوير لابن عاشور ٨١/١٦، وبحث رحمة الله بخلقه في القرآن ص٢٤٣

وكما جاءت الاستعاذة بالرحمن في كتاب الله ـــــ لأ ـــــ فقد جاءت كذلك في السنة وذلك حينما استعاذ عمار بن ياسر ـــــ ط ـــــ بالرحمن من الفتن لما أخبره النبي ـــــ > ـــــ أن قتله يكون على أيدي الفئة الباغية فقد أخرج الإمام أحمد بسنده في المسند عن أبي سعيد الخدري ـــــ ط ـــــ أنه ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين قال: فرآه رسول الله ـــــ > ـــــ فجعل ينفض التراب عنه. ويقول:« يا عمار ألا تحمل لبنة كما يحمل أصحابك » قال : إني أريد الأجر من الله .قال : فجعل ينفض التراب عنه ويقول:« ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار » قال: فجعل عمار يقول:أعوذ بالرحمن من الفتن.[١]

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٨٠/٤،مسند أبي سعيد الخدري، حديث رقم ١١٨٦١ وقال عنه شعيب الأرنؤوط:صحيح ،وصححه الألباني كذلك في صحيح الجامع١١٩٨/٢حديث ٧١٢٩

المسألة السادسة:

ما جاء في أفضلية إضافة التعبيد إلى اسم الله (الرحمن) ودلالة ذلك.

نعم الله -أ- على العباد تترى، وآلاؤه عليهم تفوق العدَّ والحصر،نعم جسام، وفضائل عظام، تتطلب منهم الحمد والشكر،يقول الله -لأ-:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

ومن هذه النعم نعمة الولد يقول -لأ-:﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾(٢) ومن تمام هذه النعمة، وعظيم فضل الله ورحمته بعبده حينما يرزقه ولدا سليما معافى سوي الخلقة فقد جاء عن أم المؤمنين عائشة ـــــ ب ـــــ أنها «كانت إذا وُلِدَ فيهم مولود ـــــ يعني في أهلها ـــــ لا تسأل غلاماً ، ولا جارية تقول: خُلِقَ سَوياً؟ فإذا قيل: نعم. قالت: الحمد لله رب العالمين »(٣)

---

(١) سورة النحل، آية:١٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٧٢

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد،حديث:١٢٥٦، قال الألباني :حسن الإسناد موقوفا.انظر: صحيح الأدب المفرد ص٤٨٥

فإذا تقرر هذا فإن من شكر نعمة الله -لأ- :إضافة نعمة الولد،ونسبتها إلى الله المنعم بها، ومنها: تعبيد الخلق لربهم.

يقول شيخ الإسلام -/- :« وشريعة الإسلام ـــ الذي هو الدين الخالص لله وحده ـــ تعبيد الخلق لربهم كما سنَّه رسول الله ـــ > ـــ، وتغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية، والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية، وعامة ما سمى به النبي ـــ > ـــ عبدالله وعبدالرحمن، كما قال تعالى:﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[١] ؛فإن هذين الاسمين هما أصل بقية أسماء الله تعالى».[٢]

وما ذكره شيخ الإسلام ـ-/- من تعبيد الاسم وإضافته إلى اسمي الجلالة (الله والرحمن) دلت النصوص على أفضليته، ومحبة الله له ؛فمنها:

قوله ـــ > ـــ :«إن أحبَّ أسمائكم إلى الله: عبدالله وعبدالرحمن »[٣] وفي رواية «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله -لأ-، عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومُرَّة » [٤]

ومما يدل على أفضلية إضافة الاسم إلى اسمي الجلالة (الله،والرحمن) سنة النبي -> - الفعلية أيضا؛ فلقد ورد عنه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ تسمية أبناء أصحابه بهما، وكذلك تغيير بعض أسماء الصحابة التي تحمل معاني باطلة إلى هذين الاسمين؛ومن هذا :

ما جاء من رواية الشيخين عن جابر ـــ ب ـــ قال:«ولد لرجل منا غلام

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١١٠

(٢) الفتاوى ٢٦٠/١

(٣) أخرجه مسلم من رواية عبدالله بن عمر ـــك ـــ كتاب الآداب ، حديث: ٢١٣٢، ج١٤/٢٩٤

(٤) رواها البخاري في الأدب المفرد، (٨١٤)، وأبو داود، ٢٨٨/٤،حديث رقم ٤٩٥٠، وقال عنها الألباني :صحيحة دون جملة الأنبياء. انظر: صحيح الأدب المفرد، ٣٠٣

فسماه القاسم. فقلنا: لا نكنيك أبا القاسم ولا كرامة. فأخبر النبي ـــــ > ـــــ فقال: اسم ابنك عبدالرحمن» [(١)]

وجاء عنه ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ أنه « وفد عليه قوم فسمعـــهم يسمون رجـــلا عبد الحجر. فقال له : ما أسمك فقال : عبد الحجر. فقال له رسول ـــــ > ـــــ :إنما أنت عبدالله »[(٢)]

وأخرج ابن أبي شيبة[(٣)] -/- عن خيثمة [(٤)]قال : كان اسم أبي في الجاهلية عزيزا. فسماه رسول الله ـــــ > ـــــ (عبدالرحمن)[(٥)]

قال شيخ الإسلام:«كان المشركون يُعَبِّدُون أنفسَهم وأولادهم لغير الله؛ فيسمون بعضهم عبدالكعبة، كما كان اسم عبدالرحمن بن عوف، وبعضَهم عبدشمس، كما كان اسم أبي هريرة، ... وبعضهم عبداللات،وبعضهم عبدالعزى، وبعضهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، حديث (٦١٨٦) ومسلم أيضا في الآداب، حديث (٢١٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف٢٤٢/١٣،حديث(٢٦٤٢١)،والبخاري في الأدب المفرد، حديث٨١١والحديث حكم عليه الألباني بالصحة.انظر : صحيح الأدب المفرد، ص٣٠٢

(٣) هو أبو بكر :عبدالله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان،العبسي مولاهم الكوفي الحافظ.وبيته بيت علم أبو بكر أجلهم قال عنه الذهبي: الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار، المسند والمصنف والتفسير، توفي سنة٢٣٥ هـ . انظر : السير١٢٢/١١ ، الوافي بالوفيات ٢٣٧/١٧ـــــ٢٣٨

(٤) هو خيثمة بن عبدالرحمن بن أبي سبرة يزيد بن مالك ،قال الذهبي:ولأبيه وجده صحبة ، وكان من العلماء العُبَّاد، وكان سخيا جوادا يركب الخيل ويغزو.انظر:السير للذهبي٤/ ٣٢٠

(٥) المصنف، ٢٣٩/١٣،حديث ٢٦٤١٥، وأخرجه الإمام أحمد في المسند،١٨٩/٦،حديث ١٧٦٤١قال في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد :حديث صحيح، وهذا إسناد حسن عند حديث رقم ١٧٦٤١

عبدمناة، وغير ذلك مما يضيفون فيه التعبيد إلى غير الله، ... مما قد يشرك بالله. ونظير تسمية النصارى عبد المسيح؛فغير النبي -<- ذلك وعبَّدهم لله وحده» [١]

فهذه الأحاديث والآثار تفيد أفضلية إضافة الاسم إلى اسم الجلالة (الرحمن) واسمه (الله)؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صَرَّحَ بذلك كما في الحديث السابق ،وأيضا سمي بعض أبناء أصحابه ـــــ **ش** ـــــ بذلك وغَيَّر بعض أسمائهم إليهما. ولا يختار ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ لأصحابه ـــــ **ش** ـــــ إلا ما هو أفضل وأحسن.

بل إن مما يزيد الأمر وضوحا وتأكيدا أن من أهل العلم من نقل الإجماع على ذلك، يقول الإمام ابن القيم -/-:« قال أبو محمد ابن حزم[٢] :اتفقوا [٣]على استحسان الأسماء المضافة إلى الله؛كعبد الله، وعبدالرحمن وما أشبه ذلك » [٤]

ومن المسائل التي بحثها أهل العلم عند هذه المسألة:مسألة سبب تفضيل إضافة الاسم لهذين الاسمين (الله،والرحمن)؛ لذا فإنه يحسن بي ذكر بعض أقوالهم في هذه المسألة.فمن ذلك على وجه الاختصار ما يلي:

يرى ابن القيم أن سبب التفضيل هو أن التعلق الذي بين العبد وبين الله إنما هو العبودية المحضة، والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة. ذكر هذا في كتابه زاد المعاد حيث قال :« ولما كان الاسم مقتضيا لمسماه، و مؤثرا فيه، كان أحب الأسماء إلى الله ما اقتضى أحب الأوصاف لمسماه، كعبدالله، وعبد الرحمن، وكان

---

(١) مجموع الفتاوى١/٢٦٠

(٢) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي، قال عنه الذهبي: الإمام الأوحد، البحر ذو الفنون والمعارف صاحب التصانيف ومن قوله فيه : أنه كان مَهَرَ أولا في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة ؛فأثرت فيه ليته سلم من ذلك. توفي في ٤٥٦هـــ.انظر:السير ١٨/١٨٤

(٣) قال في تيسير العزيز الحميد في مسألة قال عنها ابن حزم اتفقوا: الظاهر أن المراد أجمعوا فمقصوده حكاية الإجماع لا حكاية الاتفاق على طريقة المتأخرين.انظر:٢ /١٢٥٤

(٤) تحفة المودود في أحكام المولود ص١٨٧

إضافة العبودية إلى اسم الله، واسم الرحمن أحب إليه من إضافتها إلى غيرهما، كالقاهر، والقادر، فعبدالرحمن أحب إليه من عبدالقادر، وعبدالله أحب إليه من عبد ربه، وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين الله إنما هو العبودية المحضة،والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة،فبرحمته كان وجوده وكمال وجوده،والغاية التي أوجده لأجلها أن يتألَّه له وحده محبة وخوفا،ورجاء وإجلالا وتعظيما، فيكون عَبْداً لله وقد عبده لما في اسم الله من معنى الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره،ولما غلبت رحمته غضبه وكانت الرحمة أحب إليه من الغضب كان عبدالرحمن أحب إليه من عبدالقاهر» [١]

ويذهب الإمام القرطبي ـــــ / ـــــ إلى أن سبب الفضيلة هو أن هذه الأسماء تضمنت ما هو وصف واجب لله، وما هو وصف للإنسان واجب له وهو العبودية، ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقة؛ فصدقت أفراد هذه الأسماء وشرفت بهذا التركيب فحصلت لها الفضيلة [٢]

وذكر ابن حجر رحمه الله أيضا عن بعض أهل العلم أن سبب الفضيلة يعود إلى أنه لم يقع في القرآن إضافة عبد إلى اسم من أسماء الله تعالى غيرهما قال الله –تعالى–:﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾[٣] وقال في آية أخرى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَـٰنِ﴾[٤] ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَ﴾[٥] [٦]

أما عن دلالة ما جاء من أفضلية واستحباب إضافة التعبيد لاسم الله (الرحمن)؛ فإن لها دلالات متنوعة منها :

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٣٤٠

(٢) انظر : فتح الباري ١٠/٥٧٠

(٣) سورة الجن، آية: ١٩

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٣

(٥) سورة الإسراء، آية: ١١٠

(٦) انظر : فتح الباري١٠/٥٧٠

أولا: أن هذه المسألة تدل على بعض المسائل السابقة التي بحثت في هذا المطلب كمسألة أن اسم الله (الرحمن) من الأصول التي ترجع إليها الأسماء والصفات؛ لأنه ورد في القرآن والسنة أفضلية تعبيد أسماء المخلوقين إليه، وقد أشار بعض شراح الأحاديث الذين نقل ابن حجر -رحمه الله- أقوالهم في أن الرحمن من أصول أسماء الله الحسنى فلما ذكر ذلك قال: وإذا تقرر ذلك - أي أنه من الأصول - كانت إضافة العبودية إلى كل منهما حقيقة فظهر وجه الأحبيه[١]

ثانيا: كما تدل هذه المسألة على ما ذكر سابقا من أن اسم الله (الرحمن) من الأسماء الخاصة بالله والتي يمتنع إطلاقه على غير الله تعالى .

ثالثا: أيضا فإن ما جاء من الترغيب في إضافة العبودية إليه، وما جاء من تغيير النبي - > - الأسماء التي عبدت لغير الله .كل هذا يدل على عدم جواز تعبيد الأسماء لغير الله، ولقد نقل الإجماع على ذلك غير وحد من أهل العلم [٢] والله أعلم .

---

(١) انظر: المصدر نفسه

(٢) نقل ذلك ابن القيم رحمه الله في التحفة،ص١٨٧،وفتح المجيد ص٣٩٤

المطلب الثالث:

المسائل العقدية الخاصة باسمه تعالى (الرحيم)وفيه سبع مسائل :

المسألة الأولى:اقتران اسم الله(الرحيم)باسمه تعالى(التواب)ودلالة ذلك

المسألة الثانية:اقتران اسم الله(الرحيم)باسمه تعالى(الرؤوف)ودلالة ذلك

المسألة الثالثة: اقتران اسم الله(الرحيم)باسمه تعالى(الغفور)ودلالة ذلك

المسألة الرابعة:اقتران اسم الله(الرحيم)باسمه تعالى(العزيز)ودلالة ذلك

المسألة الخامسة:اقتران اسم الله(الرحيم)باسمه تعالى(البر)ودلالة ذلك

المسألة السادسة:اقتران اسم الله(الرحيم)باسمه تعالى(الرب)ودلالة ذلك المسألةالسابعة:اقتران اسم الله(الرحيم)باسمه تعالى(الودود)ودلالة ذلك

المطلب الثالث

المسائل العقدية الخاصة باسمه تعالى (الرحيم)

سبق أن ذكر فيما مضى أن هناك فوائد عظيمة؛ ومنافع جمة في اقتران أسماء الله الحسنى في كتاب الله، وفي سنة رسول الله – > – يظهر ذلك لمن تأمل مواضع اقترانها في الكتاب والسنة.

ولما كان اسم الله (الرحيم) من الأسماء الحسنى التي كثر اقترانه بغيره من أسماء الله –عز وجل– خُصِّصَ هذا المطلب لمعرفة دلالات اقترانه بغيره. وسأتحدث عن هذا المطلب حسب المسائل التالية:

المسألة الأولى:

اقتران اسم الله (الرحيم) باسم الله (التواب) ودلالة ذلك.

أولا : معنى اسم الله (التَّوَّاب) .

قبل الوقوف على ما ورد من اقتران هذين الاسمين (الرحيم والتواب)، ومعرفة دلالة ذلك يحسن بي بيان معنى التواب في اللغة، والمعنى المضاف إلى الله ـــــ عز وجل .

أما معناه في اللغة :

فالتواب من التوب وهو بمعنى الرجوع.

يقال : تاب إلى الله يتوب تَوْباً، وتَوْبةً، و مَتابا. أي أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة.

وتاب الله عليه: بمعنى وَفَّقَه للتوبة.

والله تَوَّاب : أي يتوب على عبده ويعود عليه بفضله ومغفرته؛ إذا تاب إليه من ذنبه.(١)

(١) انظر : مقاييس اللغة١٠٨، ولسان العرب ٢٣٣/١

معنى اسم الله (التواب) المضاف إلى الله تعالى:

لقد جاء بيان معنى اسم الله (التواب) في كلام علمائنا ـــــ عليهم رحمة الله ـــــ بعبارات متعددة مع اتفاقهم على المعنى الصحيح الذي يجب أن يُطلق على الله. فمن ذلك :

منهم من قال : التواب هو الوهَّاب لعباده الإنابة إلى طاعته، الموفِّق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه[1]

وقال ابن جرير في معنى التواب: يعني الراجع لمن أناب إليه بطاعته إلى ما يحب من العفو عنه [2]

وقيل التواب: هو كثير التوب بمعنى الرجوع على عبده بالمغفرة، وقبول التوبة [3]

من خلال هذه المعاني السابقة التي ذكرها أهل العلم يظهر منها أن توبة الله على عبده نوعان :

الأول : أن يُلْهِمَ عبده التوبة ويوفقه لها؛ فيتوب إلى ربه، ويرجع إلى طاعته نادما مستغفرا عازما أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى.

الثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنوب بها؛ فإن التوبة تجب ما قبلها[4].

وقد جمع ابن القيم – رحمه الله- هذين النوعين في نونيته حيث قال :

وكذلك التواب من أوصافه ... والتَّوْبُ في أوصافه نوعان

إذْنٌ بتوبة عبده وقبـــولها ... بعد المتاب بمنـــة المنان [5]

ثانيا: ورود الاسمين (التواب، والرحيم) في الآيات مقترنين:

(١) ذكر ذلك ابن جرير عن قتادة رحمهما الله تعالى انظر: تفسير الطبري٦/٥٠٣

(٢) تفسير الطبري ١/٣٢٨

(٣) انظر: شرح القصيدة النونية لهراس ٢/١٠٠

(٤) انظر : الحق الواضح المبين–٤٠، شرح القصيدة النونية للهراس٢/١٠١–١٠٢

(٥) الحق الواضح المبين ٣٩

ورد هذان الاسمان مقترنين في تسعة مواضع من كتاب الله -لأ-ومن ذلك:

١- قال الله تعالى:﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١)

٢- وقال تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢)

٣- وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٣)

ثالثا: من دلالة اقتران اسمي الجلالة (التواب الرحيم) في كتاب الله:

من رحمة الله العظيمة بعباده المؤمنين أن فتح لهم باب التوبة ، يتوب على من تاب منهم ويعفو عن السيئات؛ ومن أسمائه -أ- التواب الذي جاء مقترنا باسم الله الرحيم في محكم الآيات ؛فكان لله -سبحانه وتعالى-من كل اسم منهما صفة كمال تثبت له -جل وعلا- وعند اقترانهما كان له -أ-ثناء من كل اسم منهما باعتبار انفراده، وثناء من اجتماعهما وذلك قدر زائد على مفرديهما(٤)

فمن هذا المنطلق بحث العلماء في دلالات اقتران هذين الاسمين فمما قالوه في هذا :

١- إن من آثار وثمار رحمة الله -تعالى- توفيقه لعباده إلى التوبة ثم قبولها منهم.

كما قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾(٥) وتوفيق العبد للتوبة ثم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٧

(٢) سورة البقرة، آية: ٥٤

(٣) سورة البقرة ، آية: ١٢٨

(٤) انظر: بدائع الفوائد ١/ ٨٩، وفقه الأسماء للبدر٤١.

(٥) سورة النساء، آية: ٢٧

قبولها منه يترتب عليه حسن العاقبة، والنجاة من عذاب الله -تعالى- وتلك رحمة خاصة [(١)]

يقول الشيخ السعدي -/- في هذا: «وإنه لما كان هو التواب الرحيم أقبل بقلوب التائبين إليه، ووفقهم للأخذ بالأسباب التي ترجعهم إلى الفطرة السليمة التي يعرفون بها نعمة ربهم فيقدرونها ويشكرونها، ويستجيبون لما يدعوهم بها إليه ـــ سبحانه - فيرجعون في كل شؤونهم، وأمورهم إلى ربهم؛ فيفرح بهم ويزيدهم من فضله، ويتوب عليهم، ثم يغفر لهم ويرحمهم؛ فتاب عليهم أولا بتوفيقهم للتوبة وأسبابها، وتاب عليهم ثانيا حين قبل متابهم،وأجاب سؤالهم » [(٢)]

٢- وقال أبو السعود -/- عند قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(٣)] «وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران، والجملة تعليل لقوله تعالى: ﴿... فَتَابَ عَلَيْهِ... ﴾» [(٤)]

والقول بأن دلالة اقتران الاسمين (التواب الرحيم)، وختم الآيات بهما هو لبيان علة الحكم المذكور فيها قال به طائفة من أهل العلم[(٥)] يقول ابن عاشور في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ قال : « تذييل وتعليل للجملة السابقة وهي ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؛ لأنه يفيد مفادها مع زيادة التعميم ...ومعنى المبالغة في (التواب) أنه كثير القبول للتوبة ... وتعقيبه بالرحيم؛ لأن الرحيم جارٍ مجرى العلة للتوبة؛ إذ

(١) انظر : كتاب ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ١٤٩ـــــ ١٥٠
(٢) القواعد الحسان للسعدي، ضمن المجموعة الكاملة ٨/٥٦
(٣) سورة البقرة، آية: ٣٧
(٤) تفسير أبي السعود ١/١٢٣
(٥) انظر:القواعد الحسان٨/٥٤، وأسماء الله الحسنى،للغصن ص١٠٠

قبول التوبة عن عباده ضرب من الرحمة » (١)

٣- وهناك دلالة ثالثة في اقتران الرحيم بالتواب: وهي أن الله -سبحانه وتعالى- قرن بينهما وترك العطف بينهما في جميع المواضع التي وردا فيها مقترنين وذلك لنكتة بديعة وهي الدلالة على اجتماع هذين الأمرين في ذاته سبحانه،وأنه حال كونه توابا فهو رحيم ورحمته لا تنافي توبه بل هما مجتمعان(٢).

فالله تعالى يوفق عبده للتوبة ويقبلها منه إذا تاب إليه،ومع ذلك يرحمه ويحبه ولو كان منه ما كان؛لأنه تعالى يحب التوابين، والمخلوق على خلاف ذلك فإنه قد يقبل ممن أساء إليه ويعفو عنه ولكنه قد لا يحبه (٣)

(١) التحرير والتنوير١/ ٤٣٩

(٢) انظر: بدائع الفوائد٢/٥٥

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن ٩٩

المسألة الثانية

اقتران اسم الله (الرحيم) باسم الله (الرؤوف) ودلالة ذلك

أولا: بالنسبة لمعاني هذين الاسمين الكريمين في اللغة والمعنى المضاف إلى الله - لأ - فقد تقدم إيضاح ذلك فأغنى عن إعادته .

ثانيا: ورود الاسمين (الرؤوف، والرحيم) في الآيات مقترنين:

اسم الله (الرؤوف) ورد مقترنا باسم الله (الرحيم) في تسعة مواضع من كتاب الله -عز وجل- منها:

١- قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]

٢- وقوله تعالى :﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢]

٣- وقوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣]

ثالثا: من دلالة اقتران اسمي الجلالة (الرؤوف الرحيم) في كتاب الله:

---

(١) سورة البقرة، الآية:١٤٣

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٧

(٣) سورة الحشر، آية: ١٠

دلالة اقتران هذين الاسمين (الرؤوف الرحيم) تتضح لمن تأمل السياق القرآني لكل آية وردا فيها مقترنين،وبما أنهما لم يردا مقترنين إلا في ختام الآيات؛لذا سيلاحظ القارئ الكريم أن ما يذكر من دلالة الاقتران فيهما مرتبطة ارتبطا قويا بختم الآيات،ولن يتجاوز الباحث ما ذكره أهل العلم في هذا بل سيحاول الإجمال دون التفصيل؛لأنه لو سلك جانب التفصيل في كل موضع ذكرا فيه لطال الأمر والمقصود التمثيل لا الحصر فأقول وبالله التوفيق: **من دلالة اقتران الرؤوف الرحيم ما يلي**(١) :

أنه قد يؤتى بهذين الاسمين الكريمين مقترنين في الآية ، وتكون دلالة ذلك الإشارة إلى تقرير الحكم المذكور فيها وتعليله، وهذه الدلالة واضحة وبينة في كثير من المواضع التي ذكر فيها الرؤوف الرحيم مقترنين.

وهذا كما في قوله تعالى:﴿... وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)

« أي ما ينبغي ولا يليق به -تعالى- أن يُضِيع إيمانكم، وهذا من كمال رأفته ورحمته بهم. لذا قد وعدهم وعدا صادقا بأن يحفظ عليهم إيمانهم،فلا يضيعه عليهم أبدا؛بل يحفظه من الضياع والبطلان،فليستبشروا بهذا الوعد من الرؤوف الرحيم»(٣)

يقول أبو السعود في إرشاد العقل السليم في الآية السابقة:«تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له؛ فإن اتصافه – **لأ**-بهما(أي بالرؤوف الرحيم) يقتضي لا محالة أن لا يضيع أجورهم، ولا يدع ما فيه صلاحهم »(٤)

---

(١) في هذه المسألة استفدت كثيرا من فقه الأسماء للبدر ص٢٣٢وما بعدها، وبحث رحمة الله بخلقه في القرآن ص٢٥٤

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣

(٣) انظر: تفسير السعدي ١/١٦١، وفقه الأسماء الحسنى٢٣٠

(٤) تفسير أبي السعود ١/١٢٤

ومن هذا ما جاء في قوله تعالى :﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [١] ففي هذه الآيات يُذَكِّر الله –سبحانه وتعالى–عباده بما سخره لهم من النعم والعطايا التي تستوجب عليهم شكر المنعم بها ـــــ جل وعلا ـــــ والقيام بحقها؛ مما هو أثر من آثار رحمته، ورأفته بعباده، وهذا ما يشهد له اقتران الاسمين (الرؤوف الرحيم) في ختام الآيات؛ لأن هذا لاقتران البديع بينهما فيه دلالة وإشارة إلى أن هذه النعم الجسام، والمنن العظام إنما هي من رأفته ورحمته بعباده؛ خلق كل ذلك لهم لأنه رؤوف رحيم بهم سبحانه[٢] .

يقول ابن عاشور –رحمه الله– :« ...وجملة ﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ تعليل لجملة ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَا﴾ أي خلقها لهذه المنافع؛ لأنه رؤوف رحيم بكم »[٣]

ومما ذكر كذلك من دلالة اقترانهما: أن هذا الاقتران بين الاسمين الكريمين يدل على أعلى درجات الرحمة، والرأفة هي من موجبات الرحمة وآثارها[٤]

(١) سورة النحل، الآيات: ٥ ـــــ ٧

(٢) انظر:القواعد الحسان ٦١/٨،ورحمة الله بخلقه في القرآن٢٥٤،وفقه الأسماء الحسنى ٢٣٠

(٣) التحرير والتنوير ١٠٧/١٤

(٤) انظر: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ١٤٨ ـــــ ١٤٩

المسألة الثالثة

اقتران اسم الله (الرحيم) باسم الله (الغفور) ودلالة ذلك

أولا : معنى اسم الله (الغفور) .

الغفور في اللغة :

الغفور : مبالغة من غافر وأصل الغَفْر: هو السَّتْر والتَّغْطية.

وكل شيء سترته فقد غَفَرْتَهُ. يقال: اصبغ ثَوْبك فهو أغْفَر للوسخ.أي أحْمل له وأسْتر.

ومنه سُمِّي المغفر الذي يلبس على الرأس عند الحرب ليقي الرأس من الضرب(١)

معنى اسم الله (الغفور) المضاف إلى الله تعالى:

معنى اسم الله الغفور :أي الكثير السَّتْر لذنوب عباده، والمتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم(٢)

يقول الزجاج في الغفور :«هو الذي يستر ذنوب عباده ويُغَطِّيهم بستره»(٣)

ويقول ابن القيم -رحمه الله-:

(وهو الغفور فلو أتى بقرابها من غير شرك بل من العصيان

لاقاه بالغفـــران ملء قرابها سبحانه هـــو واســـع الإحـــسان) (٤)

ثانيا: ورود الاسمين (الغفور، والرحيم) في الآيات مقترنين:

ورد هذان الاسمان الحسنان مقترنين في اثنين وسبعين موضعا من كتاب الله عز وجل :١- في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

---

(١) انظر: لسان العرب٥/٢٥،وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٣٧ ـــــ ٣٨

(٢) انظر: لسان العرب٥/٢٥،وشرح القصيدة النونية لهراس٢/١٠٠

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى ٣٧ ـــــ٣٨

(٤) الحق الواضح المبين ٣٩

رَّحِيمٌ﴾[١]

٢- و في قوله تعالى:﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]

٣- وفي قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]

ثالثا: من دلالة اقتران اسمي الجلالة (الغفور الرحيم) في كتاب الله:

إن المتأمل في كتاب الله -لأ- يجد كثيرا من الآيات القرآنية التي فيها اقتران اسما الله تعالى (الغفور الرحيم)، بل إن أكثر الأسماء الحسنى اقترانا باسم الله (الرحيم) هو اسم الله تعالى الغفور؛وهذا مما يلفت نظر المتدبر لكلام الله -أ- ويجعل العبد المؤمن يقف مع هذه الآيات الكريمة ليعرف دلالة ذلك الاقتران،وفي الأسطر التالية ذكر لبعض مواضع الاقتران وما فيها من دلالات وأسرار :

أولا: من دلالة اقتران اسمي الجلالة (الغفور الرحيم) وختم الآيات بهما:أن أسماء الله -لأ- كلها أسماء مدح وثناء، وأنها ليست ألفاظا مجردة لا معاني لها .

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- :

«... فإنه سبحانه يعلِّل أحكامه وأفعاله بأسمائه، ولو لم يكن لها معنى لما كان التعليل صحيحا... كقوله تعالى:﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤]

فختم حكم الفيء الذي هو الرجوع والعود إلى رضا الزوجة، والإحسان إليها،

---

(١) سورة البقرة، آية:١٧٣

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٢

(٣) سورة المائدة،آية: ٣٤

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٢٢٦ــــــ ٢٢٧

بأنه غفور رحيم يعود على عبده بمغفرته ورحمته إذا رجع إليه، والجزاء من جنس العمل،فكما رجع إلى التي هي أحسن، رجع الله إليه بالمغفرة والرحمة... »[١]

ويؤخذ كذلك من الآية التي استدل بها ابن القيم دلالتين من دلالات اقتران اسمي الجلالة (الغفور الرحيم) زيادة على ما ذكره -رحمه الله- وهما :

١- أن في الجمع بين هذين الاسمين دلالة على أن أعظم آثار رحمته الرحمة الدينية، التي تتضمن مغفرة السيئات وتكفير الخطيئات[٢]

يقول ابن القيم -رحمه الله- في قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾[٣] قال:«ثم ختم الآية بصفتين تقتضيان الإحسان إلى خلقه، وهما الرحمة والمغفرة، فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه برحمته، ويعفو عن زلتهم ويهب لهم ذنوبهم ولا يؤاخذهم بها بمغفرته،فقال:﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ فتضمنت هذه الآية سعة علمه ورحمته وحكمته ومغفرته وهو سبحانه يقرن بين سعة العلم والرحمة كما يقرن بين العلم والحلم ...»[٤]

ومن المناسبات المفيدة في هذه الآية ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- حول تقديم الرحيم على الغفور في آية سبأ هذه ، ومناسبة تأخره عنه في بقية المواضع التي وردا فيها مقترنين فقد قال :«وقُدِّم الرحيم في هذا الموضع لتقدم صفة العلم فحسن ذكر الرحيم بعده ليقترن به فيطابق قوله تعالى :﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[٥] ثم ختم الآية بذكر صفة المغفرة لتضمنها دفع الشر وتضمن ما قبلها

---

(١) جلاء الأفهام ١٢٤-١٢٥

(٢) انظر : بحث رحمة الله بخلقه في القرآن الكريم، مجلة جامعة الإمام العدد ٥٥،ص٢٤٨

(٣) سورة سبأ، آية: ٢

(٤) بدائع الفوائد ٨٩/١

(٥) سورة غافر، آية: ٧

جلب الخير.

ولما كان دفع الشر مقدما على جلب الخير قُدِّم اسم الغفور على الرحيم حيث وقع - أي في بقية مواضع ذكرهما - ولما كان في هذا الموضع تعارض يقتضي تقديم اسم الرحيم لأجل ما قبله قدم على الغفور » (١)

٢- أن الله سبحانه وتعالى قد اكتفى بذكر اسميه (الغفور الرحيم) دون التصريح بذكر حكم وجزاء من فاء ورجع إلى زوجته؛ تنبيها للعباد أنهم إذا عرفوا الله بهذين الاسمين العظيمين عرفوا ما يترتب عليهما من أحكام وأن ذلك الحكم من آثار اسميه الغفور الرحيم (٢)

ومن هذا الباب كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (٣)

فهاتان الآيتان لم يصرح الله -أ- بحكم من حارب الله ورسوله -<- بعد التوبة وعدم القدرة عليهم ولكنه -سبحانه وتعالى-اكتفى بذكر اسميه (الغفور الرحيم)، وفي ذلك دلالة إلى أن الله سيغفر لهم ويرحمهم، وفيه توجيه أيضا للمؤمنين بأن يعاملوهم بالرحمة والمغفرة.(٤)

قال السعدي -/- : «وكذلك لما قال في سورة المائدة :

---

(١)بدائع الفوائد ٩٠/١وانظر في مناسبة التقديم والتأخير بين الاسمين التحرير والتنوير ٢٦٦/٢٦وبحث رحمة الله في خلقه، مجلة جامعة الإمام، عدد ٥٥،ص٢٤٨

(٢) انظر القواعد الحسان ٥٨/٨، وأسماء الله الحسنى للغصن ١٠٢

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٣٣- ٣٤

(٤) انظر : بحث رحمة الله بخلقه في القرآن الكريم، مجلة جامعة الإمام العدد ٥٥،ص٢٥١

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ لم يقـل: فـاعفوا عنـهم، أواتركوهم ونحوها بل قال: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يعـني: فـإذا عرفتم ذلك وعلمتموه عرفتم أن من تاب وأناب؛ فإن الله يغفر له ويرحمه. فيـدفع عنه العقوبة، ويمده بالقوة على الطاعة، فكذلك فاعفوا عنه إذا استحق العفو ›› (١)

ثانيا: ومن دلالة اقتران اسمي الله (الغفور الرحيم) دلالتهما علـى أن رحمـة الله سبقت غضبه.

وذلك حينما يذكر الله -لأ- أسباب الرحمة وأسباب العقوبة، ثم يختمهـا بهـذين الاسمين الدالين على مغفرة الله لذنوب عباده وكمال رحمته، ومن أمثلة ذلك مـن مواضع اقتران الغفور الرحيم ما جـاء في قولـه:﴿ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (٢) وقوله تعالى:﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴾ (٣)

يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي -/ - في بيان هذه الدلالة :‹‹فذلك يدل علـى أن رحمته سبقت غضبه، وغلبته، وصار لها الظهور، وإليها ينتهي كل من فيـه أدنى سبب من أسباب الرحمة، ولهذا يخرج من النار من كان في قلبه أدنى حبة خردل من الإيمان ›› (٤)

---

(١)القواعد الحسان ٥٨/٨ -٥٩

(٢) سورة آل عمران،آية: ١٢٩

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٣

(٤) القواعد الحسان ٦٢/٨

المسألة الرابعة

اقتران اسم الله (الرحيم) باسم الله (العزيز) ودلالة ذلك

أولا : معنى اسم الله (العزيز) .

معناه في اللغة :

(عَزَّ): في الأصل يدل على الشدة،والقوة،والندرة، وما كان في معناها.

و(العزة) هي الرفعة والامتناع،يقال: رجل عزيز:أي منيع لا يغلب،ولا يقهر.

وعزَّ الشيء يعز فهو عزيز: أي قلَّ حتى ما يكاد أن يوجد؛ يعني أصبح نادرا[١]

معنى اسم الله (العزيز) المضاف إلى الله تعالى:

العزيز ـــ سبحانه ـــ هو القوي الغالب، الذي ذلَّ لعزته كلُّ عزيز، وخضع له كل شيء من خلقه.

وهو سبحانه ذو العزة التي لا تُرام، فله العزة الكاملة، ليس كمثله شيء.

وهو -جل وعلا- يهب العزة لمن يشاء من عباده [٢]كما قال -جل وعلا-﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِی ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَاۤءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَاۤءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاۤءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاۤءُۖ بِیَدِكَ ٱلۡخَیۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَیۡءࣲ قَدِیرࣱ ﴾ [٣]

قال ابن جرير -/- :«العزيز :أي لا يقهره شيء، ولا يغلبه غالب، بل يقهر كل شيء،ويغلبه؛لأنه خلقه»[٤]

وقال ابن كثير -/-:«العزيز: هو ذو العزة التي لا ترام»

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٦٣٥،مادة(عزَّ)،ولسان العرب،٣٧٥/٥،تفسير أسماء الله الحسنى ٣٣

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج٣٣- ٣٤،والحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١٣٠/١، وتفسير ابن كثير٣٢٤/٤

(٣) سورة آل عمران،آية: ٢٦

(٤) تفسير ابن جرير ١٩١/٦

وقال أيضا :العزيز: الذي قد عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء، فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه [(١)]

وقد ذكر ابن القيم -/- في نونيته لعزة الله ثلاثة معانٍ حيث يقول :

«وهو العزيز فلن يرام جنابه   أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلابلم   يغـــلبه شـــيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه   فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه   من كل وجه عادم النقصان» [(٢)]

ويوضح الشيخ السعدي -يرحمه الله تعالى- هذه المعاني الثلاث بقوله:«العزيز: الذي له العزة كلها : عزة القوة، وعزة الغلبة، وغزة الامتناع .

فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة،وخضعت لعظمته » [(٣)]

ثانيا: ورود الاسمين (العزيز، والرحيم) في الآيات مقترنين:

ورد هذان الاسمان مقترنين في ثلاثة عشر موضعا من كتاب الله - لأ -

١- منها تسعة مواضع في سورة الشعراء يذكر الله بعد قصة كل نبي مع قومه قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [(٤)]

---

(١) تفسير ابن كثير١/٦١١ و٤/٣٤٣

(٢) انظر: شرح النونية لهراس٢/٧٨

(٣) انظر: فصل في معاني أسماء الله الحسنى،ضمن تفسيره يرحمه الله٥/٦٢٤وذكر هذا في الحق الواضح المبين ص٢٤، وشرح هذه المعاني بالتفصيل محمد خليل هراس في شرح القصيدة النونية٢/٧٩

(٤) سورة الشعراء، الآيتان:٨-٩

٢- وقوله تعالى:﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١)

ثالثا: من دلالة اقتران اسمي الجلالة (العزيز الرحيم) في كتاب الله:

حينما يتأمل العبد كتاب الله -لأ- وتمر به الآيات التي يقترن فيها الاسمان الكريمان (العزيز الرحيم) ليتعجب من هذا الاقتران البديع!وكيف جمع الله بين اسمين من أسمائه وختم بهما آياته مع اختلاف معناهما تماما،ولكن عندما يتدبر الآيات ويرجع إلى ما قاله علماء السلف في تلك الآيات تتضح له دلالة ذلك الاقتران،وأسراره وحكمه فيزيد علمه ومعرفته بربه ومولاه جل وعلا.

ومن هذا ما سبق ذكره من اقترانهما في سورة الشعراء بعد ذكر قصة كل نبي مع قومه وبعد بيان ما حل بالمكذبين من العذاب والنكال، وما نال المؤمنين الموحدين من الرحمة والنصر والتمكين تختم كل قصة بقول العزيز الرحيم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢) ودلالة هذا الاقتران تظهر حينما يُنظر إلى ما يقتضيه كل اسم منهما؛فإن ما حصل للمكذبين من العذاب والهلاك فإنما هو مقتضى عزته — أ— وقوته وغلبته وهو موجب اسمه -سبحانه- (العزيز)،وما تضمنته كل قصة من نجاة النبي وأتباعه إنما هو مقتضى رحمة الله ولطفه،وهو موجب اسمه سبحانه (الرحيم).(٣)

يقول شيخ الإسلام -/-ـــ :«...ولهذا يذكر -سبحانه- في سورة الشعراء قصة موسى وإبراهيم، ونوح وعاد وثمود، ولوط وشعيب. ويذكر لكل نبي إهلاكه لمكذبيهم، والنجاة لهم ولأتباعهم ثم يختم القصة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا

(١) سورة الروم،الآية:٥

(٢) سورة الشعراء، الآيتان:٨ــــــ٩

(٣) انظر:القواعد الحسان للسعدي /٦١،وكتاب ولله الأسماء الحسنى لعبدالعزيز الجليل ١٥٠ــــ١٥١

كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [١] فختم القصة باسمين من أسمائه تقتضيها تلك القصة، وهو ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فانتقم من أعدائه بعزته، وأنجى رسله وأتباعهم برحمته »[٢]

ويؤكد الشيخ السعدي -رحمه الله- دلالة اقتران (العزيز الرحيم) من ناحية أخرى وذلك حينما ذكر أن مقتضى الاسمين قد يتعلق بكل من الحالتين ــ هلاك المكذبين،ونجاة المرسلين وأتباعهم – فقد قال :«وقد يتعلق مقتضى الاسمين بكل من الحالتين؛ فإنه نجّى الرسل وأتباعهم بكمال قوته وعزته ورحمته، وأهلك المكذبين بعزته ورحمته.ويكون ذكر الرحمة دالا على عظم جرمهم، وأنه طالما فتح لهم أبواب رحمته بآياته ونعمه ورسله فأغلقوها دونهم،بتمردهم على الله وكفرهم وشركهم فلم يكن لهم طريق إليها، ولولا ذلك لما حل بهم هذا العقاب الصارم »[٣]

كما أن من دلالة اقتران هذين الاسمين (العزيز الرحيم) دلالتهما على أنه سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال متزه عن التشبيه والمثال،فوصفه بكمال العزة والرحمة، وأن رحمته لا تنافي عزته، وعزته لا تنافي رحمته؛فهذا مما لا يماثله فيه أحد من خلقه.

يقول شيخ الإسلام -/- :«وهو العزيز الرحيم إذ كان المخلوق كثيرا ما يتصف بالعزة دون الرحمة، أو تكون فيه رحمة بلا عزة،وهو سبحانه العزيز الرحيم الغفور، الودود، المجيد » [٤]

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان:٨-٩
(٢) مجموع الفتاوى ٥٤/١٩
(٣) القواعد الحسان ٦١/٨
(٤) كتاب النبوات لابن تيمية ١٠٤

المسألة الخامسة

اقتران اسم الله (الرحيم) باسم الله (البر) ودلالة ذلك

أولا : بالنسبة لمعاني هذين الاسمين الكريمين في اللغة والمعنى المضاف إلى الله -لأ- فقد تقدمت.

ثانيا: ورود الاسمين (البر، والرحيم) في الآيات مقترنين:

جاء الاقتران بين هذين الاسمين في موضع واحد من كتاب الله تعالى وهو في قوله تعالى:﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١)

ثالثا: من دلالة اقتران اسمي الجلالة (البر الرحيم) في كتاب الله:

عند تأمل الآيات السابقة، وذكر هذين الاسمين الكريمين في حال اقترانهما في ختام الآيات، بعد ذكره لما أعدَّه لعباده المؤمنين في الجنة من النعيم المقيم؛ يظهر جليا أن دلالة ذلك إنما هو لبيان العلة والسبب الذي دخلوا به الجنة ونجوا به من النار إنما هو فضل وإكرام من البر الرحيم -سبحانه وتعالى-لا بأعمالهم.

فإذاً ساق الله هاتين الصفتين في ختام الآيات بمثابة التعليل لما هم فيه من النعيم(٢) ويؤيد ذلك ما جاء عن أبي هريرة ــــ رضي الله عنه ــــ قال : قال رسول الله -ﷺ-:« لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني برحمة منه وفضل » (٣)

---

(١) سورة الطور،الآيات: ٢٥ -٢٨

(٢) انظر : بحث رحمة الله بخلقه في القرآن،مجلة جامعة الإمام عدد٥٥،رجب ١٤٢٧هـ، ص٢٥٧ -٢٥٨

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، حديث رقم (٦٤٦٣)، ومسلم كتاب التوبة، حديث رقم(٧١١١)

المسألة السادسة:

اقتران اسم الله (الرحيم) باسم الله (الرب) ودلالة ذلك.

أولا : معنى اسم الله (الرب) .

معناه في اللغة :

رب : في الأصل مأخوذ من التربية للشيء، وتنميته، وتبليغه إلى كماله

وهو في اللغة يطلق على معانٍ متعددة:

* فالسيد المطاع في قومه يُدعى ربا

* والرجل المصلح للشيء يدعى ربا، من ربَّ الشيء إذا أصلحه.

* والمالك للشيء يدعى ربه،ورب كل شيء مالكه ومستحقه.

وقد يطلق على غير هذه المعاني. غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة (١)

وكل هذه المعاني صحيح في حق الله -تعالى- فهو مربي الخلق، وخالقهم، ومالكهم، والمصلح لجميع شؤونهم(٢)

يقول شيخ الإسلام - / -:«الرب: هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي... »(٣)

ولا يطلق (الرب) غير مضاف إلا على الله -تعالى-، وإذا أطلق على غيره أضيف؛ فيقال: رب كذا(٤).

معنى اسم الله (الرب) المضاف إلى الله تعالى:

يقول ابن جرير الطبري -يرحمه الله- « فربنا جل ثناؤه : السيد الذي لا شِبْه له،

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن١/٩١ــــ٩٢، وتفسير ابن كثير١/١٠١، ولسان العرب١/٤٠٠ـــــــ٤٠١، واللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب ٢٢٤.

(٢)انظر:تفسير ابن كثير ١/١٠٠، واللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب ٢٢٦

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/١٤

(٤) انظر : والنهاية لابن الأثير١/١٧٩، تفسير ابن كثير ١/١٠١،

ولا مثل في سُؤْدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر »[(١)]

وقال ابن كثير ـــــ عليه رحمة الله ـــــ :«والرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى» [(٢)]

فالرب –سبحانه وتعالى–هو المربي جميع خلقه بالتدبير،وأصناف النعم.

وأعظم هذه التربية، تربيته لأوليائه وأصفيائه بهدايتهم إلى الصراط المستقيم بالإيمان والعمل الصالح،وإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم، مع حفظ كل ذلك عليهم؛ ولهذا كثر دعاؤهم له باسمه الجليل (الرب) ؛لأنهم يطلبون منه تربية خاصة[(٣)]

يقول شيخ الإسلام ـــــ / ـــــ :«فعامة المسألة والاستغاثة المشروعة باسم (الرب)» [(٤)]

ثانيا: ورود الاسمين (الرب، والرحيم) في الآيات مقترنين:

ومن مواضع الاقتران بين اسمي الجلالة(الرب والرحيم) في كتاب الله تعالى :

١- قوله تعالى:﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [(٥)]

ثالثا: من دلالة اقتران اسمي الجلالة (الرب الرحيم) في كتاب الله:

اقتران هذين الاسمين الكريمين وختم الآيات بهما له دلالات عدة منها ما قد سبق ذكره في اقتران الأسماء السابقة باسم الله الرحيم ولا بأس بأن يشار في هذا الموضع إلى شيء منها فأقول:

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري١/٩٢

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٠١

(٣) انظر : تفسير السعدي ٥/٦٢٠

(٤) مجموع الفتاوى١٤/١٣

(٥) سورة يس،آية: ٥٨

١ــ أن اقتران (الرب والرحيم) في الآيات والختم بهما يدل على أن الحكم المذكور فيها له تعلق بالاسمين المذكورين فيكون ذكرهما كالتعليل لما تضمنته الآية.

ففي سورة (يس) المؤمنون أدخلهم الله الجنة وألقي عليهم السلام ؛ لأنه سبحانه وتعالى ربهم والرحيم بهم جل وعلا.

يقول الألوسي[١] -رحمه الله- في هذا الموضع:«وفصل الجملة على ما قيل؛ لأنها كالتعليل لما تضمنته الآي قبلها؛ فإن سلام الرب الرحيم منشأ كل تعظيم وتكريم»[٢]

٢- الجمع بين هذين الاسمين فيه دلالة على أن رحمة الله بخلقه من آثار ربوبيته ــــ سبحانه وتعالى،فالرب على الحقيقة لا يمكن إلا أن يكون رحيما، بل إن رحمته بعباده من أخص صفاته،ومن موجبات ربوبيته تبارك وتعالى.

يقول ابن القيم -رحمه الله- : «واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه برحمته فــ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[٣] مطابق لقوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[٤] فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصى شمول الرحمة وسعتها،فوسع كل شيء برحمته وربوبيته...»[٥]

---

(١) هو شهاب الدين: محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، قال عنه في معجم المؤلفين:مفسر، محدث، فقيه، أديب لغوي، تقلد الإفتاء في بغداد ،له مصنفات كثيرة، منها :تفسير روح المعاني والسبع المثاني،والأجوبة العراقية والأسئلة الإيرانية،وغيرهما توفي في بغداد سنة ١٢٧٠هـــ .انظر :معجم المؤلفين ٨١٥/٣

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣٨/٢٣

(٣) سورة طه، الآية: ٥

(٤) سورة الفاتحة، الآيتان:٢ـــــ٣

(٥) مدارج السالكين ٤٤/١

المسألة السابعة

اقتران اسم الله (الرحيم) باسم الله (الودود) ودلالة ذلك

أولا : معنى اسم الله (الودود) .

الود مصدر من المودة، ومعناه: الحب، لأن أصل الود محبة الشيء،يقال: ودَّ الشيء وُدًّا: أي أحبه. وتقول وَدِدْت الرجل أَوَدُّه إذا أحببته [(١)]

معنى اسم الله (الودود) المضاف إلى الله تعالى:

جاء تفسير اسم الله (الودود) عن ابن عباس ـــــ ب ـــــ حيث فسره بأنه بمعنى الحبيب[(٢)].

وقال ابن جرير–/–:« ودود أي ذو محبة لمن أناب وتاب إليه يودُّه ويحبه» [(٣)]

ويقول ابن القيم ـــــ / ـــــ بعد أن ذكر أن أكثر أسماء الله تعالى تأتي على فعيل بمعنى فاعل، ثم قال:«وأما الودود ففيه قولان :

أحدهما: أنه بمعنى فاعل ، وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين .

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ١٠٤٠مادة (ودّ)، لسان العرب٣/٤٥٣وما بعدها.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره عند تفسير سورة البروج١٢/٥٢٩، وذكره أيضا ابن كثير في تفسير سورة البروج أيضا٤/٥٣٠ورواه البخاري تعليقا،في كتاب التوحيد ،باب وكان عرشه على الماء ١٣/٤٠٣، وقال الحافظ في الفتح: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. انظر:الفتح ١٣/١٠٨

(٣) تفسير الإمام الطبري ٧/١٠٣

والثاني: أنه بمعنى مودود، وهو المحبوب الذي يستحق أن يحب الحب كله، وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره ونفسه وجميع محبوباته »[1]

ويقول السعدي -رحمه الله-:« الودود هو المحب المحبوب، بمعنى واد ومودود فهو الذي يحب أنبياءه، وأتباعه،ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء،قد امتلأت قلوبهم من محبته، وألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودا، وإخلاصا، وإنابة من جميع الوجوه»[2].

ثانيا: ورود الاسمين (الودود، والرحيم) في الآيات مقترنين:

ورد هذان الاسمان مقترنين في موضع واحد من كتاب الله -تعالى- وهو قوله تعالى من سورة هود:﴿وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[3]

ثالثا: من دلالة اقتران اسمي الجلالة (الودود الرحيم) في كتاب الله:

مما ذُكر في دلالة اقتران هذين الاسمين ما يلي:

١- أن محبة الله لمن تاب إليه واستغفره -الذي هو من معنى اسم الله الودود - من موجبات رحمته جل وعلا.

لذا اختار شعيب -×- هذين الاسمين -الرحيم الودود -عند دعوته لقومه فحثهم إلى الاستغفار والتوبة إلى الله ثم بين لهم ما يرغبهم ويطمعهم في ذلك حينما قرن بين هذين الاسمين الكريمين وأنهما يقتضيان - أنه سبحانه يتوب عليهم ويقبل توبتهم ويمن عليهم بمحبته لهم إن هم تابوا وأنابوا؛ فذكر الاسمين كالتعليل للأمر في الآية .

---

(١) جلاء الأفهام ٢٥٣،وذكر المعنيين أيضا شيخ الإسلام في كتاب النبوات عن الخطابي انظر: ص١٠٤

(٢) تفسير السعدي٦٢٦/٥،والحق الواضح المبين ٣٧

(٣) سورة هود، آية: ٩٠

يقول أبو السعود -رحمه الله- في قوله (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ):« وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة والحث عليها» [(١)]

٢- وهو ما بينه ابن القيم -رحمه الله- حيث قال :« وما ألطف اقتران اسمه (الودود) بـ (الرحيم)،وبـ(الغفور) فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، و(الرب) تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه،ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإنه يحب التوابين،وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان»[(٢)] والله أعلم.

(١) تفسير أبي السعود،٣/ ٣٤٥

(٢) التبيان في أقسام القرآن ٩٩

الفصل الثاني

إثبات صفة الرحمة وما يتعلق بهما من مسائل:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: إثبات صفة الرحمة المضافة لله تعالى.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بصفة الرحمة لله تعالى.

المبحث الثالث:من صور ومظاهر رحمة الله في الكتاب والسنة.

المبحث الرابع:من أسباب رحمة الله الواردة في الكتاب والسنة

المبحث الأول

إثبات صفة الرحمة المضافة لله تعالى

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: بيان معنى الرحمة المضافة إلى الله تعالى

المطلب الثاني: من معاني كلمة الرحمة في القرآن الكريم

المطلب الثالث: الأدلة على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة

المسألة الثانية: الأدلة الشرعية العقلية

المطلب الرابع: نوع صفة الرحمة هل هي ذاتية أو فعلية؟.

المطلب الخامس: بيان أقسام الرحمة وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أنواع الرحمة المضافة إلى الله تعالى.

المسألة الثانية: أقسام رحمة الله بعباده.

المطلب الأول:

بيان معنى الرحمة المضافة إلى الله تعالى

جاء بيان معنى الرحمة المضافة إلى الله تعالى [١]عن غير واحد من علماء أهل السنة والجماعة فمن ذلك:

١- يقول شيخ الإسلام:«... الرحمة: يراد بها صفة الله التي يدل عليها اسمه:الرحمن الرحيم كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[٢] »[٣]

٢- ويقول ابن القيم -/-:«الرحمة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية؛فأرحم الناس بك من شقَّ عليك في إيصال مصالحك، ودفع المضار عنك،ولو شق عليك في ذلك »[٤]

---

(١) سيكون-بإذن الله -تفصيل في أنواع الرحمة المضافة إلى الله والاستدلال عليها في المطلب الرابع من هذا المبحث

(٢) سورة غافر، آية ٧

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣/٤٠٠

(٤) إغاثة اللهفان٢/١٧٤

٣- ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم - /-بعد ذكره لآيات إثبات صفة الرحمة:((فيها إثبات صفة الرحمة لله تعالى على ما يليق بجلاله، وعظمته على حد قوله:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(١)] هي أحق الحقيقة، كما أن للمخلوق رحمة حقيقية تختص به))[(٢)].

٤ـــ ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - /-:((الرحمة: صفة الله التي اشتق لنفسه منها اسمه الرحمن،واسمه الرحيم: وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم، وصيغة التفضيل في قوله ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [(٣)]؛لأن المخلوقين قد يرحم بعضهم بعضا، ولا شك أن رحمة الله تخالف رحمة خلقه؛كمخالفة ذاته وسائر صفاته لذواتهم وصفاتهم))[(٤)]

ومما يجب أن يُنَبَّه عليه هنا:أن بيان العلماء لمعنى الرحمة لم يكن بدعا من الأمر،و لم يكن ضربا من التأويل الفاسد الذي وقع فيه مَنْ صرف نصوص الصفات عن ظواهرها من غير دليل من الكتاب والسنة،وإنما جاء قول السلف موافقا لما قَرَّره العلماء، واتفقوا عليه من أن صفات الله معلومة المعاني مجهولة الكيفية، وأن الله - سبحانه- إنما أخبرنا في القرآن، وعلى لسان رسوله ـــــ > ـــــ بما نعلمه ونفهم معناه؛وذلك كقول الإمام مالك -رحمه الله- الذي جعله العلماء كالقاعدة في جميع صفات الله تعالى ،وذلك حينما سأله سائل عن قوله تعالى:﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[(٥)] كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علاه الرُّحَضَاء ـــــ أي العرق ـــــ،قال الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال

---

(١) سورة الشورى، آية ١١

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن إبراهيم ٥٣

(٣) سورة المؤمنون، آية١١٨

(٤) أضواء البيان٥/٨٣٤

(٥) سورة طه، آية ٥

عنه بدعة، وما أرك إلا رجل سوء،ثم أَمَرَ به فأخرج...[١]

ويقول شيخ الإسلام مؤكدا لقول الإمام مالك :«وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك : في أنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء،و لا نعلم كيفيته /ثم أخذ يعدد بعض الصفات حتى قال:/ ونعلم معنى الرحمة، والغضب،والرضا، والفرح والضحك،ولا نعلم كيفية ذلك »[٢]

ويقول ابن القيم –رحمه الله– :«... وكذلك من سأل عن العلم والحياة، والقدرة، والإرادة ...والرضى، والرحمة، والضحك، وغير ذلك؛ فمعانيها كلها مفهومة، وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذ تَعَقُّل الكيفية فرع العلم بكيفية الذات وكنهها، فإذا كان ذلك غير معقول للبشر، فكيف يعقل لهم كيفية الصفات؟ »[٣]

و ممن صرَّح بذكر إجماع السلف على ذلك: حافظ المغرب ابن عبد البر –/– فقد قال : « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا إنهم لا يكيفون شيئا من ذلك...»[٤]

---

(١) لقد اشتهر هذا الأثر عن الإمام مالك ـــــ رحمه الله ـــــ شهرة عظيمة، ولقد خرجه كثير من أهل العلم فمن ذلك:رواه اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة٣٩٨/٣،رقم ٦٦٤ ،ورواه أيضا الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص١٨٠ـــــ ١٨١، الإمام الذهبي في السير١٠٠/٨ـــــــ ١٠١ قال الذهبي عنه في مختصر العلو بعد ذكره له : هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة. انظر: ص١٤١

(٢) الفتاوى ٢١٨/٥ ـــــ ٢١٩

(٣) مدارج السالكين٨٩/٢

(٤) التمهيد لابن عبدالبر١٣٤/٦ـــــ ١٣٥

المطلب الثاني:

من معاني كلمة الرحمة في القرآن الكريم:

كلمة الرحمة جاءت في القرآن في بعض الآيات مضافة إلى الله -عز وجل- وفي بعضها الآخر غير مضافة لذا سيكون الحديث في هذا المطلب حسب هذين الجانبين [١] :

أ ـــــ من معاني كلمة الرحمة المضافة إلى الله عز وجل :

١- جاءت بمعنى صفة الرحمن الرحيم:

قال تعالى:﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ [٢]

---

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز١/٨٠٦، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم٦/٢٠٦٣، الأربعون في الشفقة والرحمة لعطاالله السندي ص١٢ـــــ١٣

(٢) سورة الأنعام، آية ٥٤

٢- وجاءت بمعنى الجنة:

قال تعالى﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١)

٣- وجاءت بمعنى المطر:

قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (٢) وقوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ (٣)

٤ـــ وجاءت بمعنى رزق الإنسان والحيوان :

قال تعالى:﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾ (٤)

٥ـــ وجاءت بمعنى العافية من الابتلاء والامتحان:

قال تعالى:﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٥

٦ـــ وجاءت بمعنى النجاة من عذاب النار:

قال تعالى:﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾(٦)

---

(١) سورة آل عمران،آية ١٠٧

(٢) سورة الشورى، آية ٢٨

(٣) سورة الأعراف، آية ٥٧

(٤) سورة الإسراء، آية١٠٠

(٥) سورة الزمر، آية٣٨

(٦) سورة النور،١٠،١٤،٢٠

٧ــــ وجاءت بمعنى الإسلام الشرع التام الكامل[١]:

قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [٢]

وهذه الأوجه التي دلت عليها كلمة (الرحمة) في القرآن مضافة إلى الله لتؤكد ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في موقفهم من نصوص الصفات حيث أنهم ذكروا أن من قواعد نصوص صفات الباري -جل وعلا- أنها إذا دلت على صفة معينة في بعض المواضع ، فإن ذلك لا يوجب أن تحمل دلالة النصوص على ذلك حيث وردت، بل لا بد وأن ينظر في كل نص بخصوصه مع مراعاة ما يقتضيه سياق النص بمفرده، ثم ينظر إلى ما يبينه من نظائره في كتاب الله،وسنة رسوله -ﷺ- وأنواع دلالاتها على المعاني[٣] .

يقول شيخ الإسلام وهو يقرر هذه القاعدة :«فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله ــــ تعالى ــــ وصفاته، وأن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله، أو بعض صفاته، لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد،حتى يكون ذلك طردا للمثبت ونقضا للنافي، بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرآن، والدلالات، فهذا أصل عظيم مُهِمٌّ نافع في باب فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بهما مطلقا، ونافع في معرفة الاستدلال والاعتراض والجواب، وطرد الدليل ونقضه، فهو نافع في كل علم خبري أو إنشائي وفي كل استدلال، أو معارضة من الكتاب والسنة ، وفي سائر أدلة الخلق » [٤]

ب ــــ من معاني كلمة الرحمة غير المضافة إلى الله تعالى

١- جاءت بمعنى النصر على الأعداء:

---

(١) انظر:تفسير ابن كثير ١/٢٧٥

(٢) سورة البقرة، آية ١٠٥

(٣) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد ٢/ ٧٦٩

(٤) الفتاوى ٦/ ١٤ــــ١٥

قال تعالى:﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١)

٢- وجاءت بمعنى الأُلْفَة والمحبة بين المؤمنين:

قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (٢)

٣- وجاءت بمعنى وصف الكتاب المنزَّل على موسى - × - :

قال تعالى:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (٣)

المطلب الثالث

(١) سورة الأحزاب، آية ١٧

(٢) سورة الحديد، آية٢٧

(٣) سورة هود ،آية ١٧

الأدلة على ثبوت صفة الرحمة

صفة الرحمة من الصفات الثابتة لله -تعالى- دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة،والعقل والفطرة.

يقول ابن تيمية ـــــ/ ـــــ :«الحمد لله: الذي دل عليه الكتاب والسنة أن الله ـــــ سبحانه ـــــ له علم، وقدرة، ورحمة،ومشيئة وعزة وغير ذلك ...»[١]

ويقول الشيخ عبدالله الغنيمان ـــــ حفظه الله ـــــ في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري:«فالرحمة من الصفات الثابتة لله -تعالى- بقوله عن نفسه، وبقول رسوله ـــــ > ـــــ وبالعقل والفطرة، وإجماع أهل العلم والإيمان، و لم ينكر ذلك إلا شواذ الطوائف...»[٢]

فإذا تقرر هذا فسيكون الحديث في هذا المطلب في مسألتين:

المسألة الأولى: الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة:

أولا : الأدلة من كتاب الله على إثبات صفة الرحمة لله تعالى.

وردت آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل تدل على أن الله موصوف بصفة الرحمة، بل جاءت متنوعة الدلالة[٣]؛ ففي بعضها جاء التصريح بهذه الصفة وثبوتها لله تعالى كما في قوله جل وعلا :

١ــ :﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٤]

٢- وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ

---

(١) الفتاوى ٢٠٤/٦

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري ١٨٧/١

(٣) ذكر العلامة ابن عثيمين في القواعد المثلى: أن لدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه: التصريح بالصفة،و تضمن الاسم لها،والتصريح بفعل، أو وصف دال عليها. انظر:مجموع رسائل الشيخ٢٩٠/٣

(٤) سورة الأنعام، آية ١٤٧

شَيۡءٖ ﴾ (١)

٣ ــــ وقوله تعالى:﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (٢)

٤ ــــ وقوله تعالى:﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(٣)

وفي بعض الآيات ذكرت الأسماء الحسنى المتضمنة لصفة الرحمة والدالة عليها كاسمي الجلالة (الرحمن الرحيم):

١- كما في قوله تعالى:﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (٤)

٢- وقوله:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(٥)

٣- وقوله تعالى:﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (٦)

وفي بعض آيات القرآن جاء التصريح بالفعل الدال على صفة الرحمة فمن ذلك:

١- التصريح بالفعل الماضي الدال عليها قوله تعالى:﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ (٧)

٢- وقوله تعالى:﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١)

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٦

(٢) سورة غافر، آية ٧

(٣) سورة الأنعام، آية ١٢

(٤) سورة الفاتحة، آية ١

(٥) سورة الفاتحة، آية ٣

(٦) سورة الأحزاب، آية ٤٣

(٧) سورة هود، آية ١١٩

ثانيا:الأدلة من السنة المطهرة على إثبات صفة الرحمة لله تعالى.

أما بالنسبة لدلالة السنة على إثبات صفة الرحمة لله تعالى،فقد تواترت الأحاديث الصحاح على إثباتها لله تعالى فمن هذه الأحاديث ما يلي:

١- عن أبي هريرة ـــــ ط ـــــ قال: سمعت رسول الله ->- يقول:« جعل الله الرحمة مائة جزء،فأمسك عنده تسعة وتسعين،وأنزل في الأرض جزءا واحدا،فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه »(٢)

٢- وعن أبي هريرة ـــــ ط ـــــ قال :قال رسول الله ->- :«لما قضى الله الخلق كتب في كتاب،فهو عنده فوق العرش:إن رحمتي سبقت غضبي »(٣)

٣- عن أبي هريرة ـــــ ط ـــــ أن رسول الله ـــــ > ـــــ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد »(٤)

ثالثا: دلالة الإجماع على إثبات صفة الرحمة لله تعالى.

مما لاشك فيه أن الإجماع قد انعقد على إثبات هذه الصفة العظيمة الواسعة لله تعالى ، وأنه سبحانه موصوف بها على الحقيقة لدلالة الكتاب والسنة على إثباتها .

وأهل السنة والجماعة لهم موقف بَيِّن، وطريقة واضحة تجاه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وهم بحمد الله مجمعون عليها لتمسكهم بالكتاب والسنة .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قول ابن عبدالبر ـــــ رحمه الله ـــــ ووافقه

---

(١) سورة الدخان، آية ٤٢

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء،٤٣١/١٠،رقم ٦٠٠٠، والإمام مسلم في التوبة، باب سعة رحمة الله،وأنها تسبق غضبه،٢٢٥/١٧، رقم ٢٧٥٢

(٣) أخرجه البخاري،في بدء الخلق،حديث رقم ٣١٩٤،ومسلم في التوبة،٢٢٤/١٧،حديث ٢٧٥١

(٤) أخرجه الإمام مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله، ٢٢٦/١٧،حديث رقم ٢٧٥٥

على ذلك حيث نص على إجماع أهل السنة والجماعة على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة وصفة الرحمة من ضمنها فقال رحمه الله: «وقال أبو عمر أيضا :أهل السنة والجماعة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة،لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك »(١)

وأيضا في موضع آخر يذكر فيه صفة الرحمة من الصفات التي يثبتها أهل السنة فيقول:«إن أهل السنة يصفونه بالقدرة والإلهية والحكمة والرحمة،وهم الذين يعبدونه ويحمدونه...»(٢)

المسألة الثانية: الأدلة الشرعية العقلية:

بعد أن عرفت أيها القارئ الكريم ثبوت صفة الرحمة لله -تعالى- بالدليل السمعي -دليل الكتاب والسنة- نأتي وإياك للوقوف على ما يدل على هذه الصفة من الأدلة الشرعية العقلية؛لأن صفة الرحمة من الصفات الثابتة لله -جل وعلا- بدليل السمع ودليل العقل كما قرر ذلك علماء السلف.ولكن قبل الخوض في غمار هذه المسألة أود بيان المراد بالأدلة الشرعية العقلية،وما يدل على أن علماء السلف لم يغفلوا هذا النوع من الأدلة،بل استعملوها واستدلوا بها في باب الاعتقاد وغيره من علوم الشريعة؛وما ذاك إلا لدلالة الكتاب والسنة عليها؛ وهم في ذلك يخالفون طائفتين قد ضلتا في مسألة الاستدلال بالعقل: أهل الغلو الذين غلوا في الاستدلال بالعقل حتى قدموه على الوحي المطهر ، فجعلوا العقل أصلا يحكمون به على الآيات النيرات،وعلى أحاديث المصطفى ->- المتوترات، فما وافق عقولهم القاصرة أخذوا به، وما خالفها أولوه أو ردوه ، والطائفة الأخرى هم أهل الجفاء ، الذين أغلقوا عقولهم ورأوا أن

(١) الفتاوى لابن تيمية ٥٨/٥

(٢) المصدر نفسه ١٧٣/١٦

الاستدلال بالعقل بدعة وخروج عن نصوص الوحي.

فأهل السنة وسط في هذا الباب بين الفرق كما جعلهم الله وسطا بين الأمم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.(١)

فإذا ثبت هذا فإنه لا بد من التنبيه على المقصود بالأدلة الشرعية العقلية، قبل ذكر الأدلة الشرعية العقلية التي تدل على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى:

أولا : المقصود بالأدلة الشرعية العقلية:

الأدلة الشرعية العقلية:هي تلك الأدلة التي دلَّ الشرع عليها،وأثبتها، وهي ما كان معلوما منها بالعقل؛فهي شرعية عقلية.

شرعية: لأن الشرع دل عليها،وأرشد إليها.

عقلية:لأنها تُعلم صحتها بالعقل.(٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــــ / ــــ:«وإذا أخبر الله بالشيء ودل عليه بالدلالات العقلية، صار مدلولا عليه بخبره،ومدلولا عليه بدليله العقلي الذي يعلم به،فيصير ثابتا بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى الدلالة الشرعية »(٣).

فمن رحمة الله بعباده أن نوع لهم الأدلة في الكتاب والسنة ليهتدوا إلى الحق الذي أمرهم بالإيمان به ؛فكلها أدلة سمعية، ولكن منها مايدل **على** مدلوله بمجرد الخبر، ومنها ما يدل بطريق التنبيه والإرشاد على الدليل العقلي، وأغلب أدلة القرآن الكريم من هذا النوع(٤) فكثيرا ما يرد في القرآن إثبات النبوة،والمعاد،والصفات،

---

(١) سورة البقرة، آية:١٤٣

(٢) انظر:مجموع الفتاوى ٤٥/٦

(٣) الفتاوى٤٥/٦

(٤) ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم الصواعق المرسلة اثنين وعشرين مثالا من كتاب الله أثبت فيها أن حجج القرآن جمع الله فيها بين كونها عقلية سمعية. انظر ذلك ٤٦٠/٢وما بعدها

والتوحيد وغيرها بهذا الدليل الذي يمتنع أن يقوم دليل صحيح على معارضته[١].

يقول ابن القيم ـــــ يرحمه الله تعالى ـــــ «إن أدلة القرآن والسنة التي يسميها هؤلاء الأدلة **اللفظية نوعان**:

أحدهما: يدل بمجرد الخبر.

والثاني : يدل بطريق التنبيه والإرشاد، على الدليل العقلي.

والقرآن مملوء من ذكر الأدلة العقلية التي هي آيات الله الدالة عليه، وعلى ربوبيته، ووحدانيته، وعلمه، وقدرته،وحكمته،ورحمته، فآياته العيانية المشهودة في خلقه تدل على صدق النوع الأول، وهو مجرد الخبر،فلم يتجرد إخباره –سبحانه– عن آيات تدل على صدقها، بل قد بين لعباده في كتابه من البراهين الدالة على صدقه وصدق رسوله، ما فيه شفاء وكفاية» [٢]

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ يرحمه الله تعالى ـــــ يذهب إلى ما هو أبلغ من هذا! حيث يرى أنه لا مانع من وصف جميع الأدلة أنها عقلية،باعتبار أن العقل إذا تصورها علم أنها تدل.فقد قال :« والأجود أن يقال: جميع الأدلة عقلية.بمعنى أن العقل إذا تصورها علم أنها تدل؛ فإن الدليل: هو ما يكون النظر الصحيح فيه مفضيا إلى العلم بالمدلول عليه، وإنما يكون النظر الصحيح لمن يعقل دلالة الدليل،فمن لم يعقل كون الدليل مستلزما للمدلول لم يستدل به،ومن عقل ذلك استدل به.

فهو يدل بصفة هو في نفسه عليها لا بصفة هي في المستدل،لكن كونه عقليا يرجع إلى أن الـــمُسْتَدِل علمه بعقله، وهذا صفة في المستدل لا فيه »[٣]

إن ما سبق ذكره يبين لكل باحث عن الحقيقة غناء نصوص الوحي في هذا الباب بالدلائل العقلية اليقينية السالمة من دلائل أهل الأهواء والبدع الكلامية من التناقض،

(١) انظر: الصواعق المرسلة ٣/ ٩٠٨ــــ ٩٠٩

(٢) الصواعق المرسلة ٧٩٣/٢

(٣) النبوات ١٧٦

واللوازم الباطلة، والقول على الله بلا علم.

كما أن فيها التأكيد الصريح الواضح على أن العقل الصريح لا يمكن أن يكون مخالفا للشرع؛ بل هو موافق لشرع الله الذي جاءت به رسل الله ـــــ عليهم السلام ـــــ مما يبين صحة ما جاء به بالأدلة العقلية؛ وأنها تتعاضد مع الأدلة السمعية[١] ولا تخالفها.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- :« الأدلة العقلية البرهانية المؤلفة من المقدمات اليقينية هي موافقة لخبر الرسول لا معارضة له ، ومن كان له خبرة بالأدلة العقلية وتأليفها، وتأمل أدلة المثبتة والنفاة، رأى بينهما من الفرق ...؛فإن أدلة الإثبات أدلة صحيحة، مبنية على مقدمات يقينية خالصة من الشبهة، وأما حجج النفاة فجميعها مبناها على ألفاظ مجملة متشابهة، ومعان متشابهة» [٢]

ثانيا: الأدلة الشرعية العقلية على إثبات صفة الرحمة لله تعالى:

ما من صفة في كتاب الله -لأ- إلا وقد دل العقل الصريح على إثباتها لله -تعالى- فقد تواطأ عليها دليل العقل، ودليل السمع.[٣]

لذا كان من طرق الاستدلال الواضحة لدى أهل السنة والجماعة في إثباتهم صفات الكمال لله ـــــ الاستدلال بالأدلة الشرعية العقلية. [٤]

يقول شيخ الإسلام:«... وهكذا السلف والأئمة كالإمام أحمد وأمثاله يثبتون هذه الصفات بالعقل كما ثبتت بالسمع، وهذه الطريقة أعلى،وأشرف من طريقة هؤلاء المتأخرين...»[٥]

فلما كان الأمر كذلك؛ فإن من الأدلة العقلية الشرعية التي استدل بها العلماء في

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل٢/٧٠٧

(٢) المصدر نفسه ٢/٧٠٣

(٣) انظر: الصواعق المرسلة ٣/٩٠٩

(٤) انظر: الرسالة الأكملية لشيخ الإسلام ضمن مجموع الفتاوى٦/٤٦ـــــ ٤٧

(٥) شرح الأصبهانية ص٣٢

إثبات صفة الرحمة لله تعالى ما يلي:

١ –ــ : الاستدلال بأفعال الله ـــــ سبحانه وتعالى ـــــ في إثبات صفة الرحمة :

الله سبحانه وتعالى تعرَّف إلى عباده بأسمائه وصفاته؛ليعرفوه بها، ويعرفوا كماله، وعظمته، ومجده، وجلاله.(١)

ثم هو –جل وعلا– جعل لهم من الأدلة الشرعية العقلية التي تقودهم إلى الإقرار به، وبتوحيده، وإثبات أسمائه وصفاته.كاستدلالهم بأفعاله على صفات كماله.

فما في هذا الكون الفسيح من مخلوقات الباري –جل وعلا– فكما أنها دلائل وشواهد على خالقها، واستحقاقه للعبودية وحده لا شريك له ، فهي كذلك دلائل وبراهين على أنه متصف بصفات الكمال التي لا يمكن أن يوصف إلا بها.

يقول ابن القيم رحمه الله :

«الرب –تعالى– يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من **طريقين:**

أحدهما: النظر في مفعولاته.

والثاني: التفكر في آياته وتدبُّرها.

فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة...فأما المفعولات، فإنها دالة على الأفعال،والأفعال دالة على الصفات؛فإن المفعول يدل على فاعل فعله،وذلك يستلزم وجوده، وقدرته، ومشيئته، وعلمه؛لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم، أو موجود لا قدرة له، ولا علم، ولا إرادة ...» ثم أخذ رحمه الله يستدل على صفات الله بمفعولاته حتى قال:« ... وما فيها من النفع والإحسان والخير دال على رحمته.... فمفعولاته من أدل شيء على صفاته، وصدق ما أخبرت به رسله عنه؛ فالمصنوعات شاهدة تصدق الآيات المسموعات، منبهة على الاستدلال بالآيات المصنوعات.قال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

(١) انظر : الصواعق المرسلة٣/٩١٠

أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[١] ...»[٢]

فابن القيم رحمه الله استدل في إثبات صفة الرحمة وغيرها من صفات الكمال بمفعولات الله الدالة على أفعاله، وقد سبقه إلى هذا الدليل العقلي شيخ الإسلام ـــــ رحمه الله في إثبات صفة الرحمة في مواضع من كتبه[٣] ومن ذلك قوله:«ما في المخلوقات من وجود المنافع للمحتاجين، وكشف الضر عن المضرورين، والإحسان إلى المخلوقات، وأنواع الرزق والهدى والمسرات؛ هو دليل على رحمة الخالق ـــــ سبحانه.

والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذه الطريق؛ تارة يدلهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق، ويثبت علمه وقدرته ومشيئته؛وتارة يدلهم بالنعم والآلاء على وجود بره وإحسانه المستلزم رحمته، وهذا كثير في القرآن... كقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾[٤] وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[٥] وقوله في سورة الرحمن بعد ذكر كل نوع من هذه الأنواع:﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

وفي الجملة: فما ذكره في القرآن من الأمثال والآيات؛تارة يقرر بها نفس مشيئته

---

(١) سورة فصلت، آية: ٥٣

(٢) الفوائد ص٢٦ـــــ ٢٧

(٣) انظر مثلا: التدمرية ضمن مجموع الفتاوى١٧/٣،وشرح الأصبهانية ص٣٧

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ـــــ٢٢

(٥) سورة السجدة، آية:٢٧

وقدرته وخلقه،وتارة يقرر بها إحسانه وإنعامه ورحمته...»[١]

ومن الآيات التي تضمنت الاستدلال بأفعال الله -عز وجل- في إثبات صفة الرحمة قوله تعالى:﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾[٢] فهذه الآية من أدلة القرآن العقلية التي تثبت اتصاف الله سبحانه بصفات الكمال، وتتريهه عن صفات النقص التي لا تليق بالكبير المتعال؛ فكما أنها تدل على وصفه -جل وعلا- بصفة القدرة لإثبات البعث والنشور على من أنكره، فهي أيضا تدل على ثبوت صفة الرحمة لله -سبحانه- حيث نبهت الآية، وأشارت إلى ما يرى في إغاثة الله تعالى لعباده بإنزال المطر بعد قنوطهم، وهو أثر حسي لرحمة الله تعالى، ودليل عليها؛فقد سبق هذه الآية قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾[٣] وفي هذه الآيات رد قاطع على من يؤول الرحمة بالإنعام حيث نصت على أن إنعام الله -عز وجل- في إحياء الأرض بالنبات إنما هو أثر من آثار رحمة الله تعالى التي هي صفة قائمة به على الوجه اللائق به سبحانه.[٤]

ومن الاستدلال بأفعال الله في إثبات صفة الرحمة: الاستدلال ببناء السماء، ومد الأرض وبسطها وتوسعتها .

---

(١) شرح الأصبهانية ٣٧ــــ ٣٨

(٢) سورة الروم،آية:٥١

(٣) سورة الروم، الآيات:٤٨ــــ ٥١

(٤) انظر : الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد سعود العريفي٣٥٥

يقول ابن القيم –رحمه الله– في سياق بيانه الأقسام الواردة في سورة الشمس:«... يكون الإقسام بنفس فعله تعالى، فيكون قد أقسم بالمصنوع الدال عليه، وبصنعته الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده ... مع ما في ذكر بناء السماء وطحو الأرض وتسوية النفس من الدلالة على الرحمة والحكمة والعناية بالخلق » (١)

وبهذا يتضح صحة الاستدلال بأفعال الله سبحانه وتعالى المحكمة (فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها، وتدل عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال. كما قيل:

تأمَّل سطور الكائنات فإنها
من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خُطَّ فيها لو تأمَّلت خَطَّها
ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ
تشير بإثبات الصِّفات لربِّها
فصامتها يهدي ومن هو قائل

فلست ترى شيئا أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه. وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلا وحسا وفطرة ونظرا واعتبارا)(٢)

٢–ـــ : قياس الأولى

من الأدلة الشرعية العقلية التي استدل به السلف في إثبات صفات الكمال لله –تعالى– قياس الأولى.

وفيما يلي بيان المراد به، وذكر أمثلة من استدلال العلماء به في إثبات صفة الرحمة :

المراد بقياس الأولى وبيان حقيقته:

---

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٣١ــــــ٣٢

(٢) انظر: مدارج السالكين ٣/ ٣٧٢والأبيات ذكرها ابن القيم و لم يعزها لقائل.

قياس الأولى:هو أن يكون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه [١]

وبيان حقيقة هذا الدليل الشرعي والقياس العقلي تحدث عنها شيخ الإسلام -رحمه الله- في أكثر من موضع من كتبه حيث يقول:«هو أن يُبيِّن أن ما اتصف به غيره من صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه فهو أحق به، وما نُفِي عن غيره من صفات النقص فهو أحق بتنزيهه عنه ». [٢]

ومما يجب أن يعلم أن قياس الأولى هو الذي يجب أن يستعمل في حق الله -سبحانه وتعالى-دون غيره[٣]؛ لمجيء الوحي به وهو المستعمل في كلام السلف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «ومما يوضح هنا أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمول تستوي أفراده؛ فإن الله -سبحانه وتعالى-(ليس كمثله شيء).فلا يجوز أن يمثل بغيره،ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها ...ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى سواء كان تمثيلا،أو شمولا كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [٤] » [٥]

استدلال العلماء بقياس الأولى في إثبات صفة الرحمة:

يذكر أهل العلم أن هذا الدليل يدل على إثبات صفات الكمال ـــــ والتي منها

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ٦٩

(٢) انظر: شرح الأصبهانية٣٩٥،١٨٠، ٣٩٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٩٠/١

(٣) بل بين شيخ الإسلام أن قياس أهل الكلام يعد من الشرك والعدل بالله، والظلم، وأنه من ضرب الأمثال لله، وأنه هو القياس والكلام الذي ذمه السلف وعابوه.انظر: بيان تلبيس الجهمية٨٥١/٢

(٤) سورة النحل، آية: ٦٠

(٥) درء تعارض العقل والنقل ٨٩/١ـــــ ٩٠

صفة الرحمة ـــــ من طريقين[١] :

الأول: طريق الترجيح والتفضيل: وهو أن الكمال إذا ثبت للمُحْدَث الممكن المخلوق،فهو للواجب القديم الخالق أولى[٢].

ولعلي هنا أن أذكر بعض الأمثلة التي استدل بها علماؤنا ـــــ عليهم رحمة الله ـــــ بهذا الطريق في إثبات صفة الرحمة:

١- استدلال شيخ الإسلام بطريق الترجيح والتفضيل في إثبات بعض صفات الله تعالى.

وذلك حينما قال:«قياس الأولى : مثل أن يعلم أن ما ثبت لغيره من كمال مطلق لا نقص فيه، فهو أحق به مما سواه؛ فإذا كان الحياة، والعلم، والقدرة كمالا لا نقص فيه، وقد اتصف به المخلوق،فالخالق أحق أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة؛ وما يتره عنه غيره من العيوب، فهو سبحانه أحق بتتريهه عنه ».[٣]

فهذه الصفات التي ذكرها شيخ الإسلام هي صفات كمال استدل لها بهذا الدليل الشرعي العقلي،وكذلك صفة الرحمة فهي من صفات الكمال التي يتصف بها المخلوق،فالخالق -سبحانه وتعالى-أحق أن يتصف بها .

٢- ومن إثبات صفة الرحمة بدليل الترجيح والتفضيل ما جاء في كلام شيخ الإسلام أيضا فقد قال في الفتاوى :«فنحن نعلم بالاضطرار : أنا إذا فرضنا موجودين:

أحدهما: يرحم غيره، فيجلب له المنفعة، ويدفع عنه المضرة.

والآخر : قد استوى عنده هذا وهذا ، وليس عنده ما يقتضي جلب منفعة ولا دفع

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٠٣/١٦، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد٣٦١ـــــ٣٦٤

(٢) انظر: الفتاوى ٢٠٣/١٦،ودرء التعارض ٩٠/١

(٣) الأصبهانيه ص ٣٩٥

مضرة كان الأول أكمل » (١)

٣- ومن الأمثلة كذلك استدلال ابن القيم رحمه الله بهذا الطريق في إثبات صفات الكمال لله تعالى،بما فيها صفة الرحمة.

يقول رحمه الله في ذلك :« فلله ـــ سبحانه ـــــ كل صفة كمال، وهو موصوف بتلك الصفات كلها، ونذكر من ذلك صفة واحدة تعتبر بها سائر الصفات: وهو أنك لو فرضت جمال الخلق كلهم ـــــ من أولهم إلى آخرهم ـــــ اجتمع لشخص واحد منهم، ثم كان الخلق كلهم على جمال ذلك الشخص، لكان نسبته إلى جمال الرب -تبارك وتعالى- دون نسبة سراج ضعيف إلى جُرْم الشمس، وكذلك قُوَّته - سبحانه- وعلمه، وسمعه وبصره، وكلامه، وقدرته، ورحمته، وحكمته، وجوده، وسائر صفاته » (٢)

الطريق الثاني: إثبات صفة الرحمة من طريق دلالة الأثر على المؤثر

فمن طرق إثبات صفات الكمال لله تعالى الاستدلال بالأثر على المؤثر.

ويراد بهذا الطريق: أن واهب الكمال ومعطيه وفاعله أحق بالاتصاف به من الموهوب الـــمُعْطَى(٣).

وهذه الطريق أكمل طرق إثبات الصفات للباري -أ- وهي التي يقر بها عامة العقلاء(٤)

ولقد عدها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من طرق إثبات الكمال لله تعالى في قوله :«وأما الطريق الأخرى في إثبات الصفات،وهي الاستدلال بالأثر على المؤثر، وأن من فعل الكامل فهو أحق بالكمال » (٥)

---

(١) الفتاوى ٧٠/٦

(٢) الصواعق المرسلة ١٠٨٢/٣

(٣) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ٣٦٤

(٤) انظر : الفتاوى ٢٠٥/١٦

(٥) الفتاوى ٢٠٣/١٦

وبما أن شيخ الإسلام قد أقر هذه الطريق،وأنها من طرق إثبات صفات الكمال لذا فقد استدل بها على إثبات صفة الرحمة،فقد قال في مجموع الفتاوى: «... وكذلك إذا قيل: الرحيم؛ إما تكون رحمته من نفسه، وإما أن يكون غيره جعله رحيما، ومن جعل غيره رحيما،فهو أولى أن يكون رحيما، وتكون رحمته من لوازم نفسه،فثبت وجود الرحيم بنفسه الذي رحمته من لوازم نفسه على التقديرين.

وكذلك إذا قيل: الكريم المحسن؛ إما أن يكون كرمه وإحسانه من نفسه؛وإما أن يكون من غيره، ومن جعل غيره كريما فهو أولى أن يكون كريما محسنا، وذلك من لوازم نفسه، وفي الصحيح عن النبي -<- «أنه رأى امرأة من السبي إذا وجدت طفلا أرضعته رحمة له فقال: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قالوا: لا يا رسول الله فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها »[١].

فبين أن الله أرحم بعباده من أرحم الوالدات بولدها؛فإنه من جعلها رحيمة أرحم منها.

وهذا مما يدل عليه قوله :﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾[٢] وقولنا: (الله أكبر)؛فإنه سبحانه أرحم الراحمين، وخير الغافرين، وخير الفاتحين، وخير الناصرين، وأحسن الخالقين، وهو نعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير ».[٣] [٤]

---

(١) البخاري، في الأدب،٤٢٦/١٠،حديث رقم٥٩٩٩،ومسلم في كتاب التوبة،١٧/٢٢٦، حديث٢٧٥٤.

(٢) سورة العلق، آية: ٣

(٣) الفتاوى ٢٤٨/١٦.

(٤) يجب أن يلاحظ هنا أن مما يعمل به هذا الدليل: في إثبات صفات الكمال؛ فإن من جعل غيره على صفة من صفات الكمال فهو أولى بها؛ أما صفات النقص، فلا يلزم إذا جعل غيره ناقصا أن يكون ناقصا ، وقد أورد شيخ الإسلام هذا الاعتراض وأجاب عنه إجابة كافية شافية.انظر: الفتاوى.٢٤٩/١٦

المطلب الرابع

بيان نوع صفة الرحمة هل هي ذاتية أو فعلية

لقد تقدم في التمهيد، وفي المطلب الثالث منه عند ذكر أقسام الصفات، أن صفات الله تنقسم باعتبار تعلقها بذات الله ومشيئته إلى قسمين: ذاتية،وفعلية.وعرفنا كذلك تعريف كل قسم.

وفي هذا المطلب سنعرف ـــــ بمشيئة الله تعالى ـــــ ما قاله أهل العلم في صفة الرحمة،و من أي النوعين هي، هل هي ذاتية،أم فعلية؟

لذا أقول وبالله أستعين وعليه أتوكل :إن العلماء عند تقسيمهم الصفات إلى ذاتية، وفعلية ؛ فإن منهم من يمثل للصفات الفعلية: التي تتعلق بمشيئة الله وقدرته بصفة الرحمة.

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الشيخ عبدالرحمن بن سعدي -رحمه الله- فإنه قال:«... والصفات الفعلية: وهي كل صفة تعلقت بمشيئة الله وقدرته، كالكلام والخلق والرِّزق والرحمة والاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا كما يشاء ...»(١)

ومن أهل العلم من حكى خلافا في هذه الصفة هل هي من صفات الذات أو من صفات الأفعال.

يقول الشيخ محمد أمان الجامي -يرحمه الله- :«هذه الصفة من الصفات التي اختلف أهل العلم فيها هل هي من صفات الذات أو من صفات الأفعال ...

ثم قال : والذي يترجح عند بعض أهل العلم أنها من صفات الأفعال؛ لأنه - سبحانه وتعالى-يرحم من يشاء ويعذب من يشاء وينتقم منه ولا يرحمه، فحيث تتعلق بها مشيئة الله وقدرته فهي من صفات الأفعال.

ويمكن عدُّها من صفات الذات باعتبار أن الله لم يزل متصفا بالرحمة، فالرحمة العامة ملازمة لذاته -تعالى- وإن كان أفرادها تتجدد » (٢)

وهذا الذي ذهب إليه الشيخ عبدالله الغنيمان - حفظه الله - في شرحه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري فقد قال:«... وأما صفة الرحمة فتكون صفة ذات، وصفة فعل ... »(٣)

وبهذا يتضح أن الرحمة صفة فعلية، وتكون صفة ذاتية؛ فهي كصفة الكلام، والخلق، والرِّزق التي إذا نُظِرَ إلى أصلها فهي صفة ذاتية، وإذا نُظِرَ لأفرادها فهي صفة فعلية. والله أعلم وهو الهادي إلى الحق والصواب .

---

(١) الفتاوى السعدية ص١١

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية ص٢٨٥.

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢/ ٢٠٩

المطلب الخامس

بيان أقسام الرحمة وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أنواع الرحمة المضافة إلى الله تعالى:

دلت نصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة على أن الرحمة المضافة إلى الله – تعالى– نوعان[١]:

النوع الأول: ما أضيف إلى الله –تعالى– إضافة الصفة إلى الموصوف بها[٢]

وهذا النوع جاء في كثير من نصوص الكتاب والسنة ومن أمثلة ذلك :

١– قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣]

٢– وقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[٤]

٣– وقول رسول –<– :«يا حي يا قيوم برحمتك استغيث »[٥]

فالرحمة المضافة إلى الله –تعالى– في النصوص السابقة فإنما يراد بها صفة الله التي يدل عليها اسمه (الرحمن الرحيم)[٦]

النوع الثاني : ما أضيف إلى الله –تعالى– إضافة المفعول إلى فاعله.

---

(١) انظر:التوحيد ابن خزيمة٩٢/١،ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/٦ ،ودرء التعارض ٣ / ٤٠٠ ، وإغاثة اللهفان ١٧٢/٢.

(٢) انظر: بدائع الفوائد ٤٢٢/١

(٣) سورة الأعراف،آية:٥٦

(٤) سورة غافر،آية:٧

(٥) أخرجه الترمذي،كتاب الدعوات،٥٠٤/٥،حديث٣٥٢٤،والحاكم في المستدرك على الصحيحين،كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح،٦٩٥/١،حديث ١٩٢٧وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، الحديث حسنه الألباني، في صحيح الجامع الصغير وزيادته،٨٦٨/٢

(٦) انظر :درء تعارض العقل والنقل ٤٠٠/٣

ومن أمثلة هذا النوع ما ورد في النصوص التالية:

١- قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ ﴾(١)

٢- وقول الله تعالى :﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ﴾(٢)

٣- وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:«تحاجت الجنة والنار،فقالت النار: أثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهُمْ قال الله -تبارك وتعالى- للجنة :أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي... »(٣)

فهذه الرحمة المذكورة في هذه النصوص، هي رحمة مخلوقة مضافة إليه -سبحانه- إضافة المخلوق بالرحمة إلى الخالق تعالى، و سماها رحمة لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة(٤) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :«ويراد بها ما يرحم به عباده من المخلوقات» (٥)

وهذه الرحمة ليست صفة لله تعالى؛ بل هي أثر من آثار رحمته جل وعلا.

المسألة الثانية:أقسام رحمة الله بعباده:

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن رحمة الباري -جل وعلا- بعباده تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول : الرحمة العامة:

وهي رحمته -سبحانه- التي شملت جميع المخلوقات، واشترك فيها المسلم والكافر،

(١) سورة الأعراف،آية :٥٧

(٢) سورة هود، آية:٩

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، ٣٠٩/١٧من رواية أبي هريرة، حديث ٢٨٤٦،والبخاري، التفسير ،٥٩٥/٨،حديث ٤٨٥٠

(٤) انظر: بدائع الفوائد ٤٢٣/١

(٥) الفتاوى ١٤/٦

والبر والفاجر، بل والبهائم وسائر الكائنات.(١)

ومن أدلة هذه الرحمة قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾(٢)

يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله رحمة واسعة- في بيان الرحمة الواردة في الآية : «وهذه الرحمة تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار؛ لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم، فكل ما بلغه علم الله، ـــــ وعلم الله بالغ لكل شيء ـــــ فقد بلغته رحمته فكما يعلم الكافر، يرحم الكافر أيضا ...» (٣).

القسم الثاني : الرحمة الخاصة

وهي الرحمة الخاصة بأنبياء الله ورسله ـــــ عليهم السلام ـــــ وأوليائه، وعباده المؤمنين؛ يرحمهم الله -عز وجل- في الدنيا بتوفيقهم إلى الهداية والصراط المستقيم، ويثبتهم، ويدافع عنهم، ويرزقهم العلم والإيمان والحياة الطيبة، وكذلك يرحمهم في الآخرة بالعفو والرضا عنهم ويدخلهم الجنة وينجيهم من النار.

وهذه الرحمة هي التي جاء ذكرها في قوله تعالى:

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤)

وقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (٥)

(١) انظر: شرح الواسطية للعثيمين ٢٢٩/١

(٢) سورة غافر،آية:٧

(٣) شرح الواسطية للعثيمين ٢٤٩/١

(٤) سورة التوبة،آية:١١٧

(٥) سورة الأحزاب، آية:٤٣

يقول الإمام ابن القيم -/- :«...فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى هي بحسب هداه، فكلما كان نصيبه من الهدى أتم؛كان حظه من الرحمة أوفر، وهذه الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، وهي غير الرحمة العامة بالبر والفاجر »[١]

لذا كانت هذه الرحمة أخص وأعظم من الرحمة العامة؛ لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية[٢]

ويقول ابن عثيمين -رحمه الله- في الجمع بين نوعي الرحمة:« هذه رحمة خاصة متصلة برحمة الآخرة لا ينالها الكفار، بخلاف الأولى.هذا هو الجمع بينهما، وإلا فكل مرحوم، لكن فرق بين الرحمة الخاصة والرحمة العامة » [٣].

(١) إغاثة اللهفان ١٧٢/٢

(٢) شرح الواسطية للعثيمين ٢٤٩/١

(٣) المصدر نفسه ٢٥١/١

المبحث الثاني

المسائل العقدية المتعلقة بصفة الرحمة لله تعالى

وفيه ستة عشر مطلبا:

المطلب الأول: بيان معنى كون ((قل هو الله أحد)) صفة الرحمن والأدلة على ذلك .

المطلب الثاني: معنى كتابة الله على نفسه الرحمة ودلالة ذلك.

المطلب الثالث: بيان المراد بقرب رحمة الله الواردة في قوله:((إن رحمة الله قريب من المحسنين)) ودلالة ذلك .

المطلب الرابع: الأدلة على سعة رحمة الله، وأن رحمته سبقت غضبه وما تتضمن من المسائل .

المطلب الخامس: ما جاء في رجاء رحمة الله .

المطلب السادس: حكم التوسل إلى الله بصفة الرحمة .

المطلب السابع: حكم الاستعاذة بصفة الرحمة.

المطلب الثامن: حكم القسم بصفة الرحمة.

المطلب التاسع: حكم دعاء صفة الرحمة

المطلب العاشر: حكم تعبيد الاسم لصفة الرحمة .

المطلب الحادي عشر:حكم القنوط من رحمة الله وأثره على توحيد العبد المطلب الثاني عشر:حكم قول:اللهم ارحمني إن شئت وأثره على توحيد العبد .

المطلب الثالث عشر: حكم قول اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك . المطلب الرابع عشر: في الصفات المقاربة لصفة الرحمة في المعنى.

المطلب الخامس عشر:اقتران صفة الرحمة بغيرها من الصفات ودلالات ذلك .

المطلب السادس عشر:نفي المماثلة عن الخالق جل وعلا في صفة الرحمة.

المطلب الأول

بيان معنى كون (قل هو الله أحد) صفة الرحمن والأدلة على ذلك

سورة الإخلاص سورة عظيمة جدا؛وذلك لما تتضمنه من المعاني الجليلة،والمسائل العظيمة؛ لذا كان اعتماد الأئمة والعلماء عليها في كثير من مسائل التوحيد وتنزيه الله ـــــ سبحانه وتعالى ـــ

وكما قال أهل العلم:إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، والمعلوم في هذه السورة هو الله الذي لا إله إلا هو، الموصوف بالكمال، والمنزه عن كل عيب ونقص،وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله(١)؛ لأنها صفة الرحمن ، بل ما أنزلت إلا جوابا لمن طلب صفة الرحمن ونسبه،كما جاء في الأحاديث والتي سيذكر شيء منها لاحقا ـــــ بإذن الله.

وهذه السورة التي ثبت في الأحاديث الصحاح أنها تعدل ثلث القرآن تشتمل على مسائل كثيرة من أصول الإيمان والتوحيد كما أسلفت ولن أتمكن من طرق مسائلها كلها؛ بل سيذكر المسائل التي يرى أن لها علاقة بصفة الرحمة،ومنها ما سيذكر في المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى: ما جاء في النصوص أن (قل هو الله أحد) صفة الرحمن:

١ـــ عن عائشة ـــــ ك ـــــ أن النبي -<- بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـــ (قل هو الله أحد)؛فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي -<- فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟»فسألوه فقال: لأنها صفة(٢) الرحمن؛

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ٣١١/١

(٢) قال ابن حجر في الفتح :إن هذا الحديث حجة لمن أثبت لله الصفة، وذكر أن ابن حزم شذ في هذه المسألة، وأنكر إطلاق لفظ الصفات لله تعالى، وذكر الحافظ ما احتج به

وأنا أحب أن أقرأ بها.فقال النبي ــــ > ــــ «أخبروه أن الله يحبه »[١]

٢ــ عن ابن عباس ــــ ب ــــ «أن اليهود أتوا النبي ->- فقالوا: صف لنا ربك الذي تعبد،فأنزل الله ــــ لأ ــــ ((قل هو الله أحد)) فقال: هذه صفة ربي عز وجل »[٢]

المسألة الثانية : بيان معنى كون (قل هو الله أحد) صفة الرحمن

لقد اعتنى علماء السلف بسورة الإخلاص عناية عظيمة حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية -/- فيها:

((و لم يصح عن النبي في فضل سورة من القرآن ما صح في فضلها حتى أفرد الحفاظ مصنفات في فضلها ...وعلى هذه السورة اعتماد الأئمة في التوحيد)) [٣].

ابن حزم وردَّ عليه، وقال: إنه لا يلتفت إلى قوله في تضعيف الحديث؛ لأنه متفق على صحته، وأن قوله في عدم جواز إطلاق لفظ الصفات. مردود باتفاق الجميع على إثبات ذلك. انظر: الفتح ٣٥٧/١٣ ، وقول ابن حزم هذا رده علماء السلف وبينوا عدم صوابه كشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه شرح الأصبهانية انظر: ص٥١٤، وكذلك من العلماء الذين صنفوا في الرد على من أنكر إثبات إطلاق الصفات لله تعالى الشيخ العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى ــ رحمه الله ــ في كتابه الذي صنفه في إثبات هذه المسألة والرد على من أنكرها وهو(تشنيف الأسماع في الرد على من خالف الكتاب والسنة والإجماع)

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ــــ > ــــ أمته إلى التوحيد ،حديث ٧٣٧٥. انظر: الفتح ٣٤٧/١٣ ، وأخرجه مسلم،كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة قل هو الله أحد،حديث ٢٦٣.انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٤١٩/٤

(٢) أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات حديث [٦٠٦]،٣٨/٢،وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات بسند حسن انظر: ٣٥٦/١٣

(٣) الفتاوى ٢/ ٢٦٥

ويقول في موضع آخر:« ... وعليها اعتماد الأئمة في تتريه الله » (١)

ومن المسائل التي اعتنى العلماء ببيانها :بيان كونها صفة الرحمن ووجه هذا التخصيص الذي ورد فيها دون غيرها من سور القرآن الكريم

يقول ابن دقيق العيد -/- (٢)في بيان ذلك: «وقوله (لأنها صفة الرحمن): يحتمل أن يراد به : أن فيها ذكر صفة الرحمن، كما إذا ذكر وصف؛فعبر عن ذلك الذكر بأنه الوصف، وإن لم يكن ذلك الذكر نفس الوصف.

ويحتمل أن يراد به غير ذلك إلا أنه لا يختص ذلك بـــ(قل هو الله أحد).

ولعلها خصت بذلك لاختصاصها بصفات الرب ـــ تعالى ـــ دون غيرها » (٣)

وهذا الاحتمال الأخير الذي ذكره ابن دقيق العيد في كلامه هو الذي أكده أهل العلم ونصوا عليه وهو أنها وصفت بكونها صفة الرحمن؛لأنها خالصة في ذكر أوصاف الرحمن دون غيره، ولأنها قد ذكر فيها من أسماء الرب وأوصافه ما لم يذكر في غيرها.

يقول ابن التين (٤)رحمه الله:«إنما قال : إنها صفة الرحمن؛ لأن فيها أسماءه

---

(١)بيان تلبيس الجهمية ٣٩٨/١

(٢) هو الإمام الفقيه الحافظ المحدث العلامة المجتهد، تقي الدين، أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد،كان من الأذكياء، واسع العلم، كثير الكتب، كثير العبادة، وولي قضاء الديار المصرية، له تصانيف منها:إحكام الأحكام، وشرح الأربعين حديثا للنووي، توفي سنة٧٠٢هـــــ .انظر: طبقات علماء الحديث٢٦٥/٤

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٩/٢

(٤) هو عبدالواحد بن التين أبو محمد الصفاقسي المغربي المالكي، الشهير بابن التين، فقيه محدث مفسر . له اعتناء بالفقه ممزوج بكثير من كلام المدونة وشرحها، اعتمده الحافظ في شرح البخاري، وكذلك ابن رشد، وغيرهما، من تصانيفه: المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح، كانت وفاته سنة ٦١١هــــ انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف،ترجمة رقم٥٢٨ص١٦٨

وصفاته،وأسماؤه مشتقة من صفاته »[١]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــــ/ ــــ: « لكن هذه السورة ذكر فيها ما لم يُذكر في غيرها من اسمه (الأحد)،(الصمد)،ومثل نفي الأصول والفروع والنظراء جميعا...»[٢]

ويقول رحمه الله أيضا في بيان ما تضمنته سورة الإخلاص من أصول التوحيد والإيمان مما يؤكد ما ذكره العلماء في توجيه كونها صفة الرحمن : «وليس هذا موضع الشرح والبسط لما تضمنته هذه السورة العظيمة من أصول التوحيد والإيمان؛ فإنها كثيرة عظيمة، إذ (الأحدية) و(الصمدية) ينتظمان أصول التوحيد والإيمان والدين؛ فأسماء الله وصفاته من دينه إذ دينه الحق يتبع ما هو عليه –سبحانه– في نفسه »[٣].

ويقول ابن رجب ــــ/ ــــ: «فهذه السورة هي نسب الرحمن وصفته، وهي التي أنزلها الله في نفي ما أضاف إليه المبطلون من تمثيل وتجسيم، وإثبات أصل وفرع ... فتضمنت هذه السورة تنزيهه وتقديسه عن الأصول والفروع والنظراء والأمثال»[٤]
.

ومن العلماء المعاصرين الذين بينوا معنى كون (قل هو الله) صفة الرحمن: الشيخ عبدالله الغنيمان ــــ حفظه الله ــــ في شرحه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري فقد قال : « وهذه السورة وسائر سور القرآن هي صفة الرحمن؛لأنها كلامه وكلامه من صفاته، ولكن تميزت هذه السورة بأنها خالصة لذكر أوصاف الرحمن ــ تعالى ــ وهذا هو المتبادر إلى الفهم من مراد الصحابي ــــ ط ــــ

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري١٦/٥٧٨

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١/٣٩٨

(٣) بيان تلبيس الجهمية ١/٦٧٥

(٤) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي ٢/٥٤٨

أي أنها خالصة لوصف الرحمن ـــ تعالى ـــ دون غيره »[(١)] .

لذا فإن الذي يفهم من كلام الأئمة والعلماء أن سورة الإخلاص استحقت هذا الوصف وأنها صفة الرحمن؛ لما اشتملت عليه من توحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب –سبحانه وتعالى–من الأحدية المنافية لمطلق المشاركة، والصمدية المثبتة لله –تعالى– جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ؛ ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم غناه وصمديته وأحديته ، ونفي الكفء المتضمن نفي التشبيه والتمثيل والنظير فحق لسورة تضمنت هذه المعارف كلها أن تكون صفة الرحمن [(٢)].

المطلب الثاني : معنى كتابة الله على نفسه الرحمة ودلالة ذلك

في هذا المطلب سأعرض ـــ بإذن الله ـــ النصوص التي دلت على أن من عظيم فضل الله وإحسانه وجوده وكرمه أنه كتب على نفسه الرحمة، وما ذكره علماء السلف في هذا من معاني ودلالات :

أولا: ما يدل على أن الله كتب على نفسه الرحمة

١– قال الله تعالى﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٦١/١

(٢) انظر: شرح الواسطية للهراس ٢٧،وتيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام١٩/٢

أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

قال ابن جرير –/– في معنى الآية :« يقول : قضى أنه بعباده رحيم لا يَعْجَل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة ...وإني قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شيء» (٢)

وقال البغوي ــ / ــ:« هذا استعطاف منه تعالى للمتولِّين عنه إلى الإقبال عليه، وإخباره بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة ، ويقبل الإنابة والتوبة» (٣)

٢– وقال تعالى﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤)

يقول ابن كثير ــــ/ ــــ في تفسير الآية السابقة :« أي فأكرمهم برد السلام عليهم، وبشَّرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم؛ ولهذا قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾،أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا »(٥)

٣– عن أبي هريرة ــــ ط ــــ أن رسول الله ــــ > ــــ قال:«لما خلق الله الخلق كتب في كتابه ــــ وهو يكتب على نفسه وهو موضوع عنده على العرش:إن رحمتي تغلب غضبي » (٦)

---

(١) سورة الأنعام،آية ١٢

(٢) تفسير الطبري ١٥٥/٥

(٣) تفسير البغوي ١٣٠/٣

(٤) سورة الأنعام، آية ٥٤

(٥) تفسير ابن كثير ١٠٥٩/٢

(٦) أخرجه البخاري ،كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) ،حديث٧٤٠٤، ج٣٨٤/١٣، والإمام مسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله، ٢٢٤/١٧،حديث ٢٧٥١ بلفظ(سبقت رحمتي غضبي)ولفظ(تغلب غضبي)

ثانيا: معنى أن الله كتب على نفسه الرحمة

معنى هذا بناء على معتقد أهل السنة والجماعة: أن الله -سبحانه وتعالى-كتب على نفسه الرحمة كما أخبر عن نفسه، وكما أخبر عنه رسوله ـــ > ـــ أنه كتب الرحمة على نفسه: أي أوجب ذلك على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا على خلقه، من غير أن يوجبها عليه أحد.(١)

وهذا المعنى الذي جاء في النصوص السابقة له نظائر كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ـــ > ـــ كقوله تعالى:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢)

ومثله ما جاء في حديث معاذ بن جبل ـــ ط ـــ في الصحيحين وفيه أنه قال له :«وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا »(٣)

فهذه النصوص وأمثالها يخبر رب العزة والجلال فيها أنه هو أوجب على نفسه كرما منه وجودا بموجب وعده الكريم الذي لا يخلفه ـــ سبحانه ـــ كما قال:﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

ويقول ابن القيم في هذا المعنى:

ما للعباد عليه حق واجب   هو أوجب الأجر العظيم الشان

كلا ولا عمل لديه ضائع   إن كان بالإخلاص والإحسان

إن عُذِّبوا فبعدله أو نُعِّموا   فبفضله والحمد للمنَّان(٥)

---

(١) انظر: شرح الواسطية للفوزان٤٦، والتنبيهات السنية ٧٩

(٢) سورة الروم،آية ٤٧

(٣) أخرجه البخاري،كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، ٥٨/٦، حديث٢٨٥٦، ومسلم،كتاب الإيمان ١٨٦/١،حديث ٣٠

(٤) سورة الروم آية ٦

(٥) انظر: الحق الواضح المبين ٣٧

وهذا المعنى الذي سبق ذكره قد أجمع عليه أهل السنة والجماعة واتفقوا عليه، لذا فقد جاء تقريره في أقوالهم، وحكى عليه الإجماع غير واحد منهم، كما أنهم ردوا كل قول خالف مذهبهم استنادا على ما دلت عليه هذه النصوص(١).

فإليك أيها القارئ الكريم شيئا من أقوالهم في هذه المسألة :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:((وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئا. ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال : إنه كتب على نفسه الرحمة، وحرم الظلم على نفسه، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق؛فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير: فهو الخالق لهم، وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح.

ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم:أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك.

وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلة إليه إلا بما مَنَّ به من فضله وإحسانه، والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه، ليس من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه؛فإنه –سبحانه– يتعالى عن ذلك))(٢)

ويقول ــــ عليه رحمة الله ــــ أيضا:((وأما المثبتون للقدر من أهل السنة ...

---

(١) والمخالفون لهم في هذه المسألة طائفتان:الأولى:المعتزلة مشبهة الأفعال: الذين يوجبون على الله ويحرمون عليه من جنس ما يكون على المخلوق يقول شيخ الإسلام:((وأما الإيجاب عليه ــ سبحانه وتعالى ــ والتحريم بالقياس على خلقه فهذا قول القدرية وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول)) الثانية : القدرية المجبرة الجهمية:الذين لا يثبتون له حكمة ولا رحمة بل عندهم يفعل بمشيئة محضة لا لها حكمة ولا رحمة ويقولون أنه لا حق للمخلوق على الله تعالى بحال،ولكن يعلم ما يفعله بعبده بحكم وعده وخبره انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٠،ومنهاج السنة ١٥/٤ــــــ ١٦وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ٤٨/١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص٤١٠

فمتفقون على أن الله تعالى لا يقاس بخلقه في أفعاله ،كما لا يقاس بهم في ذاته وصفاته فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وليس ما وجب على أحدنا وجب مثله على الله تعالى، ولا ما حرم على أحدنا حرم مثله على الله تعالى... وليس لأحد منا أن يوجب على الله تعالى شيئا ولا يحرِّم عليه شيئا، فهذا أصل قولهم الذي اتفقوا عليه ، واتفقوا على أن الله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجبا بحكم وعده الصادق؛ فإنه الصادق في خبره الذي لا يخلف الميعاد» [١]

وقال ابن القيم رحمه الله: «قد أخبر الله –سبحانه– في كتابه أنه كتب على نفسه الرحمة وهذا إيجاب منه على نفسه، فهو الموجب وهو متعلق الإيجاب الذي أوجبه، فأوجب بنفسه على نفسه.

وقد أكد النبي –>– هذا المعنى بما يوضحه كل الإيضاح، ويكشف حقيقته بقوله في الحديث الصحيح:« لما قضى الله الخلق كتب بيده على نفسه في كتاب فهو عنده موضوع فوق العرش؛ أن رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ:«سبقت غضبي ».[٢]

فتأمل كيف أكد هذا الطلب والإيجاب بذكر فعل الكتابة وصفة اليد، ومحل الكتابة، وأنه كتاب، وذكر مستقر الكتابة، وأنه عنده فوق العرش،فهذا إيجاب مؤكد بأنواع من التأكيد وهو إيجاب منه على نفسه »[٣] .

ثالثا: من دلالات كتابة الله سبحانه وتعالى على نفسه الرحمة

حينما يتأمل المؤمن الأدلة التي أخبر الله فيها أنه كتب على نفسه الرحمة؛ لاشك أنه يوقن أنها تحمل كثيرا من الدلالات والشواهد؛ ولكن مما لاشك فيه أيضا أنه يعلم

---

(١) منهاج السنة ٢٨٠/١ وقال عن هذا القول كذلك:((وذلك بحكم وعده وصدقه في خبره وهذا متفق عليه بين المسلمين وبحكم كتابه على نفسه وحكمته ورحمته)) منهاج السنة ١٦/٤

(٢) سبق تخريجه ص ١٦٤

(٣) بدائع التفسير ٣٤٢/١

أن الإحاطة بمعرفة جميع دلالاتها أمر قد يكون متعذرا؛ لقصور إدراك الإنسان فقد تظهر له بعض الدلالات وقد يغيب عنه بعضها وفيما يلي ذكر لبعض هذه الدلالات :

١- بيان إحسان الله -سبحانه وتعالى-بعباده الضعفاء حيث أخبرهم -جل وعلا- بهذا الكرم العظيم والفضل العميم بقوله :﴿ فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[١]

فلا عجب بعد ذلك أن تكون رحمة الله ـــــ لأ ـــــ هي القاعدة المستقرة في شرع الله وقدره . يقول عليه الصلاة والسلام : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو موضوع عنده:أن رحمتي تغلب غضبي » .

ويبين ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره شيئا مما اشتملت عليه الآيات من عناية الله تعالى بعباده حيث يقول :«وهذا من الله ـــــ تعالى ذكره ـــــ استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة.

يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء العادلين بي، الجاحدين نبوتك يا محمد، إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم، وإني قضيت في خَلْقي أنَّ رحمتي وسعت كل شيء »[٢]

٢- أن الرحمة التي كتبها الله على نفسه هي الرحمة العامة والرحمة الخاصة

فإن بعض الآيات الواردة في كتابة الله -سبحانه وتعالى-الرحمة على نفسه تدل على أن نوعي الرحمة العامة والخاصة داخلان فيما كتبه الله على نفسه؛ وذلك لأن رحمة الله -سبحانه- قد وسعت كل شيء، وأن رحمته سبقت غضبه.

كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الأنعام، آية ٥٤

(٢) تفسير الطبري٥/١٥٥

خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [(١)] يدل على أن الرحمة التي كتبها على نفسه ليست فقط لعباده المؤمنين،أو الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون، وإنما هي أيضا لعموم خلقه كلهم إنسهم وجنهم، العاقل منهم وغير العاقل،ولذا جاء إخباره تعالى عن كتابة الرحمة على نفسه في الآية بعد ذكر عموم ملكه لمن في السماوات والأرض، فرحمته تعالى شاملة لهم جميعا، يقول تعالى:﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ؟ ثم أتي الجواب من الرحيم الرحمن ﴿ قُل لِّلَّهِۚ﴾، الذي ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ بهم جميعا. ففي هذه الآية أخبر عن كتابة الرحمة على نفسه في سياق إخباره عن عموم ملكه وشمول سلطانه.

وفي بعض الآيات تدل على ما خص الله به أهل الإيمان من كتابته على نفسه الرحمة الخاصة التي ميزهم بها عن غيرهم كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلۡ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٢)] يوجه الله -تعالى- خطابه للمؤمنين مخبرا إياهم أنه كتب على نفسه الرحمة، ومنها ما ذكره في الآية من رحمته وعفوه عمن تاب إليه وأناب من عباده المؤمنين [(٣)]وهذه الرحمة التي أخبر الله أنه كتبها على نفسه في هذه الآية هي الرحمة الخاصة بالمؤمنين وذلك كقوله تعالى :﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

---

(١) سورة الأنعام،آية ١٢

(٢) سورة الأنعام، آية ٥٤

(٣) انظر: مجلة جامعة الإمام، العدد٣٥ج١،رجب ١٤٢٧هـ ،رحمة الله بخلقه٢٦٤ ـــ ٢٦٥

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

٣- بيان وجوب إحسان الظن بالله وعدم اليأس والقنوط من رحمته؛ فإن الله وعد عباده بأنه سيقبل توبتهم إذا تابوا إليه وأنه سيغفر لهم ما سلف من ذنوبهم وذلك حينما أخبرهم أنه كتب على نفسه الرحمة،ويشهد لذلك ما رجحه ابن جرير - رحمه الله- في تأويل قوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فقد قال بعد ذكره لأقوال المفسرين في بيان المراد بالآية:«فتأويل الكلام إذاً... وإذا جاءك يا محمد، القوم الذين يصدقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا، فيقرون بذلك قولا وعملا، مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم، هل لهم منها توبة؟ فلا تؤيسهم منها وقل لهم (سلام عليكم) أَمَنَةُ الله لكم من ذنوبكم، أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها،﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ يقول :قضى ربكم الرحمة بخلقه ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ » (٢)

المطلب الثالث: بيان المراد بقرب رحمة الله الوارد في قوله (إن رحمت الله قريب من المحسنين) ودلالة ذلك.

لما كان الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى خلق الله يبلغ بصاحبه إلى أعلى

---

(١) سورة الأعراف،١٥٦

(٢) تفسير الطبري٥/٢٠٦

مراتب الدين، فقد قضى الله ــــ سبحانه وتعالى وهو ذو الرحمة الواسعة ــــ أن رحمته قريب من المحسنين ، فكلما كان العبد أكثر إحسانا كان أقرب إلى رحمة ربه ،وكان ربه قريبا منه برحمته يقول سبحانه:﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [١]

من الأقوال الواردة في بيان معنى الآية :

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري -/-:«يقول تعالى ذكره: إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا قريب منهم، وذلك هو رحمته؛ لأنه ليس بينهم وبين إلى أن يصيروا إلى ذلك من رحمته، وما أعد لهم من كرامته إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم[٢] » [٣]

ويقول الإمام البغوي ــــ /ــــ:«قال سعيد بن جبير ــــ/ ــــ[٤] الرحمة هاهنا الثواب » [٥]

ويقول ابن كثير ــــ رحمه الله ــــ أيضا في تفسير الآية :«أي رحمته مُرْصَدة للمحسنين الذين يتبعون أوامر الله، ويتركون زواجره كما قال تعالى:﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم

---

(١) سورة الأعراف، آية ٥٦

(٢) رجح بعض أهل العلم أن رحمة الله قريب من المحسن مطلقا وفي جميع الأوقات في الدنيا والآخرة ولا تقيد بأن ذلك ما أعد لهم من كرامة بعد أن تفارق أرواحهم أجسادهم. انظر: مجلة جامعة الإمام، عدد ٥٥،ص٢٨٣

(٣) تفسير الطبري٥/٥١٥

(٤) هو سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، الأسدي الوالبي،مولاهم الكوفي،أحد الأعلام، قال عنه الذهبي:(الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد)، روى عن ابن عباس فأكثر وجوَّد،وقرأ عليه القرآن، وعن غيره من الصحابة والتابعين. انظر:السير٤ /٣٢١

(٥) معالم التنزيل للبغوي ٢٣٨/٨

بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾[1] »[2]

ويقول الشوكاني ـــــ/ ـــــ:«هذا إخبار من الله -سبحانه- بأن رحمته قريبة من عباده المحسنين بأي نوع من الأنواع كان إحسانهم، وفي هذا ترغيب للعباد إلى الخير وتنشيط لهم فإن قرب هذه الرحمة التي يكون بها الفوز بكل مطلب مقصود لكل عبد من عباد الله »[3]

ويقول السعدي ـــــ رحمه الله:« ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4] في عبادة الله المحسنين إلى عباد الله؛ فكلما كان العبد أكثر إحسانا كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبا منه برحمته وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى »[5]

ومن أهل العلم من أشار إلى أن المراد بالرحمة الواردة في الآية هي الجنة وأنها قريب من المحسنين وعلى هذا المعنى حملوا ما ترجم به البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد حيث قال:باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[6] قالوا مراده بيان أن الرحمة تطلق على المخلوق، فتكون مخلوقة لله مفعولا له، وذلك من آثار رحمته التي هي صفته تعالى كما في قوله ـــــ > ـــــ جوابا لسعد بن عبادة لما قال له: ما هذا ؟ قال : «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »[7]

(١) سورة الأعراف، الآيتان١٥٦ـــــ١٥٧

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١١٧٥

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢/٢١٣

(٤) سورة الأعراف، آية ٥٦

(٥) تفسير السعدي٣/٤١

(٦) فتح الباري ١٣/٤٣٤

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز،باب قول النبي ـــــ > ـــــ: يعذب الميت ببعض

ولكن أشار إلى هذا اللفظ كعادته بذكره غير الصريح،والاكتفاء بالتلويح.

وفي الآية التي ترجم بها إشاره إلى مراده،فكأنه لحظ أن الرحمة فيها الجنة، وهي قريب من المحسنين،كما في الحديث « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله »[1] [2]

ومن الباحثين من رجح أن رحمة الله قريب من المحسن مطلقا، وفي جميع الأوقات في الدنيا والآخرة، ولا تقيد بأن ذلك ما أعد لهم من كرامة بعد أن تفارق أرواحهم أجسادهم كما ذكر في قول ابن جرير رحمه الله السابق[3]

من فوائد الآية وأقوال العلماء السابقة ما يلي :

١ـــ عند تأمل أقوال المفسرين السابقة في معنى الآية يظهر للمتأمل أن معنى الآية يدور حول المعاني التالية:

ـــــ أن رحمة الله قريب من المحسنين.

ـــــ أن رحمة الله مرصدة للمحسنين.

ـــــ أن الله قريب برحمته من عبده المحسن.

ـــــ أن الجنة قريب من المحسنين.

ـــــ أن ثواب الله الذي وعد المحسنين قريب منهم.

وهذه الأقوال الواردة عن سلف الأمة كلها صحيحة وليس بينها اختلاف[4]؛ لأن

بكاء أهله عليه، حديث رقم(١٢٨٤). انظر: البخاري مع الفتح ١٥١/٣ ،والإمام مسلم، كتاب الجنائز ،باب البكاء على الميت،حديث رقم٩٢٣. انظر: صحيح مسلم بشرح ٥٢٣/٦

(١) أخرجه البخاري،كتاب الرقاق،الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله،حديث ٦٤٨٨.البخاري مع الفتح٣٢١/١١

(٢) انظر:شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري١٨٦/٢

(٣) انظر: مجلة جامعة الإمام، عدد ٢٨٣/٥٥

(٤) يقول شيخ الإسلام: ((إن أكثر أقوال السلف في التفسير متفقة غير مختلفة)) وقال أيضا:((الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في

من قال: إن المراد بالآية أن رحمة الله قريب من المحسنين؛ فهذا لأن منطوق الآية دال على صفة الرحمة الموصوف بها رب العالمين.

ومن أولها بالجنة أو الثواب فهذا « ليس من التأويل المذموم[1]، لأنه من المعنى الذي دلت عليه الآية ضمنا، وإلا فمنطوقها دال على صفة الرحمة الموصوف بها رب العالمين -جل وعلا- ومما يبن ذلك أن هذه الآية جاءت عقب الأمر بالدعاء تضرعا وخفية والنهي عن الاعتداء والإفساد في الأرض بالمعاصي، ثم أمر -تعالى- بدعائه خوفا وطمعا، وهذا حال المتقين، الذين أحسنوا في أعمالهم، وأحسنوا إلى عباد الله بالنصح لهم، وإصلاح الأرض بالطاعة والبعد عن مساخط الله التي هي الإفساد في البلاد والعباد، وهؤلاء هم المحسنون الذين قريبة منهم رحمة الله تعالى ومنها الجنة » [2]

٢- وقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] فيه تنبيه ظاهر على أن فعل هذا المأمور به هو الإحسان المطلوب منكم، ومطلوبكم أنتم من الله هو رحمته، ورحمته قريب من المحسنين الذين فعلوا ما أمروا به من دعائه تضرعا وخفية وخوفا وطمعا؛فقرب مطلوبكم منه وهو الرحمة بحسب أدائكم لمطلوبه وهو الإحسان الذي هو في الحقيقة إحسان إلى أنفسكم فإن الله هو الغني الحميد و﴿إِنَّ

التفسير، وغالب ما يصح عنهم يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد)) انظر:مجموع الفتاوى[٦/٢٣٥]، [١٣/١٧٨]

(١) يقول شيخ الإسلام:((والتأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره)) الفتاوى ١٣/١٥٨ويقول ابن القيم:((وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الصحيح وغيره هو الفاسد)) انظر:مختصر الصواعق١/٢٨

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان٢/١٨٦ـــــ ١٨٧

(٣) فتح الباري ١٣/٤٣٤

أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾(١) (٢)

٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -/-:«ولما كان قوله:﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًا ﴾ مشتملا على جميع مقامات الإيمان والإحسان وهي الحب والخوف والرجاء عقبها بقوله: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ أي : إنما تنال من دعاه خوفا وطمعا فهو المحسن والرحمة قريب منه، لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة »(٣)

٤ــــ وفي بيان عموم لفظ الإحسان المأمور به، وبيان أعظم أنواعه يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «والإحسان هاهنا هو فعل المأمور به سواء كان إحسانا إلى الناس أو إلى نفسه، فأعظم الإحسان الإيمان والتوحيد والإنابة إلى الله والإقبال عليه، والتوكل عليه، وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالا ومهابة وحياء ومحبة وخشية، فهذا هو مقام الإحسان كما قال النبي ــــ > ــــ وقد سأله جبريل عن الإحسان فقال:«أن تعبد الله كأنك تراه »(٤)

وإذا كان هذا هو الإحسان فرحمة الله قريب من صاحبه،فإن الله إنما يرحم أهل توحيده المؤمنين به،وإنما كتب رحمته للذين يتقون ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون، والذين يتبعون رسوله فهؤلاء هم أهل الرحمة كما أنهم هم المحسنون، وكما أحسنوا جوزوا بالإحسان و﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا

---

(١) سورة الإسراء، آية ٧

(٢) انظر: الفتاوى لابن تيمية١٥/١٨ــــ ١٩، بدائع الفوائد لابن القيم٢/١٩

(٣) الفتاوى١٥/١٨

(٤)أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ــــ > ــــ عن الإيمان والإسلام و الإحسان،حديث رقم ٥٠انظر:البخاري مع الفتح١/١١٤،والإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان،حديث رقم ١.انظر: صحيح مسلم بشرح النووي١/١٣٠

ٱلۡإِحۡسَـٰنُ ﴾[١] »[٢]

٥ــ وعن سبب اختصاص أهل الإحسان بقرب رحمة الله -سبحانه وتعالى-يقول ابن القيم :« وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة منهم؛لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين،وإحسانه تعالى إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته، وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة بعدا ببعد، وقربا بقرب،فمن تقرب بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته، والله سبحانه يحب المحسنين ويبغض من ليس من المحسنين، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه، ومن أبغضه فرحمته أبعد شيء منه »[٣]

٦ــــ أما عن دلالة الآية

فيقول ابن تيمية ــــ رحمه الله ــــ:« وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[٤] له دلالة بمنطوقه،ودلالة بإيمائه وتعليله ودلالة بمفهومه، فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان، ودلالته بإيمائه وتعليله على أن هذا القرب مستحق بالإحسان فهو السبب في قرب الرحمة منهم، ودلالته بمفهومه على بعد الرحمة من غير المحسنين، فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة »[٥]

٧ــــ أوجه تذكير (قريب) في الآية وهو خبر عن (الرحمة) وهي مؤنثة بالتاء:

ذكر العلماء في توجيه ذلك أقوالا كثيرة[٦] أذكر منها ما يلي:

(١) سورة الرحمن،آية ٦٠

(٢) بدائع الفوائد٢/٢٠

(٣) المصدر نفسه ٢/١٩ـــــ٢٠

(٤) فتح الباري ١٣/٤٣٤

(٥) الفتاوى١٥/١٩

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٧/٢٢٧،وبدائع الفوائد لابن القيم٢/٢٠وما

أ ـــــ أن التذكير باعتبار المعنى؛فالرحمة مصدر بمعنى الرُّحْم.

قال البغوي: قال سعيد بن جبير[(١)] : الرحمة هاهنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ[(٢)]

وعلى هذا الاعتبار قول ابن كثير رحمه الله حيث قال : وقال: (قريب) ولم يقل (قريبة)؛لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب[(٣)]

ب ـــــ أن من أساليب اللغة العربية أن القرابة إذا كانت قرابة نسب تعين التأنيث فيها في الأنثى، وإن كانت قرابة مسافة جاز التذكير والتأنيث.

قال الخليل بن أحمد :«القريب نقيض البعيد ... يستوي فيه المذكر والمؤنث والفرد والجميع،هو قريب، وهي قريب، وهم قريب، وهُنَّ قريب » [(٤)]

جـــ ـــــ أن وجه ذلك إضافة الرحمة إلى الله جل وعلا.

وأشار إلى هذا الوجه ابن كثير في تفسيره [(٥)]

د ـــــ أنه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه،كأنه قال: إن رحمة الله شيء قريب من المحسنين[(٦)]

هـــــ ـــــ أنها شبهت بفعيل بمعنى مفعول الذي يستوي فيه الذكر والأنثى.

٨ـــــ موقف العلماء من قول الإمام ابن القيم في الآية:

ذهب ابن القيم -رحمه الله رحمة واسعة- إلى أن الله قريب من المحسنين بذاته ورحمته وجاء ذلك في قوله في مختصر الصواعق:«والأصل: إن الله قريب من

بعدها،مختصر الصواعق المرسلة٣/١٢٥١- ١٢٥٤،أضواء البيان للشنقيطي٢/٢٨٨-٢٨٩

(١) سبقت ترجمته ص٢١٥

(٢) معالم التنزيل ٨/٢٣٨

(٣) انظر :تفسير ابن كثير ٢/١١٧٥

(٤) كتاب العين،باب القاف والراء والباء معهما،٥/١٥٤

(٥) تفسير ابن كثير ٢/١١٧٦

(٦) بدائع الفوائد ٢/٢٨

المحسنين ورحمته قريبة منهم، فيكون قد أخبر عن قرب ذاته وقرب ثوابه من المحسنين »[١] وقال أيضا:«...فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قربا ليس له نظير وهو مع ذلك فوق سماواته على عرشه »[٢]

ولكن قبل ذكر موقف العلماء من قول هذا العالم الجليل فإنه يحسن بي أن أشير وباختصار إلى مذهب أهل السنة والجماعة في صفة قرب الله تعالى .

مذهب أهل السنة في صفة القرب يمكن بيانه في النقاط التالية :

ـــــ أن مذهب أهل السنة والجماعة في صفة قرب الله تعالى كمذهبهم في سائر صفات الله عز وجل الثابتة في الكتاب والسنة لذا فهم يعتقدون أن الله قريب من داعيه وسائله كما يليق بجلاله وعظمته، وأنه مستو على عرشه، بائن من خلقه، وأنه يقرب إليهم حقيقة[٣]

ـــــ وقالوا: إن قرب الرب –تعالى– إنما ورد خاصا لا عاما، وإنه لم يجيء كما جاءت المعية خاصة وعامة فلا يوجد في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وإنما جاء خاصا كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [٤] فهذا قرب من داعيه وسائله[٥] يقول شيخ الإسلام –/–:«ففي الجملة، ما نطق به الكتاب والسنة من قرب الرب من عابديه وداعيه هو مقيد مخصوص، لا مطلق عام لجميع الخلق؛ فبطل قول الحلولية كما قال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى

---

(١) مختصر الصواعق٣/١٢٥٣

(٢) نفس المصدر ٣/١٢٥٥

(٣) قال ابن تيمية:((وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده،فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ... وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر)) انظر: الفتاوى ٥/٢٧٨

(٤) سورة البقرة، الآية١٨٦

(٥) انظر: مختصر الصواعق٣/١٢٥١

قَرِيبٌ﴾ فهذا قربه من داعيه»[١]

ـــــ وقالوا كذلك: لا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ورد فيه القرب في الكتاب والسنة أن يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة، فما دل عليه النص حمل عليه. فقد يكون القرب قرب الملائكة والذي يحدد ذلك سياق النص الذي ورد فيه اللفظ [٢]

أما موقف العلماء مما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله تعالى [٣]

فيقول الشيخ حمود التويجري -/- في رده على من زعم أن معية الله لخلقه ذاتية،وقد احتج بقول ابن القيم السابق فقال التويجري رحمه الله:«فجوابه أن يقال : أما قرب رحمة الله تعالى من المحسنين فهو ثابت في القرآن،قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٤]

وأما قرب ذاته منهم فليس عليه دليل ينص عليه لا من القرآن ولا من السنة، وما ليس عليه دليل ينص عليه فليس عليه تعويل،وقد ثبت عن النبي ->-أنه قال «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر».[٥]

---

(١) مجموع الفتاوى٥/١٥٢

(٢) نفس المصدر ١٢/٦

(٣) وإني لأذكر في هذا المقام ما قاله ابن القيم في موضعين من كتابه المدارج عند ملاحظته على صاحب المنازل: ففي الأول قال: شيخ الإسلام حبيب إلينا والحق أحب إلينا منه، وكل ما عدا المعصوم->- فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله٢/٣٨.وفي الثاني قال: ولولا أن حق الحق أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة ومتسع.٢/٤٥فرحم الله ابن القيم وعفا عنا وعنه

(٤) فتح الباري ١٣/٤٣٤

(٥) أخرجه البخاري،كتاب التهجد،باب الدعاء والصلاة من آخر الليل،حديث رقم ١١٤٥.انظر: البخاري مع الفتح٣/٢٩،والإمام مسلم أيضا في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب صلاة الليل والوتر،حديث رقم٧٥٨.انظر: صحيح مسلم بشرح النووي

...فيجب إثبات ما جاء عن الله -تعالى- وعن رسوله ->- وإمراره كما جاء وترك ما سوى ذلك من أقوال الناس، وإن كانوا من الأكابر...

قال الله تعالى :﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(١) وقال تعالى:﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾(٢)

والكلام في الصفات بابه التوقيف، ولا دخل للاجتهاد في ذلك أيضا، وإذا علم هذا فليعلم أن مَنْ أثبت لله صفة لم ترد في القرآن ولا في السنة فقوله مردود عليه كائنا من كان والدليل على ذلك ما أمر الله به في الآيتين من سورة الأعراف »(٣)

٦٣٧٦

(١)سورة الأعراف، الآية٣

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٨

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد١٢،عام ١٤٠٥هـــ مقال بعنوان(بيان في إثبات علو الله تعالى ومباينته لخلقه وأن معيته لعباده بعلمه واطلاعه وحفظه)ص٢٠٤ـــــ٢٠٥

المطلب الرابع: الأدلة على سعة رحمة الله وأن رحمته سبقت غضبه وما تتضمنه من المسائل:

أولا: ما يدل على أن الله ذو رحمة واسعة

الله سبحانه وتعالى برحمته العامة وسع جميع المخلوقات، وعمَّ بفضله جميع الكائنات أهل السماوات وأهل الأرض، فما استقام أمر العالم إلا برحمته؛ولولا ذلك لهلك الخلق كلهم، فهو سبحانه قد وسع كل شيء رحمة وعلما،وانتهت رحمته حيث انتهى علمه، فاستوى على عرشه برحمته؛ لتسع كل شيء. (١)

دل على ذلك آيات الكتاب وما جاء من الأحاديث بروايات الأصحاب ــ ش ــــ فمن ذلك :

ــــ أنه سبحانه وتعالى أثنى على نفسه بأن رحمته وسعت كل شيء:

قال تعالى:﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ (٢)

ــــ كما أنه أمر نبيه ــــ > ــــ أن يخبر قومه أن ربهم ذو رحمة واسعة:

قال تعالى:﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (٣)

ــــــ ويدل على ذلك شهادة وتوسل حملة العرش من الملائكة بسعة رحمته وعلمه وهم يستغفرون للذين أمنوا :

قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا

---

(١) انظر : مدارج السالكين ٢٦٧/٣

(٢) سورة الأعراف،الآية ١٥٦

(٣) سورة الأنعام، الآية١٤٧

فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [(١)]

ـــــ ويدل على سعة رحمة الله ما جاء عند الإمام مسلم من حديث سلمان ــــط ــــ قال :قال رسول الله ــــ > ــــ:«إن لله مائة رحمة،أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة »[(٢)]

ـــــ وجاء في سنن ابن ماجه عن ابن أبي مليكة[(٣)] أنه قال :(سمعت عبدالله بن عمرو يقول إذا أفطر :اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي)[(٤)]

-وأخرج ابن جرير في تفسيره عن الحسن وقتادة في قوله: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾، [(٥)] قالا:(وسعت في الدنيا البَرَّ والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا

(١) سورة غافر،الآية٧

(٢) أخرجه البخاري،كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء،حديث رقم٦٠٠٠.انظر: البخاري مع الفتح٤٣١/١٠ والإمام مسلم في كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله وأنها تسبق غضبه،حديث برقم٢٧٥٢. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي٢٢٥/١٧

(٣) هو عبدالله بن عبيدالله بن أبي مُلَيْكة، زهير بن عبدالله بن جُدْعان، قال عنه الذهبي: الإمام الحجة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي القاضي الأحول المؤذن، ولد في خلافة علي أو قبلها...وكان عالما مفتيا صاحب حديث وإتقان معدود في طبقة عطاء.مات سنة١١٧هـــ.انظر: السير٨٨/٥

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام، باب(٤٨) في الصائم لا ترد دعوته ٥٥٧/١ رقم ١٧٥٣،قال محقق سنن ابن ماجه الشيخ محمد فؤاد في الزوائد :إسناده صحيح.انظر: ٥٥٨/١

(٥) سورة الأعراف،الآية ١٥٦

خاصة) [١]

هذا وعلى المسلم ألا يتكل على سعة رحمة الله ؛فيوقع نفسه في الذنوب والمعاصي، ويقول: إن رحمة الله واسعة فهذا حق يراد به الباطل! بل على المسلم أن يتذكر دائما أن رحمة الله قريبة ولكن من المحسنين، وعليه أن يوقن أن الله قد كتب رحمته للمتقين؛ وعليه أن يأتي بأسباب الرحمة ليكون من أهلها الذين قال الله فيهم: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [٢]

ثانيا: ما يدل على أن رحمة الله سبقت غضبه

كتب الله سبحانه يوم خلق الخلق في كتاب عنده فوق العرش أن رحمته سبقت غضبه دل على ذلك القرآن العظيم، وأكده نبي الله ـــ > ـــ خاتم الأنبياء والمرسلين :

ففي القرآن:

ـــ قوله تعالى:﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴾ [٣]

ـــ وقوله تعالى:﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [٤]

دلت الآيات على أن رحمة الله غلبت غضبه وسبقته ففي الآية الثانية مثلا جاء فيها

(١) تفسير الطبري ٨١/٦، برقم ١٥٢٢٠

(٢) سورة الأعراف،الآيتان١٥٦ـــ ١٥٧

(٣) سورة الكهف،الآية٥٨

(٤) سورة غافر، الآية ٢

ذكر أن الله شديد العقاب بين صفتي رحمة قبله، وصفة رحمة بعده؛ فقبله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾، وبعده ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِ﴾ ففي ذلك شاهد وتصديق لما جاء في الأحاديث التي تدل على أن رحمة الله تسبق غضبه[(١)] ومنها ما يلي :

ـــــ عن أبي هريرة ـــــ ط ـــــ قال سمعت رسول الله ـــــ > ـــــ يقول :«إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش »[(٢)]

وعند التأمل في هاتين الصفتين يتضح ويبرز معنى سبق الرحمة وغلبها للغضب من جوانب شتى منها :

الأول: من ناحية نوع كل منهما

فالرحمة ملازمة للرحمن -لأ- فهو سبحانه وتعالى لم يزل رحيما لا تنفك عنه الرحمة؛فهي صفة ذاتية وتكون كذلك صفة فعليه كما سبق بيانه.

أما الغضب فهو صفة اختيارية فعلية تقوم بالرحمن -لأ- بمشيئته وقدرته كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِى فَقَدۡ هَوَىٰ ﴾ [(٣)] وكما جاء في حديث الشفاعة المعروف وفيه:«إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله »[(٤)(٥)]

---

(١) انظر: بدائع الفوائد١/٢٠٩

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، حديث٣٥٤٣، وابن ماجه حديث٤٢٩٦، وصححه الألباني في الصحيحة حديث ١٦٢٩

(٣) سورة طه، الآية ٨١

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء،باب قول الله عز وجل:(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه)،برقم ٣٣٤٠،وفي كتاب التفسير برقم ٤٧١٢.انظر الفتح جـ ٦/٣٧١وجـ ٨/٣٩٥ ومسلم، كتاب الإيمان،باب شفاعته (>)يوم القيامة رقم ٣٢٧. صحيح مسلم بشرح النووي٣/٤٢٩

(٥) انظر: شرح أصول الإيمان،للشيخ صالح آل الشيخ ص٥٥

الثاني:من ناحية شمول الرحمة ووسعها

فالرحمة والغضب كلاهما من أوصاف الله تعالى؛لكن الرحمة أوسع وأشمل ، فرحمة الله وسعت كل شيء كما سبق بخلاف الغضب [١]

الثالث: من ناحية آثار كل منهما

فالرحمة آثارها دائمة، والغضب آثاره ليست دائمة، فمن آثار الرحمة ما يتقلب فيه الخلق من النعم الدينية والدنيوية، فمصالح أمور دنياهم وآخرهم كلها من آثار الرحمة، وأما الغضب فآثاره عقوبة لمن يستحق ذلك[٢]

الرابع: من ناحية التفاضل

فصفة الرحمة أفضل من صفة الغضب ولهذا كان لها الغلبة والسبق [٣]كما يأتي بيان ذلك في مسألة المفاضلة بين الصفات

ثالثا: من المسائل التي تتضمنها الأدلة السابقة

أدلة سعة رحمة الله، وسبق رحمته لغضبه تتضمن مسائل عقدية متعددة سيشير الباحث إلى بعضها :

المسألة الأولى: دلالتها على إثبات جملة من صفات الباري –لأ–

الأدلة السابقة التي دلت على سعة رحمة الله، وأن رحمته سبقت غضبه دلت على إثبات عدد من صفات الله تعالى :

كصفة الرحمة

وصفة الغضب

وصفة العلو

وصفة الاستواء على العرش.

فكل هذه الصفات تثبت لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان١/٢٦١

(٢) المصدر السابق٥٦

(٣) انظر : شفاء العليل لابن القيم ٥٤٣

و لا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل لدلالة النصوص السابقة على ذلك كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

المسألة الثانية: دلالتها على تفاضل صفات الله سبحانه وتعالى

ما جاء في الأدلة السابقة من أن رحمة الله غلبت غضبه وسبقته يدل على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن صفات الله تعالى بعضها أفضل من بعض.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان ذلك:« وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي -<- أنه قال:«إن الله كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي » وفي رواية «سبقت رحمتي غضبي »[(١)] فوصف رحمته بأنها تغلب وتسبق غضبه، وهذا يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها وغلبتها... »[(٢)]

ويقول ابن القيم ـــــ / ـــــ :«... وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل من صفة الغضب ولذلك كان لها الغلبة والسبق »[(٣)]

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ / ـــــ حكى اتفاق السلف على هذه المسألة بعد أن أطال في الاستدلال عليها وتقريرها وبسطها، وقام بالرد على من قال بخلاف ذلك حيث يقول:«وإذا علم ما دل عليه الشرع مع العقل واتفاق السلف من أن بعض القرآن أفضل من بعض وكذلك بعض صفاته أفضل من بعض »

ويقول في موضع آخر بعد استعراضه للأقوال في المسألة :«وقول من قال : صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك! قول لا دليل عليه، بل هو مورد النزاع، ومن الذي جعل صفته التي هي الرحمة لا تفضل على صفته التي هي الغضب؟ وقد ثبت عن النبي -<- : «إن الله كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب

---

(١) سبق تخريجه ص٢٥٦

(٢) مجموع الفتاوى١٧/٥٣

(٣) شفاء العليل لابن القيم ٥٤٣

غضبي » وفي رواية «تسبق غضبي » وصفة الموصوف من العلم، والإرادة والقدرة، والكلام، والرضا والغضب، وغير ذلك من الصفات تتفاضل من وجهين:

أحدهما : أن بعض الصفات أفضل من بعض وأَدْخَل في كمال الموصوف بها؛ فإنا نعلم أن اتصاف العبد بالعلم، والقدرة والرحمة، أفضل من اتصافه بضد ذلك، لكن الله -تعالى- لا يوصف بضد ذلك، ولا يوصف إلا بصفات الكمال،وله الأسماء الحسنى التي يُدْعَى بها، فلا يدعى إلا بأسمائه الحسنى ـــــ وأسماؤه متضمنة لصفاته ـــــ وبعض أسمائه أفضل من بعض، وأدخل في كمال الموصوف بها ... فتفاضل الأسماء والصفات من الأمور البينات.

الثاني: أن الصفة الواحدة قد تتفاضل، فالأمر بمأمور يكون أكمل من الأمر بمأمور آخر،والرضا عن النبيين أعظم من الرضا عمن دونهم، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم... وكذلك سائر هذا الباب.

وكما أن أسماءه وصفاته متنوعة فهي ـــــ أيضا ـــــ متفاضلة؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع مع العقل...»[١]

المسألة الثالثة : بيان ما تتضمنه سعة رحمة الله

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :«وسعة رحمته تتضمن أنه لا يهلك عليه أحد من المؤمنين به من أهل توحيده ومحبته؛ فإنه واسع الرحمة لا يخرج عن دائرة رحمته إلا الأشقياء، ولا أشقى ممن لم تسعه رحمته التي وسعت كل شيء »[٢]

(١) الفتاوى ١١٧/١٧ـــــ ١١٨

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٧٦

المطلب الخامس: ما جاء في رجاء رحمة الله .

الرجاء عند أهل العلم: بأن يرجو العبد رحمة الله العامة ورحمته الخاصة به[١]

يقول ابن القيم ـــــ/ ـــــ:

« ولهذا قيل في حد الرجاء: هو النظر إلى سعة رحمة الله »[٢]

وفي كتاب الله ـــــ لأ ـــــ يذكر ـــ-سبحانه وتعالى-أن رجاء رحمة الله من أعظم أعمال الخُلَّص من عباده؛ بل إن رجاءهم لرحمة الله أوثق في نفوسهم من أعمالهم؛ وذلك أن أعمالهم قد يصيبها ما يصيب أعمال البشر من النقص والتقصير،ولكن رحمة الله قبل ذلك وبعده وفوق ذلك كله، فهي رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء وكتبها سبحانه لعباده المتقين يقول تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [٣]

فالله سبحانه في هذه الآية أثنى على الخواص من عباده من الأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين بأفضل أحوالهم وأعلى مقاماتهم من الحب والخوف والرجاء، وفي ذلك

(١) تفسير السعدي٥/٦١٤

(٢) مدراج السالكين٢/٣٧

(٣) سورة الإسراء، آية ٥٧

إبطال لشرك من تعلق بهم من دون الله من المشركين الذين يرفعون المخلوق فوق منزلة الخالق، ويجعلونه ندا له وهو رب العالمين.

يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله– في هذه الآية:

«يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعوهم من دوني: هم عبادي يتقربون إلي بطاعتي ويرجون رحمتي، ويخافون عذابي، فلماذا تدعوهم من دوني؟ فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم: من الحب والخوف والرجاء »(١)

ومما جاء كذلك في رجاء رحمة الله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) وهذه الآية مع ما تحمله من مشروعية رجاء رحمة الله، وأنه من عمل المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله؛ فهي تشتمل على مسألتين عظيمتين في باب الرجاء ولئلا يكون رجاء رحمة الله إدعاء وتمنيا لابد من بيانهما :

الأولى: أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل .

وذلك أن مَنْ أشارت الآية إلى أعمالهم من الإيمان والهجرة والجهاد هم الراجون لرحمة الله حقا وذلك لصحة رجائهم؛ لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة وفي هذا دليل أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة.

وأما الرجاء المقارن للكسل وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور (٣).

ويقول ابن القيم ـــــ رحمه الله ــــ :«ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل » (٤)

الثانية: أن على المسلم أن لا يعتمد على عمله بل يرجو رحمة الله.

---

(١) مدارج السالكين ٢/٤٣

(٢) سورة البقرة، آية٢١٨

(٣) انظر: تفسير السعدي١/٢٧٠

(٤) مدارج السالكين٢/ ٣٧

قال السعدي ــــ رحمه الله ــــ فيما تشتمل عليه الآية :« وفي قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى أن العبد ــــ ولو أتى من الأعمال بما آتى به ــــ لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه »(١)

وهذا الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته حينما قال:«لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا:ولا أنت يا رسول الله؟ قال:ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »(٢)

ومما جاء في كتاب الله في رجاء رحمة الله أيضا قوله تعالى:﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٣) فرق عظيم بين رجاء المؤمنين الموحدين، وبين رجاء غيرهم من المفرطين، وهذا ما بينته الآية السابقة فالمؤمن يقوم بما أمره به ربه وينتهي عما نهاه عنه ويتقرب إليه بالطاعات والنوافل وهو في حال عبادته جامعا بين الخوف والرجاء، ولا تتم العبادة إلا بذلك كما يقول ابن كثير ــــ/ ــــ «لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء ينبعث على الطاعات »(٤)

والآيات التي سبق ذكرها في هذا المطلب هي بعض ما ورد في كتاب الله في رجاء رحمة الله اقتصرت على ذكر ما ورد صريحا في رجاء رحمة الله وإلا فإن كتاب الله فيه الآيات الكثيرة الدالة على ذلك والمتأمل لدعوات الأنبياء والصالحين الواردة في القرآن يجد الغالب منها في رجاء رحمة أرحم الراحمين وكذلك ما جاء في سنة النبي

---

(١) تفسير السعدي١/٢٧٠
(٢) سبق تخريجه ص ١٩٤
(٣) سورة الزمر، آية ٩
(٤) تفسير ابن كثير ١٧٢٥/٣

ــــ > ــــ من دعوات وأذكار جميعها لو تأملها المتأمل في رجاء رحمة الله الخاصة والعامة؛فلا غرابة بعد ذلك حينما يفتح النبي ــــ > ــــ باب رجاء رحمة الله أمام كل مكروب وهو يقول عليه الصلاة والسلام:«دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت » (١)

المطلب السادس:حكم التوسل إلى الله بصفة الرحمة

أولا :الأصل في التوسل التوقيف

التوسل(٢) إلى الله سبحانه وتعالى من العبادات التي مبناها على التوقيف؛ فلا يحل لأحد أن يقول أن هذا الأمر يشرع التوسل به إلى الله -تعالى- من غير مستند شرعي؛ ولقد ضل كثير من الناس ــــ والله المستعان ــــ في مسألة التوسل (٣)؛وذلك حينما خاضوا فيه بأهوائهم وآرائهم و لم يقفوا عند ما ورد في الكتاب

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣١٦/٧، من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث برقم٢٠٤٥٢، أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح٣٢٤/٤، رقم ٥٠٩٠،والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٣٨/١برقم ٣٣٨٨

(٢) يقول شيخ الإسلام:((فلفظ (التوسل) يراد به ثلاثة معان:

أحدها: التوسل بطاعته ــ أي النبي ــــ > ــــ فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني : التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته؛ فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم)) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٨٥ــــ ٨٦

(٣) ومن ذلك حينما سموا عبادة غير الله توسلا تلبيسا وتمويها.يقول الشيخ سليمان سحمان ــــ رحمه الله ــــ :((فإنه من المعلوم عند كل عاقل: أن حقائق الأشياء لا تتغير أسماؤها، تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها، كتسمية عبادة غير الله توسلا وتشفعا أو

والسنة.

يقول شيخ الإسلام -/-:«ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على التوقيف كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قبَّل الحجر الأسود وقال: (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ->- يقبلك ما قبلتك ...)[1] ،والله سبحانه أمرنا بإتباع الرسول وطاعته، وموالاته ومحبته ... ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا عما مضت به السنة، وجاءت به الشريعة، ودل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الأمة، وما علمه قال به، وما لم يعلمه أمسك عليه[2]،ولا يقفو ما ليس له به علم، ولا يقول على الله ما لم يعلم؛ فإن الله قد حرم ذلك كله »[3]

ويقول ابن عيسى -/- [4]وهو يبين هذه المسألة ويؤكد على أنواع التوسل المشروع مبتدئا بالتوسل بأسماء الله وصفاته :«واعلم ـــــ رحمك الله ـــــ أن العبادات مبناها على الأمر والإتباع لا على الهوى والابتداع، والتوسل الذي جاءت به السنة والأحاديث الصحيحة: هو التوسل والتوجه إلى الله بأسمائه وصفاته ، وبالأعمال الصالحة ... وكالتوسل بدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم في حياتهم

تبركا وتعظيما للصالحين وتوقيرا؛ فإن الاعتبار بحقائق الأمور لا بأسمائها والاصطلاحات، والحكم يدور مع الحقيقة وجودا وعدما لا مع الأسماء » انظر: دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالواهاب ص٣٤٨نقلا عن الضياء الشارق ص١٨٢

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج،باب الرمل في الحج والعمرة،برقم[١٦٠٥]،٤٧١/٣

(٢) هكذا ولعلها عنه

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢١١ــــ ٢١٢

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى، ولد في عام ١٢٥٣هــ،وأخذ العلم عن والده، ثم عن علماء نجد،ورحل بعد ذلك في طلب العلم، وخلف مؤلفات نفيسة منها: شرح القصيدة النونية، والرد على شبهات المستعينين بغير الله. توفي رحمه الله ١٣٢٩هــ بالمجمعة. انظر: علماء نجد ٤٣٦/١ـــــــ ٤٥٢

... فهذه من الأمور المشروعة ولا نزاع فيه » [١]

ثانيا: مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته

لاشك في مشروعية التوسل إلى الله –تعالى– بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، لدلالة الكتاب والسنة عليه ، بل هو أفضل ما دُعِيَ الله –سبحانه وتعالى–به ، وهو أحب ما توسل إليه به المتوسلون ولذا فقد جاء بيان مشروعية هذا النوع من التوسل كثيرا في أقوال علماء أهل السنة والجماعة فمن ذلك :

يقول ابن القيم ـــــ يرحمه الله تعالى :«... وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته، ففتح لهم باب الدعاء رغبا ورهبا ليذكره الداعي بأسمائه وصفاته؛ فيتوسل إليه بها، ولهذا كان أفضل الدعاء وأجوبه ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته قال الله ـــــ تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾[٢] » [٣]

ويبين الشيخ حمد بن ناصر بن معمر –/– [٤]التوسل الذي فعله الصحابة ـــــ **ش** ـــــ فيقول:« الذي فعله الصحابة ـــــ **ش** ـــــ هو التوسل إلى الله بالأسماء والصفات والتوحيد ،والتوسل بما أمر الله به من الإيمان بالرسول ومحبته وطاعته ونحو ذلك، وكذلك توسلوا بدعاء النبي ـــــ > ـــــ وشفاعته في حياته... » [٥]

وكما يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [٦]ـــــ رحمة الله

---

(١) الرد على شبهات المستعينين بغير الله ٣٥

(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٠

(٣) الصواعق المرسلة٣/٩١١

(٤) هو حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ، ولد رحمه الله عام ١١٦٠هـ ثم انتقل به والده إلى الدرعية، وطلب العلم بها وأخذه عن كبار رجال الدعوة حتى صار من كبار العلماء الفقهاء، وحرر ردودا عدة منها: الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب. توفي رحمه عام ١٢٢٥هـ . انظر:علماء نجد ٢/ ١٢١ـــــ١٢٨

(٥) الدرر السنية ٩/١٧

(٦) هو الشيخ الفقيه المحدث سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد في

على الجميع ــــ في بيان التوسل المشروع وأنواعه :« التوسل المشروع الذي جاء به الكتاب والسنة: هو التوسل إلى الله –سبحانه وتعالى–بالأعمال الصالحة، والأسماء والصفات اللائقة بجلال رب البريات وكذلك التوسل إلى الله بدعاء النبي ــــ> ـــ وشفاعته في حياته، وبدعاء غيره من الأنبياء والصالحين في حياتهم »[١]

وبهذه الأقوال النيرة من هؤلاء العلماء الأجلاء يظهر جليا مشروعية التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته،والقول في صفة الرحمة هو كالقول في بقية الصفات فيشرع التوسل بها إلى الله ولا فرق وذلك كأن يقول المسلم في دعائه:

اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم أن تمن علي بالعلم النافع والعمل الصالح. أو يقول : أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي [٢].

فما على العبد إلا أن يختار من أسماء الله وصفاته ما يوافق حاجته وطلبه من ربه ويدعو به؛ وفي هذا يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله–:« ومن علم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها، وسر ارتباطها بالخلق والأمر، وبمطالب العبد وحاجاته: عرف ذلك وتحققه؛فإن كل مطلوب يسأل بالمناسب له، فتأمل أدعية القرآن والأحاديث النبوية تجدها كذلك » [٣] هذا إذا توسل إلى الله ــــ عز وجل باسم معين، أو صفة معينة على وجه الخصوص، كما يشرع له أن يتوسل بها توسلا عاما من غير تخصيص:كأن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى.

الدرعية عام ١٢٠٠هـ ،ولا شك أنه تربى في بيت علم وفضل وصلاح وتقى، وحصَّل علما كثيرا فدرس وأفتى وصنَّف وولي القضاء،ومن كتبه: تيسير العزيز الحميد،والدلائل في عدم موالاة أهل الشرك، وغيرهما. قتل ــــ رحمه الله ــــ ظلما وعدوانا على أيدي رجال إبراهيم باشا في عام ١٢٣٣هـ انظر :علماء نجد ٣٤١/٢

(١) الدرر السنية ٢٣٢/٩

(٢) انظر :التوسل أنواعه وأحكامه ٣٠

(٣) مدارج السالكين ٤٨٢/١

وعلماؤنا ــــ عليهم رحمة الله ــــ لهم أدلة كثيرة من الكتاب والسنة استدلوا بها على مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته فمن ذلك :

١- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[(١)]

والمعنى: أي أدعوا الله تعالى متوسلين بأسمائه الحسنى،ولا شك أن صفات الله العلى داخلة في هذا الطلب؛لأن أسماءه الحسنى صفات له، خصت به تبارك وتعالى[(٢)].

٢- ومن أدلة مشروعية التوسل إلى الله بصفة الرحمة ما جاء في دعاء سليمان ــــ عليه السلام ــــ في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [(٣)]

٣- وكذلك ورد في كتاب الله أن ملائكة الرحمن توسلت إلى الله سبحانه بسعة رحمته وسعة علمه بأن يغفر للمؤمنين يقول تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [(٤)]

فالله سبحانه وتعالى يذكر دعاء حملة العرش ومن حوله وهم يسبحون بحمد ربهم، ويتوسلون إليه بسعة رحمته وسعة علمه في دعائهم للمؤمنين، وهو من أحسن التوسلات التي يرجى معها الإجابة[(٥)]

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٠

(٢)انظر :التوسل أنواعه وأحكامه ٣٠

(٣) سورة النمل، آية ١٩

(٤) سورة غافر، آية ٧

(٥) انظر: شرح الواسطية لمحمد خليل هراس ٣٩

ويقول ابن القيم -/- : «وتأمل ما تضمنه هذا الخبر عن الملائكة من مدحهم بالإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى المؤمنين بالاستغفار لهم وقدموا بين يدي الله استغفارهم وتوسلهم إلى الله بسعة علمه وسعة رحمته ...» (١)

٤ـــــ ومن الأدلة الواردة في السنة : ما رواه أنس ـــــ ط ـــــ أن النبي -<- :«كان إذا حزبه أمر قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » (٢)

٥ـــــ ومنها قوله -<- «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي »(٣)

يقول ابن القيم ـــــ رحمه الله ـــــ في أمثال هذه الأحاديث التي فيها توسل إلى الله بأسمائه وصفاته:«...فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعا عند المسؤول »(٤)

وهذه الأدلة السابقة جميعها تبين مشروعية التوسل إلى الله -لأ- بأحب ما توسل إليه به المتوسلون فهي إما توسل باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، ففيها غنية ـــــ لمن أراد أن يستغني بالكتاب والسنة ـــــ عن التوسلات الشركية والتوسلات البدعية، لكن من أبى و أراد أن يرد ما جاءنا عن نبينا ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فلا أغناه الله!

(١) الجواب الكافي ١٧٥

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات،باب ٩٢، ج٥/٥٠٤،برقم ٣٥٢٤، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل١/٦٩٥،رقم ١٩٢٧وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال عنه الألباني : وهو حديث حسن.انظر :التوسل ص٣٢

(٣) أخرجه الحاكم في كتاب الدعاء والتكبير١/٧١٣،رقم ١٩٧٥،وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، قال الألباني: ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. انظر: التوسل ص٣١

(٤) بدائع الفوائد١/١٧٦ـــــ ١٧٧

المطلب السابع: حكم الاستعاذة بصفة الرحمة

لقد سبق في هذا البحث الكلام عن الاستعاذة بشيء من التفصيل مما يغني عن إعادته هنا وسيُقصر الحديث في هذا المطلب على بيان حكم الاستعاذة بصفة الرحمة مع ذكر بعض الأدلة على هذه المسألة فأقول مستعينا بالله ـــــ جل وعلا ـــــ

لقد دلت الأدلة على مشروعية الاستعاذة بصفة الرحمة، فالقول فيها كالقول في سائر الصفات ولقد ذكر الباحث في مسألة الاستعاذة باسم الله (الرحمن) أقوال العلماء في بيان مشروعية الاستعاذة بأسماء الله وصفاته؛ فبناء على ذلك فإنه يشرع للمسلم أن يقول: أعوذ برحمة الله. وذلك كقوله: أعوذ بكلمات الله، وأعوذ بعزة الله وقدرته الواردة في النصوص، ومما يدل على ذلك :

ما ثبت في الأحاديث من الاستعاذة بكلمات الله عز وجل كقوله ـــــ > ـــــ:

«من نزل مترلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء حتى يرتحل منه»(١)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء،باب الدعوات والتعوذ، برقم ٢٧٠٨،مسلم بشرح النووي ١٩٦/١٧

يقول شيخ الإسلام في احتجاج السلف بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق: «... ولهذا احتج السلف ـــ كأحمد وغيره ـــ على أن كلام الله غير مخلوق فيما احتجوا به بقول النبي ـــ> ـــ:(أعوذ بكلمات الله التامات)قالوا : فقد استعاذ بها، ولا يستعاذ بمخلوق »(١)

ويدل على ذلك أيضا ما ورد من الاستعاذة بعزة الله وقدرته وذلك في قوله ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ لعثمان بن أبي العاص ـــ ط ـــ: « قل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر »(٢)

والاستعاذة بالعزة والقدرة استعاذة بصفتين من صفات الباري -جل وعلا- استعاذ بهما النبي ـــ > ـــ، وهو أعلم الخلق بالله، وأتقاهم له يتعوذ بصفاته تعالى؛ لأن ذلك من عبادة الله بل هو من أفضلها امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾(٣) فما وسع النبي ـــ> ـــ فإنه يسع أمته عليه الصلاة والسلام ولا بد والله أعلم.

---

(١) الفتاوى ١/ ٢٣٣

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة،حديث ٢٢٠٢، مسلم بشرح النووي١٤/٣٥٨

(٣) سورة الأعراف، آية ١٨٠

المطلب الثامن: حكم القسم بصفة الرحمة .

القسم بصفة الرحمة أو القسم بصفات الله عموما فإنه مما يشرع للمسلم القسم به ولا يمنع ذلك ؛لأن صفات الله غير مخلوقة، والذي يمنع منه هو الحلف بالمخلوق، وقد دل على ذلك **الكتاب والسنة والإجماع :**

أما دليل الكتاب فقوله تعالى:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [(١)]

فأخذ العلماء من هذه الآية جواز القسم بالصفات؛ فإن إبليس أقسم بعزة الله، والعزة صفة من صفات الله عز وجل الذاتية؛ لذا اعتبروا القسم بالصفة كالقسم به -جل وعلا- يقول شيخ الإسلام ـــ / ـــ:«والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة، كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة، وكما أن القسم بصفاته قسم به في الحقيقة » [(٢)]

ومما يؤكد هذا أنهم جعلوا الحلف بالصفات كالحلف باسم من أسماء الله عز وجل

(١) سورة ص، آية ٨٢

(٢) مجموع الفتاوى١/٨٥

في الحكم والكفارة كما ذكروا ذلك عن الإمام الشافعي -/- أنه قال :« وحق الله، وعظمة الله، وجلال الله، وقدرة الله، يريد بهذا كله اليمين، أو لا نية له؛ فهي يمين... » [١] ويأتي في دليل الإجماع من كلام ابن القيم -/- ما يوضح ذلك .

وأما أدلة السنة فهي كثيرة :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -/-:«وقد ثبت في السنة جواز الحلف بصفاته كعزته وعظمته... » [٢]

وكذلك ثبت القسم بغير ذلك من صفات الله تعالى فمن ذلك :

ما رواه البخاري في كتاب التوحيد عن أنس ـــ ط ـــ عن النبي ->- قال:« لا يزال يلقى فيها ــ أي النار ـــ وتقول: هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فيتروي بعضها إلى بعض ثم تقول : قد قد، بعزتك وكرمك... » [٣]

قال الحافظ ابن حجر : «ويؤخذ منه مشروعية الحلف بكرم الله كما شرع الحلف بعزة الله » [٤]

ومن الأدلة كما يقول ابن القيم في المدارج: وفي الصحيح ـــ في حديث الملائكة السيارة الفُضَّل [٥]وفيه:«...إن الله تعالى يسألهم عن عباده ـــ وهو أعلم تبارك وتعالى ـــ فيقولون: أتيناك من عند عباد لك يهللونك، ويكبرونك، ويحمدونك،ويمجدونك. فيقول عز وجل:وهل رأوني؟ فيقولون: لا يا رب ما رأوك. فيقول عز وجل: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا لك أشد

---

(١) تفسير الإمام الشافعي ١/١٠١

(٢) منهاج السنة ٢/ ١٣٧

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى(وهو العزيز الحكيم)، حديث رقم: ٧٣٨٤ البخاري مع الفتح ١٣/٣٦٩

(٤) فتح الباري،١٣/٣٧١

(٥) مدارج السالكين٢/٨١

تمجيدا. قالوا: يا رب ويسألونك جنتك. فيقول: هل رأوها؟ فيقولون:لا وعزتك ما رأوها ... »[١]

قال الشيخ عبدالله الغنيمان :«وبهذا يتبين أن الحلف بقدرة الله وعزته وسائر صفاته أنه كالحلف به تعالى، وإن صفاته ليست مخلوقة؛ لأنه لا يجوز الحلف بالمخلوق...»[٢]

وأيضا جاء القسم بالصفة عند البخاري في حديث الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة وفيه :«... ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة، فيقول: أي ربِّ اصرف وجهي عن النار؛ فإنه قد قشبني ريحها[٣] وأحرقني ذكاؤها[٤]، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عسيت إن أُعطيت ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك .... »[٥]

وأما دليل الإجماع

فقد حكى الإجماع على جواز القسم بصفات الله تعالى جمع من العلماء فمن ذلك: قول ابن القيم –/–:« وأجمع المسلمون أنه لو حلف بحياة الله، أو سمعه، أو بصره، أو قوته،أو عزته، أو عظمته، انعقدت يمينه، وكانت مكفرة؛لأن هذه صفات كماله التي اشتقت منها أسماؤه »[٦]

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث ٦٤٠٨،البخاري مع الفتح١١/٢٠٨، والإمام مسلم، كتاب الذكر والدعاء،باب فضل مجالس الذكر، حديث رقم٢٦٨٩، مسلم بشرح النووي١٧/١٨٤

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري١/١٥٠

(٣) أي سَمَّني ريحها، وكل مسموم قَشِيب ومُقْشَب. انظر النهاية لابن الأثير٤/٦٤

(٤) ذكاء النار: شدة وهج النار. انظر: النهاية لابن الأثير، باب الذال مع الكاف ٢/١٦٥

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى(وجوه يومئذ ناضرة)،حديث ٧٤٣٧،البخاري مع الفتح ١٣/٤١٩، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم،حديث رقم ٢٩٩ ،مسلم بشرح النووي٢/٣٩٣

(٦) مدارج السالكين١/٣٨

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله ـــــــ / ـــــ:«وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو بصفاته. وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره »[(١)]

المطلب التاسع: حكم دعاء صفة الرحمة

هذه المسألة من المسائل التي طرقها العلماء في القديم وفي وقتنا الحاضر

فمن العلماء الذي تكلموا فيها وبينوا حكمها شيخ الإسلام ابن تيمية ــــ / ــــ فقد بين عدم مشروعية دعاء صفات الله، بل ذكر أن ذلك كفر باتفاق المسلمين وذلك كأن يقول في دعائه : يا رحمة الله، أو يا قدرة الله فيقول:

« إن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي ، وارحمني، وأغثني، أو أعني، أو يا علم الله، أو يا قدرة الله، أويا عزة الله،أو يا عظمة الله، ونحو ذلك؟ أو سمع من مسلم أو كافر أنه دعا ذلك من صفات الله وصفات غيره

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد٢/١١٦٦

أو يطلب من الصفة جلب منفعة، أو دفع مضرة، أو إعانة، أو نصرا، أو إغاثة، أو غير ذلك؟... »(١)

ولقد سئل الشيخ ابن عثيمين ـــ/ ـــ عن دعاء الصفة وهل يعد ذلك من الشرك؟

فأجاب ـــ / ـــ على ذلك بقوله: «عبادة الإنسان لصفة من صفات الله، أو دعاؤه لصفة من صفات الله من الشرك،وقد ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ / ـــ؛لأن الصفة غير الموصوف بلا شك، وإن كانت هي وصفه، وقد تكون لازمة وغير لازمة لكن هي بلا شك غير الموصوف،فقوة الإنسان غير الإنسان،وعزة الإنسان غير الإنسان، وكلام الإنسان غير الإنسان، كذلك قدرة الله عز وجل ليست هي الله، بل هي صفة من صفاته ...وكذلك دعاء الصفة من الشرك مثل أن يقول يا مغفرة الله اغفري لي، يا عزة الله أعزيني ونحو ذلك » (٢)

ويقول الشيخ عبدالرزاق البدر عند تحذيره من بعض المسالك المنحرفة في باب الأسماء والصفات:«كما أن من الأخطاء أيضا أن يتوجه في الدعاء إلى الصفة نفسها كأن يقول: يا رحمة الله، أو يا مغفرة الله، أو يا عزة الله، أو يا وجه الله، أو يا يد الله، أو نحو ذلك فكل ذلك من الخطأ؛ لأن الدعاء إنما يصرف لمن اتصف بها وهو الله سبحانه وتعالى » (٣)

---

(١)تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ص١٨١، وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين ٣/٣١٥ـــ٣١٦

(٢) فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين، جمع وترتيب أشرف عبدالمقصود١/٢٦

(٣) فقه الأسماء الحسنى ص٦٨

المطلب العاشر: حكم تعبيد الاسم لصفة الرحمة.

مسألة تعبيد الاسم للصفة من المسائل التي يتضح فيها الفرق بين الأسماء والصفات، ومثلها أيضا مسألة دعاء الصفة وقد تقدم الحديث عنها.

فأسماء الله عز وجل يشرع تعبيد الاسم إليها فيقال: عبدالرحمن، وعبدالرحيم، بينما صفات الباري -جل وعلا- لا يشرع أن تعبد الأسماء إليها،فلا يشرع أن يقال: عبدالرحمة ،و عبدالعزة، وعبدالقدرة.

وذلك أن الصفة ليست هي الموصوف، فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله، وكذلك العزة، والقدرة وغيرها من الصفات.

فهذه صفات وليست هي الله، ولا يجوز التعبد إلا لله -عز وجل- لقوله تعالى :

﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾(١) (٢) وفي هذا يقول الشيخ محمد بن عثيمين ـــ / ـــ:«... فلو تعبد الإنسان لصفة من صفات الله لم يكن متعبدا لله، وإنما تعبد لهذه الصفة لا لله ـــ عز وجل ـــ والإنسان إنما يتعبد لله ـــ عز وجل :﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣) والله -عز وجل- موصوف بجميع صفاته فإذا عبدت صفة من صفاته لم تكن عبدت الله -عز وجل-؛ لأن الله موصوف بجميع صفاته » (٤)

المطلب الحادي عشر: حكم القنوط من رحمة الله،وأثره في توحيد العبد.

معنى القنوط لغة واصطلاحا :

أما في اللغة : فهي كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء (٥)

وفي اللسان: أن القنوط هو اليأس، أو هو اليأس من الخير(٦)

وقيل هو أشد اليأس من الشيء(٧)

وأما معناه في الاصطلاح :

فقد قال في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:« القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه

---

(١) سورة النور،آية ٥٥

(٢) انظر: صفات الله عز وجل في الكتاب والسنة للسقاف ص٢١،ودفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات ٣٩

(٣) سورة الأنعام، آية ١٦٢

(٤) فتاوى الشيخ العثيمين١/٢٦

(٥) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص٨٣٥

(٦) انظر: لسان العرب ٣٨٦/٧

(٧) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١١٣/٤

وهو يقابل الأمن من مكر الله »[(١)]

وقال ابن عثيمين -/-:«المراد بالقنوط : أن يستبعد رحمة الله، ويستبعد حصول المطلوب أو كشف المكروب » [(٢)]

الفرق بين القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله :

القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله لا يوجد بينهما فرق في أصل المعنى بل هما متقاربان،وكلاهما فيه استبعاد لرحمة الله ـــــلأ ــــ وسوء ظن بالله. لكن يختلفان من حيث ما يتناوله كل منهما؛ فبناء على هذا ذكر العلماء الفروق التالية بينهما [(٣)] :

١- أن القنوط أشد مبالغة من اليأس.

٢- أن القنوط من رحمة الله عام، واليأس من روح الله خاص، وذلك لأن الرحمة أعم من الروح، والرحمة تشمل جلب النعم ودفع النقم، وروح الله يطلق في الغالب في الخلاص من المصائب.

٣- أن اليأس أن لا يأمل في وقوع شيء من الرحمة، وأن القنوط تصميم على عدم وقوعها.

من صور القنوط من رحمة الله :

أ ــــــ كمن يقنط من قبول توبته ومغفرة ذنوبه

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ / ــــ :«والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له :إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنوبه، وإما بأن يقول: نفسه لا تطاوعه، بل هو مغلوب معها، والشيطان قد استحوذ عليه فهو ييأس من توبة نفسه، وإن كان يعلم أنه إذا تاب غفر الله له وهذا يعتري كثيرا من الناس،والقنوط

(١) فتح المجيد ص٣١٤

(٢) القول المفيد٢/٢٠٨

(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٣٨٧، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم١١/ ٥٧٢٥

يحصل بهذا تارة وبهذا تارة »[1]

ب ـــ ومن صوره: كمن يقنط من نصر الإسلام وأهله ومن هزيمة أهل الكفر والضلال

ولعل هذا قد تمكن من قلوب كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم لما يرون من ضعف الأمة الإسلامية وتأخرها أمام أعدائها الذين لهم الغلبة في بعض المجالات والأماكن، وهذا مما لاشك فيه أنه من الظن السيئ الذي ذم الله أهله في القرآن وعدَّه من صفات المنافقين يقول تعالى :﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [2]

يقول ابن القيم -/-:«وإنما كان هذا من ظن السَّوْءِ، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل،وظن غير الحق؛ لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، بخلاف ما يليق بحكمته وحمده، وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يُخْلِفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم و لا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون، فمن ظنَّ بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه،ويعليهم،ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأن لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يُديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا؛ فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله و جلاله ،وصفاته ونعوته،فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة،والظفر الدائم لأعدائه المشركين به، العادلين به، فمن ظن به ذلك،فما

(١) الفتاوى١٦/١٦

(٢) سورة الفتح،آية ٦

عرفه، ولا عرف أسماءه،ولا عرف صفاته وكماله... » (١)

ج ـــ ومن صور القنوط من رحمة الله:كمن يقنط من نزول الغيث أو حصول الولد أو نيل الرزق ونحو ذلك، يقول -سبحانه وتعالى-في سياق ذكر قصة الخليل ـــ عليه السلام ـــ بعد أن بشرته الملائكة بغلام حليم:﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾(٢)

ويقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (٣)

من أسباب القنوط من رحمة الله :

للقنوط من رحمة الله أسباب يجب على العبد الراجي رحمة ربه أن يحذرها ويبتعد عنها منها:

١ـــ إسراف العبد على نفسه بالذنوب والمعاصي، وإصراره عليها، وقطعه رجاءه في رحمة الله؛ لأجل أنه مقيم على معاصي الله، فيستمر على ذلك حتى يكون هذا وصفا وخلقا لازما له ، وهذا غاية ما يريده الشيطان من الإنسان ليبقيه على هذه الحال من القنوط واليأس من روح الله.

٢- أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الآثام، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولو تاب وأناب فييأس من رحمة ربه (٤)

---

(١) زاد المعاد ٢٢٩/٣

(٢) سورة الحجر ، الآيات ٥٤ـــــ٥٦

(٣) سورة الشورى، الآية ٢٨

(٤) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد للسعدي ضمن المجموعة الكاملة٣٧/٣بتصرف

حكم القنوط من رحمة الله:

دلت النصوص في الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة على تحريم القنوط من رحمة الله -لأ- وأنه من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب؛ بل إن الله -سبحانه وتعالى-جعل القانط من رحمته من الضالين الذين لم يسلكوا طريق المهتدين يقول تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ / ـــــ:«والمقصود هنا أن قوله ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢) فيه نهي عن القنوط من رحمة الله -تعالى-، وإن عظمت الذنوب وكثرت، فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه، ولا يُقنِّط الناس من رحمة الله.

قال بعض السلف: إن الفقيه ـــــ كل الفقيه ـــــ الذي لا يُؤْيِس الناس من رحمة الله، ولا يجريهم على معاصي الله

... والمقصود أنه لا يجوز أن يقنط أحد، ولا يقنط أحدا من رحمة الله؛ فإن الله نهى عن ذلك، وأخبر أنه يغفر الذنوب جميعا » (٣)

من أقوال العلماء في علة تحريم القنوط من رحمة الله:

من فقه علماء السلف لنصوص الكتاب والسنة أنهم حينما قالوا بتحريم القنوط من رحمة الله بينوا أسباب تحريمه، وما يترتب عليه من مخالفات

ـــــ فمن أهل العلم من ذكر أن سبب تحريمه لما فيه من جهل بعموم قدرة الله تعالى وقوته وعلمه وإحاطته، وكل هذا جهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته، وماله

(١) سورة الحجر ، آية ٥٦

(٢) سورة الزمر، آية ٥٣

(٣) الفتاوى١٦/١٦ـــــ ١٧

من الجلال والجمال [(١)]

ـــــ ويقول ابن القيم -/-:« وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السَّوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظنَّ به ظنَّ السوء... » [(٢)]

ـــــ ويقول ابن عثيمين -/-:« فالقنوط من رحمة الله لا يجوز؛ لأنه سوء ظن بالله ــــلأ ــــ وذلك من وجهين:

الأول: أنه طعن في قدرته -سبحانه-؛لأن من علم أن الله على كل شيء قدير لم يستبعد شيئا على قدرة الله.

الثاني: أنه طعن في رحمته ـــــ سبحانه ــــ؛ لأن من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله -سبحانه- ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالا » [(٣)]

ومن كلام أهل العلم السابق يؤخذ أن القانط من رحمة الله تعالى في حقيقة أمره أنه طاعن في ربوبية الله -عز وجل- فإنه بقنوطه لم يعظم الله حق تعظيمه، ولم يقدره حق قدره فهو طاعن في قدرة الله كما أنه طاعن في رحمته سبحانه وكل هذا بسبب جهله بربه سبحانه وبأسمائه وصفاته

أثر القنوط من رحمة الله على توحيد العبد

القنوط من رحمة الله له أثر على توحيد العبد مما يوجب على المسلم الحذر منه والابتعاد عنه، وعن الأسباب المؤدية إليه. فمن الآثار السيئة المترتبة عليه ما يلي:

أولا: أنه ينقص توحيد العبد وينافي كماله، ومثله في ذلك كمثل الأمن من مكر الله يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:«فإن القنوط من رحمة الله بمنزلة الأمن من مكر الله -تعالى- وحالهم مقابل لحال مستحلي الفواحش، فإن هذا أمن مكر

(١) انظر: التفسير الكبير١٩/١٥٧نقلا عن بحث الرحمة في القرآن٢٨٥

(٢) زاد المعاد ٣/٢٢٩ــــ ٢٣٠

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/٢٠٤

الله بأهلها، وذاك قنط أهلها من رحمة الله، والفقيه كل الفقيه هو الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله،و لا يجرئهم على معاصي الله » (١)

ويقول الشيخ صالح الفوزان ـــــ حفظه الله ـــــ:«... الأمن من مكر الله،والقنوط من رحمته ينقصان التوحيد وينافيان كماله » (٢)

ثانيا:أنه يؤدي إلى ترك عبادة الرجاء أو نقصانها في قلب العبد وهي عبادة قلبية، والجمع بينها وبين الخوف من الله واجب من واجبات الإيمان لا يتم التوحيد إلا به.

ولذا ذكر الإمام ابن القيم -/- قول بعض السلف:«من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ،ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن »(٣)

«فأهل السنة والجماعة يجمعون بين الخوف من عذاب الله،مع رجاء رحمة الله؛فالخوف يمنعهم من المعاصي، ورجاء رحمة الله يحملهم على التوبة والاستغفار والندم على ما حصل منهم؛ هذه طريقة أهل السنة والجماعة وكما قال الله تعالى في الأنبياء:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(٤) » (٥)

المطلب الثاني عشر:حكم قول: اللهم ارحمني إن شئت وأثره على توحيد العبد

هذه المسألة تسمى عند العلماء مسألة تعليق الدعاء بالمشيئة، أو مسألة الاستثناء في الدعاء وذلك كأن يقول العبد ((اللهم ارحمني إن شئت)) ونحو ذلك.

وحكم استعمال هذه الصيغة في الدعاء جاء بيانه في السنة فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تعليق الدعاء بالمشيئة في أحاديث صحيحة رويت عنه. فمن ذلك:

---

(١) الفتاوى١٥/٢٣٦

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٢/٩٤

(٣) بدائع الفوائد٢/١٣

(٤) سورة الأنبياء،آية ٩٠

(٥) إعانة المستفيد ٢/٩٨

ما جاء من النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة على وجه العموم وذلك كما جاء في حديث أنس – ط–في الصحيحين أنه قال: قال رسول الله –>–:«إذا دعوتم فاعزموا في الدعاء، ولا يقولن أحدكم: إن شئت فأعطني، فإن الله لا مُسْتَكْرِهَ له»[١]

بل قد جاء النهي عن المسألة التي عقد من أجلها هذا المطلب وهي قول ((اللهم ارحمني إن شئت)) على وجه الخصوص وذلك كما عند البخاري ومسلم ومن حديث أبي هريرة –ط– قال: قال النبي – >–:« لا يَقُولَنَّ أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم في الدعاء؛فإن الله صانع ما شاء لا مُكْرِهَ له »[٢] وفي رواية عند مسلم:«... ولكن ليعزم المسألة، ولْيُعَظِّمِ الرغبة؛ فإن الله لا يَتَعَاظَمُهُ شيء أعطاه »[٣]

هل النهي في الأحاديث للتحريم أم للكراهية؟

الذي يظهر من النصوص السابقة –والعلم عند الله– أن النهي للتحريم، وأن قول : اللهم ارحمني إن شئت من المحرمات التي تنقص توحيد العبد؛ حيث أن النهي فيها صريح ولا صارف له يصرفه من التحريم إلى الكراهية[٤]، ولقد نص جمع من أهل العلم على عدم جواز ذلك ومنهم من صرح بالتحريم.

---

(١)البخاري، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له،حديث ٦٣٣٨، الفتح١١/١٣٩ وفي كتاب التوحيد،باب في المشيئة والإرادة،حديث ٧٤٦٤، الفتح١٣ /٤٤٥ ، و مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب العزم في الدعاء، حديث ٢٦٧٨، مسلم بشرح النووي١٧/١٧٨

(٢)البخاري، كتاب التوحيد،باب في المشيئة والإرادة،حديث ٧٤٧٧، الفتح١٣/٤٤٨ ، مسلم،كتاب الذكر والدعاء، باب العزم في الدعاء، حديث ٢٦٧٩، مسلم بشرح النووي١٧/١٧٨

(٣)الإمام مسلم،كتاب الذكر والدعاء،باب العزم في الدعاء، حديث ٢٦٧٩،مسلم بشرح النووي١٧/١٧٨

(٤) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان٢/ ٢٥٧

يقول شيخ الإسلام:((... ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده، أو يعلمه ما لم يكن يعلم، أو من يرجوه الرب ويخافه.

ولهذا قال النبي ـــــ > ـــــ: « لا يَقُولَنَّ أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسألة؛فإنه لا مُكْرِهَ له »))(١)

وقال الحافظ ابن حجر:((قال ابن عبدالبر: لا يجوز لأحد أن يقول: اللهم أعطني إن شئت وغير ذلك من أمور الدين والدنيا...وظاهره أنه حمل النهي على التحريم، وهو الظاهر))(٢)

ويقول الشيخ صالح الفوزان في إعانة المستفيد:((المسألة الأولى: النهي عن قول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. والنهي للتحريم))(٣)

ويقول الشيخ عبدالله الغنيمان:((والمقصود أنه يحرم تعليق الدعاء بالمشيئة...)) (٤)

وأما ما ذهب إليه الإمام النووي رحمه الله تعالى وحمله النهي على كراهة التنزيه وليس للتحريم(٥) وهو الذي مال إليه ابن حجر ـــــ/ ـــــ في الفتح(٦) فقد رد ذلك أهل العلم

فيقول الشيخ عبدالله الغنيمان بعد ذكره ما ذهب إليه النووي ـــــ/ ـــــ:((وهذا خلاف ظاهر الحديث، ولا أدري ما دليله على ذلك، وقد جاء في رواية الصحيحين،قال النبي ـــــ > ـــــ « لا يَقُولَنَّ أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم في الدعاء؛فإن الله صانع ما شاء لا مُكْرِهَ له »،وهذا

---

(١) الفتاوى١/٩٧ـــــ ٩٨

(٢) فتح الباري ١١/ ١٤٠

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٢/٢٩٥

(٤) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري٢/٢٥٧

(٥) انظر:شرح صحيح مسلم١٧/١٧٨وذكره عنه الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/١٤٠

(٦) فقد قال: / ((وحمل النووي النهي في ذلك على كراهية التنزيه وهو أولى)) انظر: الفتح ١١/١٤٠

ظاهر في التحريم،والقاعدة أن النهي يحمل على التحريم ما لم يدل دليل على أنه لكراهة التتريه »(١)

علة النهي عن قول:((اللهم ارحمني إن شئت)):

لما كان العبد لا غنى له عن رحمة ربه ومغفرته طرفة عين، ولا أقلَّ من ذلك، نُهي عن قول:(اللهم ارحمني إن شئت)،وأمر بإعظام الرغبة،والإلحاح في المسألة ،وإظهار الذل والخضوع لربه -جل وعلا- ولئلا يقع العبد فيما يؤثر في توحيده وفيما نهاه عنه ربه جل وعلا فقد اجتهد العلماء في بيان علة النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة.
فمما ورد من أقوالهم في هذا:

١- ما أخذه العلماء من قوله صلى الله عليه وسلم:(فإنه لا مستكره له) فقد ذكروا عند هذا أن تعليق الدعاء بالمشيئة يشعر بأن الله تعالى يعطي ما لا يريد كما يحصل لابن آدم،وهذا لا يجوز اعتقاده(٢)

قال الحافظ ابن حجر -/-: « النهي لأن التعليق بالمشيئة إنما يحتاج إليه إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء؛فيخفف الأمر عليه ويعلمه بأنه لا يطلب منه الشيء إلا برضاه.والله متره عن ذلك فلا فائدة للتعليق» (٣).

٢- أن تعليق الدعاء بالمشيئة يشعر باستغناء الداعي عما يدعو ويطلب،وهو خلاف الواقع،وخلاف العبودية الواجبة على العبد(٤)

قال الحافظ ابن حجر:«وقيل لأن فيه صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه »(٥)

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله -/-:«نهي عن ذلك لما فيه من إيهام الاستغناء عن

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري٢/٢٩١
(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري٢/٢٩٢
(٣) انظر: فتح الباري١١/١٤٠
(٤) انظر:شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري٢/٢٥٦
(٥) فتح الباري١١/ ١٤٠وذكرها أيضا النووي في شرح صحيح مسلم١٧/١٧٩

مغفرة الله ورحمته ... وذلك مضاد للتوحيد» [١]

٣- أنه يشعر بأن هذا أمر عظيم على الله قد يثقل عليه ويعجز عنه، والأمر ليس كذلك فالله -سبحانه- لا يتعاظمه شيء أعطاه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:« ولْيُعَظِّمِ الرغبة؛ فإن الله لا يَتَعَاظَمُهُ شيء أعطاه »[٢] [٣]

أثر قول: (اللهم ارحمني إن شئت) على توحيد العبد

المتأمل للمحاذير السابقة في علة النهي عن قول (اللهم ارحمني إن شئت) يجد أن هذا القول فيه نقص وقدح في توحيد العبد من أوجه عدة[٤]:

الأول:أن من أتى بما يشعر بأن الله له مكره لم يقم بتمام ربوبية الله ـــــ سبحانه وتعالى ـــــ، لأن من تمام الربوبية أن يعتقد أن الرب -سبحانه- لا مكره له، وأنه لا يسأل عما يفعل جل وعلا

الثاني:أن من أتى بما يشعر أن الله يتعاظم الأشياء التي يعطيها فهذا فيه قدح في جود الله وكرمه وفضله وهذا فيه نقص من ناحية الربوبية.

الثالث: وأيضا فيه نقص في توحيد العبد وعبوديته لله سبحانه وذلك لما فيه من إيهام الاستغناء عن الله وعن رحمته.

المطلب الثالث عشر: حكم قول اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك.

---

(١) تيسير العزيز الحميد٢/١٢٩٨

(٢) تقدم تخريجه ص٢٨٣

(٣) انظر القول المفيد٣/٩٠

(٤) انظر: القول المفيد٣/٩٢

دعاء الله سبحانه وتعالى بدعوة ((اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك)) من الدعوات التي جاءت فيها أقوال العلماء متباينة مختلفة:

فمن أهل العلم من كره الدعاء بهذا الدعاء، وأنكر على من دعا به ونهاه عنه:

ومن الآثار الواردة في ذلك:

١- ما بوب له البخاري -/- في الأدب المفرد حيث قال:(باب من كره أن يقال: اللهم اجعلني في مستقر رحمتك) وذكر تحته الأثر الوارد عن أبي رجاء [١]-/- أن رجلا قال له:«أقرأ عليك السلام، وأسأل الله أن يجمع بيني وبينك في مستقر رحمته! قال: وهل يستطيع أحد ذلك؟ قال : فما مستقر رحمته؟ قال: الجنة. قال: لم تُصِبْ، قال: فما مستقر رحمته؟ قال : (رب العالمين) »[٢]

٢- ومن الآثار الواردة في النهي عن الدعاء به أيضا:

ما جاء عن أبي البختري[٣] أنه قال:«لا يقولن أحدكم: اللهم أدخلني مستقر رحمتك؛ فإن مستقر رحمته نفسه »[٤]

٣- ومنها كذلك:

ما جاء عن مجاهد -/- أنه كان يكره أن يقول:« اللهم اجعلني في مستقر رحمتك؛فإن مستقر رحمته هو نفسه »[٥]

---

(١) اسمه عمران بن مِلْحان أبو رجاء العُطَارِدي، وهو ثقة من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية،وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ـــ > ـــ عُمِّرَ طويلا، وكان عابدا كثير الصلاة وتلاوة القرآن،مات سنة١٠٧هـ انظر:سير أعلام النبلاء٤/٢٥٣

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٦٨،وقال عنه الألباني بأنه صحيح الإسناد.انظر: صحيح الأدب المفرد ص٢٨٦

(٣) هو سعيد بن فيروز أبو البختري الطائي مولاهم الكوفي، من جلة التابعين وعلمائهم، وثقه ابن معين وأبو زرعة، مات في وقعت الجماجم سنة ٨٣هـ. انظر: تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للذهبي٤/٣٧، ترجمة رقم ٢٣٧٣.

(٤) رواه الدارمي في نقضه على المريسي٢/٨٤٨

(٥) رواه ابن أبي الدنيا، في كتاب الصمت وآداب اللسان، باب ما ينهى أن يتكلم به، رقم

٤ــ ما ذكره ابن تيمية -/- عن الإمام أحمد -رحمه الله- حيث قال :« ويكره الدعاء بالبقاء لكل أحد؛ لأنه قد فرغ منه ونص عليه الإمام أحمد في رواية أبي أَصْرَمَ وقال له رجل: جمعنا الله وإياك في مستقر رحمته فقال: لا تقل هذا »(١)

ومن أهل العلم من أجاز الدعاء به ولم ينكره:

فمن أقوالهم في هذا

١ــ ما ذكره الإمام النووي ــــ/ ــــ في (الأذكار) تحت باب في ألفاظ حكي عن جماعة من العلماء كراهتها وليست مكروهة فقد ذكر ما جاء عن بعض الفقهاء الأدباء العلماء(٢) من قال: لا تقل: جمع الله بيننا في مستقر رحمته، فرحمة الله أوسع من أن يكون لها قرار.قال : لا تقل: ارحمنا برحمتك.

ثم قال -يرحمه الله- رادا على هذا القول :

« قلت: لا نعلم لما قاله في اللفظين حجة، ولا دليل له فيما ذكره؛ فإن مراد القائل بمستقر الرحمة: الجنة، ومعناه: جمع بيننا في الجنة التي هي دار القرار، ودار المقامة، ومحل الاستقرار، وإنما يدخلها الداخلون برحمة الله -تعالى- ثم من دخلها استقر فيها أبدا، وأمن الحوادث والأكدار، وإنما حصل له ذلك برحمة الله -تعالى- فكأنه يقول: اجمع بيننا في مستقر نناله برحمتك »(٣)

٢- ما جاء ذكره في الفتاوى الكبرى أن شيخ الإسلام ابن تيمية -يرحمه الله- يميل إلى أن هذا الدعاء لا يكره حيث جاء فيها ما نصه:«وكان أبو العباس يميل إلى أنه

٣٥٠، موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا٥/٢١٨

(١) الفتاوى الكبرى٥/٥٤٤ونحو هذا ما ذكره ابن القيم عن مسائل أحمد بن أحرم بن خزيمة : سمعته وقال له رجل:جمعنا الله وإياك في مستقر رحمته، فقال: لا تقل هكذا.انظر : بدائع الفوائد ٣٦٢/٢

(٢) من حسن صنيع الإمام النووي أنه ذكر في بداية الباب المشار إليه: أنه لا يسمي القائلين بكراهة الألفاظ التي سيذكرها في الباب لئلا تسقط جلالتهم ويساء الظن بهم أنظر: الأذكار ص ٣٢٩

(٣) الأذكار للإمام النووي ص٣٣٠

لا يكره الدعاء بذلك، ويقول: إن الرحمة ههنا المراد بها الرحمة المخلوقة، ومستقرها الجنة وقول [(١)]طائفة من السلف » [(٢)]

وممن ذكر أيضا أن شيخ الإسلام ابن تيمية يميل إلى القول بجواز هذا الدعاء ابن القيم تلميذ شيخ الإسلام حيث قال:«قلت: اختلف السلف في هذه الدعوة وذكرها البخاري في (كتاب الأدب المفرد) له، وحكى عن بعض السلف أنه كرهها وقال: مستقر رحمته ذاته. هذا معنى كلامه، وحجة من أجازها و لم يكرهها، الرحمة هاهنا المراد بها الرحمة المخلوقة ومستقرها الجنة.وكان شيخنا يميل إلى هذا القول » [(٣)]

٣- وممن قال بالجواز الإمام السيوطي ـــ/ ـــ [(٤)]فقد قال في الحاوي للفتاوى:« مسألة: رجل قال: اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك، فأنكر عليه شخص. فمن المصيب؟

الجواب: هذا الكلام أنكره بعض العلماء، وردَّ عليه الأئمة منهم النووي.

وقال: الصواب جواز ذلك ومستقر الرحمة هو الجنة »[(٥)]

ولعلي أختم هذه المسألة بقول الإمام ابن القيم ـــ / ـــ، وإن كان حقه التقديم في الذكر ولكن أخر في هذا الموضع لما في قوله من الترجيح، ولما فيه أيضا

---

(١) لعله وهو قول طائفة من السلف

(٢) الفتاوى الكبرى٥/٥٤٤

(٣) بدائع الفوائد٢/٣٦٢

(٤) هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عثمان، المشهور بجلال الدين السيوطي،أبو الفضل، شافعي المذهب، أشعري المعتقد، مكثر من التأليف، من مصنفاته: الإتقان في علوم القرآن،و الحاوي للفتاوى،وذيل تذكرة الحفاظ،توفي سنة ٩١١هـــ . انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ١٠/٧٤ـــ ٧٩،والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي٤/٦٥.

(٥) الحاوي للفتاوى١/ ٢٥٣كما أورد هذه المسألة والإجابة عليها نصا أحمد بن قاسم العبادي في حاشيته على تحفة المحتاج بشرح المنهاج في كتاب ٩/ ٢٢٤

من توجيه لكلام السلف القائلين بكراهة الدعاء بقول: اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك.

يقول ابن القيم محررا ومرجحا : «وعلى هذا فلا يمتنع الدعاء المشهور بين الناس قديما وحديثا، وهو قول الداعي: اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك، وذكره البخاري في (كتاب الأدب المفرد) له عن بعض السلف، وحكى فيه الكراهة.قال: إن مستقر رحمته ذاته وهذا بناء على أن الرحمة صفة، وليس مراد الداعي ذلك، بل مراده الرحمة المخلوقة التي هي الجنة،و لكن الذين كرهوا ذلك لهم نظر دقيق جدا، وهو أنه إذا كان المراد بالرحمة الجنة نفسها لم يحسن إضافة المستقر إليها، ولهذا لا يحسن أن يقال: اجمعنا في مستقر جنتك؛ فإن الجنة نفسها هي دار القرار، وهي المستقر نفسه، كما قال :﴿ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾[1] فكيف يضاف المستقر إليها، والمستقر هو المكان الذي يستقر فيه الشيء، ولا يصح أن يطلب الداعي الجمع في المكان الذي تستقر فيه الجنة فتأمله؛ ولهذا قال: مستقر رحمته ذاته.

والصواب: أن هذا لا يمتنع، حتى ولو قال صريحا: اجمعنا في مستقر جنتك لم يمتنع، وذلك أن المستقر أعم من أن يكون رحمة أو عذابا، فإذا أضيف إلى أحد أنواعه أضيف إلى ما يبينه ويميزه من غيره، كأنه قيل في المستقر الذي هو رحمتك لا في المستقر الآخر.

ونظير هذا أن يقول: اجلس في مستقر المسجد، أي المستقر الذي هو المسجد، والإضافة في مثل ذلك غير ممتنعة ولا مستكرهة.

وأيضا فإن الجنة وإن سميت رحمة لم يمتنع أن يسمى ما فيها من أنواع النعيم رحمة، ولا ريب أن مستقر ذلك النعيم هو الجنة، فالداعي يطلب أن يجمعه الله ومن يحب في المكان الذي تستقر فيه تلك الرحمة المخلوقة في الجنة، وهذا ظاهر جدا فلا يمتنع الدعاء بوجه. والله أعلم »[2]

---

(١) سورة الفرقان، آية ٧٦

(٢) بدائع الفوائد ٤٢٣/١

المطلب الرابع عشر: في الصفات المقاربة لصفة الرحمة في المعنى.

من الصفات التي فيها قرب لصفة الرحمة من جهة المعنى ما يلي:

أ ـــــ صفة الإحسان :

والإحسان وصف لازم له -سبحانه- ولا يخلو موجود عن إحسانه طرفة عين بالإيجاد والإنعام والإمداد[١] .

والإحسان صفة من صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة:

ومما يدل على ثبوتها لله من الكتاب:

١- قوله تعالى:﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[٢]

٢- وقوله تعالى:﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾[٣]

ومما يدل على ثبوت صفة الإحسان لله تعالى من السنة :

ما جاء في حديث شدَّاد بن أوس قال: حفظت من رسول الله ـــــ > ـــــ اثنتين أنه قال:«إن الله محسن يحب الإحسان، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرتَه ثم لِيُرِحْ ذَبِيْحَتَه »[٤]

ب ـــــ صفة الْحَنَان:

وصفة الحنان من الصفات الثابتة لله ـــــلأ ـــــ بدليل الكتاب والسنة كما يأتي بيانه ـــــ بإذن الله ـــــ والْحَنَان بمعنى الرحمة، والحنَّان من أسمائه تعالى [٥]معناه:

---

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى٢٧٢

(٢) سورة القصص، آية ٧٧

(٣) سورة الطلاق، آية ١١

(٤) رواه عبدالرزاق في مصنفه، باب سنة الذبح ٤٩٢/٤برقم(٨٦٠٣) ومن طريقه الطبراني في الكبير ، ٣٣٢/٧، ورقم٧١٢١، وصححه الألباني في الجامع الصغير٣٧٤/١،وبرقم (١٨٢٤)

(٥) قلت: إن الحنان من أسمائه سبحانه وتعالى وذلك لثبوته بدليل السنة كما سيذكر، وأيضا

ذو الرحمة سبحانه وتعالى.

يقول ابن جرير -/-:«وقوله تعالى:﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ...﴾[(١)] يقول تعالى ذكره: ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا » وروى هذا المعنى بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)]

ومما يدل على إثبات هذه الصفة لله تعالى:

١- قوله تعالى:﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾

٢- عن أنس ــــ ط ــــ قال:«كنت جالسا مع النبي ــــ > ــــ في المسجد ورجل يصلي فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنَّان المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ــــ > ــــ دعا الله باسمه الأعظم،الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به

هو الذي يظهر من صنيع الإمام قوام السنة الأصبهاني وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إثباته:

ــــ فقوام السنة ــــ / ــــ عدَّ الحنَّان من أسماء الله الحسنى والتي بلغت عنده ٦٧ اسما،وبيَّن معناه بقوله:((وأما الحنان والدَّيان: فالحنان ذو الرحمة والعطف...))

ــــ وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد ذكره في أكثر من موضع: ذكره في شرح حديث النزول ص٤٥٣وفي كتاب النبوات ص١٠٧ قال:((وجاء في تفسير اسمه الحنان المنان: أن الحنان الذي يقبل على من أعرض، والمنان الذي يجود بالنوال قبل السؤال))

ــــ وأما ابن القيم فقد قال في جلاء الأفهام :((فالداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما في الاسم الأعظم «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنَّان المنان بديع السماوات والأرض، ياذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم» ــــ وعقب على ذلك قائلا:ــــ وهذه الكلمات تتضمن الأسماء الحسنى كما ذكر في غير هذا الموضع)) ص١٠٤وانظر أيضا:شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى للأشقر١٧٥

(١) سورة مريم، آية ١٣

(٢) تفسير الطبري ٣١٥/٨

أعطى »[١]

ج ـــــ صفة الرأفة:

وهي من الصفات الثابتة لله -تعالى- بأدلة الكتاب وقد سبق ذكرها عند مسألة ذكر الأسماء المقاربة في المعنى لاسمي الجلالة (الرحمن الرحيم) وذكر هنالك أيضا الفرق بين الرحمة والرأفة مما يغنى عن إعادته ها هنا والله أعلم

د ـــــ صفة الْبِرِّ:

هـــ ـــــ وصفة الجود :

و ـــــــ وصفة الكرم:

جميع هذه الصفات فيها قرب من صفة الرحمة في المعنى وقد سبق أيضا ذكر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه،حديث رقم ١٢٦١١، ج٣١٦/٤

وأخرجه أيضا بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الأدعية برقم ٨٩٠

وهو مخرج عند أصحاب السنن ولكن بدون ذكر اسم الله الحنان:

أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث رقم١٤٩٥

والترمذي، باب جامع الدعاء، برقم٣٤٧٥، ج٤٨١/٥

والنسائي، في باب الدعاء بعد الذكر ٥٢/٣وفي النسخة المرقمة برقم ١٢٩٩

وابن ماجه، كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم برقم ٣٨٥٨، ج١٢٦٨/٢

وأخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل، بلفظ أصحاب السنن برقم ١٨٥٧ج١٥٩/٢

أما الحكم على الحديث: فقد حكم عليه الألباني رحمه الله تعالى في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان بأنه صحيح لغيره .انظر: التعليقات الحسان ٢٤٨/٢وحكم عليه بالصحة أيضا بنفس اللفظ في مشكاة المصابيح، كتاب الدعوات، باب أسماء الله تعالى، حديث رقم ٢٢٩٠، ج٧٠٨/٢

وقوى سنده أيضا شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد أنظر : مسند الإمام أحمد بتحقيقه،ج٢٠/ ١٦،حديث رقم ١٢٦١١ وحديث ١٣٥٧٩

معانيها والأدلة عليها عند ذكر أسمائها وما صلح أن يكون دليلا لإثبات أسمائها فإنه يصلح أن يكون دليلا عليها؛ فكل اسم من أسماء الله عز وجل يتضمن إثبات صفة من صفاته؛ لأن أسماء الله عز وجل أعلام وأوصاف ــــ كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة ــــ فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات العلية وبذلك تكون مترادفة، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وبهذا الاعتبار تكون متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص به (١)

---

(١) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين،ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ رحمه الله٣/ ٢٧٠

المطلب الخامس عشر:اقتران صفة الرحمة بغيرها من الصفات ودلالات ذلك

الاقتران بين أسماء الله -تعالى- أو الاقتران بين صفاته العلى مما جاء به الكتاب والسنة والله -سبحانه وتعالى-قد تولى حفظ وحيه من الباطل؛لذا فإن المتأمل للنصوص التي ورد فيها الاقتران بين أسماء الله، أو بين صفاته ليوقن أن هذا الاقتران لا يخلو من فائدة وحكمة، وقد ذكرت فيما مضى دلالات اقتران اسمي الجلالة (الرحمن الرحيم) بغيرهما من أسماء الله الحسنى، وفي هذا المطلب سيكون الحديث عن اقتران صفة الرحمة بغيرها من الصفات العلى ودلالات ذلك الاقتران من غير أن يعيد ما سبق ذكره في الأسماء الدالة على صفة الرحمة واقترانها.

من حكم وأسرار الاقتران بين صفات الله عز وجل :

الله سبحانه وتعالى له من الصفات أعلاها وأكملها، فإذا اقترنت صفة كمال بصفة كمال أخرى نشأ عن ذلكم الاقتران كمال آخر غير الكمال الذي تدل عليه الصفة الواحدة وهذا من حسن أسمائه وكمال صفاته ـــــ جل وعلا [1].

يقول ابن القيم -رحمه الله- عما يحصل عند اقتران الأسماء أو الصفات :

« صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما »[2]

أضف إلى ما سبق أن اقتران الصفات الإلهية ببعضها كمال عظيم ينشأ عنه خير وفضل عظيم يحتاجه ويفيد منه العباد.ولعل الحال يتضح أكثر وأكثر بضرب المثال فمنه ما يلي :

(١) انظر: المحلى في شرح القواعد المثلى لكاملة الكواري ص٥٢

(٢) بدائع الفوائد١/ ١٧٧

اقتران صفة الرحمة بصفة العلم

قال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (١)

المتأمل لهذه الآية يجد أن الله –سبحانه وتعالى–أخبر عن دعاء وتوسل حملة العرش ومن حوله من الملائكة ـــ عليهم السلام ـــ وقد توسلوا إلى الله –عز وجل– بأحب ما يتوسل إليه به المتوسلون حيث توسلوا في دعائهم للمؤمنين بصفتين عظيمتين من صفاته تعالى وهما صفة الرحمة وصفة العلم اللتان وسعتا كل شيء، وهذا الجمع بين الصفتين الواسعتين في هذا الموطن له دلالاته وأسراره وحِكَمُه! كيف لا يكون كذلك وقد جاء في دعاء من هم أعظم المخلوقات وأشرفهم، وأقربهم منه منزلة، وقد اختارهم الله لحمل عرشه فمن دلالة ذلك :

ـــ أن صفة الرحمة صفة كمال، وصفة العلم كذلك، واجتماع الرحمة مع العلم كمال آخر ـــ ومهما قلنا في هذا فلن نحصي ثناء على الله هو كما أثنى على نفسه ـــ ولكن نوقن أن له بكل صفة منهما ثناء ومدحا وكمالا، وعند اجتماعهما مدحا ثانيا زائدا عن مفرديهما

فرحمة الله جاءت مقرونة بعلمه، فما بلغه علم الله ـــ وهو بالغ لكل شيء ـــ فقد بلغته رحمته(٢).

فهو مع كمال رحمته عليم بمن يستحقها ومن هو أهل لها، فإن كرمه وفضله –تعالى– لا يناقض حكمته(٣)؛ بل يضعه مواضعه لسعة علمه –سبحانه–

يقول ابن القيم –يرحمه الله–:«... وهو سبحانه يقرن بين سعة العلم والرحمة كما

(١) سورة غافر، آية ٧

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين١/٢٤٩

(٣) انظر:طريق الهجرتين ص١١٩

يقرن بين العلم والحلم، فمن الأول قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[(١)] ومن الثاني: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[(٢)] فما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم، ومن رحمة إلى علم.

وحملة العرش أربعة اثنان يقولان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، واثنان يقولان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. فاقتران العفو بالقدرة كاقتران الحلم والرحمة بالعلم؛ لأن العفو إنما يحسن عند القدرة، وكذلك الحلم والرحمة إنما يحسنان مع العلم »[(٣)]

يقول العلامة السعدي -يرحمه الله- في حديثه عن دعاء الملائكة للمؤمنين: « وقد تضمن هذا الدعاء من الملائكة كمال معرفتهم بربهم، والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، التي يحب من عباده التوسل بها إليه، والدعاء بما يناسب ما دعوا الله فيه، فلما كان دعاؤهم بحصول الرحمة، وإزالة أثر ما اقتضته النفوس البشرية التي علم الله نقصها، واقتضاءها لما اقتضته من المعاصي، ونحو ذلك من المبادئ والأسباب التي قد أحاط الله بها علما توسلوا بالرحيم العليم »[(٤)]

وعلى خلاف ذلك المخلوق فقد يكون رحيما ولا يكون عليما فقد يضع الرحمة في غير مواضعها لجهله، وقد يكون عالما ولا يكون رحيما حاله كحال إبليس[(٥)] ــــ أعاذنا الله منه ــــ فقد أبى واستكبر مع علمه بربه وخالقه وقسمه بعزته على إغواء العباد فأصبح بذلك رجيما و لم يكن رحيما.

---

(١) سورة غافر، آية ٧

(٢) سورة النساء، آية ١٢

(٣) بدائع الفوائد١/ ٨٩ــــ٩٠

(٤) تفسير السعدي ٧٣٣

(٥) ولعل من أمثلة ذلك علوم بعض الكافرين اليوم حينما سخروا علومهم في قتل الإنسان وإبادة البشرية عليهم من الله ما يستحقون

يقول الله تعالى ذاكرا قوله:﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (١)

اقتران صفة الرحمة بصفة الغنى

قال الله تعالى:﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ (٢)

الله –سبحانه وتعالى–غني عن جميع مخلوقاته وغناه من لوازم ذاته سبحانه، فهو الغني عن كل ما سواه من كل وجه، وكل ما سواه فقير إليه من كل وجه.

ومن لطائف الاقتران بين صفات الله –لأ– ما جاء في الآية السابقة فقد قرن رب العزة والجلال بين صفة الرحمة وصفة الغِنى وهذا الاقتران البديع بين هاتين الصفتين له دلالات جليلة لمن تأمله. فمن ذلك:

ــــ أن هذا الاقتران كما سبق أن ذكر هو نوع آخر من الثناء لله سبحانه هو غير الثناء المأخوذ من مفردات تلك الصفات العلية، فالله سبحانه له من أوصافه العلى نوعا ثناء:

نوع متعلق بكل صفة على انفرادها، ونوع متعلق باجتماعها، وهو كمال مع كمال، وهو غاية الكمال.

والله سبحانه وتعالى يفرق في صفاته بين الغنى والرحمة وسوغ هذا المعنى أن اقتران أحدهما بالآخر من أعظم الكمال، والغنى وحده كمال، والرحمة وحدها كمال، واقتران أحدهما بالآخر كمال؛فإذا اجتمع الغنى المتضمن لغنى الرب جل وعلا وشدة افتقار العباد إليه مع الرحمة المتضمنة لغاية النفع والإحسان إلى العباد كان في

(١) سورة ص، الآيات ٧٩ـــــ ٨٣

(٢) سورة الأنعام، آية ١٣٣

ذلك من العظمة والكمال والجلال ما هو أولى به وأهله، وكان في ذكره سبحانه ومعرفته بأسمائه وصفاته من انجذاب القلب إليه -لأ- وإقباله عليه والتوجه بدواعي المحبة كلها إليه ما هو مقصود العبودية ولبها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[1]

ولقد جاءت هذه المعاني واقتران هاتين الصفتين في دعاء النبي ->- فقد كان إذا قام للجنازة ليصلي عليها قال:«اللهم عبدك، وابن أمتك احتاج إلى رحمتك، وأنت غني عن عذابه إن كان محسنا فزد في إحسانه، وإن كان مسيئا فتجاوز عنه » [2]

ـــــ ومن دلالات الاقتران أيضا:

أن الله سبحانه وصف نفسه بأنه غني رحيم، فهو محسن إلى عباده مع غناه عنهم، يريد بهم الخير ويكشف عنهم الضر، لا لجلب منفعة إليه من العباد، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانا، فهو سبحانه لم يخلقهم ليتكثّر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه، ولا ليدفعوا عنه،قال تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [3] وقوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [4] فهو سبحانه لا يوالي من يواليه من الذل، كما يوالي المخلوق المخلوق، وإنما يوالي أولياءه إحسانا ورحمة ومحبة لهم.

(١) انظر:حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ١٧٩/٥ـــــ ١٨٠تهذيب السنن

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز ٥٠٦/١، حديث ١٣٢٩وقال هذا إسناد صحيح... ولم يخرجاه، وحكم عليه الألباني رحمه الله بالصحة. انظر: أحكام الجنائز ص١٢٥

(٣) سورة الذاريات، الآيات ٥٦ـــــــ٥٨

(٤) سورة الإسراء، الآية ١١١

وأما العباد فإنهم كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾[١] فهم لفقرهم وحاجتهم إنما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته إلى ذلك وانتفاعه عاجلا أو آجلا.

فمن تدبر هذا فإنه يمنعه من رجاء المخلوقين دون الله عز وجل، والسعيد من عاملهم لله تعالى لا لهم، وأحسن إليهم لله، وخاف الله تعالى فيهم، ولم يخفهم مع الله، ورجا الله تعالى بالإحسان إليهم، ولم يرجهم مع الله، وأحبهم لحب الله، ولم يحبهم مع الله تعالى كما قال أولياء الله عز وجل:﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[٢] .[٣]

ومما وردت به السنة من اقتران صفة الرحمة بغيرها من الصفات الإلهية:

اقتران صفة الرحمة بصفة الألوهية والحياء والكرم لله تعالى

وذلك كما جاء في حديث أنس ـــــ رضي الله عنه ـــــ قال: قال رسول الله ـــــ > ـــــ:«إن الله رحيم، حييٌّ، كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا»[٤]

دل هذا الحديث على وصف الله –سبحانه وتعالى–بصفات عظيمة تدل على إثبات

---

(١) سورة محمد، آية ٣٨

(٢) سورة الإنسان،آية ٩

(٣) انظر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان١/٣٩ـــــــ٤٠

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل١/٦٨١ حديث رقم ١٨٨٤. وقال عنه: إن إسناده صحيح.وهو بهذا اللفظ أيضا في صحيح الجامع ١/٣٦٣ ورقم ١٧٦٨وحكم عليه الألباني أيضا بالصحة.

والحديث مخرج أيضا عند الإمام أحمد وأصحاب السنن بلفظ لم يذكر فيه اسم الله(الرحيم): فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند في مسند سلمان الفارسي ٩/ ١٨٠،حديث رقم ٢٣٧٧٥ وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء٢/٧٨،حديث ١٤٨٨،وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء٢/١٢٧١،حديث ٣٨٦٥، والترمذي، كتاب الدعوات، حديث ٣٥٥٦

الكمال والمدح والثناء والجلال والعظمة له سبحانه، فله -جل وعلا- بكل صفة منها كمال بما هو أهله وعند اقتران هذا الصفات واجتماعها في هذا الحديث ينشأ ثناء وكمال آخر غير الكمال الذي تدل عليه الصفة الواحدة عند انفرادها، فهو كمال على كمال وجلال على جلال وعظمة على عظمة لله ذي الجلال والإكرام.

وعند تأمل هذا الاقتران مرة أخرى يقف المتأمل على دلالة أخرى من اقتران هذه الصفات بصفة الرحمة فقد ذكر النبي ـــــ > ـــــ في بدايته لفظ الجلالة (الله) المتضمن لصفة الألوهية التي هي الأصل ثم أعقبها بصفات الجلال والعظمة (الرحمة والحياء والكرم) لتكون كالدليل والشاهد على إنفراده سبحانه بالألوهية واستحقاقها حيث إن هذه الصفات العظيمة لا يشاركه فيها غيره ـــــ جل وعلا ـ

ولقد استدل الله سبحانه على وحدانيته واستحقاقه للعبودية وحده لا شريك له في كتابه بمثل هذا الذي ورد في السنة وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) وقوله تعالى:﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾(٢) وهذا الصفات الواردة في الآيات قطعا لا يشاركه فيها غيره مما يدل دلالة واضحة على تفرده بالألوهية وحده لا شريك له سبحانه (٣)

اقتران صفة الرحمة بصفة السلام والبركة(٤)

---

(١) سورة البقرة، آية ١٦٣

(٢) سورة غافر، آية ٧

(٣) انظر: تتمة أضواء البيان ٨/ ١١٠ـــــ ١١١

(٤) يقول ابن القيم ـــــ رحمه الله ـــــ في بيان حقيقتها:((وحقيقة اللفظة أن البركة كثرة الخير ودوامه ولا أحد أحق بذلك وصفا وفعلا منه تبارك وتعالى))

وذكر كذلك: أن البركة التي تضاف إلى الله نوعان:

١ـــــ بركة : هي فعله تبارك وتعالى والفعل منها بارك.

٢ـــــ وبركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة والفعل منها تبارك.انظر: بدائع

وجاء هذا الاقتران بين هذه الصفات في الأحاديث الواردة في تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فمن هذه الأحاديث:

١- عن عمران بن الحصين ـــــ رضي الله عنهما ـــــ قال :« جاء رجل إلى النبي -<- فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس.فقال النبي ـــــ > ـــــ:(عشر)ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس. فقال النبي -<-:(عشرون)، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس. فقال:(ثلاثون)» .[١]

٢- وعن عائشة ـــــ رضي الله عنها ـــــ قالت:« قال لي رسول الله ـــــ > ـــــ:(هذا جبريل يقرأ عليك السلام) قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته... »[٢] .

من دلالات اقتران هذه الصفات في الأحاديث:

أولا: أن اقتران صفات الله -جل وعلا- ببعضها كمال عظيم كما سبق ذكره وهذا الاقتران ينشأ منه خير وفضل يحتاجه ويفيد منه العباد[٣] وبما أن العباد بحاجة عظيمة لكل خير وفضل ينشأ عن كل اسم وصفة من أسماء الله وصفاته؛ لأنهم لا غنى لهم عن ربهم ولو طرفة عين ولا أقل من ذلك؛ فكيف بحاجتهم لما ينشأ من

الفوائد١/٤٢٤ـــــ ٤٢٦

وقال في جلاء الأفهام : فتبارك سبحانه وصف ذات له وصفة فعل انظر: ص٢٤٤

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، من حديث عمران بن حصين٧/٢١٩، برقم ١٩٩٦٨،وأخرجه أبوداود في السنن،كتاب الأدب، باب كيف السلام،٤ /٣٥٠،برقم ٥١٩٥، والحديث صححه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد ص٣٧٨، ورقم ٧٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق،باب ذكر الملائكة، برقم ٣٢١٧، البخاري مع الفتح٦/٣٠٥، والإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة، حديث رقم ٢٤٤٧، مسلم بشرح النووي١٥/٥٧٩

(٣) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى لكاملة الكواري ص٥٢

اقتران صفاته جل وعلا من فضائل وخيرات؛ومن ذلك ما جاء في اقتران هذه الصفات في صيغة تحية الإسلام الواردة في النصوص السابقة، فإن المتأمل لحياة العباد يجد أنها لا تخلو من الشرور والأخطار التي يرجون السلامة منها، وهم مع ذلك يرجون حصول الخيرات ودوامها عليهم، وتحقيق جميع ذلك يظهر من حكمة اقتران هذه الصفات في تحية الإسلام.

يقول ابن القيم -/- وهو يتحدث عن حكمة اقتران هذه الصفات في هذه التحية العظيمة: ((لما كان الإنسان لا سبيل إلى انتفاعه بالحياة إلا بثلاثة أشياء:

أحدها: سلامته من الشر، ومن كل ما يضاد حياته وعيشه.

والثاني: حصول الخير له.

والثالث: دوامه وثباته؛ فإن بهذه الثلاثة يكمل انتفاعه بالحياة.

لقد شرعت التحية متضمنة للثلاثة،فقوله:(سلام عليكم) يتضمن السلامة من الشرور،وقوله:(رحمة الله) يتضمن حصول الخير، وقوله:(وبركاته) يتضمن دوامه وثباته كما هو موضوع لفظ البركة، وهو كثرة الخير واستمراره،ومن هنا يعلم حكمة اقتران اسمه الغفور باسمه الرحيم في عامة القرآن))[1]

ثانيا: كما أن من دلالات هذا الاقتران أن فيه دلالة وإرشاد إلى أن الداعي؛ عليه أن يختار من أسماء الله -عز وجل- وصفاته ما يناسب ويقتضي ما يطلب فيتوسل بذلك الاسم، وتلك الصفة إلى الله سبحانه لحصول ما طلبه من ربه عز وجل.

ولقد بين ابن القيم -رحمه الله- هذه القاعدة مرارا ـــــ التي هي من أجل وأشرف آداب الدعاء بأسماء الله وصفاته ـــــ حيث يقول:((وإنما نبين ذلك بقاعدة قد أشرنا إليها مرارا، وهي أن من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب ويتوسل إليه بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله، حتى كأن الداعي مستشفع إليه متوسل إليه به...))[2]

---

(١) بدائع الفوائد١/٤١٨

(٢) المصدر نفسه١/٣٨٣

ثالثا: أنها متضمنة للإخبار عن اجتماع الرحمة والسلام والبركة لله سبحانه وهذا نوع آخر من الثناء غير الثناء الذي دلت عليه كل صفة بمفردها، فوصفه السلام دل على تنزيه الله سبحانه عن كل عيب ونقص في ذاته وصفاته وأفعاله فهو المنزه عن كل ما يضاد كماله، وأن صفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله وأسماءه كلها سلام؛ فحينما اجتمع هذا الوصف مع وصفه بالرحمة والبركة دل ذلك على أن رحمته وبركته جل وعلا سلام من أن تكون عن حاجة منه، أو ذل أو مصانعة كما يكون من غيره بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه مع بقائه ودوامه واستمراره(١).

رابعا: ومن ذلك أن اقتران هذه الصفات في صيغة تحية الإسلام الكاملة حصل منه نوعان من الثناء:

يبين ذلك ابن القيم ـــــ / ـــــ في كلام له حول الذكر الذي يقال بعد السلام من الصلاة والاستغفار وهو قوله ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »(٢) نذكر كلامه كاملا لما بين الصيغتين من التوافق الشديد ولما في قوله من الفائدة العظيمة حيث قال: « فتأمل هذه الألفاظ الكريمة كيف جمعت نوعي الثناء، أعني ثناء التنزيه والتسبيح، وثناء الحمد والتمجيد بأبلغ لفظ وأوجزه وأتمه معنى، فأخبر أنه السلام ومنه السلام،فالسلام له وصفا وملكا ... وأن صفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله وأسماءه كلها سلام، وكذا الحمد كله له وصفا وملكا، فهو المحمود في ذاته، وهو الذي يجعل من يشأ من عباده محمودا فيهبه حمدا من عنده، وكذلك العزة كلها له وصفا وملكا،وهو العزيز الذي لا شيء أعز منه، ومن عز من عباده فبإعزازه له، وكذلك الرحمة له وصفا وملكا، وكذلك البركة فهو المتبارك في ذاته الذي يبارك فيمن يشاء من خلقه وعليه فيصير بذلك مباركا :﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ

---

(١) انظر: بدائع الفوائد ١/ الصفحات ٣٧٥،٣٧٦،٤٢٦

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم٥٩١ ،مسلم بشرح النووي٥/٢٤٠

ﭐﻟْﻌَٰﻠَﻤِﻴﻦَ ﴾[١] ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٢] وهذا بساط وإنما غاية معارف العلماء الدنو من أول حواشيه وأطرافه، وأما ما وراء ذلك فكما قال أعلم الخلق بالله، وأقربهم إلى الله، وأعظمهم عنده جاها:«لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »، وقال في حديث الشفاعة الطويل:« فأخر ساجدا لربي فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن »[٣] وفي دعاء الهم والغم « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك »[٤] فدل ذلك على أن لله -سبحانه وتعالى- أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده دون خلقه لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وحسبنا الإقرار بالعجز والوقوف عند ما أذن لنا فيه من ذلك، فلا نغلوا فيه ولا نجفوا عنه. وبالله التوفيق »[٥].

---

(١) سورة غافر، آية٦٤

(٢) سورة الزخرف، آية٨٥

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، من حديث أبي هريرة،٤٣٢/٣،برقم ٩٦٢٩، وأخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة،٥٣٧/٤،ورقم ٢٤٣٤،وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث الطحاويةص٢١٣،ورقمه في الحاشية١٩٨وقال:صحيح وهو في المسند بسند الصحيحين

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن مسعود، ٤١/٢،ورقم ٣٧١٢،قال فيه الألباني في كتاب التوسل:إسناده صحيح كما بينته في (السلسلة الصحيحة ـــ ١٩٩) ورددت على من ضعفه. ص٣٢

(٥) بدائع الفوائد٤٢٦/١ـــــ ٤٢٧

المطلب السادس عشر: نفي المماثلة عن الخالق جل وعلا في صفة الرحمة.

من الحق الذي بعث الله به رسله ــــ عليهم السلام ــــ هو إثبات الصفات لله سبحانه ــــ،ونفي مماثلة المخلوقات عنه -جل وعلا- ((فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل))[١].

وكما أن هذه هي طريقة الرسل ــــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــــ فهي كذلك طريقة أتباعهم من سلف الأمة وأئمتها ــــ من هداهم الله سواء السبيل ــــ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــــ / ــــ وهو يبين طريقتهم السالكة وجادتهم الواضحة:((... فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات ــــ إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢] ففي قوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله:﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد للإلحاد والتعطيل))[٣]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٣/٩

(٢) سورة الشورى، آية ١١

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية٣/٨

وبما أن هذه المسألة ستمر في ثنايا البحث ـــ بإذن الله عز وجل ـــ وتحديدا عند استعراض شبهات المخالفين في صفة الرحمة؛ فإن الباحث سأقتصر في هذا الموطن على بعض النقاط التي أرى أنها ذات أهمية، وأن لها مناسبة توجب ذكرها هاهنا، أما التوسع والرد على من حاد عن طريق المرسلين عليهم السلام وأتباعهم فإنه سَيُتْرَك حتى يأتي موضعه المناسب له ـــ بمشيئة الله :

أولا: الأدلة الشرعية الواردة في نفي المماثلة عن الخالق –جل وعلا– في صفة الرحمة وغيرها من الصفات.

١- قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١)

٢ ـــ وقال تعالى:﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

٣ ـــ وقال تعالى:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ (٣)

٤ـــ وقال تعالى:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(٤)

من دلالة النصوص السابقة:

دلت الآيات الكريمة السابقة على أن الله هو الإله الحق المتفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛فليس له شريك، ولا سمي له، ولا كفو، ولا مثل ، ولا ند ولا نظير في جميع ذلك، فهو ـــ سبحانه الموصوف بالصفات الكاملة العظيمة اللائقة

(١) سورة الشورى، آية ١١
(٢) سورة النحل، آية ٧٤
(٣) سورة مريم، آية ٦٥
(٤) سورة الإخلاص، الآيات ١ــ٤

بجلاله وكماله صفات لا تشبه صفات المخلوقين؛ فإن الرب -جل وعلا- له صفاته التي تناسب كماله، وللمخلوقين صفات مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم[١]؛ فمن أثبت لله تعالى الصفات ونفى عنه مماثلة المخلوقات ـــ كما دلت على ذلك الآيات ـــ كان ذلك هو الحق الذي يوافق المعقول والمنقول ويهدم أساس الإلحاد والضلالات[٢]

كما تدل أيضا على أن من آمن بصفات الباري -جل وعلا- ونزهه سبحانه عن مشابهة صفات المخلوقين فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتتريه عن مشابهة الخلق،سالم من ورطة التشبيه والتعطيل. [٣]

ثانيا: من أقوال علماء السلف ومن حكى الإجماع عنهم في نفي المماثلة عن الخالق جل وعلا .

١- قال الإمام الصابوني ـــ / ـــ وهو يقرر مذهب أهل السنة: « فلما صح خبر الترول عن الرسول ->- أقر أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا الترول على ما قاله رسول الله ـــ > ـــ ولم يعتقدوا تشبيها له بترول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته، إذ لا سبيل إليها بحال.

وعلموا وتحققوا أن صفات الله -سبحانه- لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا، ولعنهم لعنا كبيرا » [٤]

٢- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ / ـــ:«ولهذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها

---

(١) انظر: القواعد الحسان للسعدي ١٩٤/٨،ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ص٩

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٢٣/٣

(٣) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ص٩

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ٢٣٢

غيره،وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص،و لم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده ــــ عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص ــــ اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمى نفسه حيا فقال:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(١)،وسمى بعض عباده حيا فقال:﴿ تُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾(٢)، وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ لأن قوله ﴿ ٱلْحَىُّ﴾ اسم مختص به، وقوله:﴿ تُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والتخصيص، المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه ــــ سبحانه وتعالى....وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم، فقال:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) وسمى بعض عباده بالرؤوف الرحيم، فقال:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤) وليس الرؤوف كالرؤوف،

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٥

(٢) سورة الروم، آية ١٩

(٣) سورة البقرة، آية ١٤٣

(٤) سورة التوبة، آية ١٢٨

ولا الرحيم كالرحيم...»[١]

٣- ويقول ابن أبي العز -/- في شرح الطحاوية:«...وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه عاقل؛ فإن الله سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسماء، وسمى ببعضها صفات خلقه، وليس المسمى كالمسمى... »[٢]

حكاية إجماع السلف على هذه المسألة:

سبق أن ذكر أن سلف الأمة هم ورثة الأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ وأتباعهم، وذلك لاعتصامهم بالكتاب والسنة؛ لذا فهم آمنوا بصفات الله وأثبتوها له -جل وعلا- ولم يضربوا له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه، وهذا هو منهجهم وطريقتهم في هذا الباب وقد حكى الإجماع عنهم في هذا غير واحد من أهل العلم :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:« وأجمع سلف الأمة، وأئمتها على أن الرب -تعالى- بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ـــ > ـــ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء، ولا كقوله في شيء من صفات الكمال، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٣] »[٤]

وحكى اتفاق أهل السنة أيضا ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- حيث قال:« اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله »[٥]

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية٣/١٢ـــ١٣

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز١/١٥٥

(٣) سورة الإخلاص، الآيات ١ـــ٤

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ١٢٣

(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز١/١٥٤

ثالثا: من أقوال أهل العلم في نفي المماثلة عن الخالق في صفة الرحمة خاصة.

أهل السنة والجماعة حينما أسسوا مذهبهم على أُسُس متينة وقواعد مكينة مستمدة من كلام ربنا، وسنة نبينا ـــــ > ـــــ لم يترددوا في الرد على كل من خالفهم في أي صفة من صفات الله عز وجل ليردوه إلى جادة الطريق، ومن ذلك ما جاء عن علمائنا من أقوال خاصة في نفي المماثلة عن الخالق في صفة الرحمة :

فمنها ما قاله ابن القيم -/- في إثبات صفة الرحمة ونفي المماثلة فيها عن الله حيث قال:« فإن الرحمة صفة الرحيم، وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيوانا له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه،وإن كان ملكا فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس رحمة مخلوق لمخلوق.

وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحياة،الإرادة إلزاما وجوبا، فكيف تكون رحمة أرحم الرحمين مجازا دون السميع العليم؟. »[١]

ويقول العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم ـــــ/ ـــــ عند شرحه للآيات الدالة على صفة الرحمة:« هذه الآيات فيها إثبات صفة الرحمة لله -تعالى- على ما يليق بجلاله وعظمته على حد قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٢]

فهي رحمة حقيقة، بل هي أحق الحقيقة، كما أن للمخلوق رحمة حقيقية تختص به »[٣]

ومثله ما ذكره الشيخ عبدالله الغنيمان في شرح كتاب التوحيد حيث قال:«فإذا كان المخلوق يرحم ويسمى رحيما، والله تعالى يرحم ويسمى رحيما، فليس ما يخص الله تعالى من هذا الاسم أو الفعل مماثلا أو مقاربا لما يخص المخلوق، فلا يجوز تأويل أو نفي رحمة الله تعالى وغيرها من صفاته من أجل توهم أن مجرد المشاركة في

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٨٦٨/٣ـــــ ٨٦٩

(٢) سورة الشورى، آية ١١

(٣) شرح العقيدة الواسطية٥٣

المعنى يلزم منها التشبيه » [١]

وبهذا يتضح جليا أن القول في صفات الباري -جل وعلا- كالقول في ذاته -سبحانه- فإذا كانت ذاته -سبحانه- ذاتا حقيقية لا تماثل الذوات فعلينا أن نوقن أن صفاته صفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات، مع يقيننا أن ما اختص الله به، وامتاز عن خلقه أعظم مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال [٢]

المبحث الثالث

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري١/٧٦

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٣/٢٠ ــــ ٢١

من صور ومظاهر رحمة الله في الكتاب والسنة

من صور ومظاهر رحمة الله في الكتاب والسنة

إن المتأمل لآيات الله -جل وعلا- وأحاديث المصطفى ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ الواردة في صفة الرحمة وآثارها العظيمة ومظاهرها الواسعة؛ ليقف على حقيقة عظيمة وهي أن صور ومظاهر هذه الصفة أظهر من أن تبين، وأكثر من أن تحصى، فقد ملأت العالم العلوي والسفلي، وجميع المخلوقات، وشملت الدنيا والآخرة؛ فهي نعم الله الظاهرة و الباطنة، والعاجلة والآجلة، في القديم أو في الحديث ،في العام أو في الخاص، فيما يعلمه الإنسان وفيما لا يعلمه مما لا يحصيه إلا الله، يقول الله سبحانه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ

لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١]

يقول الإمام ابن القيم ـــ / ـــ:«وأنت لو تأملت العالم بعين البصيرة لرأيته ممتلئا بهذه الرحمة الواحدة كامتلاء البحر بمائه والجو بهوائه...»[٢]

ويقول السعدي –رحمه الله– :«...وكذلك يَتَدبَّر اسمه (الرحمن)، وأنه تعالى واسع الرحمة، له كمال الرحمة، ورحمته قد ملأت العالم العلوي والسفلي، وجميع المخلوقات وشملت الدنيا والآخرة، ويتدبر الآيات الدالة على هذا المعنى »[٣]

وفي النقاط التالية سأذكر بإذن الله ما يمكن ذكره من صور ومظاهر وآثار رحمة الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة:

أولا: من الأدلة التي أشارت إلى صور ومظاهر رحمة الله في خلقه :

أـــ أدلة الكتاب العزيز:

الآيات التي أشارت إلى مظاهر رحمة الله سبحانه في خلقه كثيرة جدا[٤] منها :

١ـــ قول الله تعالى:﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٥]

٢- وقول الله تعالى:﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦]

٣ ـــ وقول الله تعالى:﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ

(١) سورة إبراهيم، آية ٣٤

(٢) مختصر الصواعق المرسلة٣/٨٨٧

(٣) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ضمن المجموعة الكاملة للسعدي١/٨٦

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ٤١٠، المواهب الربانية ١/٨٦

(٥) سورة الأعراف، آية ١٥٦

(٦) سورة الروم، آية ٥٠

وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[١]

٤ـــ وقوله تعالى:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]

٥ ـــ وقول الله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٣]

ب ـــ الأدلة من السنة المطهرة:

١- عن أبي هريرة ـــ ط ـــ قال سمعت رسول الله ـــ > ـــ يقول :

«إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش »[٤]

٢- و عن سلمان ـــط ـــ قال :قال رسول الله ـــ > ـــ:

«إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة،فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة »[٥]

ثانيا: أن ظهور أثر صفة الرحمة في الوجود كظهور صفة الربوبية

يقول ابن القيم ـــ / ـــ:« إن ظهور أثر هذه الصفة ـــ أي الرحمة ـــ في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، كما أن الموجودات كلها

(١) سورة القصص، آية ٧٣

(٢) سورة النحل، آية ١٨

(٣) سورة الروم، آية ٢١

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد،حديث رقم ٧٥٥٤،الفتح٥٢٢/١٣

(٥) سبق تخريجه ص٢٨٦

شاهدة له بالربوبية التامة الكاملة، وما في العالم من آثار التدبير والتصريف الإلهي شاهد بملكه سبحانه...» [١]

وفي موضع آخر يقرر ابن القيم –رحمه الله– أن اسم الله (الرحمن) يوجب شهود آثار رحمة الله البالغة فيقول:«ثم يشهد ـــ أي المصلي ـــ عند ذكر اسم (الرحمن) ـــ جل جلاله ـــ ربا محسنا إلى خلقه بأنواع الإحسان، متحببا إليهم بصنوف النعم، وسع كل شيء رحمة وعلما، وأوسع كل مخلوق نعمة وفضلا؛فوسعت رحمته كل شيء،ووسعت نعمته كل حي، فبلغت رحمته حيث بلغ علمه...

فالرحمة: هي السبب المتصل منه بعباده، كما أن العبودية هي السبب المتصل منهم به،فمنهم إليه العبودية،ومنه إليهم الرحمة...» [٢]

ويقول الشيخ عبدالله الغنيمان:«وكل العقلاء يدركون آثار رحمة الله –تعالى– في الخلق، كما يدركون آثار ربوبيته أو أعظم، وهذا من أظهر الأشياء وأوضحها » [٣]

ثالثا:بيان أن ظهور آثار رحمة الله على العباد من علامات إرادة الله بهم خيرا

يقول ابن القيم –رحمه الله–:«وإذا أراد الله بأهل الأرض خيرا نشر عليهم أثرا من آثار اسمه الرحمن فعمر به البلاد، وأحيا به العباد، وإذا أراد بهم شرا أمسك عنهم ذلك الأثر فحل بهم من البلاء بحسب ما أمسك عنهم من آثار اسمه الرحمن.

ولهذا إذا أراد –سبحانه– أن يخرب هذه الدار ويقيم القيامة أمسك عن أهلها أثر هذا الاسم وقبضه شيئا فشيئا، حتى إذا جاء وعد قبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض؛ فتضع لذلك الحوامل ما في بطونها، وتذهل المراضع عن أولادها، فيضيف –سبحانه– تلك الرحمة التي رفعها وقبضها من الأرض إلى ما عنده من الرحمة

(١) مختصر الصواعق المرسلة٣/٨٧٩

(٢) الصلاة وحكم تاركها ص١٢٢ـــــ ١٢٣

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري١/٩٠

فتكمل بها مائة رحمة، فيرحم بها أهل طاعته وتوحيده وتصديق رسله وتابعيهم »[(١)]

رابعا:من مظاهر رحمة الله –عز وجل– الخاصة والعامة إجمالا

قال ابن القيم ــــ يرحمه الله تعالى ــــ:«... فانظر إلى ما في الوجود من آثار الرحمة الخاصة والعامة: فبرحمته أرسل إلينا رسوله –ﷺ–، وأنزل علينا كتابه، وعلمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي،وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا.

وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهادا وفراشا وقرارا وكفاتا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأنزل المطر، وأطلع الأقوات والفواكه والمراعي، وبرحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام ...

وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعته، واشتق لنفسه منها اسم (الرحمن الرحيم)،وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته، وبصرهم ومكن لهم أسباب مصالحهم برحمته...»[(٢)]

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي –رحمه الله–:«وفي الجملة: فالله خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة والباطنة برحمته، ودبرهم أنواع التدبير، وصرفهم بأنواع التصريف برحمته، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته فلا طابت الأمور، ولا تيسرت الأشياء، ولا حصلت المقاصد، وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمته فوق ذلك، وأجل وأعلى ... »[(٣)]

خامسا: من مظاهر رحمة الله –عز وجل– الخاصة والعامة على وجه التفصيل

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة٣/٨٨٦ــــ ٨٨٧

(٢) مختصر الصواعق المرسلة٣/٨٧٩ــــ٨٨٠

(٣) المواهب الربانية من الآيات القرآنية١/٨٧

حينما يتدبر العبد مظاهر وآثار رحمة الله ـــــ جل جلاله ـــــ في خلقه وشرعه؛ يجد أنها متنوعة: فمنها المظاهر الدينية، ومنها الدنيوية، ومنها المظاهر والآثار الأخروية،ومنها المشتركة بين هذه الأنواع؛ لذا فإنه يحسن بي أن أشير إلى هذه الآثار وأن أذكر بعض هذه المظاهر على سبيل المثال فإن حصرها كما سبق من المحال:

أولا: من مظاهر رحمة الله المتعلقة بدينه وشرعه

صفة الرحمة هي من أوسع صفات الله آثارا في شرعه وخلقه وأعظم هذه الآثار: آثار رحمته المتعلقة بشرعه ودينه.

ولهذا يقول ابن القيم عن عظم هذه الرحمة :

«... وأنه -سبحانه- لم يرحمهم في الدنيا برحمة، و لم يحسن إليهم إحسانا أعظم من إحسانه إليهم بهذا الدين، وهذه الشريعة الكاملة؛ولهذا لم يذكر في القرآن لفظة المنِّ عليهم إلا في سياق ذكرها كقوله:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، وقوله:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[2]، فهي محض الإحسان إليهم، والرأفة بهم، وهدايتهم إلى ما به صلاحهم في الدنيا والآخرة...» [3]

فمن مظاهر رحمة الله المتعلقة بهذه النعمة العظيمة:

١- إرسال الرسل ـــــ عليهم السلام ـــــ وإنزال الكتب لهداية الناس

(١) سورة آل عمران،آية ١٦٤

(٢) سورة الحجرات، آية ١٧

(٣) بدائع الفوائد ٤١٩/١

وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

وهذه من أعظم آثار رحمة الله -عز وجل- على الناس وخاصة من قَبِلَ منهم ما منَّ الله عز وجل به عليهم وهم المؤمنون الذين أخرجهم الله بوحيه وبرسله من الظلمات إلى النور.

وكثيرا ما سمى الله الوحي والنبوة رحمة، وأنه سبحانه إنما أرسل رسله وأنزل كتبه رحمة للناس لهدايتهم، وتعريفهم بربهم ،وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ليعبدوه سبحانه على نور وبصيرة.

يقول الله سبحانه مخبرا عن نوح عليه السلام:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾[1] يقول ابن كثير -رحمه الله-:«أي على يقين وأمر جلي، ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم »[2]

ويقول الله ــــ جل جلاله ــــ عن الكتاب الذي أنزله الله على موسى ــــ عليه السلام ــــ: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[3] وقال سبحانه عن عبده ونبيه عيسى ــــ عليه السلام ــــ:﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾[4]

«فمن أعظم نعم الله على عباده، وأشرف مِنَّةٍ عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل

---

(١) سورة هود، ٢٨

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٤٦٤/٢

(٣) سورة الأحقاف، آية ١٢

(٤) سورة مريم، الآيتان ٢٠ ــــ ٢١

عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمترلة الأنعام والبهائم، بل أشر حالا منها...»[١]

وإذا أردت أن تعرف عظم منة الله على عباده بهذه الرحمة؛فتأمل حال الخليقة عند فقد آثار الوحي والرسالة، أو الجهل بها يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :«... لكن قد تخفى آثار الرسالة في بعض الأمكنة والأزمنة، حتى لا يعرفوا ما جاء به الرسول -ﷺ- إما أن لا يعرفوا اللفظ، وإما أن يعرفوا اللفظ و لا يعرفوا معناه فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة، ومن ههنا يقع الشرك، وتفريق الدين شيعا،كالفتن التي تحدث السيف، فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم،وكما قال مالك بن أنس: إذا قلَّ العلم ظهر الجفاء،وإذا قلت الآثار ظهرت الأهواء » [٢]

ويقول أيضا -رحمه الله-:«... وأن كل خير في الوجود؛إما عام، أو خاص فمنشأه من جهة الرسول، وأن كل شر في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول، أو الجهل بما جاء به، وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم بإتباع الرسالة.

والرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته،فأي صلاح للعالم إذا عُدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة...»[٣]

٢- ومنها إنزال القرآن العظيم

كتاب الله هو حبل الله المتين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تتريل من حكيم حميد، أنزله الله هدى ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه من فرائض الله - جل وعلا- وأحل حلاله وحرم حرامه فهؤلاء هم الذين يكون في حقهم رحمة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية١٩/٥٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/١٦٩

(٣) مجموع الفتاوى١٩/٥٢

ونعمة فيدخلهم الله به الجنة وينجيهم به من النار. (١)

وقد وصف الله سبحانه كتابه بأنه رحمة وسماه بها في كثير من الآيات:

يقول تعالى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(٢)

يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية:«...وهو ــــ أي القرآن ــــ رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه،فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة. وأما الكافر الظالم لنفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكذيبا وكفرا.والآفة من الكافر لا من القرآن، كما قال تعالى:﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾(٣)» (٤)

ومن الآيات الدالة كذلك على أن القرآن رحمة من الله قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾(٥) وقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ

---

(١) انظر: تفسير الطبري٨/١٣٩

(٢) سورة الإسراء، آية ٨٢

(٣) سورة فصلت، آية ٤٤

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/١٧٤٢

(٥) سورة القصص،آية ٨٦

فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١)

٣- ومنها بعثة محمد ـــــ> ـــــ رحمة للعالمين.

فإذا كانت بعثة الرسل ــــ عليهم السلام ــــ من أعظم آثار رحمة الله على عباده؛ فما الظن ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد بن عبدالله ــــ > ــــ لا شك أن آثار رحمة الله فيها أعظم وأظهر فكيف لا تكون بعثته ــــ عليه الصلاة والسلام كذلك وقد بين الله عز وجل أنه لم يبعثه إلا لأجل رحمة الخلق أجمعين يقول سبحانه:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

يقول ابن كثير -رحمه الله- في بيان معنى الآية:

«يخبر تعالى أن الله جعل محمدا ــــ > ــــ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قَبِلَ هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سَعِدَ في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة »(٣)

أقوال العلماء في أن الآية على عمومها:

الآية السابقة وقع فيها الخلاف هل هي على عمومها، أم أنها خاصة بالمؤمنين؟

والذي رجحه جمع من علماء السلف أنها على عمومها فمن أولئك:

١- ابن عباس ــــ ب ــــ فقد أخرج ذلك عنه ابن جرير -/- بسنده في تفسيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله في كتابه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٤) قال:« من آمن بالله واليوم الآخر، كُتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفِيَ مما أصاب الأمم من الخسف

---

(١) سورة يونس، الآيتان٥٧ــــ ٥٨

(٢) سورة الأنبياء، آية ١٠٧

(٣) تفسير ابن كثير٣/١٩٢٩

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠٧

والقذف »(١)

٢- وهو الذي رجحه ابن جرير فقد قال حين ذكر قول من قال أن الآية خاصة بالمؤمنين(٢) :

« وأولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا -ﷺ- رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عندالله الجنة، وأما الكافر فإنه دفع به عنه عاجل البلاء، الذي كان يترل بالأمم المكذبة رسلها من قبله »(٣)

٣- وهذا أيضا يفهم من قول شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:« ولهذا كان محمد ـــ ﷺ ـــ رحمة في حق العالمين باعتبار ما حصل من الخير العام به، وما حصل للمؤمنين به من سعادة الدنيا والآخرة، وباعتبار أنه في نفسه رحمة فمن قبلها وإلا كان هو الظالم لنفسه، وباعتبار أنه قمع الكفار والمنافقين فنقص شرهم وعجزوا عما كانوا يفعلونه بدونه، وقتل من قتل منهم فكان تعجيل موته خيرا من طول عمره في الكفر له وللناس فكان -ﷺ- رحمة للعالمين بكل اعتبار »(٤)

٤ـــ وممن رجح القول بالعموم أيضا الإمام ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ فقد قال:

« وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(٥) أنه على عمومه، وفيه على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه فالمحاربون له عَجَّل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٩/ ١٠٠
(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٩/١٠١
(٣) المصدر نفسه ٩/١٠١
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨٠/١٧
(٥) سورة الأنبياء، آية ١٠٧

الشقاء، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له.

... وأما الأمم النائية عنه فإن الله -سبحانه- رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة، فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها، كما يقال : هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض » [1]

ما يدل على عظم آثار رحمة الله ببعثة نبيه ـــــ > :

الله سبحانه بعث رسوله محمدا ــــ > ـــــ لجميع العالمين رحمة ، وأنعم به نعمة يا لها من نعمة[2] ويشهد لذلك مواقف وصور من حياته وسيرته عليه الصلاة والسلام ــــــ

ومن ذلك أنه أخبر عليه الصلاة والسلام أنه رحمة مهداة فقد جاء في الحديث من رواية أبي هريرة ــــ ط ـــــ أنه قال :قال رسول الله ــــــ > ـــــ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة »[3]

وقد كان عليه الصلاة والسلام يسمي نفسه لأصحابه وجاء في أسمائه بأنه نبي الرحمة فقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري ــــ ط ـــــ أنه قال: كان

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم ص١٣١ـــــــ ١٣٢

(٢) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية ٧٦/١

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم ١٠٠،وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا جميعا بمالك بن سعير والتفرد من الثقات مقبول. انظر: المستدرك على الصحيحين ٨٣/١ ، وصححه الألباني في الصحيحة ٨٠٣/١،ورقم ٤٩٠

رسول الله –>– يسمي لنا نفسه أسماء،فقال:«أنا أحمد، والـــمُقَفِّي، ونبي التوبة، ونبي الرحمة »[(١)]

ومن لطف الله وإحسانه بالعباد أن بعث نبيه ـــــ > ـــــ رحمة و لم يبعثه لعانا للعباد مهما حصل منهم من صدود وإعراض وتعنت وعناد فقد روى الإمام أحمد من حديث ابن عباس ـــــ ك ـــــ قال: قالت: قريش للنبي ـــــ > ـــــ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك. قال:« وتفعلون؟»قالوا: نعم. قال:« فدعا، فأتاه جبريل فقال: إن ربك ـــــ لأ ـــــ يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة. قال: بل باب التوبة والرحمة»[(٢)] وفي حديث آخر عند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ـــــ ط ـــــ قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين قال:«إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة »[(٣)]

فإذا كان المشركون قد نالهم ما نالهم من رحمة الله ببعثته ـــــ > ـــــ فلا شك أن نصيب أصحابه وأتباعه من أمته لهم النصيب الأوفر والقدر الأكبر من هذه الرحمة المهداة لذا دعا ـــــ > ـــــ لكل من دعا عليه من أمته بأن يجعلها الله رحمة عليه يوم القيامة؛ وذلك كما جاء في حديث سلمان ـــــ ط ـــــ حينما قال لحذيفة ـــــ ط ـــــ : يا حذيفة إن رسول الله ـــــ > ـــــ كان يغضب

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب الفضائل،باب أسماؤه ـــــ > ـــــ حديث رقم٢٣٥٥،مسلم بشرح النووي ٤٩٤/١٥

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥٢١/١من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما رقم٢١٦٦، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان١٠٩/١، حديث ١٧٤وقال عنه :هذا حديث صحيح ...، والحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم ٣٣٨٨

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم ٢٥٩٩، مسلم بشرح النووي ١١٥/١٦

فيقول، ويرضي فيقول، لقد علمت أن رسول الله -<- خطب فقال:« أيما رجل من أمتي سببته سبَّة في غضبي، أو لعنته لعنة؛ فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين. فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة »[(١)]

ويقول شيخ الإسلام وهو يبين شيئا من مظاهر كونه عليه الصلاة والسلام رحمة مهداة وأن الله أرسله رحمة للعباد:((... ولأن هذا من جملة إحسانه إلى الخلق بالتعليم والهداية، وبيان ما ينفعهم وما يضرهم، كما قال تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[(٢)] فبين -تعالى- أن هذا من مننه على عباده المؤمنين))[(٣)]

ويقول ابن القيم وهو يتحدث عن عظيم فضائل الله ورحمته على عباده ببعثة نبيه ـــ<ـــ:((وهو محمود ـــ<ـــ بما ملأ الأرض من الهدى والإيمان والعلم النافع، والعمل الصالح،وفتح به القلوب، وكشف به الظلمة عن أهل الأرض، واستنقذهم من أسر الشيطان، ومن الشرك بالله والكفر به والجهل به حتى نال به أتباعه شرف الدنيا والآخرة، فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها، فإنهم كانوا بين عُبَّاد أوثان، وعُبَّاد صلبان، وعباد نيران، وعباد كواكب، ومغضوب عليهم قد باؤوا بغضب من الله، وحيران لا يعرف ربا يعبده، ولا بماذا يعبده، والناس يأكل بعضهم بعضا، من استحسن شيئا دعا إليه، وقاتل من خالفه،

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١٧٨/٩،من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه برقم٢٣٧٦٧، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة،باب في النهي عن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم٤/ ٢١٥ وحديث٤٦٥٩، والحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم ١٧٥٨

(٢) سورة آل عمران، آية ١٦٤

(٣) مجموع الفتاوى ٧٧/٦

وليس في الأرض موضع قدم مشرق بنور الرسالة، وقد نظر الله –سبحانه– حينئذ إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا على آثار من دين صحيح،فأغاث الله به البلاد والعباد، وكشف به تلك الظُّلَم، وأحيا به الخليقة بعد الموت، فهدى به من بعد الضلالة، وعلم به من الجهالة، وكثَّر بعد القِلَّة، وأعزَّ به بعد الذِّلَّة، وأغنى به بعد العَيْلَة، وفتح به أعينا عميا، وآذانا صما وقلوبا غلفا، فعرف الناس ربهم ومعبودهم، غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، وأبْدأ وأعاد، واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله حتى تجلَّت معرفته في قلوب عباده المؤمنين... »[1]

وبمثل قول شيخ الإسلام ابن تيمية وقول تلميذه ابن القيم قال الشيخ السعدي ـــــ رحمة الله على الجميع ـــــ فيقول وهو يبين عظم رحمة الله ببعثة نبيه محمد ـــــ ﷺ ـــــ:«...فحين ابتدأت بشائر نبوته والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت من أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به أهل الأرض رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدا، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه، ومعرفته في الأرض، ما تبتهج به القلوب، وتفرح به أولو الألباب وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام...»[2]

٤ـــــ ومن مظاهر رحمة الله –عز وجل– هداية المؤمنين وإخراجهم من الظلمات إلى النور وتثبيتهم على الحق.

فمن رحمة الله بعباده المؤمنين بيان الحق لهم وهدايتهم إليه وتوفيقه لهم وتيسير السبل لمعرفته واعتقاده، ثم يثبتهم عليه [3]حتى يلقوه ـــــ جل وعلاـــــ وإلا فإن الإنسان بغير هداية الله وإخراج الله له من الظلمات إلى النور فهو في تيه عن الحق وبعد عنه يقول الله ـــــ سبحانه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

(١) جلاء الأفهام ص١٢٩ـــــ ١٣٠

(٢) تفسير السعدي٧/٤٩٧

(٣) اللآلئ البهية في العقيدة الواسطية لصالح آل الشيخ١/٣٦٢

فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[(١)] وقال جل وعلا:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[(٢)]

يقول الإمام ابن القيم ـــــ / ـــــ في نعمة الهداية المقارنة لرحمة الله :«والرحمة المقارنة للهدى في حق المؤمنين عاجلة وآجلة.

فأما العاجلة فما يعطيهم الله -تعالى- في الدنيا من محبة الخير والبر، وذَوْق طعم الإيمان، ووُجدان حلاوته، والفرح والسرور بأن هداهم الله -تعالى- لـما أضل عنه غيرهم، ولما اختلف فيه من الحق بإذنه، فهم يتقلبون في نور هداه، ويمشون به في الناس، ويرون غيرهم مُتحَيِّرا في الظلمات، فهم أشد الناس فرحا بما آتاهم ربهم من الهدى، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[(٣)] فأمر -سبحانه- عباده المؤمنين المهتدين أن يفرحوا بفضله ورحمته.

وقد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة: هو العلم والإيمان والقرآن، وهما إتباع الرسول، وهذا من أعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشاء من عباده؛فإن الأمن والعافية والسرور، ولذة القلب ونعيمه وبهجته وطمأنينته مع الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة.

والخوف والهم والغم والبلاء والألم والقلق مع الضلال والحيرة ...

فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى، هي بحسب هداه، فكلما كان نصيبه من الهدى أتم كان حظه من الرحمة أوفر،وهذه هي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، وهي

---

(١) سورة يونس، آية ٥٨

(٢) سورة الأنعام،آية١٢٢

(٣) سورة يونس، آية ٥٨

غير الرحمة العامة بالبر والفاجر »[١]

٥ــــ ومنها العصمة من الشيطان وجميع أسباب الضلال.

من مَنَّ الله عليه بالهداية وأنعم عليه بنعمة التوحيد وكمال الإخلاص لله وصدق التوكل عليه، فإنه بإذن الله يكون ممن تولاهم الله برحمته، فعصمهم من كل شر وفتنة وبلية، وأشدها نكاية بالعباد فتنة عدو الإنسان اللدود الشيطان ــــ أعاذنا الله منه ومن إغوائه وكيده ــــ ؛ فإنه مع محاولاته المتتالية، وخطواته الماكرة إلا أن الله عصم عباده المؤمنين فلم يجعل له عليهم حجة ولا طريقا يتسلط به عليهم يقول -جل وعلا- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[٢] ويقول سبحانه أيضا:﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٣] ويقول سبحانه :﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [٤] فهذه الآيات تدل على أن من مظاهر رحمة الله بعباده إبطال سلطان الشيطان في حق أهل التوحيد والإخلاص والتوكل على الله عز وجل وعصمتهم من أعظم أسباب الضلال [٥]

---

(١) إغاثة اللهفان ١٧٢/٢

(٢) سورة الحجر، الآيات ٣٩ــــ ٤٢

(٣) سورة النساء، آية ٨٣

(٤) سورة النحل، الآيات ٩٨ــــ ٩٩ــــ ١٠٠

(٥) انظر: إغاثة اللهفان ٩٨/١

ومن رحمة الله كذلك بعباده أنه سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ممن يريدون أن يضلوا عباده عن صراطه المستقيم يقول الله -عز وجل- في حماية النبي ــــ > ــــ وحفظه ممن يريد أن يضله عما أكرمه الله به من الوحي والرسالة:﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١)

فالحمد لله الذي يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، ومن يَهْدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

٦ــــ ومن تمام رحمة أرحم الراحمين: تسليط أنواع البلاء على المؤمنين

وهذا المظهر من لطف الله وإحسانه بعبده المؤمن الذي أحبه من بين خلقه فأصاب منه ليرفع له الدرجات ويكفر عنه الذنوب والسيئات؛ لأنه جل وعلا أعلم بما هو الأصلح له،وهو قادر سبحانه أن يرحم عبده بطرق لا تظهر للناس لجهلهم بالله سبحانه.

يقول ابن القيم ــــ / ــــ:«ومما ينبغي أن يعلم: أن صفة الرحمة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشَقَّتْ عليها، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك، ودفع المضارِّ عنك ...ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين:تسليط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته،فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته، من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه » (٢)

وها هنا أمثلة توضح ذلك جاءت بها نصوص الشريعة فمن ذلك:

ــــــ **الابتلاء بمصيبة الموت**: فهي إما رحمة للميت وتخليصه من الدنيا ونصبها

(١) سورة النساء، آية ١١٣

(٢) إغاثة اللهفان٢/١٧٤

إن كانت النفس مؤمنة، وإما فيها رحمة للعباد والبلاد والكائنات إن كانت النفس المقبوضة فاجرة [١]ـــــ نسأل الله السلامة والعافية.

فعن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث: أن رسول الله ـــــ > ـــــ مُرَّ عليه بجنازة فقال:«مستريح ومستراح منه ».قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ قال:«العبد المؤمن يستريح من أذى الدنيا ونصبها إلى رحمة الله،والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» [٢]

ـــــ ابتلاء المؤمنين بمرض الطاعون.

إصابة المؤمن بالأمراض رحمة من الله إذا صبر واحتسب الأجر من الله وكان مؤمنا بقضاء الله وقدره ، ومنها مرض الطاعون الذي كان في أصله عذابا يسلطه الله على من يشاء، لكنه بالنسبة للمؤمن فهو رحمة من الله جل وعلا.

فقد أخرج البخاري من حديث عائشة ـــــ ب ـــــ أنها سألت رسول الله ـــــ > ـــــ عن الطاعون، فأخبرها نبي الله ـــــ > ـــــ:« أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا ويعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد»[٣]

وغير هذا كثير مما يصعب حصره مما يبتلي الله به العباد من المصائب، ويأمرهم به من المكاره، وينهاهم عنه من الشهوات، وهي من مظاهر رحمته مما يوصلهم بها إلى سعادتهم وفلاحهم في العاجل والآجل، وقد حُفت الجنة بالمكاره، وحفت النار

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، رحمة الله أسبابها وآثارها، عدد٤٥،سنة ١٤١٦هـ ص٢٤٧

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق،باب سكرات الموت،حديث٦٥١٢، البخاري مع الفتح١١/٣٦٢ ومسلم،كتاب الجنائز، باب الأربعون يقومون على الجنازة،حديث ٩٥٠،مسلم بشرح النووي٧/١٩

(٣) أخرجه البخاري،كتاب الطب، باب أجر الصابر على الطاعون،حديث٥٧٣٤،البخاري مع الفتح١٠ /١٩٢

بالشهوات [١].

يقول ابن القيم ـــــ / ـــــ:«وهذا كله مما يبين أنه –سبحانه– يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة، والحكم العظيمة التي لا تدركها عقول الخلق مع ما في ضمنها من الرحمة التامة، والنعمة السابغة، والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته... » [٢]

٨ــــ ومنها الابتلاء بالأوامر والنواهي:

يقول ابن القيم –رحمه الله–:«فمن رحمته –سبحانه– بعباده: ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحمية، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به، فهو الغني الحميد، ولا بخلا منه عليهم بما نهاهم عنه، فهو الجواد الكريم »[٣]

٩ــــ ومن عجيب مظاهر رحمة الله: إقامة الحدود الشرعية

شريعة الله –سبحانه وتعالى–وأحكامه كلها خير ورحمة وبركة للعباد والبلاد ، وتظهر جليا آثار ومظاهر رحمة الله بعباده في تطبيق شريعة الله وتنفيذ أحكامه فيمن استحق ذلك لما يترتب عليه من الخيرات العاجلة والآجلة.

ففي شرع القصاص مثلا يقول الله سبحانه:﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤] فالآية تبين أن في القصاص حكما عظيمة، وكما قيل: القتل أنفى للقتل[٥] فمن علم من أصحاب النفوس الضعيفة أنه لو قتل أنه سيقتل، ففي ذلك زجر له ولأمثاله من الإقدام على جريمة القتل، وفي ذلك إبقاء على الأنفس المعصومة، وفيه حياتها، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية

(١) انظر: شفاء العليل ص٧٣

(٢) المصدر نفسه ٧٣

(٣) إغاثة اللهفان٢/١٧٥

(٤) سورة البقرة،آية ١٧٩

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/٣٥٧

والردع عن الوقوع في مثلها، مما يدل على كمال الله وكمال علمه، وعدله، وحكمته، ورحمته[(١)].

ويؤيد هذا ما جاء في قوله ــــ > ـــــ: «حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا »[(٢)]

وما ذاك إلا لأن في إقامة الحدود في الإسلام حفظ الدين والعقل والعرض والبدن والمال، وحفظ هذه الضروريات مما اتفقت الشرائع السماوية عليه؛ وكل ما يتعلق بها من أحكام إنما هو من رحمة الله بالناس ليعيش الناس في أمن وسعادة لا يخافون أحدا إلا الله وحده، وهذه من أعظم النعم ومن أجل آثار رحمة الله على عباده التي امتن بها عليهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –/–: « وبهذا يتبين لك أن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلوب، وهي من رحمة الله بعباده، ورأفته بهم الداخلة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[(٣)] فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض فهو الذي أعان على عذابه وهلاكه، وإن كان لا يريد إلا الخير، إذ هو في ذلك جاهل أحمق... » [(٤)]

ثانيا: من مظاهر رحمة الله المتعلقة بالحياة الدنيا

كل ما يتقلب فيه الإنسان من النعم فهو من مظاهر رحمة الله تعالى،عامة أو خاصة، ظاهرة أو باطنة، وهذا لا يمكن جمعه وإحصاؤه ولكن أذكر لذلك أمثلة ليستدل بها على أمثالها :

١ – خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئا يذكر.

---

(١) انظر: تفسير السعدي ٢١٦/١ـــــ ٢١٧

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الحدود،باب إقامة الحدود،٨٤٨/٢،حديث ٢٥٣٨،الحديث حسنه الألباني في الصحيحة ورقمه فيها ٢٣١

(٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٧

(٤) مجموع الفتاوى١٧٠/١٥

الإنسان قبل أن يَمُنَّ الله عليه بالخلق والإيجاد لم يكن شيئا يذكر، فقد مرَّ عليه دهرا طويلا، وزمنا مديدا وهو معدوم، ثم رفعه الله وشرفه فخلقه بعد العدم، وأوجده بعد الفقد، وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلا.

يقول الله -جل وعلا-:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (١)

فالله سبحانه برحمته خلق آدم ـــــ عليه السلام ـــــ من تراب، وبرحمته خلق منه زوجه، وبرحمته بث منهما رجالا كثيرا ونساءً، وبرحمته خلق من الماء بشرا، فجعله نسبا وصهرا ،فتبارك الله أحسن الخالقين.

يقول الله ـــــ عز وجل:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (٢)

فلو حاول العبد أن يتتبع آثار رحمة الله في خلقه منذ أن كان نطفة ضعيفة في بطن أمه إلى أن اكتمل خلقه وأصبح بشرا سويا لما استطاع ذلك! لعظم رحمة الله به، وفضله وإحسانه عليه في جميع أحواله، وجميع مراحل خلقه وتكوينه.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:« فانظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة، وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر، لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت، كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب منقادة لقدرته...على ضيق طرقها واختلاف مجاريها، إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها،

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان ١ـــــ٢

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ١٢ ـــــ ١٤

وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى...وكيف قَدَّرَ اجتماع ذَيْنِك الماءين مع بُعْدِ كل منهما عن صاحبه، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما في موضع واحد جعل لهما قرارا مكينا لا يناله هواء يفسده، ولا برد يُجَمِّده، ولا عارض يصل إليه، ولا آفة تتسلط عليه، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشرقة علقة حمراء... ثم جعلها مُضْغَة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها، ثم جعلها عظاما... »[1]

ويقول في موضع آخر :«وأي دليل[2] أوضح من تركيب هذه الصورة الآدمية بأعضائها وقواها وصفاتها وما فيها من اللحم والعظم والعروق والأعصاب والرباطات والمنافذ والآلات والإرادات والصناعات... كل ذلك من نطفة ماء، فلو أنصف العبد ربه لاكتفى بفكره في نفسه، واستدل بوجوده على جميع ما أخبرت به الرسل عن الله وأسمائه وصفاته...»[3] فسبحان الله وبحمده الموصوف بصفات الكمال المتره عن كل نقص ومثال الرحيم الرحمن القائل:﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[4]

٢- خلق السماوات والأرض وما قدره الله فيهما من المنافع.

مظاهر رحمة الله -سبحانه- فيما خلقه للعباد، وما سخره لهم في هذا الكون العريض لا يحصى، ولو ذهب العباد في محاولة إحصائها لفنيت أعمارهم ولانقطعت حياتهم وهم لم يدركوا لها نهاية، و لم يستطيعوا لها عدا.

وما أجمل آيات الرحمن، وما أطيب وقعها في النفوس وهي تتحدث عن تلك الآثار وتلك المظاهر، ففيها والله غنية عن كلام كل فصيح وبليغ من البشر؛لذا فلنستمع

---

(١) مفتاح دار السعادة ٦/٢ــــ٧

(٢) أي على التوحيد والمعاد

(٣) الفوائد ص١٦ــــ١٧

(٤) سورة الرحمن، الآيات ١ــــ ٤

لآيات القرآن لتذكرنا بآثار صفة الرحمة في مخلوقات الله في خلق السماوات والأرض وما أودعهما من منافع ومصالح العباد التي لا تكمل حياتهم إلا بها؛ لعلنا نستدرك ما بقي من حياتنا في شكر ربنا ومولانا على نعمه الظاهرة والباطنة .

يقول الله ـــ جل جلاله ـــ في سورة النحل التي يسميها العلماء بسورة النعم[1]:﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن

(١) انظر: شفاء العليل ص٧٦

فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

ويقول كذلك جل وعلا في سورة الحج:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)

ويقول الله سبحانه عن آية من آياته، وأثر من آثار رحمته وهو المطر، والذي جاء في نصوص الكتاب والسنة وصفه وتسميته بالرحمة :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣) ويقول سبحانه:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (٤)

وجاء في الحديث المتفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهني ــــ ط ــــ أنه

---

(١) سورة النحل، الآيات ٣ــــ ١٨

(٢) سورة الحج، آية ٦٥

(٣) سورة الروم، الآيات ٤٨ــــ ٥٠

(٤) سورة الشورى، الآية ٢٨

قال:صلى بنا رسول الله ــــ > ــــ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال:«هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ ».قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال:«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب...»[١]

وكان النبي ->- يدعو في الاستسقاء بقوله:«اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيي بلدك الميت »[٢]

ويقول ابن القيم ــ عليه رحمة الله ـــــ وهو يتحدث عن آثار رحمة الله في مخلوقاته وما سخره الله للعباد:«...وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهادا وفراشا وقرارا وكفاتا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأنزل المطر، وأطلع الأقوات والفواكه والمرعى، وبرحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدَّر...»[٣]

٣- ومنها وضع الرحمة بين العباد ليتراحموا بينهم، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان.

فإن من آثار رحمة الله التي هي صفته ونعته، واشتق منها اسم (الرحمن الرحيم) ما وضعه في قلوب عباده من الرحمة التي يشعرون بها في أنفسهم، وبها يتراحمون، وحتى تلك الرحمة التي يجدونها ويشاهدونها في سائر الحيوانات والطيور والوحوش

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، حديث ٨٤٦،البخاري مع الفتح٢/٣٣٣،مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، حديث١٢٥،مسلم بشرح النووي٢/٢٤٥

(٢) أخرجه أبو داود في السنن،كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء،١/٣٠٥، حديث١١٧٦، وأخرجه مالك في الموطأ،كتاب الاستسقاء،باب ما جاء في الاستسقاء ١ /١٩١،قال الشيخ الألباني:(حسن) انظر صحيح الجامع حديث ٤٦٦٦

(٣) مختصر الصواعق٣/٨٨٠

والهوام كل ذلك من مظاهر رحمة الله في خلقه [(١)]

فمنها ما وضعه سبحانه في قلوب الزوجين من رحمة ومودة يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٢)]

يقول ابن القيم ـــ / ـــ:«ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه، وألقى بينهما المحبة والرحمة ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين ويتمتع كل واحد منهما بصاحبه »[(٣)]

وكذلك رحم الله الإنسان في صغره وطفولته وفي سائر أيام حياته فوضع في قلوب الآباء والأمهات رحمة وعاطفة جياشة على أولادهم من غير أن يطلبوا منهم ثمنا لها؛ وإنما هي رحمة وتسخير من الله الرحمن الرحيم

فعن عمر بن الخطاب ـــ ط ـــ أنه قال:قُدِمَ على رسول الله ـــ > ـــ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيا في السبي فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله ـــ> ـــ:« أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟».قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ـــ > ـــ:« الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[(٤)]

ومن التراحم بين العباد الذي هو من آثار رحمة الله: رحمة الضعفاء والمرضى والبكاء عند فقد الأحبة فقد جاء عند البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد ـــ ب ـــ قال:أرسلت ابنة النبي ـــ > ـــ إليه أن ابنا لي قبض فأتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول:«إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة٣/٨٨٠

(٢) سورة الروم، آية ٢١

(٣) مختصر الصواعق ٣/٨٨١

(٤) سبق تخريجه ص٢٢٢

ولتحتسب ». فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينَّها، فقام ومعه سعد بن عباده، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فَرُفِعَ إلى رسول الله ـــــ > ـــــ الصبي ونفسه تتقعقع ـــــ قال:حسبته أنه قال: كأنها شن ـــــ ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال:« هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » (١)

يقول ابن القيم –رحمه الله–:«ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها فبها تعطف الوالدة على ولدها، والطير والوحش والبهائم، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه»(٢)

ثالثا: من مظاهر رحمة الله المتعلقة بالآخرة

تتجلى صور ومظاهر رحمة الله –عز وجل– في الدار الآخرة في رحمته الخاصة بعباده المؤمنين والتي منها:

١– خلق الجنة، وإدخال المؤمنين إياها

فعن صفة الرحمة خلقت الجنة، وبرحمته سبحانه عمرت بأهلها، وبها طاب عيشهم فيها، ولولا رحمته لما دخلوا فيها وتنعموا بنعيمها(٣).

عن أبي هريرة ـــــ ط ـــــ: قال: قال النبي ـــــ > ـــــ:«تحاجَّت الجنة والنار، فقالت النار :أُوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ! قال الله –تبارك وتعالى– للجنة: أنت رحمتي أرحم بك

(١) أخرجه البخاري،كتاب المرضى،باب عيادة الصبيان، حديث ٥٦٥٥،البخاري مع الفتح١١٨/١٠ ومسلم، كتاب الجنائز، البكاء على الميت، حديث٩٢٣،مسلم بشرح النووي٥٢٣/٦

(٢) مختصر الصواعق المرسلة٨٨٢/٣

(٣) المصدر نفسه٨٨١/٣

من أشاء من عبادي...» [١]

وكما أن الجنة خلقت برحمة الله، فكذلك دخول المؤمنين لا يكون إلا برحمة الله – سبحانه– فعن أبي هريرة ـــــ ط ـــــ قال: قال رسول الله ـــــ > ـــــ:« لن ينجي أحدا منكم عمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال:«ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا واغدوا[٢]، وروحوا، وشيء من الدلجة[٣] والقصد القصد[٤] تبلغوا »[٥]

٢–ـــ العصمة والنجاة من الخسران يوم القيامة

وهذا قريب من الذي قبله، وإنما أفرد لكثرة ما ورد في القرآن أن النجاة من الخسران المبين يوم القيامة إنما يكون برحمة الله لعبده، فينجيه من النار ويتفضل عليه بدخول الجنة وذلك هو الفوز العظيم

يقول –أ– في توبة آدم وحواء ـــــ عليهما السلام ـــــ ودعائهما:﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ﴾[٦] وقال في دعاء قوم موسى ـــــ×ـــــ:﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ﴾[٧] وقال سبحانه عن دعاء نبيه وعبده نوح ـــــ× ـــــ:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ

---

(١)سبق تخريجه ص٢٢٧

(٢) واغدو: الغدو هو السير أول النهار نقيض الرواح.انظر: النهاية لابن الأثير٣/ ٣٤٦

(٣) الدلجة: هو سير الليل. يقال: أدلج بالتخفيف إذا سار أول الليل انظ :النهاية ١٢٨/٢

(٤) القصد القصد :أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل هو الوسط بين الطرفين،وتكراره للتأكيد انظر:النهاية ٦٧/٤

(٥) سبق تخريجه ص١٩٤

(٦) سورة الأعراف، آية ٢٣

(٧) سورة الأعراف،آية ١٤٩

لِى وَتَرۡحَمۡنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴾ (١)

٣- الشفاعة والإذن بها وقبولها يوم القيامة

يقول ابن القيم -رحمه الله-:« وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه، فالشفاعة بإذنه من نعمه، فهو المنعم بالشفاعة، وهو المنعم بقبولها،وهو المنعم بتأهيل المشفوع له، إذ ليس كل أحد أهلا أن يُشْفَعَ له، فمن المنعم على الحقيقة سواه؟ قال تعالى:﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾(٢) » (٣)

٤ــــ صرف العذاب عن المؤمنين يوم القيامة

توعد الله عز وجل الكافرين يوم القيامة بعذاب عظيم جزاء كفرهم وإعراضهم عن دينه وتكذيبهم لرسله، ولكن أهل الإيمان يتفضل الله عليهم في ذلك اليوم ويرحمهم برحمته فيصرف عنهم عذاب الآخرة ويصرفهم عنه ويدخلهم جنته يقول الله عز وجل:﴿قُلۡ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّى عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٍ فَقَدۡ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(٤)

٥ــــ إخراج العصاة من أهل التوحيد من النار بعد دخولهم إياها

عن جابر قال: قال رسول الله ــــ > ــــ:«يُعَذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حُمَمَاً ثم تدركهم الرحمة،فيُخرجون ويطرحون على أبواب الجنة » قال:« فَتَرُشُّ عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغُثَاء في حِمَالة السيل ثم يدخلون الجنة » (٥)

---

(١) سورة هود، آية ٤٧

(٢) سورة النحل،٥٣

(٣) شفاء العليل ٧٧ـــــ ٧٨

(٤) سورة الأنعام، الآيتان ١٥ــــ١٦

(٥) أخرجه البغوي في شرح السنة،باب آخر من يخرج من النار، حديث رقم٤٣٥٩، وقال: هذا حديث صحيح أخرجه مسلم من أوجه عن جابر انظر: شرح السنة ١٩١/١٥، وأخرجه الترمذي، كتاب

صفة جهنم،حديث٢٥٩٧،وقال: حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن جابر.انظر: سنن الترمذي ٤/٦١٥،والحديث حكم عليه الألباني رحمه أيضا بالصحة وقال: وهو على شرط مسلم. الصحيحة ٤/ ٥٨٠، حديث رقم ٢٤٥١

المبحث الرابع

من أسباب رحمة الله الواردة في الكتاب والسنة

من أسباب رحمة الله الواردة في الكتاب والسنة

الله -سبحانه وتعالى- يختص برحمته من يشاء، ويدخل فيها من يشاء لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه! وما يفتحه -جل وعلا- من أسباب الرحمة فلا ممسك

لها، وما يمسكه سبحانه من أسبابها فلا مرسل لها من بعده يقول ـــ المولى جل وعلا ـــ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١) ويقول تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٢) ويقول عز وجل: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴾(٣)

ومع كل ذلك فإن حكمته ـــ عز وجل ـــ اقتضت أن تكون لرحمته العامة والخاصة أسباب تنال بها، وستجلب بها؛ ليجتهد العباد في تحصيلها، ويستبقوا في الظفر بها والموفق من وفقه الله وهداه.

فمن أسباب رحمة الله جل جلاله(٤):

١- الإيمان بالله والعمل الصالح

إن من أعظم أسباب الرحمة والفوز بها: هو القيام بما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والعمل الصالح، وكثيرا ما جاء في النصوص ترتيب حصول الرحمة والفلاح والسعادة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة على الإيمان والعمل الصالح يقول الله عز وجل :﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٥)

ولما كان الأمر كذلك كان فريق من عباد الله من يتوسل إلى الله بإيمانه لتحصل لهم

(١) سورة فاطر، آية ٢

(٢) سورة البقرة، آية١٠٥

(٣) سورة الإنسان، آية ٣١

(٤) انظر:أسماء الله الحسنى عمر الأشقر ص ٣٨، مجلة البحوث الإسلامية، العدد٤٥،بحث: رحمة الله أسبابها وآثارها ص٢٥٠ـــــ٢٥٩

(٥) سورة الجاثية، آية ٢٠

الرحمة لعلمهم أنه سبحانه وتعالى هو خير الراحمين قال الله تعالى:﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(١)

٢- توحيد الله -جل وعلا- وإخلاص الدين والعبادة له

فلو لم يكن التوحيد والإخلاص سببا للفوز برحمة أرحم الرحمين لم يخلق الله الجن والإنسان لتوحيده وعبادته،ولما أمر خلقه أجمعين بتوحيده، وإذا لم يكن الموحدون هم المرحومون في الدنيا والآخرة!فمن يكون غيرهم؟

لذا فإنه كلما كان العبد أعظم توحيدا وإخلاصا لله رب العالمين كان حظه من الرحمة أعظم وهو به أحق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:«... وأحق الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص((لا إله إلا الله)) علما وعقيدة،وعملا وبراءة، وموالاة ومعاداة، كان أحق بالرحمة» (٢)

والله -سبحانه وتعالى-ضرب لنا الأمثال في القرآن في أهل إخلاصه وتوحيده وكيف كان إخلاصهم لربهم سببا في رحمة الله لهم، وكيف خصهم الله برحمته الخاصة التي لا ينالها إلا المخلصون من عباد الله فيقول سبحانه عن إمام الحنفاء إبراهيم ــــ عليه السلام ــــ بعد أن نهى أباه وقومه عن عبادة الأصنام واعتزلهم:﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾(٣) وقال عن نبيه موسى ــــ عليه السلام:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ

(١) سورة المؤمنون، آية ١٠٩

(٢) مجموع الفتاوى١٤/٢٣٠

(٣) سورة مريم،الآيتان٤٩ــــ ٥٠

نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [1]

٣- الإيمان بالقرآن وإتباعه والعمل به والاستماع إليه:

يقول الله تعالى:﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] ويقول جل وعلا:﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3] وقال تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[4] ويقول المصطفى ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ:«...وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ... »[5]

٤ــــ الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[6] ويقول الله تعالى:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [7]

---

(١) سورة مريم، الآيات ٥١ ـــــ ٥٣

(٢) سورة الأعراف،آية ١٥٦

(٣) سورة الأنعام،آية ١٥٥

(٤) سورة الأعراف، آية ٢٠٤

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء،باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن،حديث ٢٦٩٩،مسلم بشرح النووي ١٧/١٨٨

(٦) سورة الحديد،آية٢٨

(٧) سورة آل عمران،آية١٣٢

٥ــــ الإحسان:

وممن وعدهم الله بقرب رحمته أهل الإحسان، والله -جل وعلا- لا يخلف الميعاد يقول الله سبحانه:﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١)

فما على العبد إذا أراد أن يكون ممن وعدهم الله بقرب رحمته إلا أن يحقق هذا السبب العظيم الذي هو أعلى مراتب الدين، فيحسن في عبادة ربه فيراقبه في كل ما يأتي وما يذر، وفي كل ما يقول ويفعل، وقبل ذلك كله يحسن في العقيدة التي سيلاقي بها ربه، وعليها يكون الميزان يوم القيامة، ولا ينس كذلك شمول الإحسان للإحسان إلى خلق الله؛ ليفوز برحمة الله التي يكون بها بإذن الله الفوز بالجنان والنجاة من النيران.

٦ــــ تقوى الله

جاءت آيات عدة في كتاب الله دلت على أن تقوى الله -جل وعلا- سبب من أسباب رحمته منها:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)

وقوله تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٣) وقوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ

(١) سورة الأعراف، آية ٥٦

(٢) سورة الحديد،آية٢٨

(٣) سورة الحجرات،آية ١٠

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

فمن اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره فقد أتى بسبب عظيم من أسباب الرحمة والله سبحانه وتعالى عند وعده فإنه سيرحمه برحمته التي وسعت كل شيء.

٧ـــــ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

فمن الطرق التي أرشدنا الله إليها لنيل رحمته: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وذلك في قوله تعالى:﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢)

٨ـــــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نالت أمة محمد ـــــ > ـــــ درجة خير أمة أخرجت للناس بسبب قيامها بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا استحقت أن تكون هي الأمة المرحومة القائمة بأعظم أسباب الرحمة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول الله عز وجل:﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣)

٩ـــــ الجهاد في سبيل الله

المجاهدون في سبيل الله، والذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، لا شك أنهم بذلوا نفوسهم رخيصة طلبا لرضوان الله ورحمته، فأكرمهم الله حيث جعل الجهاد في سبيله من أسباب نيل رحمته.

---

(١) سورة يس،آية ٤٥

(٢) سورة النور،آية ٥٦

(٣) سورة التوبة،آية ٧١

يقول الله -عز وجل-:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (١)

ويقول جل شأنه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٢)

١٠ــــ التوبة والاستغفار

الإنسان عرضة للخطأ والتقصير فمن رحمة الله أن فتح له أبواب التوبة فلو حصلت منه هفوة في ليله أو نهاره؛ فإن ربه رحيم كريم يبسط إليه يده ليتوب ويستغفر من ذنبه وجعل التوبة والاستغفار من أسباب رحمته بعباده فسبحانه من رحيم رحمن يقول الله جل وعلا:﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٣) ويقول جل ذكره:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾(٤)

وعن أبي سعيد الخدري ــــ ط ــــ أن النبي ــــ > ــــ قال:«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا،فسأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على

---

(١) سورة التوبة، الآيات ٢٠ ــــ ٢٢

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٨

(٣) سورة الأنعام، آية ٥٤

(٤) سورة النمل، آية ٤٦

راهب. فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال:لا. فقتله فَكَمَّلَ به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم.فقال: إنه قتل مائة نفس.فهل له من توبة؟ فقال: نعم. ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.فانطلق حتى إذا نَصَفَ الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قِيسُوا ما بين الأرْضَيْنِ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة » (١)

١١- رحمة الخلق

قضى الله سبحانه أن الجزاء من جنس العمل فمن كان رحيما بخلق الله، وتخلق بخلق الرحمة، رحمه الله، فالله إنما يرحم من عباده الرحماء، ولقد تواردت أحاديث عدة تدل على أن رحمة العباد سبب في رحمة الله ـــــ عز وجل:

فمن ذلك أنه عليه الصلاة والسلام أمر برحمة من في الأرض جميعا لحصول رحمة الله سبحانه الذي في السماء يقول عليه الصلاة والسلام:« الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله »(٢)

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب أحاديث الأنبياء،حديث ٣٤٧٠،الفتح٦/٥١٣،مسلم،كتاب التوبة، باب(إن الحسنات يذهبن السيئات)،حديث رقم٢٧٦٦واللفظ له، مسلم بشرح النووي١٧/٢٣٥

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة،٤/٢٨٥،حديث٤٩٤١،وأخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين٤/٢٨٥،حديث١٩٢٤،وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في الصحيحة حديث ٩٢٥

وصح عنه عليه الصلاة والسلام أن رحمة الناس سبب في نيل رحمة الله حيث قال :«من لا يرحم الناس لا يرحمه الله »(١)

وفي هذا دعوة لرحمة الأيتام والأرامل والفقراء والمساكين من قبل إخوانهم المؤمنين الراغبين في رحمة رب العالمين؛ فما عليهم إلا أن يطلبوا رحمة الله برحمتهم للناس أجمعين

وكذلك دل الدليل أن رحمة الصبيان والشفقة عليهم من أسباب رحمة الله والفوز بها وسبق حديث أسامة بن زيد في قصة ولد ابنة النبي صلى الله عليه وسلم لما رفع إليه وهو يجود بنفسه فدمعت عليه عينا النبي ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ فقال له سعد ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء

وكان ـــــ> ـــــ يُقَبِّل الصبيان رحمة بهم، فقد ثبت من حديث عائشة ـــــ ب ـــــ أنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله –>– فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: لكنا والله ما نقبل. فقال رسول الله ـــــ > ـــــ :«أو أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة »(٢)

بل إن من فضل الله سبحانه أن من رحم غير الإنسان من الكائنات كان ذلك سببا في رحمة الله له

يقول عليه الصلاة والسلام:« والشاة إن رحمتها رحمك الله »(٣)

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب التوحيد،باب قول الله تبارك وتعالى:(قل ادعوا..)،حديث ٧٣٧٦، الفتح١٣/٣٥٨،ومسلم، كتاب الفضائل،باب من لا يرحم الناس، حديث٢٣١٩ ، مسلم بشرح النووي١٥/٤٧١

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل،باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان، حديث٢٣١٧، مسلم بشرح النووي١٥/٤٧٠

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند في مسند معاوية بن قرة،٥/٣٠٤، حديث رقم ١٥٥٩٢، والبخاري في الأدب المفرد، باب ارحم من في الأرض،حديث٢٨٧،وقال عنه الألباني رحمه الله إنه صحيح. انظر الأدب المفرد ص١٤٩

فإذا كنا قد أمرنا برحمة الحيوانات والكائنات من مخلوقات الله فكيف برحمة الإنسان وبني الإنسان! لا شك أنها أعظم وأوجب، فالحمد لله الذي جعلنا من أتباع نبي الرحمة والهدى عليه الصلاة والسلام.

١٢- لزوم الجماعة وعدم الاختلاف والفرقة

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ـــــ> ـــــ:«الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»(١) فأخبر النبي ـــــ > ـــــ أن في الجماعة رحمة، وأن لزومها سبب لنيل رحمة الله، وأن العذاب في الفرقة والاختلاف، والجماعة التي تنال الرحمة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: هم أتباع الأنبياء قولا وفعلا، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم فاته من الرحمة بقدر مخالفته، وكل من قرب من السنة كان أقل اختلافا ممن بعد عنها (٢)

ولقد أخبر تعالى أن أهل الرحمة معصومون من الاختلاف والفرقة حيث يقول الله عز وجل:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾(٣)

١٣- الصبر على أقدار الله

الله سبحانه وتعالى خلق عباده، وابتلاهم بأنواع من الابتلاءات، ليظهر من يصبر ويرضى ويسلم ممن يجزع ولا يصبر على أقدار الله،فمن صبر فقد ظفر ونال رحمة الله عز وجل يقول الله سبحانه:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٤/٦، برقم ١٨٤٧٧،وابن أبي عاصم في السنة٩٤/١ورقم٩٣، وحسن إسناده الألباني في الصحيحة برقم٦٦٧

(٢) انظر: مجموع الفتاوى٣٦/٤

(٣) سورة هود، الآيتان ١١٨ـــــ١١٩

أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [١]

١٤ـــــ أعمال صالحة دعا النبي صلى الله عليه وسلم لفاعلها بالرحمة

من أسباب الرحمة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة التي ثبت أن النبي ـــــ> ـــــ دعا لأصحابها بالرحمة وهي كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- من صلى قبل العصر أربعا

عن ابن عمر أن النبي ـــــ > ـــــ قال:« رحم الله[٢] امرأ صلى قبل العصر أربعا» [٣]

٢- حلق شعر الرأس في الحج أو العمرة

عن عبدالله بن عمر ـــــ ب ـــــ أن رسول الله ـــــ > ـــــ قال:«اللهم ارحم المحلقين ». قالوا والمقصرين يا رسول الله. قال: «اللهم ارحم المحلقين ». قالوا والمقصرين يا رسول الله. قال:«والمقصرين»[٤]

٣- السماحة في البيع والشراء والاقتضاء

عن جابر بن عبدالله ـــــ ب ـــــ أن رسول الله ـــــ > ـــــ قال:«رحم الله

---

(١) سورة البقرة، الآيات ١٥٥ـــــ١٥٧

(٢) من أهل العلم من قال يحتمل أن تكون هذه الصيغة دعاء وأن تكون خبرا، ومنهم من قال هو إنشاء بلفظ الخبر. انظر: تحفة الأحوذي٢/٤١٧،والتيسير بشرح الجامع الصغير، حرف الراء٢/٦٠

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/٤٥٨،حديث رقم ٥٩٨٧،وأبو داود،كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر،١/٢٣،حديث ١٢٧١، والترمذي،أبواب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل الصلاة ٢/٢٩٥، حديث٤٣٠.قال عنه الترمذي:هذا حديث غريب حسن. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ص٣١٢، حديث رقم٥٨٤.

(٤) أخرجه البخاري،كتاب الحج، باب الحلق والتقصير ،حديث ١٧٢٧، الفتح٣/٥٦١، ومسلم، كتاب الحج،باب تفضيل الحلق على التقصير،حديث١٣٠١، مسلم بشرح النووي ٩/٤٢٣

رجلا سمحا إذا با ع،وإذا اشترى،وإذا اقتضى » [١]

٤ـــــ القيام من الليل للصلاة و إيقاظ الزوجة ولو بالنضح بالماء

عن أبي هريرة قال:قال رسول الله ـــــ > ـــــ:«رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت؛ فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء »[٢]

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب البيوع،باب السهولة والسماحة في،حديث ٢٠٧٦،الفتح ٤/ ٣٠٦

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب قيام الليل، ٣٣/٢،حديث١٣٠٨،والنسائي،كتاب قيام الليل وتطوع النهار،باب الترغيب في قيام الليل،٢٠٥/٣،وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها،٤٢٤/١،حديث١٣٣٦،والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٣٤٩٤

الفصل الثالث

الآثار الإيمانية للإيمان بصفة الرحمة لله تعالى وفيه ثلاثة مباحث:

توطئة:

المبحث الأول : أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الربوبية.

المبحث الثاني : أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث : أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الألوهية.

الآثار الإيمانية للإيمان بصفة الرحمة لله تعالى

توطئة:

الإيمان بصفات الباري -جل وعلا-، ومعرفتها، وإثبات حقائقها،وتعلق القلب بها[١]،له آثار عظيمة، وفوائد نافعة في اعتقاد العبد، وفي أقواله وأفعاله، وفي جميع تصرفاته.

وكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه[٢]

بل إن العبد لا تستقر له قدم في المعرفة والإيمان حتى يؤمن بصفات الباري -جل وعلا- ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه.

يقول ابن القيم ــــ / ــــ:« لا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب -أ- ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه؛ فالإيمان بالصفات وتعرُّفُها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان...» [٣]

ولقد أشار النبي ->- إلى الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بأسماء الله وصفاته في أحاديث كثيرة ومن ذلك قوله ــــ > ــــ:«إن لله تسعة وتسعين اسما مئة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة »[٤]

فهذا الحديث دليل على أثر الإيمان بأسماء الله وصفاته على صاحبه،في عقيدته، وعمله، وحصوله على ثمرة ذلك في الآخرة وهو دخول الجنة.

---

(١) انظر: مدارج السالكين ٣/٣٦٦

(٢) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ٣/١٠٨

(٣) مدارج السالكين٣/٣٦٣

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم، حديث ٧٣٩٢،الفتح١٣/٣٧٧، ومسلم،كتاب الذكر والدعاء، باب أسماء الله وفضل من أحصاها،حديث٢٦٧٧،مسلم بشرح النووي١٧/١٧٧

ولما كان أصحاب النبي ـــــ > ـــــ أعرف الأمة بالله سبحانه بعد نبيها ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ ومن أعظمها إيمانا بأسماء الله وصفاته وبآثارها فقد ضربوا للأمة أعظم الأمثلة الحقيقية في الإيمان بصفات الله، وظهور آثار ذلك الإيمان في اعتقادهم وفي عباداتهم ومعاملاتهم، بل في حياتهم كلها.

لذا فإن من المناسب جدا أن يُذْكَر ها هنا بعض الآثار الواردة عنهم في هذا الباب لتكون لنا قدوة نحتذي بها في تحقيق الآثار الإيمانية لصفات الباري جل وعلا :

الأول: خبر الصحابي الذي يحب صفة الرحمن

عن عائشة ـــــ ك ـــــ أن النبي ->- بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـــ (قل هو الله أحد)؛فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي - >- فقال:«سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟»فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن؛ وأنا أحب أن أقرأ بها.فقال النبي ـــــ > ـــــ «أخبروه أن الله يحبه »[١]

فهذا الصحابي الجليل ـــــ رضي الله عنه ـــــ حينما أحب هذه السورة العظيمة التي تعدل ثلث القرآن، حبه لها كان أثرا من آثار إيمانه بما تشتمل عليه من صفات الرحمن -جل وعلا-ـــ فظهرت آثار ذلك الإيمان في محبته لله وفي عبوديته له سبحانه ففاز بالبشارة العظيمة، والأثر العظيم وهو محبة الله، ودخول جنته كما جاء في بعض روايات الحديث[٢].

الثاني: ما جاء عن عائشة رضي الله عنها في خبر المجادِلة

أنها قالت: تبارك الله الذي وسع سمعه كل شيء؛ إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ->-ـــ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كَبِرَتْ سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني.

---

(١) سبق تخريجه ص٢٣٣

(٢) جاء عند الإمام أحمد في المسند أنه عليه الصلاة والسلام قال لمن يحب سورة الإخلاص:«حبك إياها أدخلك الجنة». انظر:المسند٤/٢٨٣،حديث ١٢٤٣٥

اللهم إني أشكو إليك! فما بَرِحَتْ حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات:﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (١) (٢)

قال ابن خزيمة ـــــ / ـــــ:«فالصديقة بنت الصديق ـــــ ك ـــــ أخبرت أنه يخفى عليها بعض كلام المجادلة مع قربها منها؛ فسبَّحت خالقها الذي وسع سمعه الأصوات، وقالت: سبحان من وسع سمعه الأصوات »(٣)

فتسبيح أم المؤمنين عائشة ـــــ رضي الله عنها ـــــ لخالقها، وحمدها لربها هو أثر من آثار إيمانها بصفة سمع الله -جل وعلا- الذي سمع شكوى المجادلة من فوق سبع سماوات وهي مع قربها منها خفي عليها بعض كلامها.

بل لو تأملنا في سيرة النبي ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ وكيف كان يغرس في نفوس أصحابه الإيمان بصفات الله عز وجل وبآثارها، وبموجبات العلم بها، ومن ذلك ما قاله للصحابي الجليل أبي مسعود البدري ـــــ رضي الله عنه ـــــ وهو يُؤَدِّب غلاما له

قال أبو مسعود ـــــ رضي الله عنه ـــــ كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي:« اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله -<-، فإذا هو يقول:«اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ». فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا.

وفي رواية: فسقط السوط من يدي من هيبته.

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله هو حُرٌّ لوجه الله تعالى، فقال:« أما لو لم تفعل،

---

(١) سورة المجادلة، الآية ١

(٢) رواه البخاري معلقا في كتاب التوحيد، باب(وكان الله سميعا بصيرا) البخاري مع الفتح٣٧٢/١٣، وابن ماجه، كتاب الطلاق، باب الظهار ٦٦٦/١،وحديث رقم ٢٠٦٣، وقال ابن حجر في الفتح عنه: وهذا أصح ما ورد في قصة المجادلة وتسميتها ١٣/ ٣٧٤

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة١٠٧/١

للفحتك النار، أو لمستك النار»[(١)]

فلو تأملت أخي الكريم كيف أثر تذكير النبي ـــــ > ـــــ في الصحابي ـــــ رضي الله عنه ـــــ حينما ذكره بأثر صفة من صفات الله عز وجل وهي صفة القدرة، وما نتج عن ذلك من وعده أن لا يضرب مملوكا أبدا، ومن عتقه لذلك الغلام الذي لم يضربه إلا لخطأ قد فعله.

وما ذاك إلا لما ذكره النبي صلى الله عليه بقدرة الله -تعالى- وتمامها، وكمالها، وأنه سبحانه أقدر عليه من قدرته على غلامه! فحينئذ انتفع الصحابي منفعة عظيمة وأعظمها استجابته لله ولرسوله ـــــ > ـــــ .

فعلينا أن نأخذ من هذا التعليم النبوي، وهذه التربية الإيمانية ما يجب علينا تجاه أسماء الله وصفاته فهما وتدبرا ثم بعد ذلك القيام بحقوقها وموجبات العلم بها[(٢)].

فلو استشعرنا مثلا أثر الإيمان بهذه الصفة الواردة في الحديث وهي قدرة الله عز وجل علينا خصوصا في معاملتنا لمن تحت أيدينا من أزواج، وأولاد، وطلاب، وعمال، وخدم، أو غيرهم ممن جعلهم الله تحت ولايتنا، ثم تعبدنا الله عز وجل برحمتهم، والقيام بما يجب لهم لنفعنا الله عز وجل بذلك منفعة لا يعلم عظمها إلا هو سبحانه وتعالى

وهكذا الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته له من الآثار العظيمة والثمار اليانعة مما لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بصفة الرحمة وهو ما سأبذل فيه جهدي لبيانه وتوضيحه في المباحث القادمة مع اعترافه بعجزه وقلة بضاعته في هذا الباب ولكن الله سبحانه هو الهادي إلى الحق والصواب .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك، حديث ١٦٥٩،مسلم بشرح النووي١٥/٢٨٩

(٢) انظر: الجامع للخطب،من خطب الشيخ عبدالرزاق البدر، قرص سي دي،خطبة بعنوان معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

المبحث الأول

أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الربوبية.

المبحث الأول

أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الربوبية

من أهل العلم من عرف توحيد الربوبية بأنه: هو إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه[(١)].

ولتوحيد الربوبية تعريفات أخرى غير ما ذُكِرَ، ولكن بتتبع العلماء لها وجدوا أنها متقاربة جدا، وأن عبارات العلماء فيها تدور حول إفراده -سبحانه وتعالى- بأفعاله ولكن تختلف التعريفات من ناحية ضرب الأمثلة عليه في تلك التعريفات فمنهم المقل ومنهم المكثر[(٢)]

ومن الحقائق أن الاعتراف والإقرار بهذا النوع من التوحيد أمر فطري وضروري في نفوس جميع الناس[(٣)]

فجميع الناس قد أقروا به،وفطرهم شاهدة بأن الله -سبحانه وتعالى-هو الخالق وحده وما سواه مخلوق، وأنه المالك وحده لكل شيء، وإليه وحده يرجع الأمر كله من التصريف والتدبير يفعل سبحانه ما يشاء ويختار.

فإذا استقر ذلك وثبت فإنه لا ينظر بعد ذلك لأقوال من أنكره من أهل الإلحاد من الغابرين ومن ورثهم من المعاصرين.

---

(١) انظر: مدارج السالكين١/٣٥٥،٣٥٨

(٢) اللطائف الندية في بيان توحيد الربوبية،مجلة الدراسات العقدية،عدد٢ــ رجب ــ ١٤٣٠هــ بحث للشيخ الدكتور أحمد الغنيمان ص٥٥

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية١٦/١٨٩

لأن هؤلاء لو رجعوا إلى عقولهم وفطرهم لدلتهم وقادهم إلى الاعتراف بالله عز وجل كما قال تعالى عن فرعون وقومه :﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (١)

يقول ابن القيم رحمه الله:((وكثير من الناس حظهم من الإيمان الإقرار بوجود الصانع، وأنه وحده هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهذا لم يكن ينكره عباد الأصنام من قريش ونحوهم))(٢)

والقول بأن الناس قد جُبِلوا على الإقرار بتوحيد الربوبية لا يعني ذلك أنه يكفي وحده في النجاة، وإن كان هو من التوحيد الواجب يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:((وهذا التوحيد هو من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به كل الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله. بل لا بد أن يخلص لله الدين والعبادة، فلا يعبد إلا إياه، ولا يعبده إلا بما شرع فيكون دينه كله لله))(٣)

وبمثل ما قال شيخ الإسلام قال تلميذه ابن القيم حيث قال :((فأما توحيد الربوبية الذي أقر به كل المخلوقات؛ فلا يكفي وحده، وإن كان لا بد منه، وهو حجة على من أنكر توحيد الألوهية))(٤)

وقال في موضع آخر :((لكن توحيد الربوبية وحده لا يكفي في النجاة))(٥)

ومما جاء في القرآن من شأن هذا التوحيد، وهو منهج رسل الله ـــــ عليهم السلام ـــــ وأتباعهم من أهل الإسلام: أن توحيد الربوبية من أعظم الأدلة على توحيد الإلوهية، وأنه الباب الذي يُدخل منه لتوحيد العبادة، ولذلك (فإن أول ما يتعلق

(١) سورة النمل، آية ١٤

(٢) الفوائد١٢٠

(٣) اقتضاء الصراط ٤٦٠

(٤) طريق الهجرتين٦٩

(٥) المصدر نفسه٣٨

القلب به هو توحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية)[١]

يقول ابن القيم –رحمه الله– :« فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية، ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره لصحة دلالته وظهورها، وقبول العقول والفطر لها، ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية »[٢]

ولذا فقد جاء كثيرا في القرآن إلزام المشركين بما يقرون به من الربوبية فكثيرا ما ورد في كتاب الله تقرير كونه –سبحانه– معبودا وحده بكونه خالقا رازقا وحده. يقول الله تعالى:﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[٣] ويقول –جل وعلا–:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٤]

ومما يُؤسف له، ويؤلم المسلم حقا حينما يجد أن طوائف من الناس قد جهلوا هذه الحقائق فأفنوا أعمارهم ، وقضوا أيام حياقم وهو يظنون أن توحيد الربوبية هو غاية التوحيد! مما نشأ عن هذا المعتقد وقوعهم ووقوع أتباعهم في الشرك الأكبر بسبب خلطهم بين أنواع التوحيد، ولإهمالهم توحيد العبادة، وهو التوحيد الذي طلبه الله من العباد وأمرهم به في جميع كتبه، وعلى جميع ألسنة رسله ـــــ عليهم السلام ـــــ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :« ... والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية، وذلك متضمن لتوحيد الربوبية. كما قال كل منهم لقومه:﴿

(١) انظر: مدارج السالكين١/٤٤٣

(٢) طريق الهجرتين٥٦

(٣) سورة يونس، آية ٣١

(٤) سورة البقرة، الآيتان٢١ــــ٢٢

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[١] وقال:﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ ﴾[٢] ... وإلا فمجرد توحيد الربوبية قد كان المشركون يقرون به، وذلك وحده لا ينفع. وهؤلاء الذين يريدون تقرير الربوبية من أهل الكلام والفلسفة، يظنون أن هذا هو غاية التوحيد، كما يظن ذلك من يظنه من الصوفية، الذين يظنون أن الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية.

وهذا من أعظم ما وقع فيه هؤلاء وهؤلاء من الجهل بالتوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب؛فإن هذا التوحيد الذي هو عندهم الغاية قد كان مشركو العرب يقرون به كما أخبر الله عنهم، ولكن كثير من الطوائف قَصَّر فيه مع إثباته لأصله ... »[٣]

هذا ولقد كان للإيمان بصفة الرحمة لله تعالى الأثر البين في تقرير توحيد الربوبية حيث أنه دل على ذلك من وجهين:**مجمل ومفصل**

أما الوجه الأول :المجمل فإنه سيظهر بإذن الله في تقرير ما يلي:

أولا:بيان أن صفة الرحمة من جملة صفات الله الدالة عليه سبحانه

من رحمة الله الواسعة بعباده أن نوَّع لهم الأدلة الدالة عليه، والتي تعرف عباده به غاية التنوع، وصرَّف الآيات، وضرب الأمثال، ليقيم عليهم حجته البالغة، ويتم عليهم بذلك نعمته السابغة[٤].

يقول ابن القيم في هذا:«فسبحان من تعرف إلى خلقه بجميع أنواع التعرفات، ودلهم عليه بأنواع الدلالات، وفتح لهم إليه جميع الطرقات»[٥]

---

(١) سورة الأعراف، آية ٥٩

(٢) سورة الزخرف، آية٤٥

(٣) درء تعارض العقل والنقل٤/٣٩١ـــــ٣٩٢

(٤) انظر: طريق الهجرتين١٤٩

(٥) مدارج السالكين١/٢٠٨

ومما فتحه لعباده أنه تعرف إليهم بأسمائه وصفاته؛ فمن عرف أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وتبصر في معانيها الصحيحة عرف ربه تبارك وتعالى.

ومن فتح الله على عباده أيضا: أنه تجلى لهم في كتابه بصفاته، ودعاهم فيه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لمعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته، وبين لهم ما يترتب على هذه المعرفة من الآثار الحميدة، والثمار اليانعة المفيدة(١).

يقول جل وعلا:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ويقول عز وجل:﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (٣)

ويقول ابن القيم ـــــ / ـــــ في تقريره أن صفات الباري جل وعلا مما تعرف الله بها إلى عباده، وبيان ما يترتب على ذلك من الآثار العظيمة:«وجماع ذلك:أنه –سبحانه– يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة، وبصفات ربوبيته تارة، فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخاصة،والشوق إلى لقائه...

ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه، والافتقار إليه، والاستعانة به، والذل والخضوع والانكسار له.

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته، وإلهيته في ربوبيته، وحمده في ملكه...

وأنت إذا تدبرت القرآن، وأجرته من التحريف، وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين، وأفكار المتكلفين، أشهدك ملكا قيوما فوق سماواته على عرشه يدبر أمر عباده...»(٤)

ومن الطرق التي سلكها رسل الله جميعهم من أولهم إلى خاتمهم ـــــ صلوات الله وسلامه عليهم ـــــ في تعريف العباد بربهم: أنهم عرفوهم به بأسمائه وصفاته تعريفا

---

(١) جامع خطب الشيخ عبدالرزاق البدر، خطبة بعنوان معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

(٢) سورة الأعراف، الآية١٨٠

(٣) سورة الإسراء، آية ١١٠

(٤) الفوائد٨١ ـــــ ٨٢

مفصلا، حتى كأن العباد يشاهدونه، وينظرون إليه ربا محسنا منعما رحمانا رحيما بعباده، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[١].

فإذا تقرر هذا فإن صفة الرحمة من جملة صفات ربوبية الله الدالة عليه، والمعرفة به -سبحانه- وبما يجب له على عباده والتي تعرف الله بها إليهم في كتبه وعلى ألسنة رسله ـــــ عليهم السلام ـــــ كما سيظهر لاحقا بإذن الله .

ثانيا: صفة الرحمة من صفات الله التي ترسخ الإيمان بوجود الله وتقرر ربوبيته

الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى كما أنه يرسخ الإيمان بألوهية الله -عز وجل- واستحقاقه للعبادة وحده، فهو كذلك يرسخ الإيمان بوجود الله -عز وجل- ويقرر حقه في الربوبية، وما له سبحانه من صفات الكمال ونعوت الجلال[٢]، وذلك أن العباد لم يروا ربهم في هذه الدار، وإنما وصل إليهم العلم بآثار صفاته، وآثار صنعه؛ فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم[٣] فــــــ(انظم شاهد العقل والفطرة إلى شاهد الوحي والشرع ؛ فانتقلوا حينئذ من الخبر إلى العيان)[٤]

يقول ابن القيم -رحمه الله-:« فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات، ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات»[٥]

ويقول الشيخ السعدي -رحمه الله- في بيان ما يتضمنه الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات : «ومعرفتها ــــــ أي أسماء الله ــــــ تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان، ورَوْحه وأصله وغايته؛فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين ٣/٣٦٤

(٢) انظر: تحقيق العبودية لفوز عبداللطيف ص١٦٤

(٣) انظر: طريق الهجرتين٣٧٨

(٤) انظر: مدارج السالكين٣/٣٨٢

(٥) الفوائد ٢٠٣

فينبغي للمؤمن: أن يبذل مقدوره، ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات »[١]

الوجه الثاني: المفصل

فإذا ثبت ما سبق وهو أن صفة الرحمة من جملة صفات الله الدالة عليه سبحانه والتي ترسخ الإيمان بوجود الله، وتقرر ربوبيته سبحانه؛ فإنه يحسن بي الآن ذكر **الوجه الثاني** وهو التفصيل في بيان أثر الإيمان بصفة الرحمة في تقرير توحيد الربوبية، والذي سيكون الحديث عنه حسب النقاط التالية :

أولا: أثر الإيمان باسمي الجلالة الرحمن الرحيم في تقرير توحيد الربوبية

الإيمان باسمي الجلالة (الرحمن الرحيم) له أثر بين وواضح في تقرير توحيد الربوبية، وظهور هذا فيهما قد يكون أوضح من ظهوره في غيرهما من الأسماء، وذلك لسعة صفة الرحمة التي اشتقا منها حيث أنها وسعت كل شيء،وعمت جميع الخلق ، ولعظم ظهور آثارها في الخلق والوجود، وسيظهر ذلك جليا من خلال الجوانب التالية:

١: استدلاله سبحانه وتعالى باسمي الرحمن الرحيم لإثبات توحيده.

أسماء الرب –سبحانه وتعالى–ليست أسماء مجردة لا معاني لها ؛بل هي أسماء مدح وكمال وثناء، ولهذا كانت حسنى كما وصفها الله في كتابه حيث قال:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢] [٣]

ومن كمالها، وأنها أسماء حسنى، دالة على معاني عظيمة:أن الله سبحانه قد استدل بها في كتابه في إثبات التوحيد ونفي ما يضاده، أو يضاد كماله.

ومن ذلك: استدلاله –جل وعلا– باسميه (الرحمن الرحيم) في تقرير التوحيد،

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان،ضمن المجموعة الكاملة للسعدي ١٠٨/٣

(٢) سورة الأعراف،آية ١٨٠

(٣) جلاء الأفهام ص ١٢٣

كقول هارون ـــــ عليه السلام ـــــ لعَبَدة العجل:﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾(١)

وقوله تعالى:﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢)

فهذه الآيات وإن كانت في ظاهرها في تقرير توحيد الألوهية فهي أيضا تدل على توحيد الربوبية وتقرره،وما ذاك إلا لما بين النوعين ـــــ توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ـــــ من العلاقة التي لا ينفكان عنها؛ فإذا ثبت توحيد الألوهية فإنه بذلك يتضمن إثبات توحيد الربوبية (٣) لاستحالة حصول العبادة ممن لا يعتقد تفرده – سبحانه– بالربوبية من الخلق والملك والتدبير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:« والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الألوهية وذلك متضمن لتوحيد الربوبية » (٤)

ومن هنا كان القول بأن معرفة أسماء الله وصفاته أصل الدين،و أساس الهداية، فهو يتضمن توحيد الربوبية ويستلزم توحيد العبادة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «إن معرفة هذا ـــــ أي توحيد الأسماء والصفات ـــــ أصل الدين وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول »(٥)

ومن خلال ما سبق يظهر جليا أن من آثار الإيمان بالاسمين الكريمين تقرير نوعي التوحيد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية والله أعلم.

٢– أن من أدلة القرآن الاستدلال باسمي الله (الرحمن الرحيم) على أفعال الله وصنعه.

---

(١) سورة طه، آية ٩٠

(٢) سورة البقرة، آية ١٦٣

(٣) انظر:المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار ١/٣٧٠

(٤) درء تعارض العقل والنقل٤/٣٩١

(٥) مجموع الفتاوى٥/٨

إن أصح الأدلة الدالة على الله ـــ عز وجل ــ والمقررة لربوبيته، وحقه على عباده، هي تلك الأدلة (التي نزل بها الكتاب، وبها نطق، ولها أثبت وحقق، وبها تعرَّف الله إلى عباده حتى أقرَّت به العقول، وشهدت به الفِطَر) (١)

ومن تلك الأدلة الاستدلال بالله وبأسمائه على أفعاله وصنعه، ويدخل في ذلك الاستدلال باسميه الكريمين الرحمن الرحيم على ربوبيته سبحانه؛ لأنه جل وعلا (هو الشاهد والمشهود له، وهو الدليل والمدلول عليه، فهو الدليل بنفسه على نفسه.كما قال بعض العارفين:كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهر منه.

ولهذا قال الرسل لقومهم:﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾(٢) فهو أعرف من كل معروف، وأبين من كل دليل؛ فالأشياء عُرفت به في الحقيقة، وإن كان عرف بها في النظر والاستدلال بأفعاله وأحكامه عليه)(٣)

يقول ابن القيم –رحمه الله-:« فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان، كل منهما حق؛ والقرآن مشتمل عليهما.

فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي: أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم:﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٤) وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ـــ قدس الله روحه ـــ يقول:«كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ » وكثيرا ما يتمثل

(١) انظر: الفوائد١٨٦

(٢) سورة إبراهيم،آية ١٠

(٣) انظر: الفوائد٢٩

(٤) سورة إبراهيم، آية ١٠

بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل[١]

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها »[٢]

ومن الاستدلال باسمه الرحمن على أفعال الله وصنعه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾[٣]

يقول ابن جرير -يرحمه الله- في قوله:﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ أي الذي يعم جميع الخلق نعمة[٤]

ويقول ابن كثير -رحمه الله- في الآية:« الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد» [٥]

ومنه كذلك قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾[٦]

وقوله تعالى:﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[٧]

ففي الآيات السابقة استدلال باسميه سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم على بعض

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي وهو في ديوانه ١٤٢/٢

(٢) مدارج السالكين ٧١/١

(٣) سورة طه، آية ٩٠

(٤) تفسير الطبري ٤٤٩/٨

(٥) تفسير ابن كثير ١٨٧٨/٣

(٦) سورة الفرقان، الآيتان ٥٩ـــــ ٦٠

(٧) سورة فصلت، الآيتان ١ـــــ٢

أفعاله وصنعه كخلقه سبحانه للسماوات والأرض، وخلق عباده وإسباغه نعمه الظاهرة والباطنة عليهم، واستوائه على عرشه باسمه الرحمن، وإنزاله على عباده القرآن، وما يتبع ذلك من إثبات تصرفه في ملكه، وتدبيره لأمور عباده، وتقديره لكل شيء للاستدلال بجميع ذلك على أعظم حق في الوجود وهو حق الله على العبيد بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

وفي الآيات السابقة تقرير للربوبية المستلزمة للألوهية من وجهين :

الأول: أن فيها استدلالا باسمي الجلالة الرحمن الرحيم في تقرير توحيد الألوهية وسبق أن ذكر أنه إذا قُررت الألوهية فإن في ذلك تقريرا للربوبية ضمنا وقد سبق بيان ذلك.

الثاني: دلالة الاسمين الرحمن الرحيم على جملة من أفعال الله عز وجل كخلق الناس لعبادته، ورحمتهم بإسباغ النعم الظاهرة والباطنة عليهم، وخلق السماوات والأرض، وإنزال القرآن وما يتبع ذلك من الدلالة على تصرفه في ملكه وتدبيره، وتقديره لأمور العباد وغير ذلك مما يدخل تحت توحيد الربوبية ففي إثباتها إثبات لربوبية الله على خلقه.

ومما يؤكد هذا أن الله في القرآن كثيرا ما ينسب خصائص اسم الله الأعظم (الله) إلى اسمه الرحمن ومن ذلك الربوبية كما في الآيتين السابقتين وكقوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾(1) وقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾(2) ففي الآيات نسب بعض خصائص الربوبية لاسمه الرحمن كما نسبها إلى اسمه الأعظم(الله) كقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى

(١) سورة الرحمن، الآيات ١ ــــــ٤

(٢) سورة الملك،الآية ٣

﴿ ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [١] وهذا كثير في القرآن والمقصود أن من آثار الإيمان باسمه تعالى الرحمن تقرير ربوبية الله لخلقه.

ولقد استدل ابن القيم بقوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[٢] في إثبات شيء من خصائص الربوبية استدلالا بهذين الاسمين حيث قال: «الرحمن الرحيم: وهو الذي يرحم بقدرة ومشيئة مَنْ لم يكن له راحما قبل ذلك»[٣]

ويقول أيضا -رحمه الله-:« إن ربوبية الله -سبحانه- إنما تتحقق بكونه فعالا مدبرا، متصرفا في خلقه يعلم ويقدر ويدبر؛ فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته» [٤]

٣- ما يتضمنه دعاء الله سبحانه باسميه الرحمن الرحيم من شواهد تقرير الربوبية

عند تأمل حال الداعي بالاسمين الكريمين وحصول المطلوب بهما يظهر للمتأمل دلالة **الاسمين عند سؤال الله بهما على تقرير الربوبية من عدة جوانب:**

الأول: أن المسلم حين دعائه لربه بهذين الاسمين، وثنائه عليه بهما؛ فمما لا شك فيه أنه يعتقد أنه يدعو ربا خالقا رازقا مدبرا منعما رحمانا رحيما، يعلم حاله ويرى مكانه؛ إذ لا يصح مطلقا أن أحدا يدعو ربا لا يعتقد وجوده، ولا يعتقد ربوبيته.

إذاً فالعبد إذا دعا ربه -سبحانه- فإن هذا الدعاء يتضمن اعتقاد وجوده، والإقرار بربوبيته وهذا من أوضح الأدلة في تقرير الربوبية من خلال الإيمان بهذين الاسمين الرحمن الرحيم[٥].

يقول ابن القيم -/- وهو يتحدث عما يشهد المصلي عند ذكر الرحمن في الصلاة:« ثم يشهد عند ذكر اسم الرحمن ـــ جل جلاله ـــ ربا محسنا إلى

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٤
(٢) سورة الفاتحة،الآية ٣
(٣) مختصر الصواعق ٢/٤٩٧
(٤) المصدر نفسه٢/٤٧٤
(٥) انظر: المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار ١/٣٥٧ـــ ٣٥٨

خلقه بأنواع الإحسان متحببا إليهم بصنوف النعم، وسع كل شيء رحمة وعلما، وأوسع كل المخلوقات نعمة وفضلا...

فالرحمة هي السبب المتصل منه بعباده، كما أن العبودية هي السبب المتصل منهم به، فمنهم إليه العبودية، ومنه إليهم الرحمة.

ومن أخص مشاهد هذا الاسم شهود المصلي نصيبه من الرحمة الذي أقامه بها بين يدي ربه، وأهله لعبوديته ومناجاته، وأعطاه ومنع غيره، وأقبل بقلبه وأعرض بقلب غيره، وذلك من رحمته به »(١)

الثاني: أيضا أن من يدعو الله بالرحمن الرحيم فإنه يعتقد أنه يدعو ربه الذي خلقه، والذي بيده ملكوت كل شيء،وأنه سبحانه قادر على كل شيء،وأنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون،وأنه يجلب له النفع ويدفع عنه الضر؛ فاعتقاده بتفرد ربه بهذه الخصائص التي لا يجوز أن يوصف بها غيره،وأنه سبحانه لا يماثله شيء من المخلوقات في خصائص ربوبيته وصفات كماله(٢) هذا من أكمل الأمور في تقرير الربوبية والإيمان بها .

الثالث: إن الداعي بالاسمين الكريمين الرحمن الرحيم؛ فإنه كلما دعا ربه سبحانه بهما وحصلت منه –جل وعلا– الإجابة ازداد إيمانا بربه فأقر بربوبيته، وبكمال قدرته، وتصرفه في ملكه، وأنه لا يعجزه شيء أعطاه، وأنه جل وعلا يرحم عباده بإجابته لدعائهم.

يقول ابن القيم –رحمه الله–:« وحصول الإجابة عقب سؤال الطالب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب بالجزئيات، وعلى سمعه لسؤال عبيده، وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم »(٣)

٤ــــ مما يقرر الربوبية أن الله اشتق من اسمه الرحمن فعلا من أفعاله

---

(١) كتاب الصلاة ١٢٢ـــــ١٢٣

(٢) منهاج السنة١/٤٦١

(٣) مدارج السالكين٣/٣٧١

دليل ذلك ما جاء من حديث عبدالرحمن بن عوف ـــــ ط ـــــ أن النبي ـــــ > ـــــ قال:«قال الله عز وجل: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي، فمن يصلها أصله، ومن يقطعها أقطعه فأبتُّه ... »[(١)]

فهذا الحديث يدل على أن أفعاله سبحانه وتعالى صادرة عن أسمائه وصفات كماله ،وأنها مشتقة منها،فإذا آمنا بهذا الاسم والصفة التي يدل عليها وهو مشتق منها؛ فهذا يلزم منه إثبات الأفعال الصادرة عنها وفي ذلك إثبات الربوبية التي هي إفراد الله بأفعاله الصادرة عن أسمائه وصفات كماله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -/-:« والله -سبحانه وتعالى-فعله وصنعه عن كماله وجلاله، فأفعاله عن أسمائه وصفاته ومشتقة منها، كما قال:سبحانه وتعالى:«أنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي » والعبد أسماؤه وصفاته عن أفعاله،فيحدث له اسم العالم والكامل بعد حدوث العلم والكمال فيه »[(٢)]

٥ـــــ منها: دلالة معناهما على تعلقهما بمخلوقات الله

عند تأمل معنى الاسمين الرحمن الرحيم، وتفريق العلماء بينهما في بيان تعلقهما في مخلوقات الله يظهر للمتأمل شاهد من شواهد دلالتهما على ربوبية الله؛فاسمه الرحمن يدل على العموم فعموم معناه جعله يتعلق بكل مخلوق[(٣)] واسمه الرحيم يدل على رحمته بالمرحوم، وأن الله عز وجل يرحم خلقه برحمته، فالفعل دال على الفاعل ولا بد. فالمخلوق يدل على وجود خالقه وراحمه؛ فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا يقول ابن القيم -رحمه الله-:«فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل؛ ولهذا دعاـــ سبحانه ـــــ في كتابه عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته،فهو يثبت العلم بربوبيته ووحدانيته،وصفات كماله بآثار صفته المشهودة،والقرآن مملوء بذلك» [(٤)]

---

(١) سبق تخريجه ص١٠٧

(٢) الفتاوى ٨/٢٣٠ـــــ٢٣١

(٣) انظر: الأسنى ٤٠٦، وتفسير أسماء الله الحسنى ٢٨ـــــ٢٩

(٤) انظر: مدارج السالكين٣/ ٣٧١

ثانيا: أثر الإيمان برحمة الله العامة والخاصة في تقرير توحيد الربوبية

حينما يتأمل المؤمن صفة رحمة الله بنوعيها العامة والخاصة، وآثارها في الوجود يجد دلائل كثيرة، وشواهد متنوعة جميعها يقرر ربوبية الله –سبحانه وتعالى– لخلقه فمن هذه الدلائل ما يلي:

١– دلالة صفة الرحمة على الربوبية من ناحية تعلقها بمشيئة الله

ذكر فيما مضى أن رحمة الله تكون ذاتية وتكون فعلية، و الفعلية هي المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقد دلت الآيات أن الله يدخل في رحمته من يشاء، ويختص برحمته من يشاء

يقول الله تعالى:﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ (١) ويقول جل وعلا : ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٢) ويقول سبحانه:﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ (٣)

فالآيات تدل على تعلق رحمة الله بمشيئته سبحانه، ونفوذ أمر الله فيما يشاء الله رحمته أو منعها عنه،وأن الأمر كله بيده، وأن مرجع جميع الأمور إليه وحده – سبحانه– وأنه تعالى يختص برحمته من يشاء وهذا الاختصاص جار على وفق حكمة الله سبحانه التي لا يتخلف عنها فعل من أفعاله، وكل هذه الأمور داخلة في ربوبية الله ـــــ سبحانه

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــــ / ـــــــ:« وأما توحيد الربوبية فيدخل فيه ما قدره الله وقضاه...»(٤)

---

(١) سورة الإنسان، آية ٣١

(٢) سورة البقرة، آية ١٠٥

(٣) سورة العنكبوت، آية ٢١

(٤) الفتاوى٢٢/٢٦١

يقول ابن القيم ــــ / ــــ:

« وأما ما فيه من التوحيد وانتهاء الأمور إلى مشيئة الرب ــــ جل جلاله ــــ وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فذلك عقد نظام الإيمان، ومع ذلك فلا يكفي وحده؛إذ غايته تحقيق توحيد الربوبية الذي لا ينكره عباد الأصنام » (١)

٢- دلالة صفة الرحمة على تقرير الربوبية من ناحية أنها من لوازم ربوبية الله

من لوازم ربوبية الله عز وجل رحمته بعباده، فالرب لا يكون إلا رحيما، فإذا تأمل من شرح الله صدره للإيمان بصفة الرحمة،وما يتضمنه الإيمان بها من إثبات مقتضياتها وآثارها ساقه ذلك للاعتراف بربوبية الموصوف بها -جل وعلا-

يقول ابن القيم -رحمه الله- عن سورة الفاتحة :« فأول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة، وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية،وحظه منها على قدر حظه من الرحمة، فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته، والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته، فلا يكون إلا رحيما منعما، وذلك من موجبات إلهيته، فهو الإله الحق، وإن جحده الجاحدون وعدل به المشركون ... »(٢)

٣- مما يقرر ربوبية الله تعالى ظهور آثار صفة الرحمة في الخلق والكائنات

إن من آمن بصفة الرحمة وما دلت عليه من مقتضياتها ومتعلقاتها وآثارها، في الكون والحياة، وفي الوجود كله؛ فلا بد أن يذعن ويقر بربوبية الله عز وجل خالق تلك الآثار، والذي نصبها شواهد وبراهين دالة على ربوبيته ووحدانيته (٣)

يقول ابن القيم ــــ / ــــ :« وهل ظهور آثار أسمائه وصفاته في العالم إلا من لوازم ربوبيته وملكه؟

فهل يكون رازقا وغفارا وحليما،ولم يوجد من يرزقه، ولا من يغفر له ويحلم عنه ويرحمه؟ » (٤)

---

(١) مدارج السالكين ٤١٥/٣

(٢) الفوائد ٢٨

(٣) انظر: طريق الهجرتين٧

(٤) طريق الهجرتين١٢٣

فكم في ظهور آثار صفة الرحمة في الوجود من أنواع الدلالات الشاهدة بربوبية الله تعالى وصدق من قال:

وللّه في كل تحريكة ... وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد[(١)]

فكم في هذه الآثار الناشئة عن صفة الرحمة من آية بينة دالة على الله[(٢)]

(فكلها تشير إلى الخالق -جل وعلا- وتدل عليه، وتخبر به بلسان النطق والحال كما قيل:

تأمل في سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خَطَّ فيها ـــ لو تأملتها ـــ ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بإثبات الصفات لربها ... فصامتها يَهْدِي ومن هو قائل

فلست ترى شيئا أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت كماله، وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها؛فهي تدل عقلا وحسا، وفطرة ونظر ا واعتبارا) [(٣)]

٤ــــ مما يقرر الربوبية من خلال الإيمان بصفة الرحمة اختلاف وتنوع آثارها في الوجود

فمن آمن بصفة الرحمة، وشاهد تنوع واختلاف آثارها في الوجود فإنه سيستدل بجميع ذلك على ربوبية الخالق -جل وعلا- لأن تنوع آثار صفة الرحمة واختلافها من لوازم حكمة الله، وربوبيته وملكه كما يقول ابن القيم -رحمه الله-:

« ولهذا يستدل الله -سبحانه- في كتابه بالحوادث تارة، وباختلافها تارة؛إذ هذا وهذا يستلزم ربوبيته، وقدرته،واختياره، ووقوع كل الكائنات على وفق مشيئته؛فتنوع أفعاله، ومفعولاته من أعظم الأدلة على ربوبيته، وحكمته، وعلمه...

(١) البيتان لأبي العتاهية وهما في ديوانه،انظر: قافية الدال ص٦٢
(٢) مدارج السالكين١/٤٣٩
(٣) المصدر نفسه٣/٣٧٢

والمقصود أن تنوع المخلوقات واختلافها من لوازم الحكمة والربوبية والملك »[(١)]

٥ــــ مما يقرر الربوبية من خلال الإيمان بصفة الرحمة كون آثارها من النعم المعرِّفة بالله ــــ سبحانه وتعالى.

فقد أنعم على خلقه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، والله سبحانه كثيرا ما يدعو عباده إلى نفسه من خلال هذه النعم، ويجعلها من السبل المعرفة به -جل وعلا- والدالة عليه.

يقول ابن تيمية -رحمه الله- « ... والنعم كلها من آياته الدالة على نفسه المقدسة، ووحدانيته، ونعوته، ومعاني أسمائه، فهي آلاء وآيات، وكل ما كان من آلائه فهو من آياته، وهذا ظاهر وكذلك كل ما كان من آياته فهو من آلائه؛ فإنه يتضمن التعريف والهداية، والدلالة على الرب -تعالى-، وقدرته، وحكمته، ورحمته، ودينه، والهدى أفضل النعم »[(٢)]

ويقول ابن القيم ــــ / ــــ:« فإن معرفة النعم سبيل إلى معرفة المنعم»[(٣)]

وهذه النعم التي هي طرق وسبل دالة على الله وربوبيته جميعها من آثار صفة الرحمة، التي وسعت كل شيء وكثيرا ما تمدح الله بها في كتابه؛ فما في العباد من نعم على اختلاف أنواعها، وتعدد صورها وأشكالها، فإنما هي أثر من آثار صفة الرحمن سبحانه.

ولهذا كثيرا ما يسمي الله الرزق، والمعاش، وغيرهما مما أعده لعباده رحمة.

يقول الله عز وجل:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [(٤)]

(١) طريق الهجرتين ١٤٧ــــ ١٤٨

(٢) الفتاوى٨/٢١

(٣) مدارج السالكين٢/٢٥٧

(٤) سورة الزخرف، آية ٣٢

ومن ذلك أيضا تسمية المطر رحمة يقول -جل وعلا- :﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (١)

يقول القرطبي -رحمه الله-:«وأما إطلاق الرحمة على الأفعال التي يرحم الله بها عباده فأكثر من أن تحصى » (٢)

فإذا كان الأمر كذلك فإن من شكر الله تعالى على تلك النعم الصادرة عن صفة رحمته الاعتراف به -جل وعلا- والإقرار بربوبيته لخلقه الذي رباهم بنعمه الظاهرة والباطنة، والقيام بواجبها من عبادته ومحبته وشكره سبحانه.

ثالثا: أثر الإيمان برحمة الله في تقرير خصائص الربوبية

إذا كان توحيد الربوبية هو إفراد الله -سبحانه- بالخلق والرِّزْق والملك ،والتدبير لملكوت السماوات والأرض، وسائر أنواع التصرف؛ فإن الإيمان بصفة الرحمة وآثارها يدل على أمثال هذه الأفعال والخصائص التي اختص الله بها عن غيره من المخلوقات، والأمثلة في هذا يطول ذكرها ولكن سيُقتصر على ذكر بعضها فمنها:

١- أنه سبحانه الخالق لكل شيء

ومن أظهر الشواهد على ذلك رحمة الله المخلوقة والتي هي أثر من آثار صفة رحمته سبحانه وتعالى كالجنة التي قال الله تبارك وتعالى لها: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، والرحمة التي وضعها الله في قلوب عباده فبها يتعاطفون وبها تراحمون، وما جاء أن الرحم شجنة من الرحمن، وخلق المطر الذي اختص الله بتروله وسماه رحمة كل هذه الأمثلة من الرحمة المخلوقة، والمخلوق لا بد له من خالق.

فمن تأمل أمثال هذه الآثار من العباد (استنارتْ له آيات الربوبية، وسطعت له

(١) سورة الروم، آية ٥٠

(٢) الاسنى للقرطبي ٤١٠

أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل؛فإنه إذا نظر فيها وجد آثار التدبير فيها قائمة، وأدلة التوحيد على ربه ناطقة، شاهدة لمدبرها، دالة عليه ومرشدة)(١)

ويقول ابن القيم –رحمه الله–:«وتأمل قوله:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾(٢) كيف جعل الخلق والتعليم ناشئا عن صفة الرحمة متعلقا باسم الرحمن وجعل جميع معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم... »(٣)

وخلاصة القول: أن كل ما في الوجود مما خلق الله هو من آثار صفة الرحمة وأنه قائم بهذه الصفة وناشئ عنها فـــ (عند ذلك إذا وقع نظر العبد على شيء منها دله على خالقه وبارئه، وصفات كماله، ونعوت جلاله، فلا يحجبه خلقه عنه –سبحانه– بل يناديه كل من المخلوقات بلسان حاله: اسمع شهادتي لمن أحسن كل شيء خلقه، فأنا صنع الله الذي أتقن كل شيء)(٤)

٢– تفرده سبحانه بالمنع والعطاء

يقول الله تعالى:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٥) وقوله تعالى:﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(٦) وقوله أيضا: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ

(١) التبيان في أقسام القرآن٣٠٢
(٢) سورة الرحمن، الآيات ١ــــ٤
(٣) مختصر الصواعق٣/٨٨٢
(٤) انظر: مدارج السالكين ٣/٣٩٧
(٥) سورة فاطر،آية ٢
(٦) سورة الأحزاب، آية ١٧

مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١)

يقول ابن كثير ــــ / ــــ في معنى آية فاطر :« يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع »(٢)

ويقول السعدي كذلك:« ...ثم ذكر انفراده تعالى بالتدبير والعطاء والمنع فقال:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ ﴾ من رحمته عنهم ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ »(٣)

فهذا الآيات حقيقة تدل على أن الإيمان بصفة الرحمة يقرر ما اختص الله به عن غيره كالتفرد بالعطاء والمنع،وأنه المالك لكل ما في الكون المتصرف بما فيه وحده، يمن على من يشاء برحمته، ويمنعها عمن يشاء على حسب ما اقتضته حكمته وعدله سبحانه وتعالى وكل هذا يوجب الإقرار بربوبية الله عز وجل وإخلاص العبادة له وحده، وأن تعلق القلوب به دون سواها

يقو ابن القيم ــــ / ــــ في بيان أن الرحمة تدخل في صفة العطاء:« والهدى والرحمة وتوابعهما من الفضل والإنعام كله من صفة العطاء،والإضلال والعذاب وتوابعهما من صفة المنع، وهو سبحانه يصرف خلقه بين عطائه ومنعه، وذلك كله صادر عن حكمة بالغة، وملك تام، وحمد تام، فلا إله إلا الله »(٤)

٣- أنه سبحانه قادر على كل شيء

من الخصائص التي دل عليها الإيمان بصفة الرحمة قدرة الله -جل وعلا- على كل شيء وأن سبحانه لا يعجزه شيء فإذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

فرحمته العامة والخاصة شاهدة بقدرة الله، وظهور آثارها في الوجود كله من الشواهد بذلك أيضا، فالرب سبحانه من كمال قدرته أنه رحم خلقه أجمعين

---

(١) سورة البقرة، آية ١٠٥

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٧٩

(٣) تفسير السعدي ص٦٨٤

(٤) الفوائد ١٥١

بنعمه التي لا تعد ولا تحصى وهو القائل سبحانه:﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ (١) ففي هذه الآية يخبر تعالى أنه شمل برحمته الواسعة كل شيء العالم العلوي والعالم السفلي، والبر والفاجر، والمسلم والكافر، فما من أحد إلا وهو يتقلب في رحمته تعالى.

ورحمة العباد جميعهم لا تكون إلا عن قدرة كاملة لاستحالة حصول هذه الرحمة بنوعيها الخاصة والعامة من عاجز، وكثيرا ما ذم الله سبحانه في القرآن أولئك الأقوام الذي يعبدون من دونه تلك الآلهة الباطلة ويستدل على بطلان عبادتها من دونه بعجزها وعدم قدرتها في جلب النفع أو دفع الضر عمن دعاها من دون الله يقول الله تعالى:﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ (٢)

وخلاصة القول: أن الإيمان بصفة الرحمة يثمر الإقرار بربوبية الله وإثبات خصائص الربوبية لله سبحانه وتعالى من الملك والتصرف والخلق والرِّزْق والمنع والعطاء وإثبات القدرة وأن الله يرحم من يشاء ويختص برحمته من يشاء، وإجابته لدعوة الداعين وإغاثة المستغيثين برحمته كل هذه الأمور لو تأملها العبد لوجدها إنما هي من أفعال الله عز وجل التي تفرد بها عن غيره، والإقرار بذلك هو إقرار بربوبية الله سبحانه وتعالى

وأن ربوبية الله تتضمن جميع هذه الأفعال.

يقول ابن القيم ـــــ رحمه الله ــــــ:« ... الربوبية المتضمنة لخلقهم وتدبيرهم وتربيتهم وإصلاحهم، وجلب مصالحهم وما يحتاجون إليه، ودفع الشر عنهم

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٦

(٢) سورة الفرقان، آية ٣

وحفظهم مما يفسدهم. هذا معنى ربوبيته لهم، وذلك يتضمن قدرته التامة ورحمته وإحسانه وعلمه بتفاصيل أحوالهم، وإجابة دعواتهم وكشف كرباتهم »[١]

وإذا تأمل العبد صفة الرحمة وما تتضمنه من أسرار التوحيد، وعظمة شأن الربوبية صار لقلبه عبودية أخرى، ومعرفة خاصة، وعلم أنه عبد من كل وجه وبكل اعتبار، وأن الرب -تعالى- رب كل شيء ومليكه، والأمر كله بيده، وأزمة الأمور بيده، ومرجعها كلها إليه سبحانه [٢]

(١) بدائع الفوائد ١/٤٩٠

(٢) انظر: شفاء العليل ص٢٢٧

المبحث الثاني

أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني

أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الأسماء والصفات

الإيمان بصفة الرحمة،وبالأسماء الحسنى الدالة عليها ـــــ كاسمي الجلالة الرحمن والرحيم ـــــ وتدبر معانيها يورث لصاحبه ثمرات عظيمة، وفوائد جليلة يجد حلاوتها في قلبه، قد حرمها كثير من أهل التعطيل، والتأويل، والتمثيل(١).

(١) انظر: مجلة الدراسات العقدية،عدد ٢ـــــ السنة الأولى ـــــ رجب ١٤٣٠،ص٤١٦

ومن تلك الثمار اليانعة، والقطوف الدانية: تقرير توحيد الأسماء والصفات وهذا ما سيتم بيانه والوقوف عليه في الوجوه التالية:

أولا: تقرير توحيد الأسماء والصفات من خلال الإيمان باسمي الجلالة الرحمن الرحيم.

فالاسمان الكريمان الرحمن الرحيم من أسماء الله الحسنى التي اشتملت عليها فاتحة الكتاب، والتي تدل على توحيد الأسماء والصفات وذلك لأنهما:

ــــ يدلان على اتصاف الرب -جل وعلا- بصفات الكمال ونعته بنعوت الجلال والعظمة،وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، وهذا يقتضي إثبات كل ما ورد من أسماء الله وصفاته في كتاب الله وسنة نبيه ــــ > ــــ وذلك لأن أسماء الرب -سبحانه- أسماء وأوصاف، وبذلك كانت حسنى، ولو لم تكن كذلك لما دلت على مدحه ولا كماله[١]

ــــ وأيضا لما للاسمين الرحمن الرحيم من الدلالة على ذات الله وصفاته والتي تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام[٢] فإنه يؤخذ من ذلك تقريرهما لتوحيد الأسماء والصفات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان دلالة أسماء الله عز وجل:« وإنما المقصود أن كل اسم من أسمائه يدل على ذاته، وعلى ما في الاسم من صفاته، ويدل أيضا على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم »[٣]

وقال في موضع آخر:« وأسماؤه الحسنى تدل كلها على ذاته، ويدل هذا من صفاته على ما لا يدل عليه الآخر؛ فهي متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة

---

(١) انظر: مدارج السالكين١/٣٦ــــ٣٧

(٢) ومعاني هذه الدلالات كما يلي:١ــــ دلالة المطابقة:هي دلالة اللفظ على المعنى الذي وضع له.
٢ــــ ودلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له.٣ــــ دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على خارج مسماه لازم لزوما ذهنيا. انظر: المحلى في شرح القواعد المثلى لكاملة الكواري ص ١٠٢ــــ١٠٤

(٣) الفتاوى١٣/١٧٨

على الصفات، فالاسم يدل على الذات والصفة بالمطابقة، ويدل على أحدهما بطريق التضمن، وكل اسم يدل على الصفة التي دل عليها ـــــ أي الاسم الآخر ـــــ بالالتزام؛ لأنه يدل على الذات المتكنى به جميع الصفات »[١]

ويقول ابن القيم –رحمه الله–:« إن الاسم من أسماء الله –تبارك وتعالى– كما يدل على الذات والصفة التي اشْتُقَّ منها بالمطابقة، فإنه يدل دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم،فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم »[٢]

ولبيان تقرير الاسمين الرحمن الرحيم لتوحيد الأسماء والصفات من خلال هذه الدلالات الثلاث أضرب مثلا عليها باسمه تعالى الرحمن فأقول:

إن اسمه تعالى الرحمن يدل على الذات وعلى صفة الرحمة بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الرحمة وحدها بالتضمن، ويدل على الحياة والعلم والقدرة وغيرها بالالتزام؛ لأنه لا توجد رحمة بدون حياة الراحم، وعلمه، وقدرته[٣].

ـــــ واسم الله (الرحمن) فيه تقرير لتوحيد الله في أسمائه وصفاته وأخذ أهل العلم ذلك لما في هذا الاسم من خصائص جعلته من الأسماء الحسنى التي تعد من الأصول التي ترجع إليها معاني أسماء الله عز وجل ؛ مما يفيد اشتماله على أسماء الله كلها.

يقول بعض شراح الحديث كما يقول ابن حجر في الفتح:« لله الأسماء الحسنى، ومنها أصول وفروع أي من حيث الاشتقاق. وقال وللأصول أصول: أي من حيث المعنى، فأصول الأصول اسمان الله، والرحمن؛ لأن كلا منهما مشتمل على الأسماء كلها قال الله تعالى:﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ

---

(١) الفتاوى ٢٠٦/١٣

(٢) مدارج السالكين ٣٩/١

(٣) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى ص١٠٨

ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾(١) والذي لم يتسم بهما أحد »(٢)

فظهر بذلك أن اسم الرحمن مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى وما تتضمنه من صفات ومعاني؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي،ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد،ولا حكيم في أفعاله (٣)

ثانيا: تقرير صفة الرحمة لتوحيد الأسماء والصفات.

صفة الرحمة من الصفات التي عليها مدار الأسماء والصفات وإثباتها لله عز وجل على ما يليق بعظمته وجلاله يتضمن إثبات الصفات التي تستلزمها هذه الصفة كالحياة ، والإرادة والقدرة، والسمع والبصر وغيرها من الصفات التي ستذكر بالتفصيل الذي سيذكر لاحقا ـــــ بإذن الله .

وقبل البدء بالتفصيل في الصفات التي تستلزمها صفة الرحمة يحسن بي أن أذكر بعض ما ذكره الإمام ابن القيم -رحمه الله- عن هذه الصفة وما تستلزمه من الصفات فمن ذلك:

ـــــ أنه عدَّها من الصفات التي عليها مدار الأسماء والصفات عند ذكره لما تشتمله سورة الفاتحة من أنواع التوحيد حيث قال :«... وأما المفصل: فذكر صفة الإلهية والربوبية، والرحمة والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات»(٤)

ـــــ وقال عن الصفات التي تكون أخص باسم الجلالة الرحمن والذي هو مشتق من صفة الرحمة:« وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف: أخص باسم الرحمن »(٥)

ـــــ وفيما يتضمنه إثبات صفة الرحمة يقول ـــــ رحمه الله:«وكذلك في إثبات

---

(١) سورة الإسراء، آية ١١٠

(٢) فتح الباري١٠/٥٧١

(٣) مدارج السالكين١/٤٢

(٤) المصدر نفسه١/٣٣

(٥) المصدر نفسه١/٤٢

صفة الرحمة له: ما يتضمن إثبات الصفات التي تستلزمها: من الحياة والإرادة والقدرة، والسمع والبصر وغيرها »[١]

فإذا تقرر أن إثبات صفة الرحمة لله –تعالى– يتضمن ويستلزم إثبات صفات الكمال لله وما يشتق منها من أسماء حسنى فإنه آن وقت التفصيل في ذكر بعض الصفات التي تثبتها صفة الرحمة:

فمن الصفات التي يعد إثباتها أثرا من آثار الإيمان بصفة الرحمة :

أ ـــــ صفة الحياة

إثبات صفة الرحمة يستلزم إثبات صفة الحياة لاستحالة حصول الرحمة ممن فقدها؛ فالميت أو النائم أو الغافل لا يستطيع التصرف لنفسه فضلا أن يملك هذا لغيره.

بل كيف يرحم من يريد رحمته لو كان موصوفا بهذه النقائص والعيوب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

لذا فقد كان من أكبر الأدلة والبراهين على بطلان عبادة غير الله أن تلك المعبودات التي عبدت من دون الله أنها لا توصف بصفات الكمال بل هي أحق بصفات النقص والعجز فهي إما أحجار وجمادات لا حياة فيها، أو أنها من المخلوقات الضعيفة التي لا تملك لأنفسها جلب النفع أو دفع الضر فضلا أن تحقق ذلك لغيرها يقول الله عز وجل:﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾[٢]

ويقول:﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾[٣]

---

(١) المصدر نفسه ٧٦/١

(٢) سورة النحل، الآيتان ٢٠ـــــ٢١

(٣) سورة الإسراء، آية٥٦

وصفة الحياة: من صفات الله الذاتية الثابتة لله سبحانه وتعالى، ومن هذه الصفة اشتق لله اسم من أسمائه وهو الحي، وقد ورد هذا الاسم في القرآن في خمسة مواضع اقترن في ثلاثة منها باسمه تعالى القيوم منها

قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾(١)

وقوله جل وعلا:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (٢)

واسمه جل وعلا (الحي) دال على صفة الحياة لله الدائمة والكاملة الجامعة لجميع الصفات التي لا تكمل الحياة إلا بها

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:« فالحي نفسه يستلزم جميع الصفات، وهو أصلها؛ ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ »(٣)

ويقول ابن منده –رحمه الله– في معنى اسم الله (الحي): «قال أهل التأويل: معنى (الحي) حياة لا تشبه حياة الأحياء لا يستدرك بالعقول، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا موت، حييت به القلوب من الكفر والجهل...»(٤)

ب ـــــ صفة القدرة

وهذه الصفة أيضا من الصفات التي يستلزم الإيمان بصفة الرحمة إثباتها لاستحالة حصول الرحمة ممن لا قدرة له ـــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـــــ ، وهي في المخلوق كمال فالقادر من العباد أكمل ممن لا قدرة له وواهب الكمال هو أحق بالكمال –جل وعلا– فسبحان من تتره عن المثيل والشبيه والند والنظير.

وصفة القدرة دل الدليل على ثبوتها لله –سبحانه– وهي من الصفات الذاتية له جل

---

(١) سورة البقرة،آية ٢٥٥

(٢) سورة آل عمران، آية ٢

(٣) الفتاوى١٧٦/١٨

(٤) التوحيد لابن منده٨٤/٢

وعلا ــ ويشتق منها من أسماء الله تبارك وتعالى: القادر،والمقتدر، والقدير.
يقول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) ويقول سبحانه:﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٢)

فالله -سبحانه- هو القدير على كل شيء الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون وقدرته -جل وعلا- كاملة فبقدرته أوجد المخلوقات ورحمها برحمته الواسعة، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها.

ولكمال قدرته جل وعلا فإنه لا يتطرق إليه عجز ولا فتور ولا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب. والقادر من البشر قدرته محدودة، وهي عنده وديعة، أما الله سبحانه ليس كمثله شيء و لم يكن له كفوا أحد(٣)

ج ــــ صفة العلم

ومن الصفات التي تقررها صفة الرحمة : صفة العلم وما يشتق منها من الأسماء الحسنى

يقول ابن القيم ــــ رحمه الله عند ذكره لما تتضمنه سورة الفاتحة من رد على منكري تعلق علمه تعالى بالجزئيات:

« الثالث: من إثبات رحمته؛ فإنه يستحيل أن يرحم من لا يعلم »(٤)

أما عن علم الله فإنه -جل وعلا- قد وسع كل شيء رحمة وعلما، وأحاط علمه

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٠

(٢) سورة الأنعام، آية ٦٥

(٣) انظر: التوحيد لابن منده٢/١٦٢، وتفسير السعدي٥/٦٢٤،وشرح أسماء الله الحسنى وصفاته لحصة الصغير١٩٥

(٤) مدارج السالكين١/٧٨

بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالحاضر والماضي والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء سبحانه وتعالى[١].

ومن الأدلة على إثبات صفة العلم لله :

قول الله تعالى:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢] وقول الله سبحانه:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٣]

د ــــ صفات أخرى

والإيمان بصفة الرحمة يثمر الإقرار بصفات أخرى غير ما ذكر ويظهر ذلك جليا عند دعاء الله بهذه الصفة، والتوسل إليه بها، فإن الدعاء يستلزم الاعتقاد بما لله من صفات الجلال ونعوت الكمال وإثباتها من لوازمه كصفة السمع والبصر، والمعية والقرب، والمشيئة والإرادة وغيرها إذ المتصف بأضدادها لا ترجى رحمته ولا يطمع في إحسانه ولا يتعرض لفضله ونواله[٤]! فالحمد لله الذي وصف نفسه بصفات الكمال وتنزه عن كل نقص ومثال.

ولعله يكتفى بهذا القدر من ذكر آثار الإيمان بصفة الرحمة في تقرير توحيد الأسماء والصفات فقد ظهر بإذن الله تقرير ذلك وشاهده وبرهانه ما ذكر في الأسطر السابقة من هذا المبحث والله هو الهادي والموفق.

---

(١) انظر: تفسير السعدي٥/٦٢١

(٢) سورة الأنعام، آية ٥٩

(٣) سورة الأنعام،آية٧٣

(٤) انظر: الدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية للعروسي ١/٢٦٩

المبحث الثالث

أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الألوهية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تحقيق العبادة.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في باب المعاملات.

المطلب الثالث: أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في باب الأخلاق.

أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تقرير توحيد الألوهية

تمهيد:

إن مما قرره أهل العلم، وأكدوا عليه أن توحيد الأسماء والصفات يستلزم تخصيص الله بالعبادة، وإفراده بها؛ لأنه -سبحانه- هو الكامل في ذاته وفي أسمائه وصفاته، وهو -سبحانه- المتفرد بالوحدانية من كل وجه، الذي ليس له مثيل بوجه من الوجوه، فمن كان كذلك فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له(١)

يقول ابن القيم -رحمه الله-:«... فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه وصفاته الذي حاجة كل أحد إليه، ولا حاجة به إلى أحد، وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره ... »(٢)

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي -رحمه الله- عن سورة الإخلاص:« فهذه السورة أصل عظيم من أصول الإيمان، وقد تضمنت توحيد الأسماء والصفات، ومن لوازم ذلك توحيد الإلهية، وأن المتفرد بالوحدانية من كل وجه، الذي ليس له مثيل بوجه من الوجوه هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له لا إله إلا هو » (٣)

ومما يؤكد هذا التلازم بين توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية أن حظ العباد من الألوهية بقدر حظهم من توحيد الأسماء والصفات. يقول ابن القيم -رحمه الله-:« فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء، وهو مشهد جامع للأسماء والصفات، وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات، ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جلاله »(٤)

ومن عجيب آثار الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات أن من تعلق بصفة من صفات الله أوصلته إلى الله وقادته إلى مولاه وملأت قلبه بحبه وإجلاله وتعظيمه فقام له بحقه عليه، وأخلص له في عبادته بمنتهى الذل ومنتهى الحب، رغبة ورهبة.

---

(١) انظر: تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام لابن باز ٣٢

(٢) طريق الهجرتين ص ٥٥

(٣) المجموعة الكاملة للسعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ١٩٣/٨

(٤) طريق الهجرتين ص ٥٦

يقول الإمام ابن القيم -/-:« من تعلق قلبه بصفة من صفاته أخذته حتى تدخله عليه، ومن سار إليه بأسمائه الحسنى وصل إليه، ومن أحبه أحب أسماءه وصفاته، وكانت آثر شيء لديه، حياة القلوب في معرفته ومحبته، وكمال الجوارح في التقرب إليه بطاعته والقيام بخدمته والألسنة بذكره والثناء عليه بأوصاف مدحته »[١]

وقال أيضا:« فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنه عجب وفتحه عجب، صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه ولا مشرد عن سكنه » [٢]

ومن صفات الباري ـــ-جل وعلا- التي من عرفها و لم يعطلها فقد اطلع على أصل العبودية وغايتها وحكمتها[٣]: صفة الرحمة والتي هي من الصفات المقررة لتوحيد الألوهية والدالة عليه؛ وذلك لأن هذه الصفة من صفات الكمال التي استحق المولى -جل وعلا- أن يؤله ويعبد لأجلها؛ فتفرده بالرحمة، وإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه يلزم المقر والمؤمن بذلك بأن يفرده -جل وعلا- في جميع عباداته الظاهرة والباطنة، وقد بين الله -سبحانه- في كتابه على أن من أدلة وحدانيته: تفرده بالرحمة كما في قوله تعالى:﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤] فقد بدأ الله سبحانه بكلمة التوحيد في الآية لأنها الأصل، والتي لأجلها خلق الخلق، ثم أعقب ذلك بالدليل على إفراده -تعالى- بالألوهية بما لا يشاركه غيره فيه فقال:﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فهو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة[٥]

يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي -رحمه الله- عن الآية :«ففي الآية إثبات

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ٤٣١

(٢) طريق الهجرتين ص٢٦٠

(٣) مدارج السالكين١/١١٠

(٤) سورة البقرة،آية١٦٣

(٥) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص ١٢٦، تتمة أضواء البيان٨/١١١

وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، والاستدلال على ذلك بتفرده بالرحمة، التي من آثارها جميع البر والإحسان في الدنيا والآخرة »[١]

هذا وسيظهر ـــ بإذن الله تعالى ـــ في المطالب التالية زيادة إيضاح في تقرير هذه المسألة:

المطلب الأول:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في تحقيق العبادة

تحقيق العبادة مطلب ثمين، وهدف يسعى إلى تحقيقه الخلص من عباد الله، وأهله هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وبلزومه وتحقيقه تتحقق للعبد السعادة الأبدية.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:« وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رضي الله عنه ـــ يقول: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية» [٢]

وإن من أعظم ما يحقق عبادة الله على الوجه الأكمل هو العلم بأسماء الله وصفاته المقتضية لآثارها من العبودية اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:« والأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ـــ أعني من موجبات العلم بها، والتحقق بمعرفتها ـــ وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح... » [٣]

ويؤكد هذا الأمر العز بن عبدالسلام بقوله:« فهم معاني أسماء الله -تعالى- وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات »[٤]

بل لا يمكن لأحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله وصفاته ليعبده على بصيرة يقول ابن عثيمين -رحمه الله-: « ولا يمكن أحدا أن

---

(١) القواعد الحسان ضمن المجموعة الكاملة للسعدي ١٩٤/٨

(٢) مدارج السالكين ٤٦٤/١

(٣) مفتاح دار السعادة٥١٠/٢

(٤) شجرة المعارف والأحوال ص٧٧

يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله -تعالى- وصفاته ليعبده على بصيرة ››[١]

لذا كان أكمل الناس عبودية المتعبد[٢] لله بجميع الأسماء والصفات التي يصل إليها علم البشر.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:‹‹... إذ كل اسم فله تعبد مختص به ـــ علما ومعرفة وحالا ـــ ، وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ››[٣]

وبين ابن القيم -رحمه الله- كذلك أن هذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله -تعالى- وأنها طريقة مأخوذة من كتاب الله من قوله ـــ تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٤] وبين أن الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة، ودعاء التعبد والثناء، وأنه سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها[٥].

وكان للإيمان بأسماء الله وصفاته والعلم بها هذه المرتبة من العبودية، ذلك لما له من آثار عظيمة على المتعبدين بها لله إذ يجعل العباد دائما موصولين بمعبودهم -جل

---

(١) القواعد المثلى ضمن المجموعة الكاملة للشيخ٣/٢٦٧

(٢) مما ينبه عليه هنا: أن إطلاق لفظ الدعاء على التعبد بأسماء الله الحسنى أفضل وأحسن لقول ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ: وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله؛ فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة ، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن بَرَّجان وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال.فمراتبها أربعة: أشدها إنكارا عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال: التخلق، وأحسن منها من قال التعبد، وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن.انظر: بدائع الفوائد١/١٨٠ـــ١٨١

(٣) مدارج السالكين ١/٤٥٢

(٤) سورة الأعراف، آية ١٨٠

(٥) المرجع السابق ١/٤٥٢

وعلا- فيُوجد في قلوبهم تعظيمه سبحانه، وتقديسه، ومحبته ورجاءه، وخوفه ، والتوكل عليه، والإنابة إليه، بحيث يصبح الباري في قلوبهم المثل الأعلى الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، وليس لأحد مثل هذه المكانة التي في قلوبهم.

وبذلك يحقق العبد التوحيد القلبي، وتتحقق العبودية(١)

وهذا ما يراد الوصول إليه في هذا المطلب معرفة ثمرة العبادة التي يجدها العبد عندما يقوم بموجب صفة الرحمة من العلم والمعرفة بها، والعمل بمقتضاها، وذلك كما سبق أن لكل صفة من صفات الله عبودية خاصة بها،فمتى ما تعلمها العبد وأتى بموجبها من العمل تحقق له مراده، وأثمرت له أنواعا من العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه بها(٢)

فمن أنواع العبودية التي يحققها الإيمان بصفة الرحمة، وهي أثر من آثاره وثمرة من ثمراته ما يلي :

أولا:محبة الله ـــــ عز وجل.

وذلك أن الإيمان بصفة الرحمة يوجب ويثمر للعبد محبة الله وزيادتها في قلبه وذلك بالنظر إلى أمرين:

الأول: مطالعة العبد لهذه الصفة

فحينما يتأمل العبد هذه الصفة العظيمة، وإذا هي من أعظم صفات الرب -جل وعلا- ومن أوسع صفاته فقد وسع برحمته كل شيء ووصلت رحمته ما وصل إليه علمه، ثم هو -جل وعلا- قد كتبها على نفسه كرما منه وفضلا؛ فإذا كان ذلك من العبد أيقن أن صفة الرحمة من صفات الكمال والجلال والجمال والعظمة التي اتصف بها الباري -سبحانه- أورثت له هذه المطالعة وهذا التأمل شدة محبة الله - جل وعلا- لا محالة(٣).

---

(١) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى ص٢٢ــــــ ٢٣،وتحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات ص٢٤٣

(٢) انظر: منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى ص ٦٦

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة ١/٥١١،ومدارج السالكين١٧/٣

يقول الإمام ابن القيم -/-:« فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكا عظيما رحيما جوادا جميلا هذا شأنه؛ فكيف لا تحبه، وتتنافس في القرب منه، وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه آثر عندها من رضا كل ما سواه؟

وكيف لا تلهج بذكره، ويصير حبه والشوق إليه، والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها؛ بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت و لم تنتفع بحياتها ؟ » [١]

الثاني:مطالعة آثار رحمة الله على العبد

فإن العبد الضعيف حين ينظر إلى آثار هذه الصفة العظيمة التي اتصف الله بها، وما يتنزل عليه منها ليمتلئ قلبه حبا لسيده ومولاه،(فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، ولا أحد أعظم إحسانا من الله -سبحانه-، فإن إحسانه على عبده في كل نفس ولحظه،وهو يتقلب في إحسانه في جميع أحواله)[٢]

يقول ابن القيم -رحمه الله-:«وإن من تبلغ رحمته ولطفه وبره بعبده هذا المبلغ، وما هو أعجب وألطف!لحقيق به أن يكون الحب كله له، والطاعات كلها له، وأن يذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر »[٣]

فإذا ثبت هذا فإن محبة الله من العبادات التي يجب أخلاصها لله وحده، إذ ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تكون محبته محبة خالصة إلا بالأعراض عن كل محبوب سواه،وهذه حقيقة لا إله إلا الله [٤]

بل إن محبة الله -سبحانه وتعالى-هي أصل العبودية التي من أجلها خلق الجن

---

(١) الفوائد ص ٣٧ــــ ٣٨

(٢) طريق الهجرتين٣٧٤

(٣) مفتاح دار السعادة٢/٢٨٠

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٢٨/٢٢

والإنس يقول الله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [(١)] فأخبر – سبحانه– أن الغاية المطلوبة من خلقه للجن والإنس هي عبادته التي أصلها كمال محبته، وكلما كانت محبة العبد لله أقوى كانت محبة الله له أكمل وأتم، ومن أجل ذلك كان الشرك أبغض الأشياء إليه؛ لأنه ينقص هذه المحبة، ويجعلها بينه وبين من أشرك به، ولهذا لا يغفر الله أن يشرك به؛ لأن الشرك يتضمن نقصان هذه المحبة، والتسوية فيها بينه وبين غيره، وهذا من أعظم الذنوب على الإطلاق يقول الله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [(٢)] فأخبر الله -جل وعلا- أن من أحب شيئا دونه كما يحب الله فقد اتخذه ندا، وهذا معنى قول المشركين لمعبوديهم﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(٣)]

فهذه تسوية في المحبة والتأله لا في الذات والأفعال والصفات[(٤)]

ثانيا: عبودية الرجاء

من آثار الإيمان بصفة الرحمة فتح باب الرجاء في قلب المؤمن، وحسن الظن بالله عز وجل، وقطعه عن غائلة القنوط واليأس، إذ لا يجتمع العلم بعظيم رحمة الله بخلقه والقنوط من رحمته في قلب واحد [(٥)]

يقول ابن القيم -رحمه الله-:«ومعرفته بغناه، وجوده ، وكرمه، وبره، وإحسانه،ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة

---

(١) سورة الذاريات، آية ٥٦

(٢) سورة البقرة،آية ١٦٥

(٣) سورة الشعراء، الآيتان٩٧ــــ٩٨

(٤) انظر:طريق الهجرتين ٢٨٨ــــ ٢٨٩بتصرف

(٥) انظر: رحمة الله بخلقه، مجلة جامعة الإمام عدد ٥٥، رجب ١٤٢٧ه،ج١/٢٢٣

والباطنة بحسب معرفته وعلمه...»[١]

ويقول العز بن عبدالسلام في حديثه عن العارفين بما يستحقه سبحانه من أوصاف الجلال ونعوت الكمال:« ... وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه، وأنابوا إليه »[٢]

والرجاء الذي هو النظر إلى سعة رحمة الله يعد أعظم العبادات القلبية،وأقوى بواعث الطاعة، وقوته في القلب تكون على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:«فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، وغلبة رحمته غضبه،ولولا روح الرجاء لَعُطِّلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع، وبيع، وصلوات ومساجد؛ يذكر فيها اسم الله كثيرا.

بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات »[٣] ولقد تقدم الحديث عن أهم مسائل الرجاء في هذه الرسالة مما يغني عن إعادته ها هنا

ثالثا:الذل والتعظيم والحياء من الله عز وجل

فإن من تأمل رحمة الله الواسعة ونظر في آثارها في نفسه وفي الوجود كله أثمر له ذلك تعظيم الله عز وجل وذل له لإحسانه وفضله ورحمته واستحيى منه حق الحياء ويتأكد ذلك حين يرى رحمة الله عليه متوالية ونعمه عليه متكاثرة، وإذا رجع إلى ما يعلمه من نفسه فإذا هو أهل التقصير والخطيئة فهذه الحال تثمر له هذه الأنواع من العبادات

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- عن أثر تأمل العبد لنعم الله: « فتذله نعم الله عليه، وتكسره كسرة من لا يرى لنفسه ولا فيها خيرا البتة، وإن الخير الذي وصل إليه فهو لله وبه ومنه، فَتُحْدِث له النعم ذلا وانكسارا عجيبا لا يعبر عنه، فكلما

---

(١) مفتاح دار السعادة٢/٥١٠

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ص١٠

(٣) مدارج السالكين٢/٤٣ــــــ٤٤

جَدَّدَ له نعمة ازداد ذلا وانكسارا وخشوعا ومحبة وخوفا ورجاء.

وهذا نتيجة علمين شريفين:

ـــــ علمه بربه وكماله وبره وغناه وجوده وإحسانه ورحمته...

ـــــ وعلمه بنفسه ووقوفه على حدها وقدرها ونقصها وظلمها وجهلها... »[(١)]

رابعا: الدعاء

ومن أنواع العبادة التي يحققها ويثمرها الإيمان بصفة الرحمة عبادة الدعاء، فإن إيمان المؤمن وعلمه بصفة الرحمة لا شك سيقوده إلى أن يتضرع إلى الله ـــــ عز وجل سائلا إياه رحمته سبحانه وأن يمن عليه من رحمته الواسعة،وكيف لا يقوده إيمانه بهذه الصفة إلى هذه العبادة ومولاه من رحمته أنه رغب عباده في أن يأخذوا حظهم ونصيبهم من التعبد بأسمائه وصفاته؟

ثم لو تأمل العبد المسلم أدعية الكتاب والسنة لوجدها جميعها لا تخرج عن رجاء رحمة الله سواء طلب أمرا دنيويا أو أمرا من أمور الآخرة.

وخير مثال على هذا ما جاء في دعوات الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين في الكتاب والسنة فإنها لا تخرج عن هذا فهم مع أنهم أكرم الخلق وأشرفهم فهم لا غنى لهم عن رحمة الله طرفة عين ولا أقل من ذلك.

ومن ذلك أن الله أخبر عن أنبيائه ورسله ـــــ عليهم السلام ـــــ أنهم يرجون رحمة الله قال تعالى:﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[(٢)] وسأل رحمة الله أيضا الأبوان ـــــ عليهما السلام ـــــ قال تعالى:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[(٣)] كما

---

(١) الفوائد ١٥٥

(٢) سورة الإسراء، آية ٥٧

(٣) سورة الأعراف،آية ٢٣

أمر الله خليله ونبيه محمدا في أن يدعوه ويتوسل إليه بصفة الرحمة يقول تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[١] والآيات في هذا المعنى كثيرة

وفي السنة علمنا ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ أن نستغيث بصفة الرحمة إذا حزبنا أمر «فكان ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ إذا حزبه أمر يقول يا حي يا قيوم برحمتك استغيث»[٢]

وأوصى بالتوسل بها صباحا ومساء فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ـــــ رضي الله عنهاـــــ:«ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين »[٣]

المطلب الثاني:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في باب المعاملات

فمن خصائص الإيمان بصفة الرحمة أنها ترقق قلب من آمن بها وذكر الله –سبحانه– وتعبد إليه بها[١] فيظهر أثر ذلك في سائر أعماله وتصرفاته فكما ظهر أثر الإيمان بها في عقيدته وعبادته، فكذلك فإن لها أعظم الأثر في تعامله مع الآخرين،وفي المعاملات[٢] التي يجريها معهم وهذا ما سيظهر لك ـــــ بإذن الله

(١) سورة المؤمنون، آية ١١٨

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات٥/٥٠٤،حديث ٣٥٢٤،والحاكم في المستدرك،كتاب الدعاء والتكبير،حديث رقم١٨٧٥،وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٨٦٨/٢حديث رقم٤٧٧٧

(٣) أخرجه النسائي حديث رقم ١٠٤٠٥*،الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل،حديث رقم ٢٠٠٠وقال:(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)*.وحكم عليه الألباني رحمه الله بالصحة أيضا قال في صحيح الترغيب والترهيب:رواه النسائي والبزار بإسناد صحيح.انظر ص٣٤٥

(١) انظر: التوحيد لابن منده ٥٣/٢

(٢) المعاملات مصدر من قولك عاملته وأنا أعامله معاملة هذا على وجه العموم أما المعاملات على وجه الخصوص فهي الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا كالبيع والشراء والإجارة. والإسلام جاء بتنظيم المعاملات التي تجري كما جاء ببيان حق الله عز وجل في العبادة والتوحيد،وهذا لأنه دين كامل من

فأقول وبالله استعين: فإن من آثار الإيمان بهذه الصفة في باب المعاملات ما يلي :

١- السماحة في البيع والشراء والتقاضي

ودل على ذلك جملة من أحاديث المصطفى ـــــ صلى الله عليه وسلم

فعن جابر بن عبدالله ـــــ ب ـــــ أن رسول الله -<- قال:«رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى » (١)

وعن عبدالله بن عمرو ـــــ ك ـــــ قال:قال رسول الله ـــــ > ـــــ: «دخل رجل الجنة بسماحته قاضيا ومقتضيا »(٢)

وجاء في حديث أبي بكر ـــــ ط ـــــ في حديث الشفاعة العظمى يوم القيامة وفيه:« ... قال : يقول الله -عز وجل-:أنا أرحم الراحمين، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا، قال: ثم يقول الله -عز وجل-:انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط؟ قال: فيجدون في النار رجلا. فيقول له: هل عملت خيرا قط: فيقول: لا، غير أني كنت أُسَامِحُ الناس في البيع والشراء، فيقول الله -عز وجل-: أسْمِحُوا لعبدي كإِسْمَاحِهِ إلى عبيدي...» (١)

والسماحة في المعاملات وفي التعامل مع العباد كانت من أخلاق النبي -<- الذي بعثه ربه -لأ- رحمة للعالمين فقد صح عنه من حديث أبي هريرة ـــــ رضي الله عنه ـــــ أنه قال: كان لرجل على رسول الله ـــــ > ـــــ سِنٌّ من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال:« أعطوه » ، فطلبوا سِنَّهُ، فلم يجدوا إلا سِنًّا فَوْقَهَا، فقال: « أعطوه »، فقال: أَوْفَيْتَنِي أوفى الله بك فقال النبي -<-:« إن خياركم أحسنكم

جميع الوجوه. انظر: القول المفيد ٢/٢٦٩،معجم مقاييس اللغة٦٧٧،والمعجم الوسيط باب العين

(١) سبق تخريجه ص٣٥٣

(٢) رواه أحمد في المسند٢/٦٦٢،حديث رقم ٦٩٨١، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث١٧٥٠

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٠، حديث رقم ١٥، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٣٦٤١

قَضاءً» (١)

فما على العبد الراجي رحمة ربه ـــــ جل جلاله ـــــ إلا أن يقتدي بنبيه ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ في سائر معاملاته مع خلق الله؛ لينال رحمة الله ـــــ سبحانه وتعالى.

٢- التيسير على الموسر وإنظار المعسر

عن حذيفة ـــــ ط ـــــ: قال: أَتَى الله بعبد من عباده، آتاه الله مالا. فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال:﴿ولا يكتمون الله حديثا ﴾ قال: يا رب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي الجواز.فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر.فقال الله: أنا أحق بذا منك. تجاوزوا عن عبدي.

قال عقبة بن عامر الجهني، وأبو مسعود الأنصاري: هكذا سمعناه من في رسول الله < (٢)

وعن أبي هريرة ـــــط ـــــ قال: قال رسول الله -<-ـــ:« من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » (٣)

٣- الإقالة(١) في البيع والشراء

عن أبي هريرة ـــــ ط ـــــ قال: قال رسول الله -<-ـــ:« من أقال مسلما، أقال الله عثرته » (٢)

وصح عن عثمان بن عفان ـــــ ط ـــــ أنه اشترى من رجل أرضا فأبطأ عليه،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستقراض، باب حسن القضاء ،حديث ٢٣٩٣، الفتح٥/٥٨

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب من أنظر موسرا،حديث ٢٠٧٧،الفتح٤/٣٠٧، ومسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، حديث ١٥٦٠، مسلم بشرح النووي١٠/١٧٢

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر،حديث ٣٠٠٦،مسلم بشرح النووي ١٨/٤٢٢

(١) الإقالة: الموافقة على نقض البيع والإجابة إليه فيعود بذلك المبيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري، إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما. انظر: النهاية لابن الأثير ٤/١٣٤

(٢) أخرجه أبو داود،كتاب البيوع، باب الإقالة، ٣/٢٧٤،حديث ٣٤٦٠، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب الإقالة، ٢/٧٤١،حديث٢١٩٩،وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته، حديث٦٠٧١

فلقيه فقال له: ما منعك من قبض مالك؟ قال:إنك غبنتني، فما ألقى من الناس أحدا إلا هو يلومني.قال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم.قال: فاختر أرضك أو مالك. ثم قال:قال رسول الله ــــ > ــــ:« أدخل الله ـــ لأ ـــ الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا وقاضيا ومقتضيا »[(١)]

فرضي الله عن عثمان وعن جميع أصحاب محمد ــــ > ــــ فلا شك أنهم أرحم الأمة بعد نبيها ــــ عليه الصلاة والسلام ــــ، فلا غرابة في إقالة عثمان بن عفان رضي الله عنه لهذا الرجل الذي ندم على بيع أرضه عليه، فحين لقي عثمان وجده رحيم القلب سهل المعاملة فخيره بين إمضاء البيع أو رد الأرض ثم أعجب من ذلك حينما بين في نهاية الحديث الدافع الذي دفعه إلى أن يخيره بعد أن تم البيع وانعقد، وهو ما سمعه من النبي ــــ صلى الله عليه وسلم ــــ أن الله أدخل رجلا الجنة لرحمته في معاملاته واقتضائه وهذا لا شك أنه من آثار الإيمان برحمة الله سبحانه وتعالى فلا يرحم العباد إلا من وضع الله في قلبه الرحمة، والذين هم أهل لرحمته ــــ جل وعلا.

فعن أنس بن مالك ــــ ط ــــ:قال: قال رسول الله -<-:« والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم ».قالوا: يا رسول كلنا يرحم. قال:« ليس برحمة أحدكم صاحبه، يرحم الناس كافة»[(١)]

المطلب الثالث:أثر الإيمان بصفة الرحمة لله تعالى في باب الأخلاق

إذا أشرق نور الإيمان بصفة الرحمة في قلب العبد، وامتلأ قلبه من محبة الله وإجلاله؛ أثر ذلك فيه آثارا عظيمة، فيرق قلبه ويلين لذكر الله حتى تصبح الرحمة من أجل صفاته، وأعظم أخلاقه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٢٨/١، حديث ٤٠٩واللفظ له، والنسائي، كتاب البيوع،باب حسن المعاملة٣١٩/٧،وابن ماجه،كتاب التجارات،باب السماحة في البيع٧٤٢/٢،حديث٢٢٠٢ والحديث حسنه الألباني انظر:الصحيحة١١٨١

(١) رواه أبو يعلى في مسنده(٤٢٥٨)، وقال الحافظ في الفتح: ورجاله ثقات ٤٥٣/١٠،وقواه الألباني بالمتابعة والشواهد انظر: الصحيحة ٢٧٠/١،حديث ١٦٧

ولهذا كان أكمل المؤمنين إيمانا، أعظمهم رحمة، فلا تجده إلا رحيما رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، يرحم النملة في جحرها، والطير في وكره فضلا عن بني جنسه، فهذا أقرب القلوب من الله تعالى(١)

يقول ابن القيم -رحمه الله-:« ولما كان نصيب كل عبد من الرحمة على قدر نصيبه من الهدى كان أكمل المؤمنين إيمانا أعظمهم رحمة... »(١)

ولهذا كان النبي -<- أرحم الخلق بالخلق، فاستحق أن يصفه ربه بالرحمة بقوله سبحانه:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

وبقوله عز وجل:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١)

والصديق أبو بكر ـــــ ط ـــــ إنما فَضُل الأمة بأمور كثيرة منها: ما كان في قلبه من الرحمة العامة زيادة على درجة الصديقية التي فاز بها يقول ـــــ > ـــــ في مدحه:«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ...»(١)

وغير ذلك مما يدل على أن خلق الرحمة أثر من آثار الإيمان وأن المؤمنين هم أهل الرحمة، وأنهم أرحم الخلق بالخلق كما قال تعالى في وصف أصحاب محمد ـــــ > ـــــ:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢)

---

(١) انظر: كتاب الروح لابن القيم ص٤٨٤

(١) إغاثة اللهفان٢/١٧٣

(١) سورة التوبة، آية ١٢٨

(١) سورة آل عمران،آية ١٥٩

(١) أخرجه أحمد٤/٣٦٧،حديث ١٢٩٠٣وابن ماجه، باب في فضائل الصحابة ١/٥٥، حديث١٥٤، والنسائي فضائل الصحابة والترمذي في المناقب ٥/٦٢٣،حديث ٣٧٩٠وصححه الألباني انظر: الصحيحة ٣/٢٢٣،حديث١٢٢٤

(٢) سورة الفتح، آية ٢٩

فإذا ثبت هذا فإن من أخلاق الرحماء الناتجة عن إيمانهم برحمة الله ما يلي:

١ – رحمة الخلق عامة:

الإيمان في القلب كالغيث كثير النفع عظيم الفائدة، والمؤمن كامل الإيمان يحمل في قلبه رحمة لجميع الخلائق، حتى أنه ليشمل برحمته جميع أصناف الخلق، فيرحم البر والفاجر، والناطق والبهيم،والوحوش والطير.

ومن أجمل ما وقفت عليه من كلام أهل العلم في هذا ما قاله الإمام القرطبي -/- حيث قال: « ... ويعلم أيضا أنه متعبد بأن يرحم،وبأن يكون راحما ورحيما... فينبغي إن كانت لك همة أن ترحم نفسك وغيرك، وفي الحديث« ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[(١)]، فندب -<- إلى الرحمة والعطف على جميع خلق الله -تعالى- من جميع الطرق، وعلى اختلاف أنواعها في غير حديث، وأشرفها الآدمي، وإن كان كافرا، وقد مدح الله أقواما فقال:﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾[(١)]

فكن رحيما لنفسك ولغيرك، ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك، وكف سوطك؛ فأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم بخلقه، وقد دخلت البغي الجنة بسقيها كلبا.

فمن كثرت منه الشفقة على خلقه والرحمة على عباده رحمه الله برحمته، وأدخله دار كرامته، ووقاه عذاب قبره، وهول موقفه، وأظله بظله إذ كل ذلك من رحمته »[(٢)]

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين برقم ١٩٢٤وقال عنه: حديث حسن صحيح، وأخرجه أبوداود،كتاب الأدب، باب الرحمة برقم ٤٩٤١،وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٩٢٢

(١) سورة الإنسان، آية ٨

(٢) الأسنى ٤١٠ـــــ٤١١

ومن هذه الرحمة التي قد تغيب عن كثير من الأذهان ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -/- في أهل البدع فقد قال:« ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر ـــ والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم ـــ رحمتهم ورفَقْت عليهم، أُوتُوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأُعْطُوا فُهُوما وما أعطوا علوما، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة:﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[١] »[٢]

ومن الأمثلة التطبيقية من رحمته ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ بعموم الخلق :

النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ رحيم في كل المواطن! لم تفارق الرحمة قلبه حتى في المواقف الشديدة حين يشتد عليه وعلى أصحابه الكفار بالعداوة كما في حديث أبي هريرة ـــ ط ـــ أنه قال: قيل يا رسول الله، ادع على المشركين.قال :«إني لم أبعث لعَّانا، وإنما بعثت رحمة» [١]

وفي معركة أحد يشج رأسه، وتكسر رباعيته،ويسيل دمه، ويقتل المشركون عمه أسد الله ـــ حمزة بن عبدالمطلب ـــ ط ـــ وهو من أحب الناس إلى قلبه ـــ وسبعين من أصحابه ـــ رضي الله عنهم ـــ وكان يوما عصيبا عليه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فبماذا دعا الرحمة المهداة؟ وماذا قال سيد الخلق أجمعين؟ ـــ بأبي هو وأمي ـــ إنه لم يدع عليهم بل دعا لهم قائلا: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

وفي فتح مكة ينصره الله ويمكنه من أعدائه الذين كانوا يحاربونه سنين عديدة! فكم وقفوا في طريق الدعوة؟ وكم قتلوا من أصحابه؟ وكم فعلوا وفعلوا من الإيذاء والمكر والعداء؟ فماذا عساه أن يفعل بهم؟ فإنه لم يفعل بهم إلا كما فعل يوسف

---

(١) سورة الأحقاف، آية ٢٦

(٢) الفتوى الحموية٥٣٤

(١) سبق تخريجه ص ٣١٧

ـــــ عليه السلام ـــــ بإخوته عندما قال:﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1] فما أحوجنا إلى الاقتداء بأخلاقه ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ في حال حربه، وحال سلمه، وجميع أحواله!.

٢- رحمة العبد لإخوانه المؤمنين

قال ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ« لن تؤمنوا حتى تَرْحَمُوا».قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله.قال:« إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة عامة »[2]

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم:«ترى المؤمنين في تَرَاحُمِهِمْ وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[3]

فأهل الإيمان لهم نصيب عظيم من رحمة العبد المؤمن، وهم أولى من غيرهم، وهم درجات ومراتب كل له نصيبه منها على قدر مترلته، فالوالدان لهما رحمة واجبة على الأبناء ثم الأهل والأولاد ثم بقية ذوي الرحم حتى يصل إلى حق جميع إخوانه المسلمين وتفصيل هذا يطول والأدلة عليها كثيرة جدا ولله الحمد، ولعل في ذكر الأمثلة التطبيقية من حياته عليه الصلاة والسلام ما يكفي ويشفي بإذن الله.

ومن الأمثلة التطبيقية من رحمته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ بالمؤمنين :

بعثة النبي ـــــ > ـــــ كلها رحمة، وأولى الناس برحمته هم أتباعه الذين أمنوا به ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ فإن لهم القدح المعلى، والحظ الوافر من رحمة نبي الرحمة والهدى، ومن أعظم أنواع رحمته بهم هو إخراجهم من الظلمات إلى النور، وهدايتهم للحق المبين الذي خلقوا من أجله، فكيف لا تكون كذلك، وقد أنقذهم

---

(١) سورة يوسف، آية ٩٢

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البر والصلة،حديث١٣٦٧١وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٥٤٨حسن لغيره حديث رقم ٢٢٥٣

(٣) البخاري، كتاب الأدب،باب رحمة الناس والبهائم،حديث٦٠١١، الفتح ١٠/٤٣٨، ومسلم، كتاب البر والصلة،باب تراحم المؤمنين،حديث ٢٥٨٦،مسلم بشرح النووي١٦/١٠٨

الله به من الهلكة ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ومما يمثل به على رحمته عليه الصلاة والسلام:

أ ـــــ رحمته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ بأمته في التشريع والعبادة

دينه وشريعته كلها رحمة؛لذا كانت أحب الأديان إلى الله -عز وجل-، فعن ابن عباس ـــــ رضي الله عنهما ـــــ قال: قيل لرسول الله ـــــ > ـــــ: أي الأديان أحب إلى الله.قال:«الحَنَفِيَّةُ السَّمْحَةُ »(١)

لذا المشقة والحرج مرفوعة عن هذه الأمة المرحومة فجميع العبادات لا مشقة فيها ولا حرج، وعند وجود المشقة يأتي التخفيف والتيسير كما هو معلوم من شريعة الإسلام، ولكن ما أريد التمثيل به هو حرصه عليه الصلاة والسلام على الرحمة بالأمة في التشريع وأداء العبادة فالصلاة مثلا لما فرضت عليه وعلى أمته أخذ ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ يتردد على ربه يسأله التخفيف لأمته حتى أصبحت الصلاة خمسا في العدد وخمسين في الأجر، وتركه للقيام في رمضان خشية أن يفرض على الأمة فتعجز عنه، وعدم أمره بالسواك مع كل وضوء وعند كل صلاة خوفا من مشقة تلحق أمته، ومع ذلك ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما من أجل أمته، ومن أدلة ذلك:

ـــــ عن أبي قتادة ـــــ رضي الله عنه ـــــ أنه قال: قال رسول الله ـــــ > ـــــ:«إني لأقوم في الصلاة أريد أن أُطَوِّلَ فيها. فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه »(١)

ـــــ وعن أبي هريرة ـــــ رضي الله عنه ـــــ أنه قال: قال رسول الله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ:« لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك مع كل صلاة»(٢)

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند٥٠٨/١،حديث٢١٠٧،وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير٩٤/١ وهو في الصحيحة برقم ٨٨١

(١) أخرجه البخاري،كتاب الأذان،باب انتظار الناس قيام الإمام،حديث ٨٦٨، الفتح٣٤٩/٢،ومسلم، كتاب الصلاة،باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة،حديث ٤٧٠،مسلم بشرح النووي١٤٠/٤

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة،حديث٨٨٧،الفتح٣٨٤/٢، ومسلم،كتاب

ب ـــــ حثه ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ وأمره برحمة أمته

الأحاديث الواردة عنه ــــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ في الأمر برحمة عباد الله والترغيب فيها، والتحذير من ضدها كثيرة ومشتهرة منها:

ـــــ قوله عليه الصلاة والسلام:« الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »(١)

ـــــ وقوله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ:« لا يرحم الله من لا يرحم الناس »(٢)

ـــــ وقوله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ:« اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئا فَشَقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه، ومن ولي من أمر أمتي فَرَفِقَ بهم فارفق به »(٣)

ج ـــــ رحمته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ بأزواجه

إذا كان النبي ـــــ > ـــــ رحمة مهداة للناس كافة، فكيف تكون رحمته بأهل بيته وأقرب الناس إليه؟

وما نصيب أزواجه ـــــ رضي الله عنهن ـــــ من رحمة النبي الكريم ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ؟

إن الإجابة عن ذلك تستوجب منا أن نتصفح سيرته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ خصوصا سيرته الأسرية وعلاقته بأمهات المؤمنين!

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة:« إن تصفح سيرة المصطفى ـــــ > ـــــ يعطي صورا مشرقة عن خلقه الكريم ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ في معاملة الناس جميعا.

ولكن سلوكه في بيته، ومع أزواجه له دلالته الخاصة على رقة طباعه، وعمق

الطهارة،باب السواك، حديث٢٥٢، مسلم بشرح النووي٣/٤٨٩

(١) سبق تخريجه ص٣٤٩

(٢) سبق تخريجه ص ٣٥٠

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل،حديث١٨٢٨،مسلم بشرح النووي ١٢/٥٢٨

عاطفته، وقدرته الفذة على مراعاة مشاعر أزواجه واحترام رغباتهن، ما دامت لا تخرج عن حدود الشرع وأحكامه »[١]

ولعلي أن أمثل بمثالين يدلان على عظيم رحمته بأهل بيته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ :

الأول: أن عائشة ـــــ رضي الله عنها ـــــ حجت معه ـــــ > ـــــ فمنعت من أداء العمرة مع الناس، فلما أراد الرسول ->- العودة إلى المدينة قالت: يا رسول الله تعودون بحج وعمرة، وأعود بحجة وحدها؟

فإذا بالنبي ـــــ > ـــــ يشفق أن تعود زوجه وهي تشعر بفوات بعض الفضل والخير عليها، فيتوقف ويطلب من أخيها عبدالرحمن بن أبي بكر ـــــ ب ـــــ أن يصحبها إلى التنعيم حيث تحرم بعمرة[٢]

الثاني:ما رواه البخاري -رحمه الله- أنه ـــــ > ـــــ لما رجع من غزوة خيبر، وتزوج صفية بنت حيي كان يدير كساء حول البعير الذي تركبه يسترها به، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته، فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب![١]

هذا الفعل منه لم يكن بعيدا عن أعين أصحابه ـــــ رضي الله عنهم ـــــ بل كان على مشهد منهم!

وبهذا الفعل منه صلى الله عليه وسلم قد أعطاهم درسا عظيما في التعامل مع الزوجة، وكيف تكون الرحمة بها في أرقى معانيها، فلم يمنعه كونه نبيا وقائدا منتصرا من أن يتواضع لزوجه، وأن يعينها ويسعدها [٢]

د ـــــ رحمته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ بالنساء

لقد نالت المرأة في الإسلام المكانة الرفيعة والمنزلة العالية، التي لم تنلها في أي دين أو

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة٢/٦٤٣

(٢) صحيح البخاري،كتاب العمرة،باب العمرة ليلة الحصبة،حديث١٧٨٣،الفتح٣/٦٠٥، ومسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام،حديث ١٢١١،مسلم بشرح النووي٨/٣٠٠

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث٤٢١١،الفتح٧/٤٧٨

(٢) السيرة النبوية الصحيحة٢/٦٤٣

نظام. سواء كانت أما، أو أختا، أو بنتا،أو زوجة أو غير ذلك.

لذا فقد أولى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ النساء جانبا عظيما من رحمته، واهتمامه، وأوصى أمته برحمتهن ورعايتهن، وجعل لهن حقوقا على حسب مكانتهن من الرجال [١] فمن ذلك:

ـــ أنه أمر بالإحسان إليهن:فقد قال:«اتقوا الله في النساء، فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف »[٢]

ومن رحمته بهن أنه أوصى بالنساء خيرا، وبين ما يوجب العطف والرحمة بهن في قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ:«استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرا » [١]

ومن رحمته بالبنات: أنه بين فضل تربيتهن، والإحسان إليهن حيث قال:« من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، وضم أصابعه»[٢]

هـ ـــ رحمته ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ بالأطفال

لقد امتدت رحمته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حتى وسعت الأطفال، فكان يلاطفهم، ويداعبهم ، ويقبلهم، ويحملهم رحمة بهم ، وينكر على من لم يرحمهم.

فعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قبَّل النبي ـــ > ـــ الحسن بن

---

(١) انظر: الرحمة والعظمة في السيرة النبوية ص٧٦

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم،حديث ١٢١٨،مسلم بشرح النووي ٣٢٧/٨

(١) أخرجه الترمذي،كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٤٦٧/٣،حديث ١١٦٣وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أيضا: ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على زوجها،٥٩٤/١،حديث١٨٥١، وقوى إسناده الألباني في إرواء الغليل ٥٤/٧

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة،باب فضل الإحسان إلى البنات، حديث ٢٦٣١،مسلم بشرح النووي ١٣٨/١٦

علي ـــــ ب ـــــ وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع:«إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا »، فنظر إليه رسول الله ـــــ > ـــــ فقال:« من لا يرحم لا يُرحم »[(١)]

وعن عائشة ـــــ ك ـــــ قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول ـــــ > ـــــ فقالوا: أتُقبِّلون صبيانكم؟ فقال:« نعم ».قالوا: لكنا والله ما نقبل. فقال رسول الله ـــــ > ـــــ:« أَوَ أملك أن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة»[(٢)]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ـــــ ب ـــــ قال: قال رسول الله ->- :«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا »[(١)]

و ـــــ رحمته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ بالمرضى والمصابين

المرضى وأهل البلاء هم مكان العطف والرحمة والشفقة، لذا فقد حث ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ على زيارتهم، وبين الفضل العظيم، والأجر الكبير الذي يحظى به من زارهم، وكل هذا من رحمته بالإنسان عند مرضه.

بل قد يتألم وتأخذه الشفقة، وتسبقه العبرة عند زيارته للمريض، ويرى ما يعانيه من آلام المرض ومن ذلك:

ما جاء في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـــــ ب ـــــ أنه قال:اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ->- يَعُودُهُ ... فلما دخل عليه فوجده في

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد، حديث ٥٩٩٧، الفتح،٤٢٦/١٠، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان،حديث ٢٣١٨، مسلم بشرح النووي٤٧١/١٥

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان،حديث ٢٣١٧، مسلم بشرح النووي٤٧١/١٥

(١) أخرجه أحمد في المسند٦٠٩/٢،حديث ٦٧٤٥،وأخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة،باب ما جاء في رحمة الصبيان،٢٨٣/٤،حديث ١٩١٩،والحديث صححه شعيب الأرنؤط في تعليقه على مسند الإمام أحمد، وصححه الألباني وقال رواه الحاكم وقال شرط مسلم. انظر: صحيح الترغيب والترهيب١١٧/١،حديث ٩٧

غاشية أهله[(١)].فقال:« قد قضى؟ ». قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي ــــ> ــــ، فلما رأى القوم بكى النبي ــــ > ــــ بكوا. فقال:«ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا ــــ وأشار إلى لسانه ــــ أو يرحم. وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه »[(٢)]

ز ــــ رحمته ــــ عليه الصلاة والسلام ــــ بالخدم والضعفاء واليتامى المساكين

دلت أحاديث المصطفي ــــ عليه الصلاة والسلام ــــ على شدة اعتنائه بهذه الطائفة من أمته، وأنه ــــ عليه الصلاة والسلام ــــ قد غمرها برحمته وشفقته،وسنته الفعلية تؤكد هذا فلقد كان يجالسهم، ويخالطهم، ويلاطفهم ويحنو عليهم، بل سأل ربه -عز وجل- حبهم، وأن يحييه مسكينا، ويميته مسكينا،وأن يحشره في زمرتهم، وأخباره في هذا الباب كثيرة جدا وإليك طرفا منها:

فعن أنس: أن رسول الله -<- قال:« اللهم أحييني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة ». فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال:« إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا، يا عائشة لا تردي المسكين، ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم؛ فإن الله يقربك يوم القيامة »[(١)]

ويأتيه رجل من أصحابه وهو يشكو قسوة قلبه فيقول له:« أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلين قلبك، وتدرك حاجتك »[(٢)]

---

(١) غاشية أهله: أي من جاءه لخدمته ونحوها من أهله. انظر: النهاية٣/ ٣٦٩

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز،باب البكاء عند المريض، حديث رقم١٣٠٤، الفتح٣/١٧٥، ومسلم،كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، حديث ٩٢٤، مسلم بشرح النووي٦/٥٢٣

(١) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم،٤/٤٩٩، حديث٢٣٥٢. قال الترمذي: هذا حديث غريب. وحسنه الألباني: .انظر: إرواء الغليل،٣/٣٥٩

(٢) أخرجه الطبراني في الترغيب والترهيب٣/٢٣٧،ومجمع الزوائد٨/١٦٠،وصححه الألباني في صحيحالجامع رقم ٨٠

وفي رواية« امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين »(١)

ومن كمال رحمته بالضعفاء: أن مسكينة مرضت، فأخبر رسول الله ـــــ > ـــــ بمرضها، وكان رسول الله ـــــ > ـــــ يعود المساكين، ويسأل عنهم.فقال رسول الله ـــــ > ـــــ :« إذا ماتت فآذنوني!» فأخرج بجنازتها ليلا، وكرهوا أن يوقظوا رسول الله ـــــ > ـــــ فلما أصبح رسول الله ـــــ > ـــــ أخبر بالذي كان منها.فقال:

« ألم آمركم أن تؤذنوني بها؟ » قالوا يا رسول كرهنا أن نوقظك ليلا، فقال: « دلوني على قبرها، فدلوه فصلى عليها ثم قال:إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله -عز وجل- ينورها لهم بصلاتي عليهم » (١)

ومن رحمته عليه الصلاة والسلام: أنه حذر من تضييع حقوق الضعفاء في قوله:« اللهم أحرج حق الضعيفين اليتيم، والمرأة »(٢)

ومن رحمته بالخدم ما جاء من حديث عبدالله بن عمر ـــــ ب ـــــ قال: جاء رجل إلى النبي ـــــ > ـــــ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت! ثم أعاد الكلام، فصمت! فلما كان في الثالثة، قال:« اعْفُوا عنه في كل يوم سبعين مرة »(٣)

ك ـــــ رحمته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ بالشباب

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٨٢/٣حديث ٧٥٧٩، والحديث صححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته،٧٨/١، حديث ٨٠، ورقمه في الصحيحة٨٥٤

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كنس المسجد،حديث٤٥٨،الفتح ٥٥٢/١، ومسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، حديث ٩٥٦،مسلم بشرح النووي٧/ ٢٣

(٢) أخرجه أحمد في المسند٤٤٠/٣،حديث ٩٦٧٢، وابن ماجه، كتاب الأدب،باب حق اليتيم، ١٢١٣/٢، حديث ٣٦٧٨.وقال فؤاد عبدالباقي في تعليقه على ابن ماجه: وإسناده صحيح، رجاله ثقات.وحسنه الألباني. انظر: الصحيحة١٢/٣،حديث ١٠١٥

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حق المملوك،٣٤١/٤، حديث٥١٦٤، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في العفو عن الخادم،٢٩٦/٤، حديث ١٩٤٩، وقال هذا حديث حسن غريب. وقال عنه الألباني في الصحيحة: إسناده صحيح٨٠٠/١، حديث ٣٨٨

الشباب هم أمل الأمة ومصدر عزها وقوتها بعد توفيق الله؛ لذا فإن الرفق بهم وغمرهم بالرحمة والعطف،إنما هو رحمة بالأمة،وحينما يتصفح المسلم سنة النبي – <- يجد أنه -<- لم يدخر جهدا في النصح للشباب والرحمة بهم من بداية بعثته إلى آخر يوم في حياته ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ وسنته وسيرته فيها الكثير والكثير من الأمثلة والشواهد على رحمته بشباب أمته فمن ذلك:

ـــــ أنه دائما كان قريبا منهم، وعلى اطلاع تام بأحوالهم، بل أنه على معرفة بما يهواه بعض شباب الصحابة فعند ذلك يرحمهم ويحقق لهم ما أرادوا طالما أنه لا محذور في ذلك.

ويشهد لذلك حديث مالك بن الحويرث ـــــ رضي الله عنه ـــــ قال: أتينا النبي ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ ونحن شَبَبَة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فَظَنَّ أنا اشْتَقْنَا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقا رحيما، فقال:«ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم، ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم »(١)

ومن رحمته بالشباب تقريبهم منه، وإجلاسهم في مجلسه، وعدم تركهم فريسة للشيطان وأعوانه، حماية لهم من نيران الشهوات، وضلال الفتن وسعيرها.

فهذا شاب من أصحابه يأتيه بجرأة الشباب واندفاعهم فيسأله أن يرخص له في جريمة الزنا! فلننظر كيف فعل الرحمة المهداة بهذا الشاب؟ وكيف أسر فؤاده برحمته وإحسانه!

فعن أبي أمامة قال:إن فتى شابا أتى النبي ـــــ> ـــــ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا!فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه فقال:«أدنه. فدنا منه قريبا.قال: فجلس.قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك.قال:و لا الناس يحبونه لأمهاتهم.قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال:

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، حديث ٦٣١،الفتح١١١/٢، ومسلم،كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، حديث ٦٧٤، مسلم بشرح النووي٣٠٢/٥

ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال:و لا الناس يحبونه لأخواتهم.قال:أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال:و لا الناس يحبونه لعماتهم.قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال و لا الناس يحبونه لخالاتهم.قال: فوضع يده عليه، وقال:اللهم اغفر ذنبه ،وطهر قلبه،وحصن فرجه،فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء »[1]

هذه الأمثلة من رحمته عليه الصلاة والسلام من أعظم الأدلة على أثر الإيمان بصفة الرحمة، وأن له أثرا بالغا في القيام بالحقوق جميعها، وهذا من ثمرة الإيمان وبركاته، وأنه ينبغي للمسلم أن يتصف بخلق الرحمة إقتداء بالنبي ــــ صلى الله عليه وسلم

٣- الرحمة بجميع الكائنات

الإيمان بصفة الرحمة يحمل المؤمن على أن يكون رحيما بجميع المخلوقات، حتى تلك المخلوقات التي لا تنطق ولا تتكلم! فإنه يحنو عليها ويرحمها؛ لأن المؤمن يتعبد الله بهذه الصفة طمعا فيما عنده من الثواب.

وهذه الرحمة التي أصبحت من خلق المؤمن وسلوكه وأعماله حتى شمل برحمته العجماوات! لتدل دلالة واضحة على عظم دين الإسلام، وأنه دين الرحمة والهدى؛ فإنه يربي أتباعه ومعتنقيه على أمثال هذه الأخلاق التي عرفوا بها حقوق الإنسان وحقوق الحيوان،وحق كل ذي حق في الوجود.

ولا يظن أحد أن هذه المعاني والآثار بعيدة عن واقع الحياة، وأني أتحدث عن مثل عليا لم توجد في حياة الناس!!

بل الأمر على خلاف ذلك فأهل الإسلام ــــ ولله الحمد ــــ لازالوا يقرؤون قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1] وهم يؤمنون بذلك وبجميع

---

(١) أخرجه أحمد في المسند،٨/٢٨٥، حديث ٢٢٢٧٤، وقال شعيب الأرنؤط عنه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، وقال الألباني عنه أيضا: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.انظر: الصحيحة١/ ٦٤٥، حديث ٣٧٠

(١) سورة الأعراف، آية١٨٠

أسماء الله وصفاته ويتعبدون إلى الله -عز وجل-ـــ بها يرجون القرب منه ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

وحتى لا يكون الكلام بعيدا عن الأعمال التطبيقية فإليك أمثلة في الرحمة والرفق بالحيوان من حياة المصطفى ـــــ عليه الصلاة والسلام ـــــ، ومن حياة أصحابه ـــــ رضي الله عنهم ـــــ :

١- ما رواه أبو داود عن ابن مسعود ـــــ رضي الله عنه ـــــ أنه قال:«كنا مع النبي -<- في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَةَ[1] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تَعْرِشُ[1] فلما جاء رسول الله ـــ->-ـــ قال:« من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها ». ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال:« من أحرق هذه؟ ». قلنا: نحن قال:«إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»[2]

٢- وجاء في مسند الإمام أحمد عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رجلا قال للنبي ـــــ > ـــــ: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها.فقال النبي ـــــ > ـــــ:« والشاة إن رحمتها رحمك الله»[3].

٣ ـــــ وروى عبدالرزاق في المصنف عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب ـــــ رضي الله عنه ـــــ رأى رجلا يسحب شاة برجلها؛ ليذبحها فقال له:«ويلك، قُدْها إلى الموت قودا جميلا »[4]

٤ـــــ وفي الصحيح عن ابن عمر ـــــ ب ـــــ: «أنه مر بفتيان من قريش قد

---

(١) الحمرة بضم الحاء وتشديد الميم، وقد تخفف: طائر صغير كالعصفور. انظر: النهاية لابن الأثير، باب الحاء مع الميم ٤٣٩/١

(١) التَّعْريش: أن ترتفع وتُظَلِّل بجناحيها على من تحتها. انظر: النهاية لابن الأثير٢٠٨/٣

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار،٥٥/٣،حديث ٢٦٧٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الذبائح، حديث ٧٥٩٩. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه،وصحح إسناده الألباني في الصحيحة،٣٣/١،حديث ٢٥

(٣) سبق تخريجه ص٣٥٠

(٤) المصنف، باب سنة الذبح٤٩٣/٤، حديث رقم ٨٦٠٥

نصبوا طيرا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ـــــ > ـــــ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا »[١]

هذا ما تسير ذكره من الآثار الإيمانية بصفة الرحمة أرجو أن أكون قد وفقت في جمعها وإلا فإن هذا الباب كما يقول ابن القيم -رحمه الله-:« وهذا باب لا يلجه إلا الأفراد في العالم»[٢] وإني والله لست من هؤلاء الأفراد الذين يعنيهم الإمام ابن القيم،وإنما أنا أولى بقول عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- منه فقد أثر عنه أنه قال: «اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني،رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنك خلقت قوما فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين »[١]

---

(١) أخرجه مسلم،كتاب الصيد والذبائح،باب النهي عن صبر البهائم، حديث ١٩٥٨، مسلم بشرح النووي ٩٤/١٣

(٢) كتاب الروح ٤٨٥

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم٢٩٩/٥

الباب الثاني

الرد على انحرافات المخالفين المتعلقة بصفة الرحمة وفيه فصلان:

الفصل الأول: الرد على انحرافات المخالفين العقدية المتعلقة باسمي الله تعالى(الرحمن الرحيم).

الفصل الثاني: انحرافات المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الرحمة والرد عليها.

الفصل الأول

الرد على انحرافات المخالفين العقدية المتعلقة باسمي الله تعالى(الرحمن الرحيم) وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أول من أنكر اسم الله تعالى(الرحمن) .

المبحث الثاني: الرد على من أنكر اسم الله (الرحمن).

المبحث الثالث: الرد على من استبعد أن يكون اسم (الرحمن) نعتا لله تعالى.

المبحث الرابع: الرد على من زعم المجاز في اسم الله (الرحمن).

المبحث الخامس: الإلحاد في اسمي الله (الرحمن الرحيم) ورده.

المبحث الأول

أول من أنكر اسم الله تعالى(الرحمن)

دل الكتاب والسنة على أنواع من عنت وعناد مشركي مكة لرسول الله ـــــ > ـــــ في سبيل صد الناس عن دخول الدين الذي أرسله الله به، ومن هذا العنت والعناد الذي وجده النبي ـــــ > ـــــ من قومه إنكارهم لاسم الله عز وجل (الرحمن).

قال الشيخ صالح الفوزان ـــــ حفظه الله ـــــ:« إن أول من جحد الأسماء والصفات هم المشركون »[(١)] وقال في كتاب عقيدة التوحيد أيضا:« فهؤلاء المشركون هم سلف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وكل من نفى عن الله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته وبئس السلف لبئس الخلف »[(٢)]

أما الأدلة على أن المشركين هم أول من أنكر اسم الرحمن فقد دل على ذلك دليل الكتاب:

فمن الآيات التي سجلت عليهم السبق في إنكارهم لأسماء الله وصفاته ما يلي:

١- قوله تعالى:﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[(٣)]

٢- وقوله تعالى:﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ

---

(١) إعانة المستفيد: ١٩٧/٢

(٢) عقيدة التوحيد ٨٢

(٣) سورة الرعد، آية ٣٠

ٱلْحُسْنَىٰ﴾(١)

٣- وقوله تعالى:﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾(٢)

٤ــــ وقوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾(١)

وأما الدليل من السنة على إنكارهم لاسم الرحمن:

فهو ما حصل منهم يوم الحديبية كما رواه البخاري في حديث طويل حيث جاء فيه: فدعا النبي ->- الكاتب فقال النبي ->-:« اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » .فقال سهيل: أما الرحمن فو الله ما أدري ما هي، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتُبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ــــ > ــــ «اكتب باسمك اللهم »(٢)

فهذه الأدلة تبين ما وصل إليه المشركون من الجحود والإنكار حتى كفروا باسمه تعالى الرحمن، فهم لا يقرون بهذا الاسم ،ويأنفون من وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم، وهذا لجهلهم بالله تعالى، وما يجب له ــــ جل وعلا .

كما أكدت الأدلة على أن الذي حملهم على إنكار هذا الاسم إنما هو الجحود والعناد والعنت وهذا ظاهر جدا في آية الفرقان فإنهم لما أمروا بالسجود للرحمن وترك السجود للأصنام ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي لا نعرفه فهم هنا ادعوا عدم معرفة الرحمن فأعرضوا عن السجود لله، وأصروا على عبادة

(١) سورة الإسراء، آية١١٠

(٢) سورة الأنبياء، آية ٣٦

(١) سورة الفرقان،آية ٦٠

(٢) سبق تخريجه ص٨٥

الأصنام [١]بهذه الحجة الواهية؛ لأنهم في حقيقة الأمر يعرفون هذا الاسم فقد ذكر الله عنهم اعترافهم به في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ﴾[٢]

إبطال دعوى : من قال: إن العرب أنكرت اسم الرحمن لأنه اسم أعجمي!

إن مما أكده أهل العلم بالتفسير واتفقوا عليه أن اسم الله (الرحمن) عربي لفظه،واشتد إنكارهم على من زعم بأنه عجمي مستدلا بإنكار العرب له، وعَدَّوا هذا القول من غرائب التفسير وعجائب التأويل، وأنه من الأقوال المرغوب عنها [١] يقول إمام المفسرين ابن جرير ـــــ / ـــــ :« وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف(الرحمن)،و لم يكن ذلك في لغتها »[٢] ثم أخذ ـــــ / ـــــ في الرد على هذا القول مستدلا ببعض ما أثر عن العرب من أشعار تدل على معرفتهم باسمه تعالى الرحمن مما سيُذكر بإذن الله لاحقا في مبحث الرد على من أنكر هذا الاسم.

وكذلك الإمام القرطبي في تفسيره وفي كتابه الاسنى استدل على أن اسمه تعالى (الرحمن) عربي وليس بعجمي بدليل ما ورد فيه من الاشتقاق الوارد في قوله –<– :«قال الله عز وجل: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي... »[٣] ثم قال:« وهذا نص في الاشتقاق، فلا معنى للمخالفة والشقاق، وإنكار العرب له لجهلهم بالله وبما يجب له»[٤]

ويقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله تعالى-:« وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن، حتى رد الله عليهم ذلك ...والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير٢/١٥٥٧، ٣/٢٠٩٠

(٢) سورة الزخرف،آية ٢٠

(١) انظر:تفسير الطبري١/٨٦،وتفسير القرطبي١/١٠٤،وتفسير ابن كثير١/٩٧

(٢) تفسير الطبري١/٨٦

(٣) سبق تخريجه ص ١٠٧

(٤) انظر: تفسير القرطبي ١/١٠٤،والاسنى ص٤٠٤

وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في أشعارهم تسمية الله بالرحمن ... »[١]

مشركو العرب هم سلف الجهمية وشيعتهم في نفي أسماء الله الحسنى

فمن المفارقات العظيمة بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من أهل البدع والضلالة:

أن أهل السنة وفقهم الله في دينهم وعقيدتهم فاتبعوا المرسلين في كل ذلك،فاتبعوا إبراهيم وموسى ومحمدا ـــــ عليهم الصلاة والسلام ـــــ في باب الأسماء والصفات فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله، ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله.

أما غيرهم من أهل البدع والضلالة من الجهمية ونحوهم،فإنهم سلكوا سبيل أعداء إبراهيم وموسى ومحمد[١]، فكل بدعة في باب الأسماء والصفات ظهرت في هذه الأمة فإنها من إتباع غير سبيل المرسلين،وإنما أخذت من المشركين وأهل الكتاب.

ولهذا حذرنا نبينا عليه الصلاة والسلام من إتباع أهل الباطل في قوله :

«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟قال: فمن »[٢]

وقال أيضا ـــــ عليه الصلاة والسلام:« أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلْحِد في الحرم، ومُبْتغٍ في الإسلام سنَّةَ الجاهلية، ومُطَّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه »[٣]

فاسم الله (الرحمن) أول ما نفاه وأنكره المشركون في زمن النبي ـــــ > ـــــ كما سبق بيانه ثم يأتي بعد ذلك نفاة الأسماء والصفات من هذه الأمة وإذا هم يرثون عن المشركين هذا المنهج ويسلكون سبيل أهل الجاهلية، فينفون عن الله عز وجل الأسماء الحسنى، ويصفونه بما لم يصف نفسه، وينفون عن الله ما وصف به

(١) تفسير ابن كثير ١/٩٩

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية١٦/١٢٤

(٢) أخرجه البخاري،كتاب الأنبياء، باب ماذكر عن بني إسرائيل، حديث ٣٤٥٦،الفتح٦/٤٩٥

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، حديث ٦٨٨٢، الفتح١٢/٢١٠

نفسه[١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ / ـــــ:« فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم. صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين »[٢]

وقال أيضا:« وأهل السنة والجماعة المتبعون لإبراهيم وموسى ومحمد ـــــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـــــ يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله، ومحبته، ورحمته، وسائر ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى...

وأما أهل البدع والضلالة ـــــ من الجهمية ونحوهم ـــــ فإنهم سلكوا سبيل أعداء إبراهيم وموسى ومحمد ... وتابعوا المشركين الذين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾[١]

واتبعوا الذين ألحدوا في أسماء الله.فهم يجحدون حقيقة كونه الرحمن، أو أنه يرحم »[٢]

---

(١) انظر:اللآلئ البهية في شرح الواسطية لصالح آل الشيخ١/٢٠٥ـــــ٢٠٦

(٢) العقيدة الواسطية بشرح الشيخ صالح الفوزان ص٢٠

(١) سورة الفرقان،آية ٦٠

(٢) الفتاوى١٢٤/١٦

المبحث الثاني
الرد على من أنكر اسم الله الرحمن

يرد على من أنكر اسم الله سبحانه وتعالى (الرحمن) من وجوه:

أولا:أن الله سبحانه أثبت لنفسه اسم الرحمن ردا على المشركين الذين أنكروه قال الله تعالى:﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَـٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾[١]

وقال جل وعلا:﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -/- في بيان هذا الرد:

---

(١) سورة الرعد، آية ٣٠

(٢) سورة الإسراء، آية١١٠

« ... فاسمه (الرحمن) أنزله الله لما أنكر المشركون هذا الاسم فأثبته الله لنفسه ردا عليهم، وهذا أبلغ في كونه محكما... إذ الرد على المنكر أبلغ في إثبات نقيض قوله من جواب السائل الذي لم يرد عليه بنفي ولا إثبات وقد قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾(١) وقال تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (١) »(٢)

ويقول الحافظ ابن كثير في بيان هذا الرد عند تفسيره لآية الفرقان:«ثم قال تعالى منكرا على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ أي: لا نعرف الرحمن. وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ للكاتب:«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم، ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللهم.ولهذا أنزل الله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٣)

أي هو الله وهو الرحمن...»(٤)

ثانيا:أن الله –سبحانه– سمى جحود اسمه الرحمن كفرا

---

(١) سورة الفرقان،آية ٦٠

(١) سورة الرعد، آية ٣٠

(٢) بيان تلبيس الجهمية١/٣٩٨

(٣) سورة الإسراء، آية١١٠

(٤) تفسير ابن كثير٣/٢٠٩٠

يقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾(١)

فمن أبلغ الردود على المخالفين الرد بما ورد في الكتاب والسنة، ففي هذه المسألة مثلا الله سبحانه تولى الرد على من أنكر اسمه الرحمن من المشركين، وسمى إنكاره كفرا وهذا أبلغ ما يكون في التنفير من هذا الفعل وذم فاعله، وأن من أقدم على ذلك فهو من الهالكين والعياذ بالله

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله –رحمه الله–«...لأن الله تعالى سمى جحود اسم من أسمائه كفرا، فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر، فمن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة، والجهمية والمعتزلة ونحوهم ـــــ وإن كانوا يقرون بجنس الأسماء والصفات ـــــــ، فعند التحقيق لا يقرون بشيء؛ لأن الأسماء عندهم أعلام محضة، لا تدل على صفات قائمة بالرب –تبارك وتعالى– ،وهذا وصف كفر الذين جحدوا اسم الرحمن »(١)

ويقول الشيخ صالح الفوزان:« إن إنكار الأسماء والصفات كفر لقوله تعالى:﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ... »(٢)

ثالثا: أن إنكار اسم الرحمن هو من الإلحاد الذي حذر الله عز وجل منه وتوعد أهله بالعذاب الأليم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

فالآية صريح في الرد على كل من أنكر شيئا من أسماء الله تعالى؛ لأنه و الحال هذه

(١) سورة الرعد، آية ٣٠

(١) تيسير العزيز الحميد٢/١١٣٥

(٢) إعانة المستفيد ٢/ ١٩٥

(٣) سورة الأعراف، آية ١٨٠

يعد من الإلحاد الذي حذر منه الله في الآية وتوعد من يفعله،لذا فإن من أمثلة أهل العلم على أنواع الإلحاد ــــ كما يأتي بيانه بإذن الله ــــ : هو أن ينكر شيئا من أسماء الله كإنكار اسم الرحمن الذي أنكره أهل الجاهلية، فإن هذا الفعل إلحاد باسمه الرحمن وميل به عما يجب فيه(١)

ولهذا أجاب شيخ الإسلام بكفر من أنكر دعاء الله باسمه الرحمن حينما سئل عن ذلك حيث قال رحمه الله:«الحمد لله لا خلاف بين المسلمين أن العبد إذا دعا ربه يقول: يا الله، ويا رحمن، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾(١)

وكان النبي –>– يقول في دعائه:«يا الله يا رحمن ». فقال المشركون: محمد ينهانا أن ندعو إلهين، وهو يدعو إلهين، فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي المدعو إله واحد، وإن تعددت أسماؤه، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (٢)

ومن أنكر أن يقال:يا الله يا رحمن، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل. والله أعلم»(٣)

رابعا:دلالة أشعار العرب على تسمية الله باسمه الرحمن.

مما يرد به على من أنكر اسم الجلالة (الرحمن) أن يقال:إن هذا الاسم كان معروفا عند العرب ومما يشهد لذلك ما جاء في أشعارهم من تسمية الله به وهذا ذكره غير

---

(١) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى ص١٤٤

(١) سورة الإسراء، آية١١٠

(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٠

(٣) الفتاوى٢٢/٢٨٦

واحد من أهل العلم [١] فلا حجة بعد ذلك لمن أنكره بحجة إنكار المشركين له. ولقد رد أمام المفسرين على هذا الزعم بقوله:« وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف (الرحمن) و لم يكن ذلك في لغتها،ولذلك قال المشركون للنبي ـــ > ـــ:﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ [٢] إنكارا منهم لهذا الاسم.

كأنه لم يتلُ من كتاب الله قول الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ ـــ يعني محمدا ـــ ﴿ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾[١] وهم مع ذلك به مكذبون، ولنبوته جاحدون! فيعلم بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته، واستحكمت لديهم معرفته. وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها[٢]

وقال سلامة بن جندل السعدي:

عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا حجَّتين عليكم وما يشاء الرحمن يَعْقِدْ ويُطْلِقِ »[٣]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٨٦/١،تفسير ابن كثير١/ ٩٨

(٢) سورة الفرقان،آية ٦٠

(١) سورة البقرة،آية ١٤٦

(٢) ذكره ابن سيدة في كتابه المخصص، فصل اشتقاق أسماء الله عز وجل ١٥٢/١٧

(٣) تفسير الطبري ١/ ٨٦ ، وذكر البيت في منتهى الطلب من أشعار العرب١٢/١

المبحث الثالث

الرد على من استبعد أن يكون اسم (الرحمن) نعتا لله تعالى.

بيان هذه المسألة أن يقال: هل الرحمن في البسملة نعت أم علم؟

ذكر ابن القيم -رحمه الله- في بدائع الفوائد أن قوما قد استبعدوا أن يكون الرحمن في البسملة نعتا! وقالوا: هو علم وليس بصفة[١].

ونقل السفاريني -رحمه الله- في لوائح الأنوار السَّنيَّة عن جمال الدين بن هشام[٢]

(١) انظر: بدائع الفوائد ٢٦/١

(٢) هو عبدالله بن يوسف بن هشام جمال الدين أبو محمد النحوي المشهور صاحب التصانيف المشهورة كمغني اللبيب،وقطر الندى، وشذور الذهب توفي في ٧٦١هـ .انظر الدرر الكامنة لابن حجر٢/

في مغني اللبيب(١) أن هذا القول هو الحق، وأنه قول الأعلم يوسف بن سليمان الشنتمري(٢)، وابن مالك صاحب الألفية(٣) في النحو(١)، وهذا القول كما سيأتي يوافق ما ذهب إليه الأشاعرة في موقفهم من الصفات التي لم يقولوا بإثباتها.

وحجتهم فيما ذهبوا إليه أنهم قالوا:

١- يدل على هذا أن الرحمن علم مختص بالله لا يشاركه فيه غيره، فليس هو كالصفات التي هي العليم والقدير والسميع والبصير، ولهذا تجري على غيره تعالى.

٢- وقالوا: إنما يوضح أنه غير صفة مجيئه غير تابع كقوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(٢) وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ﴾(٣) وقالوا هذا شأن الأسماء المختصة؛ لأن الصفات لا يقتصر على ذكرها دون الموصوف (٤).

وهذا القول مما لا شك فيه أنه مخالف لما دل عليه القرآن وما عليه أهل السنة والجماعة من أن أسماء الله أعلام وأوصاف بخلاف أعلام البشر،فإنها أعلام محضة.

يقول ابن القيم ـــــ رحمه الله:« إن أسماءه الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف

٣٠٨

(١) انظر: مغني اللبيب، الباب الرابع: الحال والتمييز ٥/ ٤١٠

(٢) هو إمام العربية، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري، الأندلسي، الأعلم، وهو المشقوق الشفة، من مصنفاته: شرح أبيات سيبوية، وشرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين،توفي سنة ٤٧٦هــ بإشبيلية.انظر: سير أعلام النبلاء١٨/٥٥٥،الوافي بالوفيات٢٩/٩٠

(٣) هو أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي ولد في (جيَّان) في الأندلس، وانتقل إلى دمشق وتوفي فيها عام ٦٧٢هــــ كان إماما في العربية ومن أشهر ما نظم الألفية. انظر: الأعلام ٢٣٣/٦

(١) انظر: لوائح الأنوار السنية في شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية١/١٥٨

(٢) سورة طه، آية ٥

(٣) سورة الفرقان، آية ٦٠

(٤)انظر: بدائع الفوائد١/٢٦،و لوائح الأنوار السنية١/١٥٩

بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى »[١]

ولما كان الأمر كذلك فإن علماء أهل السنة والجماعة قد ردوا على من استبعد أن يكون الرحمن في البسملة نعتا فمن ذلك:

١- يقول ابن القيم -رحمه الله- في رده :

« قلت: أسماء الرب -تعالى- هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه -تعالى-، ووصفه، لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة، جرى تابعا على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم، ولما كان هذا الاسم مختصا به -تعالى-، حسن مجيئه مفردا غير تابع، كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسم الله، فإنه دال على صفة الألوهية و لم يجيء قط تابعا لغيره.بل متبوعا وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة، بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة، يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفة، لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعا » [٢]

٢- ويقول الإمام السفاريني في رده على قولهم:إن مما يدل على أنه غير صفة مجيئه كثيرا غير تابع قال :« ومن يقول أنه صفة ــــ أي اسم الرحمن ــــ يجيب عن ذلك بأن الموصوف إذا علم جاز حذفه وإبقاء صفته كقوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ﴾[٣] أي نوع مختلف ألوانه كاختلاف السموات[٤] والجبال » [٥]

---

(١) بدائع الفوائد١/١٧٨

(٢) المصدر نفسه١/٢٧

(٣) سورة فاطر، آية ٢٨

(٤) الموافق للآية قبلها أن يقول هنا كاختلاف الثمرات بدلا من السماوات والله أعلم

(٥) لوائح الأنوار السنية١/١٥٩

٣- ويقول ابن عثيمين -رحمه الله-:« وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليه كما في قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)] وقوله:﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾[(٢)]

فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة.

ولإجماع أهل اللغة والعُرْف أنه لا يقال: عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أبين من أن يحتاج إلى دليل » [(٣)]

المبحث الرابع

الرد على من زعم المجاز في اسم الله (الرحمن).

معنى الحقيقة والمجاز عند القائلين به:

من المستحسن قبل الدخول في معركة الصراع القائمة بين أهل الحق القائلين بمنع المجاز في نصوص الشريعة، وبين الزاعمين بوقوع المجاز في الكتاب والسنة وكلام العرب!

---

(١) سورة الأحقاف،آية ٨

(٢) سورة الكهف،آية ٥٨

(٣) القواعد المثلى، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ٣/٢٧١

أن أبدأ بذكر معنى الحقيقة والمجاز عند القائلين بوقوع المجاز :

فالحقيقة عندهم: هو اللفظ المستعمل فيما وضع له.

وقد يراد بها: المعنى الموضوع للفظ الذي يستعمل اللفظ فيه.

وقالوا في تعريف المجاز: إنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له[(١)].

وهم يشترطون وجود علاقة ـــــ وقد يسمونها مناسبة أو ملاحظة ـــــ بين الوضع الأصلي، وبين الفرع المنقول.

لذا جاء تعريف المجاز في أسرار البلاغة بأنه:

« كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز »[(٢)]

فإذا عُلِمَ هذا فأقول الرد على من زعم المجاز في اسم الله (الرحمن) سيكون بإذن الله من جانبين:

أحدهما : عام في رد القول بالمجاز.

والثاني: خاص في رد المجاز في اسم الله (الرحمن).

أما الأول: وهو الرد على من قال بوقوع المجاز ، وأن اللفظ ينقسم إلى حقيقة ومجاز

فهذه المسألة وهي القول بوقوع المجاز في كلام الشارع من الأقوال التي قد جَرَّتْ الويلات والمصائب على الأمة الإسلام؛ وذلك أنه أصبح بابا لكل من أراد تحريف نصوص الشريعة عن مواضعها متسترا بهذا الستار المحدث الذي سمي بالمجاز فلما عرف العلماء المنصفون أضراره، وأنه يؤدي إلى إحداث خلل وإبطال لكثير من أصول العقيدة، خصوصا في باب الأسماء والصفات الذي تجرأ عليه المعطلة من الجهمية ومن تبعهم متسلحين بهذا السلاح! لهذا ولغيره وقف علماء السلف منه

(١) انظر : التعريفات للجرجاني ص٨٩، التمهيد في أصول الفقه للكلوذاني٢/٢٤٩،ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/١٢٥ ،٧/٦١،ومختصر الصواعق لابن القيم ٢/٢٣٣، وجناية التأويل الفاسد ص٧٣

(٢) أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني ٣٥٠ـــــ٣٥١

موقف الرد والإنكار وقاموا بالرد على من قال به، أو انتصر له من السابقين ومن المعاصرين، وردود العلماء فيه كثيرة جدا فقد تصدى للرد على من قال به علماء أجلاء لهم مكانتهم العلمية لدى المسلمين جميعا :كابن تيمية[١] وابن القيم[٢] ــ ومن المعاصرين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـــ صاحب أضواء البيان[٣] ـــ وابن باز له فتوى في حكمه[٤]، وابن عثيمين في شرح الواسطية [٥] ـــ عليهم رحمة الله ـــ وغيرهم الكثير، وأيضا هناك كتابات كثيرة في بيان إبطال المجاز ضمن رسائل جامعية أجاد فيها أصحابها سالكين المنهج العلمي في الرد وبحث مسائل الخلاف:كرسالة الدكتور محمد أحمد لوح وهي بعنوان: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، فقد عقد مبحثا أجاد فيه وأفاد تعرض فيه لكثير من قضايا المجاز وأقام الأدلة على بطلانه، ومما تميزت به دراسته أنه عرض شبهات بعض القائلين بالمجاز المعاصرين كالدكتور: عبدالعظيم إبراهيم المطعني ـــ هدانا الله وإياه للحق المبين ـــ الذي ألف رسالة بعنوان المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار وله كتاب بعنوان(المجاز في اللغة والقرآن) فقد كانت دراسته دائرة على محاولة إثبات تناقض ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في موقفهم من المجاز وإن كان لم يصرح بذلك، ووصفه لمن قال بمنع المجاز بأنهم قلة وأن أدلتهم على إبطاله شبهات وغيرها من الملاحظات لكن الدكتور محمد أحمد لوح تصدى لكل ذلك وأبطل حجج كل من قال بالمجاز.

---

(١) في مجموع الفتاوى ١٢٥/٥، وله الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز بالصفات ٢١١/٦ له رسالة في رد المجاز بعنوان (الحقيقة والمجاز) ٢٢٠/٢٠

(٢) في مختصر الصواعق المرسلة٦٩٠/٢فقد ذكر خمسين وجها للرد على القائلين بالمجاز

(٣) أيضا له رسالة في منع المجاز في القرآن بعنوان:(منع جواز المجاز في المترل للتعبد والإعجاز) أقر فيها أن الحق هو منع المجاز في القرآن ولغة العرب أيضا.

(٤) فقد سئل رحمه الله في مجموع فتاوى الشيخ ومقالاته ج ٣٨٦/٢٤ هل في القرآن مجاز؟ فأجاب: الصحيح الذي عليه المحققون أنه ليس في القرآن مجاز على الحد الذي يعرفه أصحاب البلاغة، وكل ما فيه فهو حقيقة في محله.

(٥) انظر: رده على المثبتين للمجاز في شرحه للواسطية ٤٣٩/١وما بعدها

وردود العلماء في إبطال المجاز كثيرة[(١)] حيث تناولوا رده من أوجه متعددة وكل واحد منها كاف في إبطال القول بوقوعه في نصوص الشرع ولعلي أذكر ما يفي بالمقصود على وجه الاختصار فأقول:

أولا:أن القول بالمجاز محدث لم يكن معروفا في القرون المفضلة.

إن مما جزم به العلماء المحققون أنه لم يرد في الشرع تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز، وأن الشرع لم يدل عليه، ولا أشار إليه؛ بل عدوا القول به من المصطلحات المحدثة التي أضرت بنصوص الشريعة.

ومما أكدوه كذلك أنه لم يتكلم به أحد من القرون المفضلة: لا من الصحابة ـــــ رضي الله عنهم،ولا من التابعين،ولا من تابعي التابعين ـــــ عليهم رحمة الله .

ولم يوجد هذا التقسيم في كلام أحد من الأئمة المشهورين بالعلم، ولا تكلم به أحد من الأئمة الأربعة، ولا أئمة اللغة العربية[(٢)]، فلم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغتها إلى حقيقة ومجاز، ولا قال أحد من العرب قط: هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز، ولا يوجد في كلام من نقل لغتهم عنهم مشافهة أو بواسطة.[(٣)]

وكلام أهل العلم المعتبرين مدون ـــــ ولله الحمد ـــــ بحروفه في مصنفاتهم؛ فلم يحفظ عن أحد منهم أنه قسم هذا التقسيم، حتى من تلفظ بكلمة مجاز من

---

(١) انظر: مثلا:١ـــــ الاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، تأليف نصر أبو زيد ٢ـــــ بطلان المجاز وأثره في إفساد التصور وتعطيل نصوص الكتاب والسنة، مصطفى عيد الصياصنة

٣ـــ المجاز في الإلهيات عند المتكلمين في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ابتسام السعدون ٤ـــــ موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ،عرض ونقد ، سليمان الغصن

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ رحمه الله ـــــ:بل أئمة النحاة أهل اللغة كالخليل، وسيبويه، والكسائي، والفراء، وأمثالهم، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني وغيرهم لم يقسموا تقسيم هؤلاء. انظر:مجموع الفتاوى٢٢٢/٢٠

(٣) انظر:الإيمان الكبير لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى٦٠/٧،ومختصر الصواعق لابن القيم٦٩٢/٢ـــــ٧٠٠

المتقدمين[١] فإنه لا حجة لأرباب المجاز في ذلك، لأنهم لا يعنون ما يعنيه أهل المجاز، ولا يقصدون به تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز،وإنما يعنون بالمجاز: ما يعبر به عن اللفظ، ويفسر به كقول المفسر معنى الآية كذا، وتأويل الآية كذا[٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ رحمه الله عن هذا التقسيم:«... وإنما هو اصطلاح حادث، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين، فإنه لم يوجد في كلام أحد من أهل الفقه، والأصول، والتفسير والحديث ونحوهم من السلف.

وهذا الشافعي، هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز » [٣]

ثانيا:أن القول بالمجاز يترتب عليه لوازم فاسدة

أ ـــــ فمن ذلك أنه يؤدي إلى تحريف النصوص الشرعية عن معانيها الحقيقية

ويشهد لذلك إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون من نفاه صادقا في نفس الأمر[٤] فإذا كان كذلك فكيف يقال: إن في القرآن مجازا أو في السنة مجازا ؟ فهل يجرؤ أحد على نفي ما أثبته الله ورسوله ـــــ صلى الله عليه وسلم؟ فما لهؤلاء القائلين به لا ينتهون؟ وهم يعلمون بهذا! وقد شاهدوا ما نالت منه نصوص الصفات من النفي والتحريف من قبل أولئك المعطلين الذين قدسوا عقولهم وقدموها على الوحي المطهر!!

فإنهم إذا عجزوا عن الطعن في نصوص الأسماء والصفات بالتكذيب أو التشكيك، لجؤوا إلى المجاز فوجدوا فيه بغيتهم، وظفروا بالنيل من النصوص ونفوها عن المراد بها.

---

(١) كأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي كانت وفاته ٢١٠هـــ والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

(٢) فمن أراد التوسع وضرب الأمثلة فلينظر:مختصر الصواعق٢/٦٩٤ وما بعدها، وجناية التأويل ص٧٥،وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ١/٤٤٨ــــ ٤٥٠

(٣) مجموع الفتاوى٧/٦٠

(٤) انظر: منع جواز المجاز للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص٨

لذا يحق لابن القيم أن يسمي المجاز طاغوتا يجب كسره يقول ابن القيم –رحمه الله– :«فصل: في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز الذي لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون، جعلوه جنة يتترسون بها من سهام الراشقين، ويصدون به عن حقائق الوحي المبين »[١]

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– في كلام له عن آثار المجاز :« وبهذا الباطل توصل المعطلون إلى نفي صفات الكمال والجلال الثابتة لله ـــــ تعالى ـــ في كتابه وسنة نبيه –<– بدعوى أنها مجاز، كقولهم في استوى: استولى وقس على ذلك غيره من نفيهم للصفات عن طريق المجاز »[٢]

وقال أيضا:« وعن طريق المجاز توصل المعطلون لنفي ذلك فقالوا: لا يد ولا استواء ولا نزول، ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات؛ لأن هذه الصفات لم ترد حقائقها، بل هي عندهم مجازات، فاليد مستعملة عندهم في النعمة أو القدرة، والاستواء في الاستيلاء، والتزول نزول أمره ونحو ذلك، فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول بالمجاز »[٣]

ب ـــــ أن المجاز يؤدي إلى أن الله لا يوصف بشيء من صفات الكمال حقيقة وأن أسماءه الحسنى كلها مجازات

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: « فمن ظن أن الحقيقة إنما تتناول صفة العبد المخلوق المحدث دون صفة الخالق كان في غاية الجهل؛ فإن صفة الله أكمل وأتم وأحق بهذه الأسماء الحسنى فلا نسبة بين صفة العبد وصفة الرب، كما لا نسبة بين ذاته وذاته، فكيف يكون العبد مستحقا للأسماء الحسنى حقيقة، فيستحق أن يقال: عالم قادر سميع بصير، والرب لا يستحق ذلك إلا مجازا؟!

ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الرب –سبحانه وتعالى–وله المثل

---

(١) مختصر الصواعق ٢/٦٩٠

(٢) مذكرة أصول الفقه ص٥٨

(٣) منع جواز المجاز ص٨ـــــ٩

الأعلى، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه »[١]

ويقول ابن القيم -رحمه الله-:« إن ههنا ألفاظا تطلق على الخالق والمخلوق أفعالها ومصادرها وأسماء الفاعلين والصفات المشتقة منها، فإن كانت حقائقها ما يفهم من صفات المخلوقين وخصائصهم وذلك منتف في حق الله -تعالى- قطعا لزم أن تكون مجازا في حقه لا حقيقة، فلا يوصف بشيء من صفات الكمال حقيقة، وتكون أسماؤه الحسنى كلها مجازات، فتكون حقيقة للمخلوق مجازا للخالق، وهذا من أبطل الأقوال، وأعظمها تعطيلا »[٢]

ج ـــــ أن في القول بوقوع المجاز في نصوص الشرع اتهاما للشارع بالعجز عن التعبير بالحقيقة.

وذلك أنهم يقولون: إن المتكلم إنما يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إذا ضاقت عليه بعض طرق الكلام. فهل يظن أحد أن هذا يكون في كلام الله وكلام رسوله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ حتى يقال بوقوع المجاز في الكتاب والسنة؟[٣]

د ـــــ أن المجاز كذب؛ لأنه يتناول الشيء على خلاف حقيقته، ومن المعلوم بالضرورة أن كلام الله -تعالى- كله حق وله حقيقة، وكل ما كان حقيقة فلا يمكن أن يقال بوقوع المجاز فيه، والسنة مثله لأنها وحي كذلك.[٤]

لهذه اللوازم الباطلة الكامنة في القول بالمجاز، وغيرها مما يطول ذكره فإن علماء أهل السنة أجمعوا على وجوب الإقرار بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز صونا لها وإبعادها عن ظنون المجازيين وتخرصات المعطلين.

يقول حافظ المغرب ابن عبدالبر ـــــ رحمه الله :« أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على

(١) مجموع الفتاوى٥/١٢٦

(٢) مختصر الصواعق٢/٧٤٧

(٣) انظر: جناية التأويل الفاسد ص١١٨

(٤) انظر:موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ١/٤٥٩

المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يَحدُّون فيه صفة محصورة.
وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة والحمد لله »[١]

أما الثاني:وهو الرد على من زعم المجاز في اسم الله(الرحمن)على وجه الخصوص

فقد ذكر ابن القيم –رحمه الله– في مختصر الصواعق أن الذي أنكر أن يكون الله رحمانا على الحقيقة هو الجهم بن صفوان وشيعته،وقالوا: وصفه بالرحمة مجاز، وشبهتهم في ذلك:
أنهم قالوا: لأن الرحمة هي رقة تعتري القلب،وهي من الكيفيات النفسية والله متره عنها.
وحكم –رحمه الله– على قول هؤلاء المعطلة بالبطلان ورده من عشرين وجها[٢] فمما ذكره على وجه الاختصار:

الرد الأول:أن من زعم المجاز في اسم الله (الرحمن)، فقد أنكر أن يكون الله رحمانا حقيقة، وأنكر معنى هذا الاسم وهو بذلك وقع في عدة محاذير منها:

١ – أنه وقع فيما وقع فيه مشركو العرب الذين قال الله فيهم منكرا عليهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [٣] يقول ابن القيم ــــ رحمه الله :« فأنكروا حقيقة اسمه وأن يسمى بذلك، و لم يكونوا ينكرون ذاته وربوبيته، ولا ما يجعله المعطلة معنى اسم الرحمن من الإحسان، فإن أحدا لم ينكر إحسان الله على خلقه »[٤]

(١) التمهيد ١٣٥/٦
(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة٨٦٠/٣
(٣) سورة الفرقان،آية ٦٠
(٤) مختصر الصواعق٨٦١/٣

٢- أنه وقع في الإلحاد في أسماء الله الحسنى الذي حذر الله منه وتوعد فاعله بقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

يقول ابن القيم ـــــ عليه رحمة الله :« ومن أعظم الإلحاد في أسمائه إنكار حقائقها ومعانيها والتصريح بأنها مجازات » (٢)

الرد الثاني: أن القول بالمجاز في اسم الله (الرحمن) يؤدي إما إلى التناقض، أو إلى الانسلاخ من العقل والإنسانية.

وبيان ذلك أن يقال:(إن الحامل لكم على دعوى المجاز في اسم الله الرحمن هو بعينه موجود في اسم العليم والقدير والسميع والبصير، وسائر الأسماء؛ فإن المعقول من العلم صفة عرضية تقوم بالقلب إما ضرورية، وإما نظرية، والمعقول من الإرادة حركة النفس الناطقة لجلب ما ينفعها ودفع ما يضرها، أو ينفع غيرها ويضره، والمعقول من القدرة قوة قائمة بجسم تتأتى به الأفعال الاختيارية، فهل تجعلون إطلاق هذه الأسماء والصفات على الله حقيقة أم مجازا؟ فإن قلتم حقيقة تناقضتم أقبح التناقض إذ عمدتم إلى صفاته -سبحانه- فجعلتم بعضها حقيقة وبعضها مجازا مع وجود المحذور فيما جعلتموه حقيقة.

وإن قلتم لا يستلزم ذلك محذورا فمن أين استلزم اسم الرحمن المحذور؟

وإن قلتم الكل مجاز لم تتمكنوا بعد ذلك من إثبات حقيقة لله البتة لا في أسمائه ولا في الإخبار عنه بأفعاله وصفاته، وهذا انسلاخ من العقل والإنسانية).(٣)

الرد الثالث:أن القول بالمجاز في الأسماء يلزم منه نفي الأسماء والصفات جميعا:

وتوضيح ذلك كما قال ابن القيم ـــــ رحمه الله ــ:« إن نفاة الصفات يلزمهم نفي الأسماء من جهة أخرى، فإن العليم والقدير والسميع والبصير أسماء تتضمن

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٠

(٢) مختصر الصواعق٣/٨٦٢

(٣) المصدر نفسه٣/٨٦٥

ثبوت الصفات في اللغة لمن وصف بها، فاستعمالها لغير من وصف بحقائقها استعمال للاسم في غير ما وضع له، فكما انتفت عنه حقائقها فإنه تنتفي عنه أسماؤها، فإن الاسم المشتق تابع للمشتق منه في النفي والإثبات، فإذا انتفت حقيقة الرحمة والعلم والقدرة والسمع والبصر، انتفت الأسماء المشتقة منها عقلا ولغة، فيلزم من نفي الحقيقة أن تنفى الصفة والاسم جميعا » [(١)]

الرد الرابع:أن القول بالمجاز يوقع في أشنع الأقوال وأقبحها.

يقول ابن القيم ـــــ رحمه الله :« كيف يكون أظهر الأسماء التي افتتح الله بها كتابه في أم القرآن، وهي من أظهر شعار التوحيد والكلمة الجارية على ألسنة أهل الإسلام وهي: بسم الله الرحمن الرحيم التي هي مفتاح الطهور والصلاة وجميع الأفعال كيف تكون مجازا؟ هذا من أشنع الأقوال » [(٢)]

الرد الخامس: أن القول بالمجاز في اسم الله الرحمن من أبطل الباطل

يدل لذلك ما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي > أنه قال:«لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي»[(٣)]

فوصف الله سبحانه نفسه بالرحمة وتسمى بالرحمن قبل أن يكون بنو آدم، فادعاء المدعي أن وصفه بالرحمن مجاز من أبطل الباطل[(٤)]

الرد السادس:أن يقال: إن أسماء الله أزلية أبدية ليس لأوليتها ابتداء، ولا لآخريتها انقضاء لم يستحدثها سبحانه من جهة خلقه، بل لم يزل موصوفا بها، والمجاز مسبوق بالحقيقة وضعا أو استعمالا أو مرتبة، وذلك كله ممتنع بالنسبة إلى أسماء الله تعالى[(٥)]

إلى غير ذلك من الردود التي تبين بطلان القول بالمجاز في اسم الله الرحمن وسيمر في

---

(١) المصدر نفسه٣/٨٦٦

(٢) المصدر نفسه ٣/٨٦٧

(٣) سبق تخريجه ص١٦٣،٢١١

(٤) انظر: مختصر الصواعق٣/٨٧١

(٥) انظر: مختصر الصواعق ٣/٨٧٣ بتصرف

الفصل الأخير من الردود مما لم يذكر هنا عند ذكر أقوال الفرق ومناقشة أقوالهم بإذن الله.

المبحث الخامس

الإلحاد في اسمي الله (الرحمن الرحيم) ورده

معنى الإلحاد في كلام العرب:

أصل الإلحاد في كلام العرب: هو العدول عن القصد والميل والجور والانحراف

ومنه اللحد في جانب القبر، وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط.
ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل[١].
ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ما يقتضيه لفظ الإلحاد فيقول:
« فإن لفظ الإلحاد يقتضي ميلا عن شيء إلى شيء بباطل »[٢]
وهذا المعنى الذي ذكره ابن تيمية وهو الميل عن الشيء بالباطل وليس بالحق ذكره أصحاب معاجم اللغة العربية فمثلا يقول ابن فارس:« لحد: اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحق والإيمان »[٣]
وسيظهر لاحقا أن الإلحاد في أسماء الله يشمل جميع هذه المعاني التي ذكرها أهل العلم لبيان أصل هذه الكلمة فهو ميل عن الحق بالباطل، وجور، وانحراف عن طريق الاستقامة والإيمان.

معنى الإلحاد في أسماء الله:

(هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها)[٤]
ويزيد ابن القيم ــــ / ــــ توضيحا في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء الله فيقول:
« وحقيقة الإلحاد فيها: العدول بها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وإخراج معانيها عنها.
هذه حقيقة الإلحاد. ومن فعل ذلك فقد كذب على الله، ففسر ابن عباس الإلحاد بالكذب، أو هو غاية الملحد في أسمائه ــــ تعالى ــــ فإنه إذا أدخل في معانيها ما ليس منها، وخرج بها عن حقائقها أو بعضها، فقد عدل بها عن الصواب

---

(١) انظر:تفسير الطبري١٣٢/٦ لسان العرب ٣٨٩/٣،وبدائع الفوائد١٨٦/١،وأعلام السنة المنشورة للحكمي ٨٥
(٢) مجموع الفتاوى١٢٤/١٢
(٣) معجم مقاييس اللغة ص٩١٤
(٤) بدائع الفوائد ١٨٥/١

والحق،وهو حقيقة الإلحاد »[١]

الإلحاد في اسمي الجلالة الرحمن الرحيم

الإلحاد في اسمي الجلالة الرحمن الرحيم لا يخرج عن الإلحاد في بقية أسماء الله الحسنى فقد يكون بجحدهما وإنكارهما ـــــ كما حصل من المشركين وممن تبعهم من أهل التعطيل ـــــ، وإما بجحد معانيهما وتعطيلهما ويدخل في هذا من زعم المجاز في اسم الرحمن، وإما بتحريفهما عن الصواب وإخراجهما عن الحق بالتأويلات الباطلة كمن استبعد أن يكون اسم الرحمن نعتا. وإما بجعلهما اسمين لأحد من خلق الله كتسمية المشركين لمسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وذلك حينما أنكروا اسم الله الرحمن في صلح الحديبية فإن منهم من قال: فلا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا[٢].

وهذه الأنواع من الإلحاد في هذين الاسمين قد سبق بيانها والتحذير منها وردها ولكن جاءت مسألة الإلحاد ورده هي الخاتمة والجامعة لتلك المسائل كما قال ابن القيم فإنه ذكر عشرين وجها في الأسماء والصفات وهي كالقواعد في هذا الباب ثم قال:« العشرون: وهي الجامعة لما تقدم من الوجوه، وهي معرفة الإلحاد في أسمائه حتى لا يقع فيه »[٣]

ولأجل معرفة الإلحاد في أسماء الله الحسنى بما هو أوضح من ذلك لتجليته فيعرفه كل مسلم فيحذره ولا يقع فيه يحسن هنا ذكر أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى كما ذكرها العلماء.

أنواع الإلحاد في أسماء الله الحسنى:

ذكر العلماء أنواعا من الإلحاد في أسماء الله عز وجل فبعضهم يجمل في ذكرها وبعضهم يأخذ جانب التفصيل لذا فقد يذكر بعضهم أنها نوعان وقد يذكرون أنها

(١) مدارج السالكين١/٣٩
(٢) انظر: المرجع السابق
(٣) بدائع الفوائد١/١٨٥

ثلاثة [١] وأوصلها ابن القيم إلى خمسة أنواع وبيانها كالتالي:

الأول: أن يُسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهة، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها، وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك,

الثالث: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم:(يد الله مغلولة) وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأشياعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به. وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه.

ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله > فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه.[٢]

التحذير من الإلحاد في اسمي الجلالة الرحمن الرحيم وفي سائر أسماء الله الحسنى:

---

(١) انظر: منهج الإمام ابن القيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى ص٢٣٥

(٢) انظر بدائع الفوائد١/١٨٦

الإلحاد في أسماء الله -عز وجل- من أعظم العدوان على حق الله سبحانه لما فيه من مخالفة صريحة للإيمان بالله وبأسمائه وصفاته لذا فقد حذر الله منه في كتابه أشد التحذير وأمر عباده المؤمنين بمجانبة الإلحاد وأهله وتوعد الملحدين في أسمائه وآياته بأفظع أنواع الوعيد.

يقول الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١)

ويقول سبحانه:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٢)

ومما يوجب الحذر من الإلحاد بجميع أنواعه أن الآيات السابقة قد اشتملت على نوعين من التهديد والوعيد:

الأول: في قوله:﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ فقد بين أهل العلم بالتفسير أن صيغة الأمر في قوله:(وذروا) أنها للتهديد.

يقول أمام المفسرين ابن جرير الطبري ـــــ رحمه الله ـــ عن هذا الأمر الوارد في الآية :« ليس هو بأمر من الله لنبيه ـــــ > ـــــ بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم، وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه، ووعيد منه لهم.

كما قال في موضع آخر:﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾(٣) وكقوله: ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ

(١) سورة فصلت، آية ٤٠

(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٠

(٣) سورة الحجر، آية ٣

﴾[1] وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد، ومعناه: أن أمهل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه، فسوف يجزون إذا جاءهم أجل الله الذي أجلهم إليه، جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك، من الكفر بالله والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله »[2]

الثاني: في قوله:﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ فهنا توعدهم الله أنهم سيجزون عاقبة إلحادهم في أسمائه يوم القيامة بالعذاب الأليم ويشهد لذلك آية فصلت فإنه بعدما أخبر أن الملحدين لا يخفون عليه ولا يخفى عليه إلحادهم في أسمائه وآياته أعقب ذلك بقوله سبحانه:﴿... أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيَ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3] [4]

يقول ابن القيم محذرا من الإلحاد في قصيدته:

أسماؤه أوصاف مدحٍ كُلُّها   مشتقة قد حُمِّلَتْ لمعان

إيـــــــــــــّـــــاك والإلحـــــــــــــــادَ فيها إنـــــه   كُفْرٌ

معاذَ الله من كُفرانِ [5]

فالواجب على المسلم الحذر من هذا الشر العظيم الذي بُلِيَ به طوائف ممن ينتسب إلى الإسلام إن كان يريد النجاة لنفسه ويلحق بركب الناجين من أتباع خير المرسلين الذين برأهم الله من الإلحاد .

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– «وبرأ الله أتباع رسوله –>– وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، و لم يجحدوا صفاته، و لم يشبهوها بصفات خلقه، و لم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى،بل أثبتوا له

(١) سورة العنكبوت، آية ٦٦

(٢) تفسير الطبري٦/١٣٣

(٣) سورة فصلت، آية ٤٠

(٤) انظر:أضواء البيان٢/٣٠٣

(٥) انظر: التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان٢/٨١٥

الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه، وتنزيههم خاليا من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما.

وأهل السنة وسط في النحل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، فنسأل الله –تعالى– أن يهدينا لنوره ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب »[1]

حكم الإلحاد بجميع أنواعه

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـــــ عليه رحمة الله ـــــ:«والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله هدد الملحدين بقوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[2]

ومنه ما يكون شركا، أو كفرا حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية »[3]

ذكر بعض أوجه رد الإلحاد في أسماء الله تعالى:

الرد على الملاحدة الأشرار، وإبطال ما أتوا به من كيد الفجار، سيكون له بإذن في الفصل القادم النصيب الأكبر والحظ الأوفر عند ذكر أقوال المخالفين في صفة الرحمة، وعرض شبهاتهم التي بسببها وقعوا في الإلحاد أما هنا سيذكر فقط بعض أوجه الرد على أهل الإلحاد على وجه العموم من غير تفصيل :

أولا: أن الله عز وجل قد أثبت لنفسه الأسماء والصفات، وأثبتها له رسوله ـــــ > ـــــ، فنفيها عن الله أو نفي بعضها: نفي لما أثبته الله ورسوله وهذا محادة لله

(١) بدائع الفوائد١/١٨٦ ـــــ ١٨٧

(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٠

(٣) القواعد المثلى ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ٣/٢٧٩

ورسوله،وميل بأسماء الله وصفاته عما يجب فيها(١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:« وكل من اعتقد نفي ما أثبته الرسول حصل في نوع من الإلحاد بحسب ذلك وهؤلاء كثيرون في المتأخرين»(٢)

ويقول ابن القيم -رحمه الله-:« ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها قال تعالى:﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٣)

ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها. لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله »(٤)

ثانيا:أن أسماء الله توقيفية فلا يحل لأحد أن يسمي الله -تعالى- بما لم يسم به نفسه لأن هذا من العدوان في حق الله ومن القول على الله بغير علم وقد نهى الله عن جميع ذلك.

قال تعالى:﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٥)

كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها(٦).

ثالثا:أن الإيمان بالأسماء وما دلت عليه من الصفات والأحكام أمر واجب فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:« وقد تبين أن الجهمية عندهم من نوع

(١) انظر: عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان ص٨٢
(٢) درء تعارض العقل والنقل٤/٦٢٢
(٣) سورة الأعراف، آية ١٨٠
(٤) مدارج السالكين١/٣٧
(٥) سورة الأعراف، آية ٣٣
(٦) القواعد المثلى ضمن مجموع فتاوى العثيمين٣/٢٧٩

الملاحدة الذين يعلم بالاضطرار أن قولهم مخالف لما جاءت به الرسل بل إنكار صفات الله أعظم إلحادا في دين الرسل من إنكار معاد الأبدان؛ فإن إثبات الصفات لله أخبرت به الرسل أعظم مما أخبرت بمعاد الأبدان »[1]

رابعا:أن تشبيه الله بخلقه كفر لكونه تكذيبا لقوله تعالى:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[2]

يقول نعيم بن حماد الخزاعي -رحمه الله-[3]:« من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه »[4]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل٢/٧٠١

(٢) سورة الشورى، آية ١١

(٣) نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، كنيته أبو عبدالله، الفرضي الأعور الحافظ، أحد علماء الأثر الأعلام. وثقه الإمام أحمد وجماعة، واحتج به البخاري، وكان شديدا على الجهمية، وذكر في ميزان الاعتدال أنه يقول عن نفسه: أنه كان جهميا قال: فلذلك عرفت كلامهم فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل، أمتحن بخلق القرآن فلم يجب فحبس وقيد ومات في الحبس يرحمه الله سنة ٢٢٩هـ انظر: ميزان الاعتدال ٤١/٧، العبر في خبر من غبر ٣١٨/١

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة في سياق ما روي في تكفير المشبهة٣/ ٥٣٢ برقم٩٣٦، ورواه الذهبي في مختصر العلو ص١٨٤ورقم ٢١٧وصحح إسناده الألباني عند تحقيقه لمختصر العلو انظر: ص١٨٤ ٠

الفصل الثاني

انحرافات المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الرحمة والرد عليها وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد: بيان موقف أهل السنة والجماعة من الصفات الاختيارية وذكر المخالفين فيها إجمالا.

المبحث الأول: مذهب المخالفين المثبتين لصفة الرحمة.

المبحث الثاني: مذاهب النفاة لصفة الرحمة.

التمهيد

بيان موقف أهل السنة والجماعة من الصفات الاختيارية وذكر المخالفين فيها إجمالا.

بيان موقف أهل السنة والجماعة من الصفات الاختيارية وذكر المخالفين إجمالا

الصفات الاختيارية[(١)]:

(هي الأمور التي يتصف بها الرب -عز وجل- فتقوم بذاته وقدرته، مثل: كلامه، وسمعه وبصره، وإرادته ومحبته، ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه،ومثل خلقه وإحسانه وعدله، ومثل استوائه ومجيئه، وإتيانه ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة)[(٢)].

موقف أهل السنة من الصفات الاختيارية

موقف أهل السنة والجماعة من هذا النوع من الصفات لا يختلف عن موقفهم من سائر الصفات الثابتة لله -عز وجل- في الكتاب والسنة، فهم يقولون: بثبوت الصفات الاختيارية وقيام الأفعال الاختيارية به، وأنه سبحانه متصف بذلك كما نطق به الكتاب والسنة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ رحمه الله: « وأما قيام الأفعال الاختيارية، وقيام الصفات بالله -تعالى- فهو قول سلف الأمة وأئمتها الذي نقلوه عن الرسول ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ، وهو القول الذي جاء به التوراة والإنجيل، وهو القول الذي يدل عليه صريح المعقول مطابقا لصحيح المنقول » [(٣)]

أدلة أهل السنة والجماعة على ثبوت الصفات الاختيارية

الصفات الاختيارية من أعظم الأصول التي دل عليها الكتاب والسنة وفي مواضع

---

(١) انظر: تمهيد الرسالة في أقسام الصفات

(٢)انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٦/١٣١

(٣) الصفدية ١/١٣٠

كثيرة منهما وسيتضح ــــ بإذن الله ــــ عند مناقشة الفرق الكثير مما يدل عليها من كلام سلف الأمة ودلالة العقل الصريح عليها؛ ولئلا أقع في التكرار والتطويل سأقتصر هنا على ذكر بعض أدلة الكتاب والسنة والتي منها:

أــــ دلالة آيات الكتاب على الصفات الاختيارية:

الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جدا منها:

١- قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾(١) فالآية تبين أن الله سبحانه أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم ــــ عليه السلام ــــ لم يأمرهم في الأزل.

٢- وقال أيضا:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) فالله -سبحانه وتعالى-إنما قال له: كن بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل.

٣- وقال سبحانه:﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٣) وأيضا الآية تبين أن الله إنما ناده حين جاء لم يكن النداء في الأزل.

٤ــــ وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾(٤) فبين أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد، ويأمر بما يريد، فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهي متعلقا بإرادته

(١) سورة الأعراف، آية ١١
(٢) سورة آل عمران، آية ٥٩
(٣) سورة القصص،آية ٣٠
(٤) سورة المائدة، آية ١

٥ـــــ وقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[(١)] فالآية تدل على أن أعمالهم أسخطته، فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها[(٢)]

فكل ما سبق من أدلة الكتاب على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى وعلى وصفه بالصفات الاختيارية كما قال أهل السنة والجماعة وإلا ففي كتاب الله أكثر من مائة موضع يدل على هذا الأصل كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [(٣)].

ب ــــ الأدلة من السنة على إثبات الصفات الاختيارية

١- ما احتج به الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه، واحتج به غيره من السلف، وهو ما رواه ابن مسعود ــــ ط ــــ عن النبي ــــ > ــــ« إن الله يحدث من أمره ما يشاء، و إن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة»[(٤)].

٢- وفي الصحاح حديث الشفاعة :«فيقول كل من الرسل إذا أتوا إليه: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله... » [(٥)]

وهذا يدل على أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله .

٣- وعن أبي هريرة ــــ رضي الله عنه ــــ أن رسول ــــ > ــــ:« يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له »[(٦)]

---

(١) سورة محمد، آية٢٨

(٢) انظر: الفتاوى٦/١٣٦

(٣)انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٦/١٣٤، ١٤٠

(٤) ذكره البخاري تعليقا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:(كل يوم هو في شأن)، الفتح ٤٩٦/١٣ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٩١/٢من رواية ابن مسعود حديث رقم ٣٩٤٤، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب رد السلام في الصلاة، ٢٣٤/١حديث٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٨٤/١رقم ١٨٩٢

(٥) سبق تخريجه ص ٢٥٦

(٦) سبق تخريجه ص ٢٥٠

فهذا قول وفعل حصل في وقت معين يدل على قيام الأفعال الاختيارية به ـــــ جل وعلا[١] .

صفة الرحمة من الصفات الاختيارية:

قد يتساءل البعض عن سبب جعل التمهيد في هذا الفصل عن الصفات الاختيارية وما علاقته بذكر أقوال المخالفين في صفة الرحمة؟

فالجواب أن يقال أولا: إن صفة الرحمة كما سبق في بيان نوعها ومن أي الصفات هي؟ أن الصحيح فيها أنها تكون ذاتية وتكون فعلية وهذه المسألة تؤكد هذا الترجيح

فمن هذا الجانب نجد أن أهل العلم يعدونها من الصفات الاختيارية: ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:« ويدل على ذلك قوله:﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلاً ﴾[٢] فعلق الرحمة بالمشيئة كما علق التعذيب، وما تعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب فهو من الصفات الاختيارية »[٣]

ثانيا: أن من أقوال الطوائف المخالفة في صفة الرحمة ما هو مبني على مسألة الصفات الاختيارية وهذا سيظهر جليا عند ذكر أقوالهم في صفة الرحمة وما ذكروه من حجج ـــــ بإذن الله ـــــ فتوضيح هذه المسألة ـــــ أي الصفات الاختيارية يعين على فهم ما تفرع عنها من أقوال تلك الفرق والرد عليها والله أعلم

ذكر أقوال المخالفين في الصفات الاختيارية إجمالا:

لقد تعددت أقوال الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة وتباينت فيها تباينا عظيما وجاءت على النحو التالي:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٠/٦

(٢) سورة الإسراء، ٥٤

(٣) مجموع الفتاوى ١٥٧/٦

أولا: الجهمية والمعتزلة

هم على أصلهم في نفي الصفات فكما أنهم ينفون صفات الباري جل وعلا فهم كذلك ينفون قيام الأفعال الاختيارية به، لذا فإن حجتهم في نفي قيام الأفعال به هي من جنس ما قالوه في نفي قيام الصفات به، يسوون في النفي بين هذا وهذا، وليس عندهم حجة تختص بنفس قيام الحوادث(١)

ثانيا: الكلابية

فهذه الطائفة ومن وافقهم (يقولون: تقوم صفات بغير مشيئته وقدرته، فأما ما يكون بمشيئته وقدرته فلا يكون إلا مخلوقا منفصلا عنه)(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــــ رحمه الله ــ:«والكلابية يقولون: هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة، ولا تكون بمشيئته، فأما ما يكون بمشيئته فإنه حادث والرب ــ تعالى ــ لا تقوم به الحوادث ويسمون (الصفات الاختيارية) مسألة (حلول الحوادث) »(٣)

هذا قولهم في الصفات الاختيارية إجمالا وسيأتي بإذن الله تفصيل لقولهم وذكر منهجهم في صفة الرحمة وما ذكره أهل العلم عن موقف هذه الطائفة في أمثال هذه الصفات.

ثالثا:الأشاعرة

والأشاعرة طبعا هم تبعا لشيخهم أبي الحسن الأشعري في هذا الذي اتبع أبا محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب،لذا فإن أفكار الكلابية تبنتها الأشعرية من بعدهم، فكان موقفهم تجاه الصفات الاختيارية كما يقول شيخ الإسلام بن تيمية: « : إن الرب لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه لا تحله الحوادث،

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية لابن تيمية ص٥٠٤،ومجموع الفتاوى٦/١٣١، ودرء تعارض العقل والنقل١/٣٦٧

(٢) انظر: درء التعارض١/٣٧٥،٣٦٧، شرح الأصبهانية ص٥٠٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية٦/ ١٣١ ١٢/١٩٨ ، ١٣/٨٤

(٣) الفتاوى ٦/١٣٢ـــ١٣٣

ووافقوا في ذلك الجهم بن صفوان، وأتباعه من الجهمية والمعتزلة، صاروا فيما ورد في الكتاب والسنة من صفات الرب، على أحد قولين:

إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه. فيقولون: كلام الله مخلوق بائن عنه، لا يقوم به كلام، وكذلك رضاه، وغضبه، وفرحه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله وغير ذلك، هو مخلوق منفصل عنه، لا يتصف الرب بشيء يقوم به عندهم.

وإذا قالوا هذه الأمور من صفات الفعل، فمعناه: أنها منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به.

ولهذا يقول كثير منهم: إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات.

وإما أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية، ويقولون نزوله ومجيئه، وإتيانه، وفرحه، وغضبه، ورضاه،ونحو ذلك: قديم أزلي، كما يقولون: إن القرآن قديم أزلي » [1]

وسيأتي قريبا في هذه الرسالة زيادة إيضاح لموقفهم من صفات الباري ــ جل وعلا ــــ عند ذكر موقفهم من صفة الرحمة مما يكشف حال هذه الطائفة والرد عليه

رابعا:الكرامية

هذه الطائفة يثبتون الصفات الاختيارية، وأنه سبحانه تقوم به الحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته لكن ذلك حادث بعد أن لم يكن.

فيقولون مثلا في الكلام:إنه في الأزل لم يكن متكلما إلا بمعنى القدرة على الكلام، وأنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك[2]

خامسا:الفلاسفة

الذي يظهر أن للفلاسفة قولين في هذه المسألة:

فقد حكوا عن أساطينهم الذين كانوا قبل أرسطو أنهم يثبتون هذا النوع من

(١) مجموع الفتاوى٥/٢٤٦

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٦/٣١٤، ١٣/٨٤

الصفات ووافقهم في ذلك أبو البركات صاحب (المعتبر)[١].

وأما أرسطو وأتباعه كالفارابي[٢] وابن سينا فإنهم ذهبوا إلى نفي الصفات الاختيارية[٣]

وسيأتي زيادة تفصيل في بيان مذهبهم من الصفات بإذن الله فإلى ذلك الحين.

(١) أبو البركات هو هبة الله بن علي بن ملكا البلدي، كان يهوديا ثم أسلم في أواخر عمره، برع في الفلسفة وعلم الطب، مات سنة نيف وخمسين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١٩.

(٢) الفارابي: هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، قال عنه الذهبي: له تصانيف مشهورة من ابتغى الهدى فيها ضل وحار، منها تخرج ابن سينا نسأل الله التوفيق، مات بدمشق سنة ٣٣٩هـ انظر: السير١٥/٤١٦.

(٣) انظر: درء التعارض١/٤٧٦، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ص ٣٧٧ـــ٣٩٢

المبحث الأول

مذاهب المخالفين المثبتين لصفة الرحمة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من يثبت الرحمة ويجعلها لازمة كالكلابية.

المطلب الثاني: من يثبت الرحمة ويجعلها حادثة بعد أن لم تكن كالكرامية.

المطلب الثالث:من يمثل الرحمة بصفات المخلوقين كقدماء الرافضة.

المطلب الأول

من يثبت الرحمة ويجعلها لازمة كالكلابية وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الرحمة.

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة: الرد عليهم.

المطلب الأول

من يثبت الرحمة ويجعلها لازمة وهم الكلابية ومن تبعهم

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذكر قول الكلابية في صفة الرحمة.

من المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الرحمة، وفي صفات الله عموما الكلابية، وبالنظر للمصادر الأصيلة التي ذكرت أقوالهم في هذا الباب فإنك تجد أن العلماء يعدونهم من الفرق المثبتة لصفات الباري -جل وعلا- فهم يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة مخالفين في ذلك للجهمية في نفيهم للأسماء والصفات، ومخالفين للمعتزلة الذين نفوا صفات الله ـــــ سبحانه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن الكلابية:« وهؤلاء يسمون بالصفاتية، لأنهم يثبتون صفات الله -تعالى- خلافا للمعتزلة »[(١)]

لكن ينبغي أن يلاحظ أن إثبات الكلابية للصفات فيه نوع من التجهم والبدعة مما أوجب فساد بعض ما قالوه في هذا الباب كما سيظهر لاحقا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ رحمه الله ـــــ عن ابن كلاب زعيم الكلابية:«وهو من متكلمة الصفاتية، وطريقته يميل فيها إلى مذهب أهل الحديث والسنة، لكن فيها نوع من البدعة؛ لكونه أثبت الصفات بذات الله، ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية

---

(١) مجموع الفتاوى٦/٣١٢

بذاته »[(١)]

وهذا المذهب الذي فيه إثبات الصفات اللازمة ونفي الصفات الاختيارية يعد ابن كلاب أول من قاله في الإسلام؛ لهذا لم يوافقه أحد من الطوائف[(٢)]، فالناس قبل ابن كلاب كانوا صنفين إما مثبت لجميع الصفات، أو نافٍ للجميع.

يقول ابن تيمية رحمه الله « كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين، فأهل السنة يثبتون ما يقوم بالله -تعالى- من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا، فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها ». [(٣)]

من أقوال العلماء في بيان منهج الكلابية في الصفات:

حتى نصل بإذن الله إلى ما ذهب إليه الكلابية في صفة الرحمة أرى أنه لا بد من استعراض أقوال أهل العلم في بيان مذهبهم في الصفات فمن ذلك:

يقول أبو الحسن الأشعري:«قال: عبدالله بن كلاب: إن الله -سبحانه- لم يزل قديما بأسمائه وصفاته، وإنه لم يزل عالما قادرا حيا سميعا بصيرا جليلا كبيرا عظيما جوادا متكبرا واحدا أحدا صمدا فردا مبغضا راضيا ساخطا ... قائلا متكلما بقدرة وحياة وسمع وبصر وعزة... وكرم وجود وبقاء وإلهية ورحمة....وإن ذلك من صفات الذات، وإن صفات الله -سبحانه- هي أسماؤه، ولا تقوم بأنفسها، وإنه لا يجوز أن توصف الصفات بصفة، ولا تقوم بأنفسها، وإنها قائمة بالله »[(٤)]

وشيخ الإسلام ابن تيمية -/- نقل كثيرا من أقوالهم في الصفات في مواطن كثيرة من كتبه فمما قاله عن هذه الطائفة:

فعن موافقتهم للجهم في نفيه للصفات يقول:« والكلابية ومن وافقهم من

---

(١) المصدر نفسه١٢/١٩٧

(٢) انظر المصدر السابق ١٧/ ٤٠

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/٣٦٧

(٤) مقالات الإسلاميين ٢/٢٢٥

السالمية[١] ومن سلك مسلكهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية، وافقوه في الصفات الاختيارية دون نفي أصل الصفات ...»[٢]

وعن قول ابن كلاب في صفة الكلام يقول:« إنه يقول:إن الله لم يزل متكلما، وإن كلامه صفة قائمة به كعلمه وقدرته، وكذلك سائر الصفات التي يثبتها لله -تعالى- هي عنده قديمة قائمة بالله غير متعلقة بمشيئته وقدرته »[٣]

وفي تفريقهم بين الصفات اللازمة والصفات الاختيارية يقول رحمه الله:« وسلك طريقة ابن كلاب في الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة، والصفات الاختيارية، وأن الرب يقوم به الأول دون الثاني كثير من المتأخرين ...» [٤]

وذكر أيضا أن معنى قول السلف:القرآن كلام الله غير مخلوق عند الكلابية ومن وافقهم « أي إنه صفة قديمة بذاته لا يتعلق بمشيئته واختياره وإرادته وقدرته، وهذا اعتقدوه في جميع الأمور المضافة إلى الله أنها:

إما أن تكون مخلوقة منفصلة عن الله.

وإما أن تكون قديمة غير متعلقة بمشيئته وإرادته وقدرته.

ومنعوا أن يقال: إنه يتكلم إذا شاء، أو يتكلم بما شاء، أو إنه لم يزل متكلما إذا شاء، أو أنه قادر على الكلام أو التكلم، أو إنه يستطيع أن يتكلم بشيء دون شيء،أو إنه إن شاء تكلم، وإن شاء سكت أو إنه يقدر على الكلام والسكوت . كما يمتنع أن يقال: إنه يحيي إذا شاء، أو إنه يقدر على أن يحيي وعلى أن لا يحيي؛

---

(١) أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري (ت ٣٥٦هـ)، ومما نسب إلى السالمية القول بإثبات الله مع نوع من الحلول، وقولهم في كلام الله: أنه حروف وأصوات قديمة أزلية، لازمة لنفس الله تعالى أزلا وأبدا لا تتعلق بمشيئته وقدرته، فهم يجمعون في مذهبهم بين كلام أهل السنة وكلام الجهمية انظر:الكامل في التاريخ لابن الأثير٣٠٣/٧،شرح الأصبهانية٣٣،درء تعارض العقل ٥٧٧،٧٨/١

(٢) الفتوى العراقية١٠٤٧/٢

(٣) التسعينية٤٨١/٢

(٤) الفتاوى ١٨٩/١٢،درء التعارض٣٦٧/١،شرح الأصبهانية٥٠٤

إذ الحياة صفة لازمة لذاته يمتنع أن يكون إلا حيا قيوما ـــــ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

فاعتقد هؤلاء في الكلام والإرادة والمحبة والبغض والرضا والإتيان والمجيء والاستواء على العرش والفرح والضحك مثل الحياة.

وأول من أظهر هذا القول من الموافقين لأهل السنة في الأصول الكبار هو عبدالله بن سعيد بن كلاب...» (١)

وبعد استعراض الأقوال السابقة يظهر جليا تأثر الكلابية بالأصل الذي أخذته من الجهمية وبنت عليه أقوالها في صفات الباري -جل وعلا- وهو الخوف من القول بحلول الحوادث بذات الله تبارك وتعالى لذا فإن مما يلاحظ أن **من معتقدهم في صفات الله عز وجل ما يلي :**

أولا:أنهم ينفون الصفات الاختيارية دون نفي أصل الصفات كما ذكر شيخ الإسلام في قوله السابق.

ثانيا: أن الكلابية لا يفرقون بين صفات اللازمة وصفات الاختيارية بل يجعلون جميع صفاته صفات ذات أزلية قديمة بقدمه تعالى (٢) وهذا ظاهر من كلام ابن كلاب السابق الذي نقله عنه الأشعري فقد عدد جملة من صفات الباري جل وعلا ومنها من صفات الفعل كالكرم والكراهية والبغض والرضا وغيرها ثم قال:« وإن ذلك من صفات الذات »

ثالثا: أنهم يعتقدون في الصفات التي أثبتوها أن كل صفة هي صفة واحدة قديمة أزلية قائمة بذات الإله(٣)، وهذا معنى قول ابن كلاب حينما قال : وإن ذلك من صفات الذات.

---

(١) التسعينية٢/ ٤٦٧

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني١/٩٢، وآراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية ص١٢٣ـــــ ١٢٤

(٣) انظر آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية ص١٢١

وأيضا هو معنى ما ذكره في صفة الكلام حيث نقل عنه الأشعري قوله فيها:« إن الله لم يزل متكلما، والكلام من صفات النفس كالعلم والقدرة »(١)

وقوله السابق:«وإنه لا يجوز أن توصف الصفات بصفة»

رابعا: أن الأمور المضافة إلى الله تعالى عند الكلابية نوعان:

ـــــ إما أن تكون مخلوقة منفصلة عن الله.

ـــــ وإما أن تكون قديمة غير متعلقة بمشيئته وإرادته وقدرته.

تقرير قول الكلابية في صفة الرحمة:

بعد ذكر كل ما سبق يمكن القول إن الكلابية من الفرق التي تثبت صفة الرحمة ولكن إثباتها لها فيه نوع من البدعة وذلك أنهم يثبتونها على أنها صفة ذاتية لازمة لذات الباري جل وعلا ثابتة له أزلا وأبدا ولا تتعلق بمشيئته واختياره وإرادته وقدرته تمسكا بالأصل الذي ذهبوا إليه وهو نفي حلول الحوادث بذات الله تبارك وتعالى

فإذاً قولهم في صفة الرحمة كقولهم في صفة الحياة وصفة الكلام وقد سبق تقرير ذلك والله أعلم .

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

تمسك الكلابية بشبهة جعلوها أصلا في موقفهم من صفات الباري -جل وعلا- وبسب تمسكهم بها التزموا أمورا باطلة في هذا الباب مما كان سببا في تبديع السلف لهم والتحذير منهم.

وهذا الأصل الذي اعتمدوا عليه هو قولهم: إن الباري -جل وعلا-ـ تقوم به الصفات ولا تقوم به الحوادث ولو قامت به للزم أن لا يخلو منها؛ فإن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، وإذا لم يخل منها لزم أن يكون حادثا لاعتقادهم امتناع حوادث لا أول لها (٢)

---

(١) مقالات الإسلاميين ٢٠١/٢

(٢) انظر:مجموع الفتاوى لابن تيمية٥/٣١٩،١٢/ ١٧٠، والصفدية ١٢٩، هذه هي الحجة المشهورة

فبناء على هذا الأصل نفوا الصفات الاختيارية، وقالوا بأزلية الصفات كلها دون تفريق بين صفات الذات وصفات الفعل.

وبناء على هذا تكون صفة الرحمة عندهم صفة أزلية قديمة لازمة لله تعالى.

يقول شيخ الإسلام في بيان هذا الأصل الذي اعتمدت عليه الكلابية:

« وأما الكلابية: فإنهم يقولون: نحن نقول: تقوم به الصفات ولا نقول: هي أعراض؛ فإن العرض لا يبقى زمانين، وصفات الرب -تبارك وتعالى- عندنا باقية بخلاف الأعراض القائمة بالمخلوقات فإن الأعراض عندنا لا تبقى زمانين.

... قالت الكلابية: وأما الحوادث فلو قامت به للزم أن لا يخلو منها؛ فإن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، وإذا لم يخل منها لزم أن يكون حادثا، فإن هذا هو الدليل على حدوث الأجسام. هذا عمدتهم في هذا الأصل »[(١)]

المسألة الثالثة: الرد عليهم.

بعد عرض موقفهم من صفة الرحمة والشبهة التي تمسكوا بها، سأقوم بإذن الله بالرد عليهم في هذه المسألة من الجوانب التي حملتهم على أن جعلوا صفة الرحمة صفة ذاتية لازمة لله -سبحانه- قديمة بقدمه، ولا تتعلق بمشيئته واختياره وإرادته وقدرته، وبيان هذه الجوانب كما يلي:

الجانب الأول: نقض الأصل الذي أسسوا عليه حجتهم

سبق أن ذكر أن الأصل الذي اعتمده الكلابية في تقرير مذهبهم هو مبني على ما تلقفوه من الجهمية من دليل حدوث الأجسام لقيام الأعراض بها، فالتزموا به، ولم يتفطنوا لما يترتب عليه من اللوازم الباطلة التي أودت بهم إلى نفي الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، والقول بوحدة الصفات التي أثبتوها، وعدم

لنفاة حلول الحوادث وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن فحول النظار كالرازي والآمدي أنهم ذكروا أربع حجج لهم وبينوا فسادها كلها. انظر هذه الحجج والرد عليها مجموع الفتاوى٦/١٤٨ــــ ١٥٤

(١) مجموع الفتاوى٥/٣١٩

تجدد متعلقاتها[(١)]

وهذا الدليل الذي هو أصل الكلام الذي ذمه السلف، وجعله أهل الكلام هو المقدم على ما جاء به الوحي خلاصته : أنهم قالوا: لا يعرف صدق الرسول حتى يعرف إثبات الصانع، ولا يعرف إثبات الصانع حتى يعرف حدوث العالم، ولا يعلم حدوث العالم إلا بما به يعلم حدوث الأجسام، ثم استدلوا على حدوث الأجسام بأنها لا تخلو من الحوادث ـــــ أو بعبارة أخرى مستلزمة للأعراض أو بعضها ـــــ ثم قالوا وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، ثم إن هؤلاء احتاجوا إلى أن يقولوا: ما لم يسبق الحوادث فهو حادث، ثم منهم من تفطن إلى أن هذا لا يكفي لإثبات الصانع فاضطر أن يقول بإبطال حوادث لا أول لها.

فلما استقر الدليل عند هؤلاء قالت الجهمية يجب نفي جميع الصفات عن الله – تعالى– ؛ لأن ما قامت به الصفات قامت به الأعراض، وما قامت به الأعراض فهو حادث، وقالت الكلابية ومن تبعهم بإثبات الصفات، وقالوا: لا نسميها أعراضا. لكن الصفات الاختيارية حوادث فيجب نفيها طردا لهذا الدليل.[(٢)]

هذه خلاصة هذا الدليل وإلا فإن شرحه وتوضيحه يطول وقد ذكره أهل العلم في مصنفاتهم للتحذير منه[(٣)] والأهم هنا هو ذكر أوجه بطلانه لأن هذا هو المقصود من ذكره ها هنا.

ويمكن إجمال الرد على دليل حدوث الأجسام فيما يلي :

أولا: أنه علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ـــــ صلى الله عليه وسلم لم يدع أحدا بهذه الطريقة أبدا، ولا تكلم بها أحد من أصحابه، ولا التابعين لهم بإحسان، وإنما ابتدعت هذه الطريق في الإسلام بعد المائة الأولى وانقراض عصر

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية ٥/٣٣١،والنفي في باب صفات الله عز وجل ص٦٠٢، وآراء الكلابية العقدية ص١٦٩

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/ ٣١٢فقد ذكر هذا الدليل مختصرا ورد على القائلين به، ودرء التعارض ١/٩٦، ٩٧ ، ١٣٩،وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/٩٨٤ــــ ٩٨٥

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص١٥٥، وشرح حديث النزول ضمن مجموع الفتاوى٥/ ٣١٤ــــ ٣٣٠

أكابر التابعين، بل وأوسطهم، فكيف يقال: إن تصديق الرسول موقوف عليها؟!
وأعلم الذين صدقوه وأفضلهم لم يدعوا بها، و لم يتكلموا بها البتة. (١)
فإذا تبين هذا علم أن هذه الطريقة بدعة في الدين، وطريقة فاسدة في العقل مردودة على صاحبها.

ثانيا: صعوبة هذه الطريقة، حيث أن الذين سلكوها لم يتفقوا على مقدمة واحدة من مقدماتها، فالمحققون منهم على أنها طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت الـــمُدَّعَى بها مطلقا.(٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:«ولهذا فقد اعترف حذاق أهل الكلام ـــــ كالأشعري وغيره ـــــ بأنها ليست طريق الرسل ... وذكر أنها محرمة عندهم، بل المحققون على أنها طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقا »(٣)

ثالثا: ما يدل على بطلان هذا الدليل ما يلزم من اعتمد عليها في أصول دينه من لوازم باطلة

ومن اللوازم الباطلة التي التزمها أهل الكلام لأجل هذا الدليل:

١- نفي الصفات أو نفي بعضها يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:« والتزم طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي صفات الرب مطلقا، أو نفي بعضها؛ لأن الدال عندهم على حدوث هذه الأشياء، هو قيام الصفات بها، والدليل يجب طرده، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به،وهو أيضا في غاية الفساد والضلال، ولهذا التزموا القول بخلق القرآن،وإنكار رؤية الله في الآخرة، وعلوه على عرشه »(٤)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية٥/٣٢٣ ، ودرء تعارض العقل والنقل١/١٣٩

(٢) انظر: النفي في باب صفات الله عز وجل ص٥٧٣

(٣) درء التعارض١/٩٧

(٤) درء التعارض١/٩٨

٢- لأجلها التزم الجهم بن صفوان القول بفناء الجنة والنار

٣- ولأجلها التزم أبو الهذيل العلاف[(١)] انقطاع حركات أهل الجنة.

رابعا:أنه دليل طويل كثير المقدمات التي لا يفهمها كثير من الناس،فكيف يُدَّعى أنه أول ما يجب على العباد معرفته وهو بهذه المثابة؟

خامسا: أن المستدل عليه (وهو وجود الله) أسهل وأوضح في فطرة الإنسان وعقله من الدليل عليه(وهو دليل حدوث الأجسام)، وهذا يدل على بطلان الدليل إذا كان المستدل عليه أسهل من الدليل، وعلى عدم الحاجة إليه إذا كان الأمر كذلك [(٢)]

سادسا:أن يقال: إن هذا الدليل مبني على امتناع دوام كون الرب فاعلا، وامتناع كونه لم يزل متكلما بمشيئته، بل حقيقتها مبنية على امتناع كونه لم يزل قادرا على هذا وهذا. ومعلوم أن أكثر العقلاء من المسلمين وغيرهم ينازعون في هذا، ويقولون: هذا قول باطل [(٣)]

الجانب الثاني: نقض شبهتهم وإبطالها

الشبهة التي تمسك بها الكلابية وجهلوها أصلا في موقفهم من صفة الرحمة وصفات الباري عموما لا بد من بيان بطلانها ليظهر خطؤهم في هذا المنهج الذي سلكوه.

وقد كفانا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الخوض في غمار حججهم العقلية العقيمة لما تشتمل عليه من ضلالات بعيدة كل البعد عن البينات الواضحات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر ابن تيمية حجتهم السابقة وبين الرد عليها من وجهين مختصرين، فقد ذكر أن حجتهم مبنية على مقدمتين، وأن في كل من المقدمتين نزاع معروف بين طوائف المسلمين وهذا من البداية يوحي إلى بطلان

---

(١) أبو الهذيل : محمد بن الهذيل البصري العلاف رأس المعتزلة ومما ذكروا عنه أنه لم يكن بالتقي وقال عنه الذهبي: وطال عمر أبي الهذيل، وجاوز التسعين، وانقلع في سنة ٢٢٧.انظر: السير١٠/٥٤٢

(٢) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص٢١٠

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل١/١٤٠

تلك الحجة التي تمسكوا به .

ثم قال: فأما المقدمة الأولى وهي ((أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده)).

فذكر أن أكثر العقلاء على خلافها، بل بين أن كثيرا من أهل الكلام كالهشامية(١)، والكرامية، وكذلك من أتباعهم الأشعرية فقد ردوا على أسلافهم الكلابية كالرازي(٢) والآمدي(٣) فقد منعوا هذه المقدمة، وبينوا فسادها، وأنه لا دليل لمن ادعاها على دعواه.

حتى قال في رده :بل قد يكون الشيء قابلا للشيء وهو خال منه ومن ضده، كما هو الموجود.فإن القائلين بهذا الأصل التزموا أن كل جسم له طعم ولون وريح وغير ذلك من أجناس الأعراض التي تقبلها الأجسام.

فقال جمهور العقلاء: هذا مكابرة ظاهرة ودعوى بلا حجة.وإنما التزمته الكلابية لأجل هذا الأصل

وأما المقدمة الثانية: (وهي أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث)، فهذه يمنعها أئمة السنة والحديث القائلين بأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، والقائلين بأنه لم يزل فعَّالا كما يقوله البخاري وغيره، والذين يقولون: الحركة من

---

(١) ذكر البغدادي في الفرق بين الفرق عن الهشامية:أنهم فرقتان، فرقة تنسب إلى هشام بن الحكم الرافضي، وفرقة تنسب إلى هشام بن سالم الجواليقي، وكلتا الفرقتين قد ضلت في الإمامة وضمت إليها بدعتها في التشبيه. انظر: الفرق بين الفرق٥٥،وانظر في التعريف بهم أيضا: الملل والنحل ١٨٤/١

(٢) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي، ويعرف بابن خطيب الري، من أئمة الأشاعرة الذين خلطوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال،قال عنه الذهبي: وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة ــــ فكأنه يقصد ما مات عليه من رجوعه وتوبته عن علم الكلام المذموم ــــ ثم قال: والله يتولى السرائر، توفي سنة ٦٠٦هــ انظر السير٥٠٠/٢١

(٣) هو علي بن أبي علي بن محمد التغلبي سيف الدين، متكلم أشعري، نفي من دمشق لسوء اعتقاده، وذكروا في ترجمته أنه كان يترك الصلاة، نسأل الله العافية، مات سنة ٦٣١هــ انظر: السير ٣٦٤/٢٢

لوازم الحياة فيمتنع وجود حياة بلا حركة أصلا كما يقول الدارمي[(١)] وغيره. [(٢)]

الجانب الثالث:نقض قولهم: إن صفة الرحمة صفة قديمة أزلية لازمة لله تعالى

لقد سبق ذكر أن الكلابية تثبت الصفات الذاتية لله تعالى، وأنها تجعل كل صفة أثبتتها صفة واحدة قديمة أزلية قائمة به تعالى لا تتعلق بمشيئة الله وقدرته تمسكا بالأصل الذي أخذوا به واعتمدوا عليه، ولقد رد عليهم أهل العلم في قولهم هذا.

وممن رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– حيث قال :« وكذلك (الرحمن الرحيم)،فإن الرحمن الرحيم، هو الذي يرحم العباد بمشيئته وقدرته، فإن لم يكن له رحمة إلا نفس إرادة قديمة، أو صفة أخرى قديمة، لم يكن موصوفا بأنه يرحم من يشاء، ويعذب من يشاء.قال الخليل:﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾[(٣)] فالرحمة ضد التعذيب، والتعذيب فعله، وهو يكون بمشيئته، كذلك الرحمة تكون بمشيئته،كما قال:﴿ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾ .والإرادة القديمة اللازمة لذاته ـــــ أو صفة أخرى لذاته ـــــ ليست بمشيئته، فلا تكون الرحمة بمشيئته.

وإن قيل:ليس بمشيئته إلا المخلوقات المباينة، لزم ألا تكون صفة للرب بل تكون مخلوقة له، وهو إنما يتصف بما يقوم به لا يتصف بالمخلوقات، فلا يكون هو ﴿الرحمن الرحيم﴾ وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ أن قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن

(١) هو عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد من أئمة أهل السنة والجماعة من كتبه: (الرد على الجهمية) وله رد مستقل على بشر المريسي، ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٢٨٠هـ. انظر السير٣١٩/١٣

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٣٢٠، درء التعارض٤٨٢/١ـــــــ ٤٨٣

(٣) سورة العنكبوت، الآيتان ٢٠، ٢١

رحمتي تغلب غضبي » وفي رواية«تسبق غضبي» وما كان سابقا لما يكون بعده لم يكن إلا بمشيئة الرب وقدرته.

...ويدل على ذلك قوله:﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾(١) فعلق الرحمة بالمشيئة كما علق التعذيب، وما تعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب فهو من الصفات الاختيارية »(٢)

وبهذا تستبين المحجة ويظهر الحق وأن صفة الرحمة ليس كما زعموا أنها صفة لازمة لذات الله وغير متعلقة بمشيئته وقدرته، بل هي من صفات الكمال فكما هي صفة ذاتية فهي كذلك تكون صفة فعلية تحدث عند حدوث مقتضاها وذلك بأن تكون قديمة النوع حادثة الآحاد،أي أفرادها حادثة.

والمراد بالحدوث في أفعاله –عز وجل– المتعلقة بمشيئته وقدرته، وأنه سبحانه يفعل ما يشاء، وليس الحدوث هنا أنه حدثت له هذه الصفات الفعلية بعد أن لم يكن متصفا بها، وهذا من باب الإخبار عنه –سبحانه– بذلك لا من قبيل الوصف أو التسمية.

فيقال: أن لله صفات وأفعالا. ولا يقال: أعراض ولا حوادث.

فإن كلا المصطلحين من الألفاظ المجملة المحدثة التي لم يتكلم بها السلف(٣)

الجانب الرابع: نقض قولهم بنفي الصفات الاختيارية بحجة نفي حلول الحوادث

سبق ذكر أن صفة الرحمة من الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، والكلابية تنفي أمثال هذه الصفات خوفا من حلول الحوادث بذات الله تبارك وتعالى ـــ هكذا زعموا ـــ، وهذه المسألة وهي الصفات الاختيارية: إثباتها من أوضح المسائل وأبينها وسبق ذكر أدلة أهل السنة والجماعة عليها من الكتاب والسنة ودلت عليها أيضا الأدلة العقلية الكثيرة الصريحة.

---

(١) سورة الإسراء، آية ٥٤

(٢) مجموع الفتاوى١٥٦/٦ـــ ١٥٧

(٣) انظر: النفي في باب صفات الله عز وجل ص٦٠٤

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :« وقد بسط الكلام على هذه المسألة ... بحيث يتيقن الإنسان أن النافي لها ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية، وأن الأدلة العقلية الصريحة موافقة لمذهب السلف وأهل الحديث، وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة مع الكتب المتقدمة التوراة والانجيل والزبور، فقد اتفق عليها نصوص الأنبياء، وأقوال السلف، وأئمة العلماء، ودلت عليها صرائح المعقولات، فالمخالف فيها كالمخالف في أمثالها ممن ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية بل هو شبيه بالذين قالوا:﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (١) »(٢)

ويقول ابن أبي العز في شرح الطحاوية:« وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال:

فإن أريد أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن فهذا نفي صحيح.

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفي باطل.

وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيسلم السني للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو لازم له، وإنما أتي السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه » (٣) .

---

(١) سورة الملك،آية ١٠

(٢) مجموع الفتاوى٦/١٥٤

(٣) شرح الطحاوية١/ ١٨٩

المطلب الثاني

من يثبت الرحمة ويجعلها حادثة بعد أن لم تكن كالكرامية وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الرحمة.

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة: الرد عليهم.

المطلب الثاني

من يثبت الرحمة ويجعلها حادثة بعد أن لم تكن كالكرامية

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الرحمة.

الكرامية من الفرق التي تثبت الصفات، وليسوا هم في بعد عمن سبقهم ــــ الكلابية ــــ فهم مثلهم في قربهم من أهل السنة والجماعة، ولكن موافقتهم لأهل

الكلام في دليل الأعراض وحدوث الأجسام أبعد بهم عن السنة، فكان ذلك سببا في إنكار أهل السنة عليهم وتبديعهم لهم، ورد قولهم الناشئ عن أصلهم الذي تلقفوه من أولئك، والذي التزموا بسببه بلوازم باطلة كجعلهم صفات الله الفعلية صفات حادثة بعد أن لم تكن، ولأجله لم يمتنعوا من تسمية صفات الله أعراضا، كما لم يمتنعوا من تسميته جسما، وغير ذلك من أقوالهم التي تناقضوا فيها حينما تمسكوا بشبهات عقلية فلسفية عارضوا بها الوحي المترل من السماء .

يقول شخ الإسلام ابن تيمية في تناقض ابن كرام وعدم سيره على السنة حيث قال:« وتكلم أيضا في «مسألة الجسم»،و « حلول الحوادث» بكلام تناقض فيه، فلم يجرِ فيه على السنة قاعدة عقلية ولا سمعية، وتكلم بأمور أخرى أُنْكِرت عليه...»[(١)]

ويقول رحمه الله:«والكرامية ونحوهم وافقوه ـــــــ أي الجهم بن صفوان ـــــ على أصل ذلك وهو امتناع دوام ما لا يتناهى، وأنه يمتنع أن يكون الله لم يزل متكلما إذا شاء، وفعالا لما يشاء إذا شاء لامتناع حوادث لا أول لها... » [(٢)]

وعن موقفهم من كلام الله ذكر أيضا أنهم يقولون:(بل يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربي وغيره، لكن لم يكن يمكنه أن يتكلم بمشيئته في الأزل؟ لامتناع حوادث لا أول لها.

وهؤلاء جعلوا الرب في الأزل غير قادر على الكلام بمشيئته ولا على الفعل ... ثم جعلوا الفعل والكلام ممكنا مقدورا من غير تجدد شيء أوجب القدرة والإمكان)[(٣)]

وهم حينما قالوا: إنه سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته أرادوا أن يتخلصوا بذلك من بدعتي المعتزلة والكلابية، لكنهم وافقوا أهل الكلام حينما قالوا:إنه لم يكن يمكنه في الأزل أن يتكلم، بل صار الكلام ممكنا له بعد أن كان ممتنعا عليه من غير حدوث سبب أوجب إمكان الكلام وقدرته عليه.[(٤)]

---

(١) شرح الأصبهانية ص٣٧٩

(٢) الفتاوى العراقية ١٠٤٧/٢

(٣) مجموع الفتاوى٣٢/١٢

(٤) المصدر نفسه١٥٠/١٢

وبعد هذا العرض في ذكر منهجهم في صفة الكلام، وفي الحوادث المتعلقة بمشيئة الله **وقدرته يظهر من ذلك ما يلي**[(١)]:

١– أنهم يثبتون أن الله –جل وعلا– يتكلم بأصوات تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكنهم قالوا: إن الله في الأزل لم يكن متكلما إلا بمعنى القدرة على الكلام، بمعنى أن الكلام حادث له بعد أن لم يكن.

٢– وأنهم يثبتون قيام الحوادث به المتعلقة بمشيئته وقدرته لكن ذلك حادث بعد أن لم يكن، وأنه يصير موصوفا بما يحدث بمشيئته بعد أن لم يكن كذلك.

٣– أنهم حينما قالوا: بقيام الحوادث بالله المتعلقة بمشيئته وقدرته رأوا أنهم يوافقون أهل السنة والجماعة بذلك، لكنهم لم يتفطنوا حينما قالوا : بعدم جواز تعاقب الحوادث عليه، لقولهم أن ما تعاقبت عليه الحوادث فهو محدث، وأنهم بذلك وافقوا المعتزلة في استدلالهم بدليل حدوث العالم.

٤ـــــ أنه كما فرق ابن كلاب بين الأعراض والحوادث كما سبق بيانه، فكذلك الكرامية فرقوا في الحوادث بين تجددها وبين لزومها فقالوا بنفي لزومها دون نفي حدوثها.

تقرير قول الكرامية في صفة الرحمة:

قول الكرامية في صفة الرحمة كقولهم في صفة الكلام، وفي الصفات الاختيارية عموما ؛ لأن صفة الرحمة من هذا النوع من الصفات فإذاً: هم يثبتون صفة الرحمة، وأنه سبحانه يرحم بمشيئته وقدرته، وأن صفة الرحمة قائمة بذاته، ولكن خالفوا أهل السنة والجماعة فقالوا:إن ذلك حادث بعد أن لم يكن، بل صارت الرحمة ممكنة له بعد أن كانت ممتنعة عليه ، من غير تجدد شيء أوجب إمكان الرحمة والقدرة عليها؛ لامتناع حوادث لا أول لها.

فهم بذلك جعلوا الرب في الأزل معطلا من الرحمة غير قادر عليها،إلا بمعنى القدرة

---

(١) المصدر نفسه٦/٣١٦

على الرحمة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا[١]

وقولهم هذا في صفة الرحمة مبني على الأصل الذي وافقوا فيه المعطلة من الجهمية والمعتزلة وهو الاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام؛ لذا التزمت الكرامية لأجل التمسك به القول بأن صفات الله الفعلية كالرحمة حادثة بعد أن لم تكن، ونفوا أن تكون قديمة النوع؛ لأنهم لو قالوا بقدمها لبطل عندهم دليل حدوث العالم الدال على وجود الله عندهم.[٢]

وقولهم هذا يتضمن تشبيه رحمة الله -عز وجل- برحمة المخلوقين الحادثة التي وجدت بعد أن لم تكن.

لأن من زعم أن الله متصف بصفة محدثة لم تكن فكانت فقد دخل في حكم التشبيه بالصفات التي هي محدثة في المخلوقين موجودة فيهم بعد أن لم تكن[٣]

المسألة الثانية بيان شبهتهم وما تمسكوا به

الشبهة التي ألجأت الكرامية إلى قولهم في صفة الرحمة بأنها حادثة النوع بعد أن لم تكن:هي خوفهم من القول بحوادث لا أول لها، فإن هذا يلزم منه التسلسل في الموجودات، والقول بقدم الأنواع، فينسد عليهم طريق إثبات الصانع في زعمهم، إذ كان الطريق إلى إثبات ذلك هو حدوث الأشياء المستلزمة لوجود محدث لها فلهذا اضطر الكرامية إلى أن يجعلوا لما يحدث في ذاته تعالى من الكلام أو الفعل ابتداء لكنه مع ذلك إذا حدث فليس قابلا عندهم للزوال والفناء؛ لقولهم: إن هذه الحوادث التي تقوم به تعالى لا يخلو منها ولا يزول عنها؛ لأنه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها وزوالها، وإذا كان قابلا لذلك لم يخل منه وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، وإنما كان كذلك لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ــــ كما قالت الكلابية ــــ وإنما يقبل على أصلهم أنه تقوم به

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية٦/٣١٤، ١٢/٣٢، ١٥٠، الفتاوى العراقية٢/١٠٤٧

(٢)انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها٢/٩٧

(٣) المصدر نفسه ١/٤٩١

الحوادث فقط، فهم يقولون: عندما كان خاليا من الحادث في الأزل كان ساكنا، والسكون أمر عدمي، فإذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هذا الحادث فإنما يعدم الحادث بإحداث يقوم به وهذا ممتنع؛ لأنه يمتنع عدم الجسم(١)

المسألة الثالثة الرد عليهم:

للرد على الكرامية فيما ذهبوا إليه في صفة الرحمة، وفيما ذكروه من حجج يقال لهم: إن ما ذكرتموه من حجج واستدلالات ما هي إلا شبهات كلامية وفلسفات عقلية معارضة لوحي الله، ومشتملة على ألفاظ مجملة مبتدعة ، هي من الكلام المذموم الذي ذمه علماء السلف وحذروا منه ومن إتباع أهله والقائلين به.

ولقد سبق في الرد على الكلابية الرد على دليل الأعراض و حدوث الأجسام مما يغني عن إعادته هنا وسيكون الرد على الكرامية بإذن الله من خلال الوجوه التالية:

الوجه الأول: الرد عليهم في قولهم إن صفة الرحمة حادثة بعد إن لم تكن

وهي شبهة: (ما لا يسبق الحوادث فهو حادث)

قولهم هذا كما سبق ذكره مبني على دليل الحدوث لذا التزموا من أجله أن يقولوا: إن صفة الرحمة حادثة بعد أن لم تكن ونفوا أن تكون قديمة النوع؛ لأنهم لو قالوا بقدمها لبطل عندهم دليل حدوث العالم الدال على وجود الله عندهم، وقولهم: إن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فقالوا: لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث؛ لأن ما كان كذلك فهو محدث، فأطلقوا على صفات الله الفعلية حوادث، وزعموا أن اتصاف الله بها أزلا يؤدي إلى تعاقب الحوادث(٢)

ولقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تناقض الكرامية في هذا فمما ذكر في هذا : أن هؤلاء ومن قال بمثل قولهم لم يفرقوا بين ما لا يخلو عن نوع الحوادث،

---

(١)انظر: شرح القصيدة النونية لهراس١/١٢٢ــــ١٢٣، مقالة التشبيه٢/٨٦، محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم ١٤٨

(٢) انظر: مقالة التشبيه٢/٩٧ــــ٩٨

وبين ما لا يخلو عن عين الحوادث، ولا فرقوا فيما لا يخلو عن الحوادث، وبين أن يكون مفعولا معلولا،أو يكون فاعلا واجبا بنفسه.

وذكر أن قولهم هذا حمل أئمة الفلاسفة، وأئمة أهل الملل أن ردوا عليهم بأن قالوا لهم : إن هذا الدليل الذي أثبتم به حدوث العالم هو يدل على امتناع حدوث العالم، وأن ما ذكرتموه يدل على نقيض ما قصدتم، وذلك أن الحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثا فلا بد أن يكون ممكنا، والإمكان ليس له وقت محدود، فما من وقت يُقدر إلا والإمكان ثابت قبله، فليس لإمكان الفعل وجواز ذلك وصحته مبدأ ينتهي إليه، فيجب أنه لم يزل ممكنا جائزا صحيحا، فيلزم أنه لم يزل الرب قادرا عليه، فيلزم جواز حوادث لا نهاية لأولها[(١)]

وفي موطن آخر حرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معنى قول القائل (ما لا يسبق الحوادث فهو حادث) حيث ذكر أن هذا القول له معنيان:

أما الأول: أنه لا يسبق الحادث المعين،أو الحوادث المعينة، أو المحصورة، أو الحوادث التي يعلم أن لها ابتداء؛ فإذا قدر أنه أريد بالحوادث كل ما له ابتداء واحدا كان أو عددا فمعلوم أنه ما لم يسبق هذا أو لم يخل من هذا لا يكون قبله بل لا يكون إلا معه أو بعده فيكون حادثا.

وهذا مما لا يتنازع فيه عاقلان يفهمان ما يقولان.

وذكر رحمه الله أن هذا ليس مورد النزاع، وإنما مورد النزاع هو ما لم يخل من الحوادث المتعاقبة التي لم تزل متعاقبة، هل هو حادث؟ وهو مبني على أن هذا هل يمكن وجوده أم لا؟ فهل يمكن وجود حوادث متعاقبة شيئا بعد شيء دائمة لا ابتداء لها ولا انتهاء؟ وهل يمكن أن يكون الرب متكلما لم يزلا متكلما إذا شاء، وتكون كلماته لا نهاية لها، لا ابتداء ولا انتهاء، كما أنه في ذاته لم يزل ولا يزال لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له؟ بل هو الأول الذي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، فهو القديم الأزلي الدائم الباقي بلا زوال، فهل يمكن أن يكون لم

---

(١) انظر: منهاج السنة ١/ ٩٨ـــــ ٩٩بتصرف

يزل متكلما بمشيئته فلا يكون قد صار متكلما بعد أن لم يكن، و لا يكون كلامه مخلوقا منفصلا عنه، ولا يكون متكلما بغير قدرته ومشيئته، بل يكون متكلما بمشيئته وقدرته و لم يزل كذلك ولا يزال، فهذا هو مورد التزاع بين السلف والأئمة الذين قالوا بذلك وبين من نازعهم في ذلك (١)

الوجه الثاني: الرد على قولهم: إن الله لم يزل معطلا لا يتكلم ولا يفعل شيئا ثم حدث ما حدث من كلام ومفعولات بغير سبب حادث.

أن يقال: إن هذا القول لم ينطق به شيء من كتب الله لا القرآن الكريم، ولا الكتب السماوية السابقة، و لم ينقل أيضا عن أحد من أنبياء الله، و لم يقل به أحد من الصحابة ــــ رضي الله عنهم ــــ والتابعون لهم بإحسان.

ولكن الذي نطقت به الكتب والرسل أن الله خالق كل شيء فما سوى الله مخلوق ومحدث كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بعدم نفسه.

أما الرب -جل وعلا- لم يزل ولا يزال متصفا بصفات الكمال، لم يصر قادرا بعد أن لم يكن، ولا متكلما بعد أن لم يكن، ولا موصوفا بأنه خالق فاعل بعد أن لم يكن ، بل لم يزل موصوفا بصفات الكمال المتضمنة لكماله في أقواله وأفعاله.(٢)

الوجه الثالث: أن يقال: إن وصفكم لله بالرحمة بعد لم تكن وصف لله تعالى بالكمال بعد النقص، وأنه تعالى اتصف بصفة كمل بها بعد نقصه! وهذا ممتنع في حق الله تعالى، لأنه -عز وجل- متصف بصفات الكمال أزلا وأبدا متره عن الاتصاف بصفات النقص سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

كما يقال أيضا: إن من لم يزل موصوفا بصفات الكمال أكمل ممن حدثت له بعد أن لم يكن موصوفا بها لو كان حدوثها ممكنا.

فتبين أن الرب لم يزل رحيما إذا شاء، ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا

---

(١) انظر: درء التعارض ١٥٥ــــ١٥٦

(٢) انظر: الصفدية١/ ١٣، ١٤، ١٣٠

بنعوت الجلال فبطل بذلك شبهات أهل الضلال[١]

الوجه الرابع: الرد على قولهم: بامتناع حوادث لا أول لها

بناء على هذه الشبهة فإن الكرامية يصفون الله بالصفات الفعلية بعد أن لم يكن موصوفا بها في الأزل ومنها صفة الرحمة؛ لأنه لو كان متصفا بها في الأزل لأدى ذلك إلى أن تتعاقب عليه الحوادث، وما تعاقب عليه الحوادث فهو محدث؛ لأنه يفضي إلى القول بحوادث لا أول لها فيلزم من ذلك بزعمهم التسلسل في الموجودات، والقول بقدم الأنواع فينسد عليهم طريق إثبات الصانع.

لذا فإن نقض هذه الشبهة يكون بنقض ما بنيت عليه ومما بنيت عليه هو القول بامتناع التسلسل في الماضي ـــ الذي منعه أهل الكلام المذموم ومنهم المعطلة ـــ الذين يقولون لتقرير مذهبهم في صفات الله الفعلية : إنه لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث فتتسلسل إلى ما لا نهاية له في الماضي؛ لأن ما تعاقبت عليه الحوادث فهو محدث، وإذا كان كذلك فيفتقر إلى إحداث وذلك الإحداث إلى إحداث فيلزم التسلسل.

وهذا التسلسل الذي منعه هؤلاء يسمى التسلسل في الآثار، ومنه التسلسل في الماضي: مثل أن يكون الحادث الثاني موقوفا على حادث قبله، وذلك الحادث موقوفا على حادث قبله وهلم جرا، وقد منعه أكثر المعطلة كالمعتزلة والأشاعرة، وهناك تسلسل آخر وهو التسلسل في المستقبل: وذلك بأن يوجد حادث بعده حادث وهكذا في المستقبل إلى ما يتناهى، وقد منع هذا الجهم بن صفوان في زعمه فناء الجنة والنار، وأبو الهذيل العلاف حين زعم أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع ويبقون في سكون دائم؛ لأنهم اعتقدوا التسلسل في الحوادث ممتنع في الماضي والمستقبل فضلوا عن سواء السبيل[٢].

فللرد على الكرامية وعلى كل من أخذ بهذه الشبهة يقال:

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى لابن تيمية١٢/٣٢، وشرح الطحاوية١/١٨٨

(٢) انظر: مقالة التشبيه٢/ ١٠٨

أولا: إن لفظ التسلسل الذي بنيتم عليه القول بامتناع حوادث لا أول لها هو عند أهل الحق يعتبر من الألفاظ المجملة التي لم يرد نفيها ولا إثباتها لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ــــ ﷺ ــــ وموقف أهل السنة في أمثال هذه الألفاظ فإنهم لا يقولون بنفيها ولا إثباتها، وإنما يسألون قائلها عن مراده بها فإن ذكر معنا صحيحا موافقا لما ورد في الكتاب والسنة أثبتوه، وإلا ردوه على قائله.

ثانيا: وهذا اللفظ الذي هو التسلسل عند تأمل ما ذكره أهل العلم **ينقسم إلى ثلاثة أقسام** بمعرفتها يظهر معنى هذا اللفظ ويستبين ما يصح منها وما لا يصح [1]:

أـــ التسلسل الممتنع: وهو التسلسل في العلل والفاعلين، بأن يكون للفاعل فاعل، وللفاعل فاعل إلى ما لا نهاية له، وهذا متفق على امتناعه بين العقلاء.

وهذا التسلسل هو الذي أمر النبي ــــ ﷺ ــــ بالاستعاذة منه في قوله:«يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربك، فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته»[2]

ب ـــ التسلسل الواجب: وهو الذي يدل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نفاد له.

وكذلك التسلسل في أفعاله شيئا قبل شيء إلى ما لا نهاية له، فإن أفعال الرب –عز وجل– ثابتة من طرف الأزل كما أنها ثابتة من طرف الأبد، فلم يزل الله فعالا أزلا وأبدا؛ لأن الفعل صفة كمال ومن يفعل أكمل ممن لا يفعل، والفعل من لوازم الحياة فإن كل حي فعال.

ج ـــ التسلسل الممكن: وهو التسلسل في مفعولاته فإنه سبحانه لم يزل حيا قادرا مريدا، متكلما، وذلك من لوازم ذاته.فالفعل له ممكن بموجب هذه الصفات،

---

(١) انظر: الصفدية لابن تيمية ١/١١ـــــ٥٢، درء التعارض١/٣١٦ـــــ ٣٣٩

(٢) رواه مسلم ،كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان ما يقوله من وجدها، حديث رقم ٢١٤، مسلم بشرح النووي٢/٣١٧

وأن يفعل سبحانه أكمل من أن لا يفعل.

ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه؛ فإنه سبحانه وتعالى متقدم على كل فرد فرد من مخلوقاته تقدما لا أول له فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق .[١]

الوجه الخامس: هو الرد عليهم حينما شبهوا الله بخلقه وهذه المسألة سيكون الرد عليها بإذن الله بالتفصيل عند الحديث عن قول قدماء الرافضة الذين يمثلون الله بخلقه

(١) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٩٤ـــــ ٢٠٠ مقالة التشبيه٢/ ١٠٨ـــــ ١١٦، محبة الله ١٥٠ـــــ١٥١

المطلب الثالث

من يمثل الرحمة بصفات المخلوقين كقدماء الرافضة وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الرحمة.

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة: الرد عليهم.

المطلب الثالث

من يمثل الرحمة بصفات المخلوقين كقدماء الرافضة

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الرحمة

قدماء الرافضة لم يكونوا من الجهمية بل كانوا مثبتة للصفات كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١] لكنهم يزيدون في إثبات الصفات على مذهب أهل السنة فلا يقنعون بما يقوله أهل السنة والجماعة في صفات الله بل غلوا في إثباتها حتى قالوا بالتجسيم والتبعيض والتمثيل وما هو مذكور عنهم في كتب المقالات، بل صرح أهل العلم أن التشبيه والتجسم المخالف للعقل والنقل لا يعرف في أحد من طوائف الأمة أكثر منه في قدماء الرافضة، و لم ينقل مثل هذا عن طائفة من طوائف المسلمين أعظم مما نقل عنهم [٢]

ولقد ذكر شيخ الإسلام عن الجاحظ [٣]قوله عنهم في كتابه (الحجج في النبوة):«إنه ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله، وأن البدوات تعرض له، وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه»[٤]

ومما يؤكد هذا ما ذكره أصحاب المقالات في كتبهم عن التمثيل الذي وقعت فيه هذه الطائفة التي حرمت الصواب في هذا الباب كما حرموه في غيره فقد ذكروا أنهم يزعمون أن الله لم يزل غير سميع ولا عليم ولا بصير ولا متكلم ولا قادر حتى خلق لنفسه ذلك فصار بعد أن خلق لنفسه هذه الصفات سميعا عليما بصيرا متكلما

---

(١) انظر: التسعينية١/٢٦١

(٢) انظر: منهاج السنة ١/٤٠٨، ٢/ ١١٢

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ البصري المعتزلي، ذو فنون ، وصاحب تصانيف، وكان ماجنا قليل الدين، وليس بثقة ولا مأمون بل هو معدود عند أهل العلم من أئمة أهل البدع توفي سنة ٢٥٥هـ انظر:السير ١١/٥٢٦ ، وميزان الاعتدال ٥/ ٣٠٠

(٤) انظر: منهاج السنة ١/٤٦

قادرا[(١)]

فهذا يبين أنهم يمثلون صفات الله بصفات خلقه التي وجدت فيهم بعد أن لم تكن تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

من أقوال أهل العلم في بيان منهج قدماء الرافضة في الصفات

يقول الإمام ابن خزيمة ـــــ/ ـــــ :« قد نزه الله نفسه وقدس عن صفات المخلوقين فقال:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(٢)] وهو كما وصف نفسه في كتابه على لسان نبيه لا كصفات المخلوقين من الحيوان ولا من الموتان كما شبه الجهمية معبودهم، ولا كما شبه الغالية من الروافض معبودهم ببني آدم قبح الله هذين القولين وقائلهما » [(٣)]

ويقول أبو الحسن الأشعري بعد ذكره لأقوال فرق الرافضة في التشبيه:« وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من متأخريهم، فأما أوائلهم فإنهم يقولون بما حكيناه عنهم من التشبيه »[(٤)]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– بعد ذكره لكلام الأشعري:« وهذا الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتفق على نقله عنهم أرباب المقالات حتى نفس الشيعة كابن النوبختي[(٥)] وغيره ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة »[(٦)]

وأما عن كون قدماء الرافضة من مثبتة الصفات وأنهم غلوا في الإثبات حتى قالوا

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ١/١١١، والفرق بين الفرق ص٥٨، والملل والنحل١/١٨٦، والخطط للمقريزي٤/١٧٦

(٢) سورة الشورى، آية ١١

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة١/٩٤

(٤) مقالات المصلين ١/١٠٩

(٥) كنيته أبو محمد الحسن بن موسى، النوبختي الشيعي المتفلسف صاحب التصانيف، ذكر منها الذهبي: ((كتاب الآراء)) و((الديانات))،و كتاب((الإمامة))، انظر: سير أعلام النبلاء١٥/٣٢٧

(٦) منهاج السنة١/٤٨٢

بالتشبيه فقد ذكر ذلك عنهم شيخ الإسلام في مواضع متعددة من كتبه(١) :

ومن ذلك قوله رحمه الله:« فإن الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية بل كانوا مثبتة للصفات، وغالبهم يصرح بلفظ (الجسم) وغير ذلك كما قد ذكر الناس مقالاتهم كما ذكر أبو الحسن الأشعري وغيره في كتب المقالات »(٢)

وقال أيضا:« والإثبات في الجملة مذهب الصفاتية: من الكلابية، والأشعرية، والكرامية، وأهل الحديث...لكن الزيادة في الإثبات إلى حد التشبيه هو قول الغالية من الرافضة »(٣)

وذكر رحمه الله أن الشيعة القدماء كانوا يُرجحون على المعتزلة بما خالفوهم فيه من إثبات الصفات والقدر والشفاعة ونحو ذلك(٤)

وكما يذكر شيخ الإسلام في كلام له نفيس يبين فيه ما بليت به هذه الطائفة من القول بالتمثيل والغلو فيه إلى حد التشبيه،وسبقهم للقول بالتجسيم وتاريخ دخول الرافضة في أقوال المعتزلة والقول بالتعطيل حيث قال رحمه الله:« وكان متكلمو الشيعة كهشام بن الحكم(٥)، وهشام الجواليقي(٦) ... وأمثالهم يزيدون في إثبات الصفات على مذهب أهل السنة، فلا يقنعون بما يقوله أهل السنة والجماعة من أن القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، وغيري ذلك من مقالات أهل السنة والحديث حتى يبتدعون في الغلو في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل ما هو

(١) انظر: مجموع الفتاوى٦/٣٣، التسعينية١/٢٦١، شرح الأصفهانية ص٦٨، بيان تلبيس الجهمية١/ ٤٦٧، منهاج السنة١/٤٥

(٢) التسعينية١/٢٦١

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٣٣

(٤) المصدر نفسه٤/ ١٣

(٥) هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني الكوفي الرافضي، من كبار الرافضة ومشاهيرهم، رئيس الطائفة الهشامية، كان حزازا ،وكان ضالا ممن يقول بالتمثيل،له مصنفات كثيرة في الكلام المذموم مات بعد نكبة البرامكة بمديدة متسترا، ويقال عاش إلى خلافة المأمون. انظر: لسان الميزان٨/ ٣٣٤،السير ١٠/ ٥٤٣، الوافي بالوقيات ٢٦/ ٧٥

(٦) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي العلاف من الإمامية المشبهة انظر: الوافي بالوفيات٢٦/٦٤

معروف من مقالاتهم التي ذكرها الناس.

ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة ... ولهذا تجد المصنفين في المقالات كالأشعري لا يذكرون عن أحد من الشيعة أنه وافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم إلا عن بعض متأخريهم، وإنما يذكرون عن بعض قدمائهم التجسم وإثبات القدر وغيره، وأول من عرف عنه في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم... »[١]

تقرير قولهم في صفة الرحمة

بعد عرض أقوال العلماء وأرباب المقالات في بيان موقفهم من صفات الله عز وجل يظهر جليا أنهم يثبتون صفة الرحمة فهم من جملة الصفاتية الذين يثبتون الصفات ولكنهم وقعوا في آفة التمثيل فبناء على ذلك فهم يمثلون صفة الرحمة بصفات المخلوقين لأنهم لم يقنعوا بما كان عليه أهل السنة والجماعة في الصفات بل غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التمثيل الذي قَبَّحَ العلماء قوله والقائل به.

يقول ابن القيم رحمه الله:« فمن نفى حقيقة الرحمة عن الله فهو معطل، ومن شبهها برحمة المخلوقين فهو ممثل، ومن قال إنه موصوف بصفة الرحمة ليس كمثله شيء فهو الموحد » [٢]

ويقول ابن عثيمين ــــ رحمه الله عند بيانه لطريقة الممثلة في الصفات:«... الممثلة وطريقتهم أنهم أثبتوا لله الصفات على وجه يماثل صفات المخلوقين...»[٣]

المسألة الثانية:بيان شبهتهم وما تمسكوا به

بين المحققون من أهل السنة والجماعة أن أصل شبهة من اعتقد التشبيه بين الخالق –جل وعلا– وبين المخلوق[٤] ناتج من جعله الاتفاق في اللفظ والمعنى العام بين

(١) منهاج السنة ١/ ٤٥ـــــ ٤٦

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٩٠

(٣) تقريب التدمرية ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ٤/ ١١٩

(٤) هذا يعم من قال بالتشبيه وقرره كقدماء الرافضة ومن وقع فيه وفر منه إلى التعطيل كالمعطلة انظر: مقالة التشبيه ٢/ ٣٥٨

صفات الخالق والمخلوق موجبا لأن تكون صفات الخالق مماثلة لصفات المخلوقين لذلك قالوا:

إنه لا يعقل من الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق وصفات المخلوقين إلا التمثيل.

وأكدوا ذلك بقولهم: إن الله سبحانه وتعالى إنما خاطبنا بما نفهم ونعقل، ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان مشاهدا، فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد، وظنوا أن هذا هو مقتضى دلالة النصوص كقوله تعالى:﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١] وقوله تعالى:﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢] وقوله تعالى﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾[٣] [٤]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« وأصل خطأ هؤلاء توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتا في هذا المعين وهذا المعين »[٥] وقال أيضا:« والمقصود هنا التنبيه على مجامع الأقوال ومنشأ الضلال حيث أخذوا لفظ (التشبيه) بمعنى مشترك مجمل »[٦]

المسألة الثالثة: الرد عليهم.

لما بين علماء أهل السنة والجماعة أصل خطأ الممثلة، ومنشأ ضلالهم هم وإخوانهم المعطلة قاموا بالرد عليهم، وردهم لنصوص الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وبيان ذلك يظهر بذكر الوجوه التالية:

الوجه الأول:حكاية الإجماع على نفي المماثلة بين صفات الخالق وصفات

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٤٢

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٩

(٣) سورة ص، آية ٢٩

(٤) انظر: شرح الطحاوية ١/١٦٠، تقريب التدمرية٤/ ١١٩، مقالة التشبيه١/ ٣٥٨

(٥) منهاج السنة ١/ ٤١٨

(٦) الصفدية ٩٩/١

المخلوق.

ومن ذلك قولهم: إن الإجماع حاصل بين الأمة بأن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء في ذاته المقدسة فإذا كان الأمر كذلك يجب أن تكون صفاته تعالى ليست كصفات خلقه؛ لأن الصفة تتبع الموصوف وصفات الله تعالى من الرحمة والرضا والغضب وغيرها هي صفات حق ، وصفات المخلوقين من ذلك صفات حق ولا مناسبة بين صفات الخالق وصفات المخلوق فصفات الخالق -جل وعلا- لائقة بذاته وجلاله وعظمته، وصفات المخلوق مناسبة لعجزه وافتقاره، وبين الصفات والصفات من المخالفة كمثل ما بين الذات والذات (١)

يقول ابن تيمية رحمه الله:« والمقصود هنا: أن أهل السنة متفقون على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله...» (٢)

ومثل هذا ذكره ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية حيث قال:« اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله »(٣)

الوجه الثاني:بيان أن الاتفاق في الاسم والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي المماثلة.

لما رأى علماء السلف أصل شبهة الممثلة وهو أنهم أخذوا من الاتفاق في الاسم والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق القول بالمماثلة بين الله وخلقه فأثبتوا القدر المشترك بين صفات الخالق والمخلوق و لم يميزوا بين ذلك؛ عند ذلك اهتم المحققون من علماء الأمة في بيان القدر المشترك بين صفات الخالق و المخلوق والفارق بينهما. لذا فقد بينوا رحمهم الله أن الله سبحانه وتعالى له صفات مختص بها، والعبد لا يشركه في شيء من ذلك، والعبد مختص بما هو من صفاته، والله منزه عن مشاركة العبد فيما هو من خصائصه، وإذا اتفقا في مسمى الوجود والعلم

---

(١) انظر: منهج ودراسات ص١٠، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ١/ ٧٩

(٢) منهاج السنة١/٤١٣

(٣) شرح الطحاوية١/١٥٤

والقدرة فهذا المشترك مطلق كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه[١]

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

« وأصل خطأ هؤلاء توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتا في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقا كليا لا يوجد إلا معينا مختصا، وهذه الأسماء إذا سمي بها كان مسماها مختصا به فوجود الله وحياته لا يشركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره فكيف بالخالق؟ »[٢]

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المسألة بضرب الأمثلة: فمن ذلك ضربه المثل بلفظ الوجود فقد قال: « وإذا كان من المعلوم بالضرورة في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو محدث ممكن، يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود، وهذا موجود، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره.

فلا يقول عاقل:إذا قيل: إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود أن هذا مثل هذا؛ لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود؛ لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا، هو مسمى الاسم المطلق.

وإذا قيل: هذا موجود وهذا موجود، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما.

ولهذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به

(١) منهاج السنة ١/ ٤١٧، الصفدية١/٩٩، وشرح الطحاوية١/١٩٠

(٢) منهاج السنة ١/ ٤١٨

إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم، مضافة إليهم، توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين، وتماثل مسماهما واتحاده ـــــ عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص ـــــ اتفاقهما،تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمى الله نفسه حيا فقال:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(١) وسمى بعض عباده حيا، فقال:﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾(٢) وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ لأن قوله:﴿ ٱلْحَىُّ﴾ اسم لله مختص به، وقوله:﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص، المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه ـــــ سبحانه وتعالى ›› (٣)

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة ببيانه للتشبيه الممتنع بين الخالق والمخلوق وذلك عند قوله:‹‹ التشبيه الممتنع إنما هو مشابهة الخالق للمخلوق في شيء من خصائص المخلوق، أو أن يماثله في شيء من صفات الخالق، فإن الرب – تعالى– متره عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق، أو أن يكون له مماثلة في شيء من صفات كماله، وكذلك يمتنع أن يشاركه غيره في شيء من أموره بوجه

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٥

(٢) سورة الروم، آية ١٩

(٣) مجموع الفتاوى١٢/٣

من الوجه.

بل يمتنع أن يشترك مخلوقان في شيء موجود في الخارج بل كل موجود في الخارج فإنه مختص بذاته وصفاته القائمة به، لا يشاركه غيره فيها البتة،وإذا قيل: هذان يشتركان في كذا، كان حقيقته أن هذا يشابه هذا في ذلك المعنى كما إذا قيل: هذا الإنسان يشارك هذا في الإنسانية، أو يشارك هذا الحيوان في الحيوانية، فمعناه أنهما يتشابهان في ذلك المعنى، وإلا فنفس الإنسانية التي لزيد لا يشاركه فيها غيره وإنما يشتركان في نوع الإنسانية المطلقة، لا في الإنسانية القائمة به، والإنسانية المشتركة المطلقة هي في الأذهان لا تكون في الأعيان مشتركة مطلقة، فما هو موجود في الخارج لا اشتراك فيه، وما وقع فيه الاشتراك هو الكلي المطلق الذي لا يكون كليا مطلقا إلا في الذهن، فإذا كان المخلوق لا يشاركه غيره فيما له من ذاته وصفاته وأفعاله، فالخالق أولى أن لا يشاركه غيره في شيء مما هو له تعالى، لكن المخلوق قد يماثل المخلوق ويكافئه ويساميه، والله سبحانه وتعالى ليس له كفؤ ولا مثيل ولا سمي، وليس مطلق الموافقة في بعض الأسماء والصفات الموجبة نوعا من المشابهة تكون مقتضية للتماثل والتكافؤ،بل ذلك لازم لكل موجودين، فإنهما لا بد أن يتفقا في بعض الأسماء والصفات، ويشتبها من هذا الوجه، فمن نفى ما لابد منه كان معطلا، ومن جعل شيئا من صفات الله مماثلا لشيء من صفات المخلوقين كان ممثلا،والحق هو نفي التمثيل ونفي التعطيل، فلا بد من إثبات صفات الكمال المستلزمة نفي التعطيل، ولا بد من إثبات اختصاصه بما له على وجه ينفي التمثيل))[1]

الوجه الثالث: أن يقال لهم إضافة على ما سبق : إن الاسم والصفة من هذا النوع المشترك بين الله وبين خلقه في اللفظ والمعنى العام له ثلاثة اعتبارات من عقلها كما

(١) الصفدية ١/ ١٠٠ــــــ١٠١

ينبغي سلم من آفتي التمثيل والتعطيل[(١)]:

١- اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد.

٢- اعتباره مضافا إلى الرب مختصا به.

٣- اعتباره مضافا إلى العبد مقيدا به

فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتا للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به.

ولنضرب مثالا على ذلك بالصفة:

فما لزمها لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله، وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه؛ لأن ما يختص به جل وعلا فهو حق له لا يمكن إثباته للمخلوق[(٢)].

ولتوضيح هذا نذكر ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان أنواع الصفات وما يجب منها لله، وما يجب أن يتره عنها حيث قال: « فالصفات نوعان:

أحدهما: صفات نقص، فهذه يجب تتريهه عنها مطلقا، كالموت والعجز والجهل.

والثاني: صفات كمال فهذه يمتنع أن يماثله فيها شيء، وكذلك ما كان مختصا بالمخلوق فإنه يمتنع اتصاف الرب به، فلا يوصف الرب بشيء من النقائص، ولا بشيء من خصائص المخلوقين، وكل ما كان من خصائص المخلوق فلا بد فيه من نقص، وأما صفات الكمال الثابتة له فيمتنع أن يماثله فيها شيء من الأشياء ...»[(٣)]

الوجه الرابع: الأدلة على أن الاتفاق في اللفظ والمعنى العام بين أسماء الله وصفاته وأسماء المخلوقين وصفاهم لا يقتضي المماثلة:

وبيان ذلك أن يقال للممثلة: إن ما ذهبتم إليه من القول بمماثلة الله لخلقه باطل مردود بدلالة السمع والعقل والحس

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى لابن تيمية١٢/ ٤٠ بدائع الفوائد١/١٨١، مقالة التشبيه١/٣٦١

(٢) انظر: بدائع الفوائد١/١٨٢

(٣) الصفدية١/١٠٢

أما دلالة السمع على بطلان قولهم:

أـــ دلت النصوص على وجوب تتريه الله جل وعلا عن أن يشبه بشيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين كقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[(١)] وقوله تعالى﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [(٢)] ففي الآية الأولى نفى أن يكون له مماثل مع إثبات السمع والبصر له.

وفي الآية الثانية نهى أن تضرب له الأمثال فجمع في هاتين الآيتين بين النفي والنهي[(٣)]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« وبهذا جاءت الكتب الإلهية، فإن الله تعالى وصف نفسه فيها بصفات الكمال على وجه التفصيل، فأخبر أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه عزيز حكيم، غفور ودود، سميع بصير إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته وأخبر أنه ليس كمثله شيء، و لم يكن له كفوا أحد، وقال تعالى:﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[(٤)] فأثبت لنفسه ما يستحقه من الكمال بإثبات الأسماء والصفات ونفى عنه مماثلة المخلوقات.

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

يثبتون له الأسماء والصفات وينفون عنه مماثلة المخلوقات إثباتا بلا تمثيل وتتريها بلا

(١) سورة الشورى، آية ١١

(٢) سورة النحل، آية ٧٤

(٣) انظر: منهج ودراسات ص٨، وتقريب التدمرية٤/ ١١٩

(٤) سورة مريم، آية ٦٥

تعطيل كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١)
فقوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على أهل التمثيل، وقوله:﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على أهل التعطيل »(٢)

ب ــــ ومما جاء في النصوص ودلت عليه أن الله تعالى سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بأسماء، وكذلك سمى صفاته بأسماء، وسمى ببعضها صفات خلقه، وليس المسمى كالمسمى، فسمى نفسه حيا عليما قديرا، رءوفا رحيما عزيزا حكيما كقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) وقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤) وقوله:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ (٥)

وقد سمى بعض عباده رءوفا رحيما فقال:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٦) وبعضهم عليما بقوله :﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٧) وبعضهم حيا : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾(٨)

ومعلوم أنه لا يماثل الرءوف الرءوف، ولا الرحيم الرحيم، ولا العليم العليم، ولا الحي الحي.(٩)

---

(١) سورة الشورى، آية ١١
(٢) الصفدية١/ ١٠٣
(٣) سورة البقرة، آية ١٤٣
(٤) سورة البقرة، آية ١٨١
(٥) سورة البقرة،آية ٢٥٥
(٦) سورة التوبة، آية ١٢٨
(٧) سورة الذاريات، آية ٢٨
(٨) سورة الروم، آية ١٩
(٩) انظر: منهاج السنة ١/ ٤١٤، شرح الطحاوية ١/ ١٥٥

وأما دلالة العقل على بطلان التمثيل فيقال: كما دلت الأدلة السمعية على بطلان قولهم فكذلك الأدلة العقلية موافقة لصحيح المنقول فهي تدل أيضا على بطلانه ومن ذلك[١]:

١- أن القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق يستلزم نقص الخالق سبحانه، لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصا.

٢- أن القول بمماثلة الخالق للمخلوق يقتضي بطلان العبودية الحقة؛ لأنه لا يخضع عاقل ويذل له على وجه التعظيم المطلق إلا أن يكون أعلى منه.

٣- أن الشيئين إذا تماثلا جاز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ووجب له ما يجب له، وامتنع عليه ما يمتنع عليه، والله -عز وجل- واجب الوجود، والمخلوق ممكن محدث؛ فلو أن الله مثل المخلوق لصار ممكنا محدثا واجب الوجود، وهذا ممتنع وكذا المخلوق إذا ماثل الخالق وجب أن يكون واجب الوجود ممكنا محدثا وهذا أيضا ممتنع.

وأما دلالة الحس:

ما ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الاسم ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم والصفة لا يستلزم الاتفاق والتماثل في الحقيقة، مع كون كل منهما مخلوقا ممكنا، فانتفاء التلازم في ذلك بين الخالق والمخلوق أولى وأجل بل التماثل في ذلك بين الخالق والمخلوق ممتنع غاية الامتناع [٢]

الوجه الخامس :الرد على قولهم إن الله خاطبنا بما نعقل ونفهم ولا نعقل من نصوص الصفات إلا التمثيل.

---

(١) تقريب التدمرية٤/١٢٠ ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ رحمه الله

(٢) انظر: تقريب التدمرية٤/١٢٠، المجلى في شرح القواعد المثلى ص٢٠٤

فهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن يقال لهم: طريقتكم تدل على أنكم لم تفهموا و لم تعقلوا ما جاء عن الله؛ وذلك أنكم أخذتم جانبا من النصوص وتركتم الجانب الآخر وذلك لأنكم تمسكتم بنصوص الإثبات و لم تلتفتوا إلى نصوص التتريه؛ إذ أنكم لو جمعتم بين نصوص الإثبات ونصوص التتريه لسلمتم من ورطة التمثيل الذي وقعتم فيها، فالله سبحانه وتعالى الذي خاطبنا بما ذكرتموه من الأدلة التي قلتم أنكم لا تفهمون منها إلا التشبيه هو الذي قال عن نفسه سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)] ولهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أندادا فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [(٢)] وكلامه جل وعلا يصدق بعضه بعضا ولا يتناقض[(٣)]

الثاني:أنه لا يمكن أن تكون المماثلة مرادة لله تعالى؛ لأن المماثلة تستلزم نقص الخالق جل وعلا، واعتقاد نقص الخالق كفر وضلال، ولا يمكن أن يكون مراد الله تعالى بكلامه الكفر والضلال كيف وقد قال:﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾[(٤)] وقال:﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[(٥)]

الثالث:أن ما أخبر الله به عن نفسه إنما أخبر به مضافا إلى نفسه المقدسة، فيكون لائقا به لا مماثلا لمخلوقاته، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لم يعرف الله تعالى، و لم يقدره حق قدره، و لم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق[(٦)]

---

(١) سورة الشورى، آية ١١

(٢) سورة النحل، آية ٧٤

(٣) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى ص٢٣٤ـــــ ٢٣٥، ومقالة التشبيه ٣٦٩/١

(٤) سورة النساء، الآية ١٧٦

(٥) سورة الزمر، آية ٧

(٦) تقريب التدمرية ٤/ ١٢١

.

المبحث الثاني

مذاهب النفاة لصفة الرحمة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مذهب الفلاسفة في صفة الرحمة .

المطلب الثاني: مذهب أهل الكلام في صفة الرحمة.

المطلب الأول

مذهب الفلاسفة في صفة الرحمة وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الرحمة.

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة: الرد عليهم.

المطلب الأول

مذهب الفلاسفة في صفة الرحمة وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الرحمة

الفلاسفة فرق وطوائف شتى لا يحصيهم إلا الله -عز وجل- وضلالهم في باب الأسماء والصفات ظلمات بعضها فوق بعض، فلا تكاد أن تجد منهم اثنين متفقين على رأي واحد، وذلك من تلاعب الشيطان بهم، بسبب إعراضهم عن سبيل المرسلين، وزيغهم عن طريق أتباع المرسلين من سلف الأمة الصادقين ، والتزامهم بما ورثوه وتلقفوه من نحاتة أفكار الفلاسفة اليونانيين، وتقديمهم لذلك على ما جاء في القرآن المبين ، فضلوا ضلالا بعيد وأفسدوا فسادا كبيرا، فتكاثرت مقالاتهم على ذكر الذاكر لها على وجه التفصيل [١] وفي الصفحات التالية سيُكْتفى بذكر ما يبين موقفهم من أسماء الله وصفاته بالقدر الذي يحدد قولهم في صفة الرحمة، أما ذكر دقائق أقوالهم ودرجات تعطيلهم لصفات الباري -جل وعلا- فقد كتبت فيها رسائل علمية أخرى تخصصت في ذكر مواقفهم على التفصيل[٢]

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان٢/٢٦٨، النفي في باب صفات الله عز وجل ٤٢٩

(٢) فمما وقفت عليه منها موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة، والنفي في باب صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة

الفلاسفة لا يثبتون شيئا من أسماء الله وصفاته

مما أكده أهل العلم أن غاية دأب الفلاسفة هو إثبات واجب الوجود، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق لا صفة ولا نعت، ولا فعل يقوم به، لم يخلق السماوات والأرض بعد عدمها، ولا له قدرة على فعل، ولا يعلم شيئا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

فهم أهل التعطيل المحض؛ فكما عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له؛ فقد عطلوا الرب جل وعلا عن صفات كماله (١)

فهم لا يثبتون شيئا من الأسماء والصفات بل يقولون بنفيها حذرا من التشبيه بزعمهم.

وقالوا: إنه لا يعرف مسمى بهذه الأسماء إلا جسم، كما لا يعرف موصوفا بهذه الصفات إلا جسم(٢)

وأوغلوا في الضلال حينما أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:« فإن نفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى (التوحيد) وهذه الطريق سلكها المتفلسفة النفاة للصفات؛ فإن الواجب لا يكون معنيين، وقصدهم نفي ثبوت الصفات لله تعالى. قالوا: لأن إثبات الصفات لله تعالى يستلزم تعدد الواجب »(٣)

ومما يوضح عقيدتهم في الله عز وجل قول رئيسهم كما يسمونه ـــــ ابن سينا ـــــ فقد قال عن الله:

« إن الله تبارك وتعالى واجب الوجود ووجوده عين ماهيته، وهو واحد لا كثرة في ذاته بوجه، ولا تصدر عنه الكثرة، وهو عقل محض لا جنس له، ولا ماهية له، ولا

(١) انظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٢٦٨

(٢) انظر: الصفدية١/٨٨ـــــــ ٨٩

(٣) شرح الأصبهانية١/١٠٧

كيفية، ولا كمية، ولا أين له ، ولا متى، ولا ند له، ولا شريك، ولا ضد له، ولا حد له، ولا برهان عليه، وهو يستحيل عليه التغير، وهو مبدأ كل شيء، وليس هو شيئا من الأشياء بعده، وهو لا يتحرك وإنما يحرك غيره على طريقة تحريك المعشوق لعاشقه» [(١)]

وممن فضح الفلاسفة وكشف ما ينطوي عليه مذهبهم من مخالفات لطريقة المرسلين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول في بيان مذهب بعض طوائفهم: « وأصل أمر هؤلاء [(٢)] أنهم لا يثبتون لصانع العالم مشيئة، ولا اختيارا وقدرة بها يقدر على تغيير العالم وتحويله من حال إلى حال.

بل وأئمتهم لا يثبتون علمه بتفاصيل أحوال العالم، بل منهم من يقول: لا يعلم شيئا ومنهم من يقول: لا يعلم إلا نفسه.

ومنهم من يقول: يعلم الجزئيات على وجه كلي وهذا اختيار ابن سينا »[(٣)]

وبمثل قول شيخ الإسلام يقول تلميذه ابن القيم رحمه الله حيث يقول:«وأما متأخروهم فأعلم أن الله عندهم ـــ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـــ كما يقول أفضل المتأخرين منهم والذي يقدمونه على الرسل ـــ ابن سينا:هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به، ولا يفعل شيئا باختياره ألبتة، ولا يعلم شيئا من الموجودات أصلا، لا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئا من المغيبات، ولا له كلام يقوم به، ولا صفة »[(٤)]

ومما جاء عن هؤلاء الملاحدة من نفيهم للأسماء والصفات ما ذكره شيخ الإسلام عن بعض طوائفهم:(أنهم ينفون أسماء الله الحسنى ويقولون: ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير.

---

(١) النفي في باب صفات الله عز وجل ٤٣٠نقلا عن الشفاء لابن سينا قسم الإلهيات١/ ٣٥٤

(٢) هم طائفة من الفلاسفة يقولون:إن الله يفعل بالذات لا بالاختيار مثل الشمس تحرق بطبعها لا بإرادة منها.

(٣) الصفدية١/٧

(٤) إغاثة اللهفان١/ ٢٦٠

ثم اقتصر بعضهم على نفي الإثبات فقال لهم الصنف الآخر: إذا قلتم ليس بموجود ولا بحي ولا عليم ولا قدير، فقد شبهتموه بالمعدوم، كما أن في الإثبات تشبيها بالموجود.

فيجب أن يقال: ليس بموجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل. وهؤلاء يقولون في أنفسهم أنهم أذكى الناس وأفضلهم، وهم من أجهل الناس وأضلهم وأكفرهم)[١]

كما ذكر رحمه الله أن منهم طائفة ثالثة تقول:نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، فلا ننفي النقيضين، بل نسكت عن هذا وهذا فنمتنع عن كل من المتناقضين، لا نحكم لا بهذا ولا بهذا، فلا نقول ليس بموجود ولا معدوم ولكن لا نقول: هو موجود ولا نقول هو معدوم... وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه[٢]

والفلاسفة ينفون صفات الله ويردونها جميعا إلى صفة العلم والإدراك فعندهم كونه عالما بالمسموعات هو معنى اسمه(السميع)، وكونه عالما بالمبصرات هو معنى اسمه(البصير)، وكونه حيا معناه: علمه بنفسه على ما هو عليه، وكلامه لا يرجع إلى ألفاظ وعبارات، وإنما هو فيضان العلوم من الله على قلب النبي ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ وكل ذلك يرجع إلى معنى العلم والإدراك.

كما أنهم لم يميزوا بين الصفات بل جعلوها كلها بمعنى واحد، فكونه (سميعا) هو نفسه كونه (بصيرا)، وكونه (متكلما) هو نفسه معنى كونه (قديرا).

وهم كذلك يجعلون صفاته هي عين ذاته تعالى، وذلك بردها إلى نفس الذات، إما بطريق السلب أو الإضافة أو بهما معا.[٣]

---

(١) الصفدية ١/٨٨ـــــ ٩٧

(٢) انظر: المصدر نفسه

(٣) انظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ص٣٧٩ـــــ ٣٨٠، ومحبة الله عند أهل السنة ومخالفيهم ص٣٩٣ـــــ ٣٩٤

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عنهم أنهم :« يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا، لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان » (١)

ومن ضلالهم أيضا: أنهم يجعلون الصفة هي الموصوف، فالعلم عندهم هو العالم، وهي كما يقول شيخ الإسلام مكابرة منهم للقضايا البديهيات، وجعلوا هذه الصفة هي الأخرى، فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة، جحدا للعلوم الضروريات إلى غير ذلك من معتقداتهم التي خالفوا فيها كتاب رب العالمين، وعباده المرسلين وأتباعهم من المؤمنين (٢)

تقرير قولهم في صفة الرحمة:

وعلى هذا فهم لا يثبتون صفة الرحمة ولا يثبتون الأسماء الحسنى الدالة عليها (كالرحمن الرحيم) بل يعطلون جميع الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي ذاته جل وعلا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« فقولهم يستلزم غاية التعطيل، وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات »(٣)

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به

والشبهة التي اعتمد عليها الفلاسفة في نفيهم للصفات هي شبهة ((التركيب)) فهي أعظم ما تمسكوا به حيث قالوا: إن الصفات أعراض، وإن إثباتها لله يستلزم التكثر والتعدد في ذاته، والتعدد يستلزم التركيب، والتركيب ممتنع في حق واجب الوجود.

وقالوا: إن الرب واحد والواحد لا يصدر عنه إلا واحد، ويعنون بكونه واحدا أنه

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٣

(٢) انظر:مجموع الفتاوى ١١/٣، ١٥٩/١٧

(٣) التدمرية ضمن مجموع الفتاوى٣/ ١٠

ليس له صفة ثبوتية أصلا ولا يعقل فيه معان متعددة؛ لأن ذلك عندهم تركيب، ولهذا يقولون: لا يكون فاعلا وقابلا؛ لأن جهة الفعل غير جهة القبول، وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزمة للتركيب.(١)

فهذه هي الشبهة الرئيسة التي بنى عليها الفلاسفة منهجهم في باب الصفات، فخلصوا إلى أن واجب الوجود لا يجوز أن يكون مركبا، فأوصلهم ذلك إلى نفي أن يكون موصوفا بأي وصف ثبوتي؛ لأن ذلك بزعمهم يلزم منه التركيب وشرط واجب الوجود عندهم أن يكون بسيطا(٢)

المسألة الثالثة: الرد عليهم

لا يخفى على كل ذي لب فساد وبطلان ما تفوه به الفلاسفة مما اعتقدوه في رب العالمين؛ فبطلانه معلوم من الدين بالضرورة لمخالفته لصريح المعقول وصحيح المنقول مما كان سببا في تصدي علماء الإسلام لها تحذيرا من معتقدهم الفاسد وإبطالا لحججهم الواهية فمما ذكروه في الرد عليهم:

أولا: بيان أن ما جاءوا به مع مخالفته لنصوص الوحي فهو متناقض في العقل

وذلك بأن يقال: إن ما اعتمدتم عليه في نفي الصفات بدعة في الدين لم يأت به كتاب ولا سنة ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين، ومع ذلك هو متناقض في العقل لا يستقيم، فإنه ما من أحد ينفي شيئا من الأسماء والصفات خوفا من شبهة قامت لديه إلا قيل له فيما أثبته نظير ما قاله فيما نفاه، وقيل له فيما نفاه نظير ما قاله فيما أثبته.

فكونكم لم تقولوا بثبوت الصفات بحجة أن ذلك يستلزم كثرة المعاني فيه، وذلك يستلزم كونه جسما أو مركبا.

فإنه يقال لكم :هذا كما أثبتم أنه موجود واجب قائم بنفسه، وأنه عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ وملتذ ولذة، وعاشق ومعشوق وعشق ونحو ذلك.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧/ ١٥٨ــــــ ١٥٩

(٢) انظر: النفي في باب صفات الله عز وجل ٤٣٩

فإن قالوا: هذه ترجع إلى معنى واحد.

قيل: إن كان هذا ممتنعا بطل الفرق، وإن كان ممكنا أمكن أن يقال في تلك مثل هذه، فلا فرق بين صفة وصفة [(١)]

ثانيا: إبطال شبهة التركيب

هذه الشبهة كما سبق هي أعظم ما تمسك بها النفاة من الفلاسفة وغيرهم حيث أخذوا يقولون : إثبات الصفات يقتضي التركيب والتجسيم، إما لكون الصفة لا تقوم إلا بجسم في اصطلاحهم، والجسم مركب في اصطلاحهم، وإما لأن إثبات العلم والقدرة ونحوهما يقتضي إثبات أمور متعددة وذلك تركيب[(٢)]

ولقد جاء الرد على هذه الشبهة من قبل علماء السنة وغيرهم من وجوه متعددة فمن ذلك :

١- أنهم حين يقولون: إن إثبات العلم والقدرة مستلزم تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع، قيل لهم: وإذا قلتم: هو موجود واجب، وعقل وعاقل ومعقول، أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا؟ فهذه معان متعددة، متغايرة في العقل، وهذا تركيب عندكم، وأنتم تثبتونه توحيدا، فإن قالوا: هذا توحيد في الحقيقة، وليس هذا تركيبا ممتنعا، قيل لهم: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هو تركيبا ممتنعا [(٣)]

٢- ومنها أن يقال: إن هذه الطائفة بالغت حين نفت الصفات بحجة التركيب و حين قالوا:**إن التركيب خمسة أنواع**، وجميعها يجب نفيها عن الله وهي :

الأول: التركيب من الوجود والماهية[(٤)]، فلا يكون له حقيقة سوى الوجود المطلق

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٦/٤٦ــــــ ٤٧

(٢) انظر: الصفدية١/١٠٤

(٣) انظر: التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية٣/ ٢٠

(٤) الماهية مشتقة من (ماهو) وهي ما به يجاب عن السؤال ب(ما هو) وتطلق غالبا على الأمر المنفعل من الإنسان وهي أعم من الحقيقة لأن الحقيقة تستعمل في الموجودات والماهية الموجودات وفي المعدومات انظر: الكليات للكفوي ٨٦٣

بشرط الإطلاق، لأنه لو كان له حقيقة مغايرة لذلك لكانت موصوفة بالوجود، وحينئذ فيكون الوجود الواجب لازما ومعلولا لتلك الحقيقة، فيكون الواجب معلولا.

الثاني:التركيب من العام والخاص، كتركيب النوع من الجنس والفصل[١]،وهذا يجب نفيه.

الثالث:التركيب من الذات والصفات، وهذا يجب نفيه.وهذه الثلاث تركيبات في الكيفية.

الرابع والخامس: التركيب في الكم، وهو تركيب الجسم من أبعاضه وهو:

إما من الجواهر المفردة[٢]، وهو التركيب الحسي.

وإما من المادة[٣] والصورة[٤] وهو التركيب العقلي.

فيرد عليهم فيما قالوا من أنواع التركيب[٥]

١– أن هذه الأمور ليست تركيبا في الحقيقة.

٢– وعلى فرض أن تكون تركيبا كما تدعون، فلا دليل لكم على نفيها، بل

---

(١) الجنس : هو عبارة عن لفظ يتناول كثيرا ولا تتم ماهيته بفرد من هذا الكثير كالجسم، وإن تناول كثيرا على وجه تتم ماهيته بفرد منه يسمى نوعا كالإنسان ثم هذا الفرد الذي تتم به ماهية النوع يسمى فصلا عند المتكلمين والمناطقة. انظر: الكليات ٣٣٩

(٢) الجوهر: هو الذات والماهية، والحقيقة كلها ألفاظ مترادفة والجوهر الفرد: قيل هو الجزء الذي لا يتجزأ. وقيل في (الجواهر المفردة): هي التي لا تقبل انقساما لا في الخارج ولا في الفرض العقلي.والجوهر خلاف العرض، الجوهر ما كان قائما بنفسه كالجسم، والعرض ما كان قائما بغيره كاللون.انظر: الكليات٣٤٦، ومصطلحات في كتب العقائد ٨٧

(٣) المادة: أو الهيولى كما يسميها الفلاسفة: أصل الشئ، وهي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية. انظر: التعريفات ١٧٧ــــ ١٧٨، الكليات ٨٦٥

(٤) الصورة: بالضم الشكل وتستعمل بمعنى النوع والصفة وقال الكفوي أيضا: الصورة ما تنتق شبه الأعيان وتميزها عن غيرها انظر: الكليات ٥٥٩

(٥) انظر: الصفدية١/ ١٠٤ــــ١٠٥

الدليل يقتضي إثبات المعاني التي سميتموها تركيبا.
هذا إجمالا أما من ناحية التفصيل في رد هذا أن يقال:
إنه لا دليل لكم على نفي هذه المعاني التي سميتموها تركيبا، وذلك أن غاية عمدتكم في نفي التركيب أنكم تقولون: إن المركب مفتقر إلى جزئه وجزء غيره، وواجب الوجود لا يكون مفتقرا إلى غيره.

وهذا الكلام من أبطل الباطل وبيانه كما يلي:

ـــــــ وذلك أن لفظ (التركيب) لفظ مشترك يحتمل معان عدة بحسب الاصطلاحات:

١- فيقال:المركب لما ركبه غيره كما قال تعالى:﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[1] ويقال ركبت الباب في موضعه ونحو ذلك، وهذا مفهوم المركب في اللغة.

٢- وقد يقال: (المركب) لما كان متفرقا فجمع كجمع الأغذية والأدوية المركبةــ

٣- وقد يقال: (المركب) لما يمكن تفريق بعضه عن بعض كأعضاء الإنسان، وإن لم يعهد تفرقه في الابتداء.

٤ـــ وقد يقال:(المركب) لما يشار إليه كالشمس والفلك، قبل أن يعلم جواز الانفكاك عنه.

٥ـــ وقد يقال: (المركب) لما جاز أن يعلم منه شيء دون شيء، كما يعلم كونه قادرا قبل أن يعلم كونه سميعا بصيرا.

وإذا كان كذلك فمعلوم أنهم إذا قالوا: إن إثبات الصفات تستلزم التركيب، لم يريدوا به الأول والثاني، فإن إثبات الصفات لازم لله تعالى، فيمتنع زوال صفات الكمال عنه، ويمتنع أن يجوز عليه خلاف الصمدية كالتفرق ونحوه، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد.

---

(١) سورة الانفطار، آية ٨

وكذلك إذا قالوا: (إن المركب مفتقر إلى أجزائه، فلفظ (الجزء):

ــــ قد يعنى به ما جمع إلى غيره حتى حصلت جملته، كالواحد من العشرة، وكجزء الطعام والثياب.

ــــ وقد يعنى بالجزء ما كان بعضا لغيره، وإن لم يعلم انفراده عنه أو لم يكن انفراده عنه.

وقد يدخلون في هذه الحياة اللازمة للحي، والعلم اللازم للعالم، كما يقولون: الحيوانية والناطقية جزءا الإنسان، وهما نعتان لازمان له، لا يمكن وجوده بدونهما .

وكذلك لفظ (الافتقار) لفظ مجمل يراد به معان منها:

ــــ أن يراد به افتقار المعلول إلى علته والمصنوع إلى صانعه ونحو ذلك.

ــــ ويراد به التلازم بمعنى أنه لا يوجد أحدهما إلا مع الآخر، وإن لم يكن أحدهما مؤثرا في الآخر، كاستلزام الموصوف لصفات كماله.

ــــ ويراد به افتقار الصفة إلى محلها الذي تقوم به.

وكذلك لفظ (الغير):

ــــ قد يراد به المباين للشيء.

ــــ وقد يعنى به ما يعلم الشيء بدونه

لهذا لما تنازع الناس في صفات الله تعالى، بل في صفة كل موصوف، وبعض كل مجموع، هل يقال : إنه غير له أم لا ؟

امتنع السلف والأئمة أن يطلقوا على صفات الله: كلامه وعلمه ونحو ذلك أنه غير له أو أنه ليس غيره[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضا:« والمقصود هنا أن هذه الحجة التي ينفون بها الصفات ويعتمدون على نفي مسمى التركيب هي مبنية على ألفاظ مجملة

(١) انظر: الصفدية١/١٠٤ــــ ١٠٧، موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ص٣٨٦، محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم ص٤٠٢ــــ٤٠٤

مشتركة موهمة، فإذا قالوا: إثبات الصفات تركيب والمركب مفتقر إلى جزئه، وجزؤه غيره، والمفتقر إلى غيره ليس بواجب بنفسه.

قيل لهم: إن أردتم بالغير غيرا مباينا له فهذا باطل، وإن أردتم ما هو داخل في مسمى اسمه، كان حقيقة قولكم: المركب لا يوجد إلا بوجود جزئه، والمجموع لا يوجد إلا بوجود بعضه، والجملة لا توجد إلا بوجود أفرادها.

ومن المعلوم أن قول القائل إذا قال: الشيء لا يوجد إلا بوجود نفسه كان هذا صحيحا،وكذلك إذا قيل: لا يوجد إلا بوجود ما هو داخل في نفسه مما يسمى صفات وأجزاء ونحو ذلك.. » [١]

ثالثا: إبطال قولهم: إن صفاته بمعنى ذاته وأنها كلها بمعنى واحد.

(من المعلوم في صريح العقول، أنه ليس معنى كون الشيء عالما، هو معنى كونه قادرا، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالما قادرا، فمن جوز أن تكون الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة[٢]، ثم إنه متناقض؛ فإنه إن جوز ذلك، جاز أن يكون وجود هذا هو وجود هذا، فيكون الوجود واحدا بالعين، لا بالنوع، وحينئذ فإذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب، كان وجود كل مخلوق يعدم بعد وجوده، ويوجد بعد عدمه، هو نفس وجود الحق، القديم، الدائم، الباقي، الذي لا يقبل العدم، وإذا قدر هذا كالوجود الواجب موصوف بكل تشبيه وتجسيم، وكل نقص،وكل عيب)[٣]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في الرد على ذلك في موضع آخر:« إن جعل عين العلم عين القدرة، ونفس القدرة هي نفس الإرادة والعناية، ونفس الحياة

---

(١) الصفدية ص ١٠٩ــــ١١٠

(٢) السفسطة : لفظ معرب مركب في اليونانية من كلمتين:(سوفيا) وهي الحكمة، و(اسطس) وهو المموه؛ فمعنى السفسطة: حكمة مموهة، ويراد بها: التموية والخداع، والمغالطة في الكلام. والغرض من ذلك تغليط الخصم وإسكاته، انظر: التعريفات للجرجاني ١١٨، مصطلحات في كتب العقائد١١٩

(٣) انظر:موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ص٣٨٢

هي نفس العلم والقدرة، ونفس العلم نفس الفعل والإبداع ونحو ذلك معلوم الفساد بالضرورة، فإن هذه الحقائق متنوعة، فإن جعلت هذه الحقيقة هي تلك كان بمنزلة من يقول: إن حقيقة السواد هي حقيقة الطعم، وحقيقة الطعم هي حقيقة اللون، وأمثال ذلك مما يجعل الحقائق المتنوعة حقيقة واحدة»[١]

رابعا: الرد على قولهم: هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق

أو بشرط سلب الأمور الثبوتية,

أو هو الوجود المطلق لا بشرط[٢].

هذا القول منهم كما يقول ابن تيمية رحمه الله: (مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج، وإنما يوجد في الذهن، وهذا مما قرروه في منطقهم اليوناني، وبينوا أن المطلق بشرط الإطلاق كإنسان مطلق بشرط الإطلاق، وحيوان مطلق بشرط الإطلاق، وجسم مطلق بشرط الإطلاق، ووجود مطلق بشرط الإطلاق: لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان...)

وذكر رحمه الله أنهم إذا جعلوه سبحانه مطلقا بشرط الإطلاق، فإنه والحالة هذه لم يجز أن ينعت بنعت يوجب امتيازه، فلا يقال: هو واجب بنفسه، ولا ليس بواجب بنفسه فلا يوصف بنفي ولا إثبات؛ لأن هذا نوع من التمييز والتقييد.

وقال: وهذه حقيقة قول الذين يمتنعون عن وصفه بالنفي والإثبات، ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع، كما أن الجمع بينهما ممتنع.

وأما إذا قيد بسلب الأمور الثبوتية دون العدمية فهو أسوأ حالا من المقيد بسلب الأمور الثبوتية والعدمية؛ فإنه أصبح يشارك غيره في مسمى الوجود ولكن يمتاز عنه هذا الموجود بأمور وجودية، والله سبحانه على زعمهم يمتاز عنها بأمور عدمية فيكون كل من الموجودات أكمل منه ــ سبحانه ــــ فاتضح أن سلب الأمور

---

(١) درء التعارض ١/٢٧٥

(٢) الوجود المطلق بشرط الاطلاق: فهذا يعني أنهم أثبتوا وجودا لا يتصف بصفة ثبوتية، كإنسان مطلق بشرط الاطلاق، وجسم مطلق بشرط الإطلاق، وهذا لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٢١، درء التعارض ١/ ١٩٦

الثبوتية دون العدمية، أو سلب الأمور الثبوتية والعدمية معا ممتنعا بالعقل، فيلزم أن يكون الوجود الواجب الذي لا يقبل العدم هو ممتنعا أيضا، والذي لا يتصور وجوده في الخارج، وإنما يقدره الذهن تقديرا، كما يقدر كون الشيء موجودا معدوما، أو لا موجودا ولا معدوما؛ فلزمهم الجمع بين النقيضين والخلو عن النقيضين، وهذا من أعظم الممتنعات باتفاق العقلاء[1]

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل١/ ٢٧٦ــــــ ٢٧٨، محبة الله عند أهل السنة ومخالفيهم ص ٤٠٠ــــ ٤٠١

المطلب الثاني

مذهب أهل الكلام في صفة الرحمة وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: مذهب الجهمية في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم.

المسألة الثانية: مذهب المعتزلة في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم

المسألة الثالثة: مذهب الأشاعرة في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم.

المطلب الثاني

مذهب أهل الكلام في صفة الرحمة وفيه ثلاث مسائل

المسألة الأولى: مذهب الجهمية في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم

الجهمية المحضة من الفرق التي تنفي عن الله جميع الأسماء والصفات، فلا يسمون الله شيئا إلا على سبيل المجاز، وينفون عنه جميع الصفات التي أثبتها الله -عز وجل-

لنفسه، أو أثبتها له رسوله ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ بل الله عز وجل عندهم لا يقوم به شيء من هذه الصفات ولا غيره، وكل ما يضاف إليه فإنما يعود معناه إلى أمر مخلوق منفصل عنه.

وهذا التعطيل الذي قالوا به يعد من البدع المحدثة التي اشتهروا بها ووافقهم عليها ملاحدة الباطنية والفلاسفة، ووافقتهم أيضا المعتزلة في نفي الصفات دون الأسماء[(١)]

يقول الإمام ابن خزيمة -رحمه الله- في بيان مذهبهم في صفات الباري -جل وعلا-:« والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله -جل وعلا- وصف بها نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه ـــــ صلى الله عليه وسلم لجهلهم بالعلم...»[(٢)]

ويقول ابن تيمية رحمه الله في بيان موقف الجهمية من أسماء الله:« وكذلك جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئا ولا حيا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز. قال: لأنه إذا سمي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيها »[(٣)]

وضلال الجهمية من أشد أنواع الضلال ويتضح ذلك بمعرفة ما يؤول إليه معتقدهم، وما يصرحون به من عقائد باطلة تخالف عقيدة التوحيد وما جاء عن رب العالمين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ رحمه الله:« والجهمية ـــــ نفاة الصفات ـــــ تارة يقولون بما يستلزم الحلول والاتحاد، أو يصرحون بذلك، وتارة بما يستلزم الجحود والتعطيل، فنفاتهم لا يعبدون شيئا، ومثبتتهم يعبدون كل شيء »[(٤)]

ويبن ابن القيم -رحمه الله- معنى توحيد الجهمية ومصدر اشتقاقه وحقيقته حيث قال: « توحيد الجهمية وهو مشتق من توحيد الفلاسفة، وهو نفي صفات الرب كعلمه وكلامه وسمعه وبصره وحياته وعلوه على العرش ونفي وجهه ويديه، وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسمائه وصفاته »[(٥)]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية٣/٨، والفتاوى العراقية٢/١٠٥٠،والتسعينية٢/ ٤٨١

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٥٩/١

(٣) مجموع الفتاوى١٢/ ١٦٨

(٤) مجموع الفتاوى٦/ ٢٦

(٥) مختصر الصواعق ١/ ٣٢٠

تقرير مذهبهم في صفة الرحمة:

الجهمية ينكرون صفة الرحمة كما ينكرون سائر الصفات، فلا يصفونه بها، ولئن أطلقوا لفظها عليه فلا يعنون بها معناها، بل يطلقونها لأجل مجيئها في القرآن ثم يلحدون في أسمائه ويحرفون الكلم عن مواضعه، فيقولون عن الصفات: هي إضافات وليست بصفات؛ فيقولون: هو رحيم ويرحم والرحمة لا تقوم به بل هي مخلوقة وهي نعمته.(١)

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وغيره ما حكي عن زعيم الجهمية الجهم أنه كان يخرج إلى الجذامى، وأهل البلاء، ويقول: أرحم الراحمين يفعل هذا؟ إنكارا لأن تكون له رحمة يتصف بها وزعما منه أنه ليس إلا مشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح، فليس الله عند جهم وأتباعه حكيما ولا رحيما(٢)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا في بيان أنهم لا يثبتون صفة الرحمة:« والجهمية ليس عندهم إلا كونه خالقا ـــــ مع تقصيرهم في إثبات كونه خالقا ـــــ لا يصفونه بالكرم، ولا الرحمة ولا الحكمة، وإن أطلقوا ألفاظها فلا يعنون بها معناها، بل يطلقونها لأجل مجيئها في القرآن ثم يلحدون في أسمائه ويحرفون الكلم عن مواضعه... »(٣)

ذكر شبهة الجهمية:

الجهمية حينما نفوا صفة الرحمة و لم يصفوا الله ـــــ عز وجل بها فإن ذلك مبني على شبهات متعددة قامت لديهم، والشبهة الرئيسة في نفي ذلك هي دعوى تنزيه الله عز وجل فرارا من تشبيهه بخلقه،فقد ادعى الجهمية أن أي صفة أو اسم يطلق على المخلوق لا يصح ولا يجوز أن يطلق على الله؛ لأن ذلك في نظرهم يؤدي إلى

---

(١) انظر: الفتاوى١٧/٨٤

(٢) انظر: منهاج السنة٢/٢٥٢، إغاثة اللهفان١/ ١٧٧

(٣) مجموع الفتاوى١٦/ ١٧٣

تشبيه الخالق بالمخلوق[(١)]

يقول ابن خزيمة -يرحمه الله-:« والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله ــــ عز وجل وصف بها نفسه في محكم تتريله؛ وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه فتوهموا لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه قد شبهه بخلقه، فاسمعوا ــــ يا ذوي الحجا ــــ ما أبين جهل هؤلاء المعطلة »[(٢)]

وشبهتهم هذه التي ضل بسببها كل معطل لصفات رب العالمين منشؤها وأصلها هو أصل البدع وينبوعها وهو الاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:« والأصل الذي بنى عليه نفاة الصفات، وعطلوا ما عطلوا حتى صار منتهاهم إلى قول فرعون الذي جحد الخالق، وكذب رسوله موسى في أن الله كلمه وهو استدلالهم على حدوث العالم بأن الأجسام محدثة، واستدلالهم على ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث ولم تسبقها، ومالم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث وهذا أصل الجهمية » [(٣)]

الرد على شبهة الجهمية:

قد ينخدع بعض الناس بأقوال الجهمية حينما يقف على الشبهة التي تمسكوا بها ويظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله تعالى ولكن عند سبرها ومعرفة ما تنطوي عليه يجد أنهم قد عطلوا الرب سبحانه وتعالى عن صفات كماله ونعوت جلاله بأقوال فاسدة لم تستمد لا من الكتاب ولا من السنة ولم تؤثر عن سلف الأمة، بل يستخدمون في ذلك الألفاظ المجملة والعبارات المشتركة تمويها وتلبيسا.

يقول الإمام أحمد بن حنبل ــــ يرحمه الله تعالى ــــ:«فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله سبحانه، ولا يشعر أنهم إنما يعود قولهم إلى فرية

(١) انظر: جناية التأويل الفاسد ص١٧٢، النفي في باب صفات الله ص٥٢٧

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٥٩/١

(٣) مجموع الفتاوى١٣/ ٨٠وذكره أيضا في شرح الأصبهانية ١١٢، ومنهاج السنة١٩٥/١

في الله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر »[(١)]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:« بل جميع ما يقوله الجهمية من النفي ـــــ ويزعمون أنه الحق ـــــ ليس معهم به حرف من كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل الكتاب والسنة وأقوال السلف والأئمة مملوءة بما يدل على نقيض قولهم »[(٢)]

ومما سبق نعلم أن علماء السلف منذ ظهور بدعة الجهمية وهم يصيحون بهم ويحذرون الناس منهم ومن بدعتهم ويتصدون لهم بالرد عليهم وكشف مذهبهم الباطل فألفوا في ذلك الكتب والمصنفات لدفع شبهتهم ورد فريتهم عن نصوص الكتاب والسنة[(٣)].

أما عن رد الشبهة الرئيسة التي تشبث بها الجهمية والتزموا بسببها نفي صفة الرحمة والتي سبق عرضها وهي:دعوى تنزيه الله -عز وجل- والفرار من تشبيه الله بخلقه، فقد ادعى الجهمية أن أي صفة أو اسم يطلق على المخلوق، لا يصح ولا يجوز أن يطلق على الله؛ لأن ذلك في نظرهم يؤدي إلى تشبيه الخالق بالمخلوق.

فهذه الشبهة قد سبق ردها، وبيان أن مجرد الاشتراك في الأسماء لا يقتضي الاشتراك في الحقائق وتم بحمد الله ذكر ذلك بالتفصيل مما يغني عن إعادته هنا[(٤)] ولكن لا بأس بذكر بعض ما ورد من الردود الخاصة في شبهة الجهمية من قبل علماء أهل السنة والجماعة:

منها ما ذكره ابن أبي العز عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنه قال:

« لايشبه شيئا من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص٢١٢

(٢) مجموع الفتاوى٦/٣٤٦

(٣) مثل: رد الإمام أحمد الرد على الزنادقة والجهمية، وخلق أفعال العباد والرد على الجهمية للبخاري.

(٤) انظر: ص ٤٩١وبعدها من هذه الرسالة

كرؤيتنا »[(١)]

ويقول الإمام ابن خزيمة -رحمه الله- في بيان ما يترتب على شبهة الجهمية من لوازم باطلة :«فإن كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما جاء على لسان نبيه ــــ صلى الله عليه وسلم ــــ مشبهة على ما يزعم الجهمية المعطلة فكل أهل القبلة إذا قرؤوا كتاب الله فآمنوا به بإقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وسموا الله بهذه الأسامي التي أخبر الله بها أنها له أسامي وسموا هؤلاء المخلوقين بهذه الأسامي التي سماهم الله بها هم مشبهة، فعود مقالتهم هذه توجب أن على أهل التوحيد الكفر بالقرآن، وترك الإيمان به، وتكذيب القرآن بالقلوب والإنكار بالألسن فأقذر بهذا من مذهب، وأقبح بهذه الوجوه عندهم، عليهم لعائن الله،وعلى من ينكر جميع ما وصف الله به نفسه في محكم تتريله، والكفر بجميع ما ثبت عن نبينا المصطفى ــــ صلى الله عليه وسلم ــــ بنقل أهل العدالة موصولا: إليه في صفات الخالق ــــ جل وعلا »[(٢)]

ويقول الإمام الصابوني -رحمه الله- « واعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله - سبحانه- لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا، ولعنهم لعنا كبيرا » [(٣)]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:« والمقصود هنا: أن أهل السنة متفقون على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفات ولا في أفعاله، ولكن لفظ (التشبيه) في كلام هؤلاء النفاة المعطلة لفظ مجمل، فإن أراد بلفظ التشبيه ما نفاه القرآن، ودل عليه العقل فهذا حق،فإن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية١/١٧٨

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة١/٨١

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٢٣٢

ومذهب سلف الأمة وأئمتها: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة.

ومن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم.

وإن أراد بالتشبيه أنه لا يثبت لله شيء من الصفات، فلا يقال: له علم ولا قدرة ولا حياة؛ لأن العبد موصوف بهذه الصفات؛ فلزمه أن لا يقال له: حي عليم قدير؛ لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك في كلامه وسمعه وبصره ورؤيته وغير ذلك.

وهم يوافقون أهل السنة على أن الله موجود حي عليم قادر، والمخلوق يقال له: موجود حي عليم قدير، ولا يقال: هذا تشبيه يجب نفيه »[1]

وأقوال أهل العلم كثيرة جدا في رد شبهة الجهمية ولو أخذنا في ذكرها لطال بنا الأمر ويكفي هنا أن نعلم أن هؤلاء المعطلة ليس معهم مستند لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال سلف الأمة فيما ذهبوا إليه ، بل جميع الأدلة النقلية والعقلية تدل على نقيض قصدهم وبطلان حجتهم والله أعلم.

---

(١) منهاج السنة ١/ ٤١٣ــــــ ٤١٤

المسألة الثانية:

مذهب المعتزلة في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم

مذهب المعتزلة في باب الأسماء والصفات يجمع بين مادتين خبيثتين: فهم من ناحية سلكوا منهج الفلاسفة المشركين الذين لا يؤمنون بالله ولا برسله ولا باليوم الآخر، ومن يتبع في دينه وفي عقيدته لربه هؤلاء الكفار لا شك في فساد مذهبه واعتقاده.

ومن ناحية أخرى تأثروا بالجهمية المعطلة السابقين لهم في نفي الصفات لذلك يطلق عليهم بعض العلماء بأنهم مخانيث الجهمية في الصفات[(١)].

لهذا كان مذهبهم أنهم يثبتون لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، وذلك أنهم لما رأوا الجهمية قد نفوا أسماء الله الحسنى استعظموا ذلك لما فيه من تكذيب القرآن، فأقروا بالأسماء، ووافقوهم في نفي الصفات لما تمسكوا بما يأتي من شبهات توهموها فصاروا بذلك متناقضين[(٢)]

وهذا التناقض كان سببا في تسلط أهل الضلال من الجهمية والباطنية والفلاسفة عليهم فألزموهم نفي الأسماء التي أثبتوها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:« ولو كانت المعتزلة تفقه لما قالوا بنفي الصفات الأمر الذي جعل نفاة الأسماء من الجهمية والباطنية والفلاسفة يستطيلون عليهم بقولهم بنفي الصفات، وأخذوا لفظ التشبيه بالاشتراك والإجمال، فلما جعلوا إثبات الصفات من التشبيه الباطل ألزمهم أولئك بطرد قولهم فألزموهم نفي الأسماء الحسنى »[(٣)]

والمعتزلة مجمعون على هذا المذهب وهو إثبات الأسماء الحسنى ونفي الصفات، وإن كانت لهم طرق متعددة في موقفهم من الصفات لكن النتيجة واحدة وهو القول

---

(١) انظر: الملل والنحل ٥١/١، الفتاوى العراقية ٢/ ١٠٤٧

(٢) انظر: النبوات ص٦٣ـــــ ٦٤، الفتاوى العراقية٢/ ١٠٤٧

(٣) الصفدية ١٠٣/١

بنفيها[١]

يقول الشهرستاني: « والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد: القول بأن الله تعالى قديم، والقديم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة،هي صفات قديمة، ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية »[٢]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان مذهبهم والطرق التي سلكوها: «فالمعتزلة أثبتوا لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات.

ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بصير بلا سمع ولا بصر، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات»[٣]

تقرير مذهبهم في صفة الرحمة:

مما يظهر جليا من خلال الأقوال السابقة أنهم لا يثبتون صفة الرحمة كما هو مذهبهم في سائر الصفات وهذا من ضلالهم وتكذيبهم لرسل الله عز وجل.

ذكر شبه المعتزلة والرد عليها:

بنى المعتزلة مذهبهم الفاسد في نفي الصفات على شبهات متعددة منها شبهات خاصة بهم لم يشاركهم فيها غيرهم، ومنها شبهات قامت لديهم كما قامت عند غيرهم وفي هذه المسألة سيذكر بعض ما لديهم من شبهات رئيسة لمعرفتها والرد عليه بإذن الله تعالى:

١ – شبهة تعدد القدماء

فهذه شبهة معتزلية محضة في نفي الصفات ، حيث يرى المعتزلة أن القدم هو أخص

---

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة ٨٣ـــــ ٩٠، النفي في باب صفات الله عز وجل ص ٥٥٩

(٢) الملل والنحل ٤٤/١ـــــ ٤٥

(٣) مجموع الفتاوى١١/٣

وصف الإله [١] ، وهو الكاشف عن حقيقته، وهو تعالى إنما يخالف مخالفه بكونه قديما فبه يعرف تميزه عن غيره، وهذه الصفات إما أن تكون محدثة أو قديمة، فإذا كانت محدثة فلا يصح أن يوصف الله تعالى بها؛ لأن ذاته ليست محلا للحوادث، وإن كانت قديمة فيجب أن تكون مثلا لله تعالى لإثبات معنى الألوهية ـــــ وهو القدم ـــــ للصفات، وهذا يوجب إذا كان الباري تعالى عالما قادرا لذاته أن تكون هذه المعاني عالمة قادرة أيضا، فتصبح هذه الصفات بزعمهم ذواتا مستقلة، وهذا هو تعدد القدماء وهو من الشرك المنافي للتوحيد[٢].

وممن نسب هذه الشبهة لعموم المعتزلة الشهرستاني في قوله السابق وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى[٣]

والرد عليهم في هذه الشبهة :

هذه الشبهة التي نفى المعتزلة من أجلها صفات الباري -جل وعلا- بما فيها صفة الرحمة **يمكن ردها من عدة جوانب:**

أ ـــــ أن النصوص قد دلت على أن الله تعالى موصوف بالصفات العلية كقوله تعالى:﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[٤] ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥] وقوله تعالى:﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [٦] وقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [٧]

فهذه الآيات صريحة في اتصاف الله تعالى بصفات الكمال فلا يصح مطلقا أن ترد

---

(١) المصدر نفسه٦/٢٠٧

(٢) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص٢٨٣ـــــ ٢٨٤

(٣) انظر: الفتاوى ٦/٢٠٧

(٤) سورة الأعراف، آية ١٥١

(٥) سورة الأعراف، آية ١٥٦

(٦) سورة البقرة، آية ٢٥٥

(٧) سورة الذاريات، آية ٥٨

لأجل شبهات هي من وساس الشيطان وتزيينه فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا [١]

ب ـــــ (ومن الردود على المعتزلة أيضا: أن قول القائل: الله تعالى ليس بعالم ولا قادر ولا حي، وقوله أن الله تعالى لا علم له بشيء، ولا قدرة له على شيء، ولا حياة له، ليس بينهما فرق عند أهل اللسان، فإذا كان الأول فاسدا، كما تقر به المعتزلة فكذلك الثاني لعدم وجود فرق بينهما، فبطل إثبات المعتزلة الأول ونفيها الثاني) [٢]

ج ـــــ أن يقال لهم:(إن إثبات الأسماء حق، وهو يستلزم إثبات الصفات، فإن إثبات حي بلا حياة، عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة، كإثبات متحرك بلا حركة، ومتكلم بلا كلام، ومريد بلا إرادة، ومصلٍ بلا صلاة ونحو ذلك مما فيه إثبات اسم الفاعل ونفي مسمى المصدر اللازم لاسم الفاعل، ومن أثبت الملزوم كان قوله باطلا)[٣]

٢ـــ شبهة الأعراض وحدوث الأجسام.

وهذه الشبهة التي نفوا لأجلها الصفات أشهر لديهم من شبهة التركيب التي أخذوها من الفلاسفة حيث ذكر أهل العلم عنهم أنهم يقولون: إن الصفات أعراض لا تقوم إلا بجسم،وما قام به الكلام وغيره من الصفات لا يكون إلا جسما، ولا يرى إلا ما هو جسم أو قائم بجسم[٤]

وهم يحاولون إيهام الناس أن قصدهم من تعطيل الله عن صفاته أنهم يريدون تتريه الله –عز وجل– عن أن يكون جسما، أو أن تحل به الحوادث.

وشبهتهم في تعطيل الباري عن صفاته بالاستناد إلى دليل الأعراض وحدوث

(١) انظر: حقيقة التوحيد ص٢٨٦

(٢) انظر: تبصرة الأدلة١/٢٠٢ نقلا عن حقيقة التوحيد للسلمي ص٢٨٨

(٣) الصفدية١/ ١٠٣ـــــ ١٠٤

(٤) انظر: منهاج السنة ٤١١/١

الأجسام **تنحصر في أمرين:**

الأول: قولهم: إن الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيز والأجسام متماثلة، فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلا لسائر الأجسام، وهذا هو التشبيه(١)

الثاني: قولهم: إن الله لا تقوم به الصفات والأفعال؛ لأنها أعراض حادثة لا تقوم إلا بجسم، فلو قامت به لكان جسما وهذا محال، ولو قامت به الصفات ـــ وهي حوادث ـــ لكان محلا للحوادث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث(٢)

الرد على هذه الشبهة:

قد سبق بحمد الله تفنيد هذه الشبهة والرد عليها وبيان بطلانها وأن هذه الطريقة التي سلكها المعتزلة ومن وافقهم من المتكلمين في إثبات وجود الله عز وجل ثم التزموا من أجلها تعطيل الله عز وجل عن صفات كماله، أنها طريق مبتدعة مذمومة في شرع الله(٣)

(١) انظر: مجموع الفتاوى٣/ ٤٦

(٢) انظر: النفي في باب صفات الله عز وجل ص٥٧٢

(٣) انظر: ص ٤٦٧ من هذه الرسالة

المسألة الثالثة:

مذهب الأشاعرة في صفة الرحمة وذكر شبهتهم والرد عليهم

إن مذهب الأشاعرة في صفات الله -تعالى- فيه اضطراب وغموض وهذا يظهر لكل من نظر في مذهب هذه الطائفة، **وأسباب ذلك والعلم عند الله كثيرة:**

منها: ما مر به مؤسس هذا المذهب أبو الحسن الأشعري في حياته من أطوار وتنقلات بين المذاهب كان ذلك سببا في اضطراب من تبعه واختلافهم حيث أدى ذلك إلى غموض في موقفهم من صفات الله تعالى ، مع ما فيه من مخالفة صريحة لمنهج أهل السنة والجماعة .

ومنها: أن المذهب الأشعري دخلت عليه اتجاهات عديدة عبر القرون التي مر بها على أيدي أتباعه خرجت به عن المنهج السوي بل في كثير منها فيه مخالفة لما كان عليه مؤسس مذهبهم أبو الحسن الأشعري[1]

وأعظم الأسباب فيما يبدو لي والعلم عند الله أن القوم ابتلوا بعلم الكلام الذي ذمه السلف فقدموا عقولهم على ما جاء به الوحي حتى تجرؤوا على نصوص الوحي وأولوها على حسب أهوائهم، موافقة لكبرائهم حتى وصلوا إلى استحلال نصوص الوحي وتقديس أقوال السادة منهم، وهذا ظاهر لكل من تأمل موقفهم تجاه نصوص الصفات التي لم ترض نفوسهم أن يطلقوا عليها آيات وأحاديث الصفات وإنما يسموها بنصوص الإضافات.

ولما كان الأمر كذلك فإني سأسلك طريق الإيجاز والاختصار في بيان موقفهم من

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل٧/٩٧

الصفات، والتركيز على ذكر مذهبهم بعد استقراره؛ لأن المقصود هنا بيان مذهبهم في صفة الرحمة دون الخوض في الجذور التاريخية لمذهب الأشاعرة وما مر به من تطورات أو الدخول في اختلافات الأشاعرة في صفات الله تعالى، فهذا باب شائك يندر الخروج منه بفائدة فإنك تجد الواحد منهم ممن يقول بالتأويل يضطرب فيه ضطرابا عظيما فتارة يوجب التأويل، وتارة يحرمه، وتارة يسوغه [(١)]وهكذا بلا حجة ولا برهان ومن غير مستند إلى كتاب أو سنة.

وخلاصة القول أنه يمكن تحديد مذهبهم بعد استقراره في النقاط التالية:

أولا: أنهم اتفقوا على إثبات الصفات السبع العقلية التي يسمونها بصفات المعاني، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والخلاف قائم بينهم في صفة البقاء، أما ما عداها من الصفات فيجب تأويلها.

قال البغدادي:« أجمع أصحابنا على أن قدرة الله عز وجل، وعلمه، وحياته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وكلامه، صفات أزلية »[(٢)]

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله-:« ثم أقرب هؤلاء الجهمية الأشعرية يقولون إن له صفات سبعا: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، وينفون ما عداها، وفيهم من يضم إلى ذلك اليد فقط، ومنهم من يتوقف في نفي ما سواها، وغلاتهم يقطعون بنفي ما سواها » [(٣)]

ثانيا: ومما اتفقوا عليه أيضا نفي الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، وهي التي تسمى عندهم بمسألة حلول الحوادث، وذلك مثل: صفة الرحمة، والكلام، والرضا، والغضب، والفرح، والمجيء، والنزول، ، والإتيان، وغيرها وهذا كما هو ظاهر هو أصل مذهب ابن كلاب الذي تبعه عليه الأشعري وأصحابه.

وإذا ورد شيء من هذه الصفات في النصوص فهم إما أن يثبتوها بما لا يتعارض مع

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى٥/٢٣٧

(٢) أصول الدين ص١١٣

(٣) الفتاوى٦/٢١٥

هذا الأصل، وإما أن يؤولوها وهذا هو الغالب على مذهب كثير من الأشاعرة[١]

يقول شيخ الإسلام في بيان أصل ابن كلاب وأتباعه من الأشاعرة في الصفات:« : إن الرب لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه لا تحله الحوادث، ووافقوا في ذلك الجهم بن صفوان، وأتباعه من الجهمية والمعتزلة، صاروا فيما ورد في الكتاب والسنة من صفات الرب، على أحد قولين:

إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه. فيقولون: كلام الله مخلوق بائن عنه، لا يقوم به كلام، وكذلك رضاه، وغضبه، وفرحه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله وغير ذلك، هو مخلوق منفصل عنه، لا يتصف الرب بشيء يقوم به عندهم.

وإذا قالوا هذه الأمور من صفات الفعل، فمعناه: أنها منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به.

ولهذا يقول كثير منهم: إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات.

وإما أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية، ويقولون نزوله ومجيئه، وإتيانه، وفرحه، وغضبه، ورضاه،ونحو ذلك: قديم أزلي، كما يقولون: إن القرآن قديم أزلي »[٢]

ثالثا:وأما الصفات الخبرية التي لم تثبت إلا من طريق السمع، كالوجه واليدين والعينين فقد اختلفت أقوال الأشاعرة فيها:

أ ـــــ فالمتقدمون منهم يثبتونها في الجملة[٣]

ب ـــــ والمتأخرون منهم يتأولون هذه الصفات.

هذا الذي استقر عليه المذهب الأشعري، وإن كان المتأخرون صاروا يحكون القولين في مذهبهم:

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة٣/ ١٠٣٤

(٢) مجموع الفتاوى٥/٢٤٦

(٣) انظر: الإبانة ص١٢٩ـــــ ١٤٠، ومجموع الفتاوى٣/ ٧١

ـــــ التأويل وهو الذي يرجحونه.

ــــ أو الإثبات لكن بشرط التفويض(١).

وهذا حقيقة من غرائب هذا المذهب كيف لا يتورعون عن الجمع بين المتناقضات ولا حول ولا قوة إلا بالله

فالحاصل أن القوم يثبتون بعض الصفات، وينفون ويؤولون البعض الآخر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الأشاعرة :« وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم » (٢)

مذهبهم في صفة الرحمة:

من خلال ما سبق من ذكر مذهبهم في الصفات يتضح أن صفة الرحمة من الصفات التي اتفق الأشاعرة على نفيها وعدم إثباتها على ظاهرها؛ لأن الرحمة رقة في القلب أو رقة تكون في الراحم وهي ضعف وخور في الطبيعة، وتألم على المرحوم وهذه المعاني نقص، وما كان كذلك مستحيل في حقه تعالى، فإثبات الرحمة إذاً مستحيل. لذلك لما وجدوا في الأدلة وصف الله بهذه الصفة وعجزوا عن ردها وإنكارها قاموا بتأويل هذه الصفة وقالوا إنما المراد لازمها أو إرادة لازمها(٣)

أمثلة على تأويلات الأشاعرة لصفة الرحمة:

مما يؤلم المؤمن حقا حينما يتأمل بعض تفاسير كتاب الله عز وجل أو كتب شروح الأحاديث وغريبها،أو تلك التي اعتنى أصحابها فيها ببيان معاني أسماء الله الحسنى، وكثيرا من كتب اللغة يجد تأويلات عدة لهذه الصفة ولغيرها، مما يجعل المطلع عليها في حذر منها مع أن بعض مؤلفيها من العلماء الجهابذة التي لهم مكانتهم بين العلماء فسبحان من له الأمر من قبل ومن بعد؛ لذا فإنه من المناسب جدا ذكر **بعض هذه التأويلات الواردة في صفة الرحمة للحذر منها فمن ذلك:**

---

(١) وسطية أهل السنة ٣٥٧ــــ ٣٥٨، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٠٣٣ـــ ١٠٣٧

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥

(٣) انظر: مجموع الفتاوى٦/ ٦٩، الصفات الإلهية لمحمد أمان ص ٢٨٨ـــــ ٢٨٩

١- **قولهم**: الرحمة عبارة عن التخلص من أنواع الآفات، وعن إيصال الخيرات لأصحاب الحاجات(١).

٢- أو أنها إرادة الإنعام والفيض والإحسان(٢)

٣- أو إيصال الخير والثواب لمن يشاء أو إرادة النعمة إذ الرحمة بزعمهم تفسر باعتبار غايتها لأن حقيقتها في حق الله مستحيلة تعالى الله عما يقولون (٣)

٤ـــ أو هي إنعام الله وإفضاله على العباد(٤)

٥ـــ ومنها ما نقله ابن حجر في الفتح حول هذه المعاني عن ابن بطال وابن التين: أن معناها يرجع إلى معنى الإرادة فرحمته إرادته تنعيم من يرحمه، وقيل يرجع إلى ترك عقاب من يستحق العقوبة(٥)

٦ـــ ومنهم من يسلك مسلكا آخر ويجعل صفة الرحمة من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله (٦)

هذا صنيعهم في هذه الصفة وما كان في حكمها إذا قالوا: إن معناها مما يعلمه الراسخون في العلم قاموا إليها بمعول التأويل لردها،وإذا قالوا: إن معناها لا يعلمه إلا الله واجهوها بزعم أنها من المتشابه الذي لا نفهم معناه والغاية واحدة هو ردها وإبطالها لئلا يوصف الله سبحانه وتعالى بها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هؤلاء النفاة :« لكن طائفة من نفاة الصفات يجعلون الرحمة هي نفس الإحسان ... وطائفة كبيرة من الصفاتية يقولون: الرحمة

---

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب١/١٥

(٢) انظر: الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي٤٠٤، تفسير أبي السعود ١/١٨/ تفسير البيضاوي ١/٢٧ ، تفسير المنار١/٤٦

(٣) انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٥٨، المواهب المدخرة في خواتيم سورة البقرة ص ١٠٧، موسوعة له الأسماء الحسنى ١/٣٦

(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٤١

(٥) انظر: فتح الباري١٣/٣٥٨

(٦) انظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات ص٧١

تعود إلى إرادة الإحسان.

والذي عليه أئمة الصفاتية وجمهورهم أن الرحمة صفة لله ليست هي الإرادة كما أن السمع والبصر ليس نفس العلم » [(١)]

ذكر شبه الأشاعرة في نفي صفة الرحمة والرد عليها:

الأشاعرة ليس لديهم حجة فيما نفوه من صفات الباري جل وعلا أو فيما أولوه مثلهم كمثل من سبقهم من الفرق المخالفة للسلف الصالح وغاية ما لديهم إنما هي حجج عقلية أو قل إن شئت وساوس شيطانية قامت في رؤوسهم فنفوا بسببها الصفات ومن الشبهة الرئيسة التي لأجلها نفوا صفة الرحمة هي:

١- شبهة الأعراض وحدوث الأجسام.

وهذه الشبهة مبنية على أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وعلى امتناع حوادث لا أول لها، إذ قالوا: يجب تتريه الله عز وجل عن أن تحل به الحوادث ليسلم لهم دليلهم على إثبات الصانع، وفسروا نفي حلول الحوادث بنفي جميع ما يتعلق بالله من الصفات الفعلية والاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، وبالطبع منها وصفه تعالى بصفة الرحمة فهي كما سبق من الصفات الاختيارية.

وهذه الشبهة احتج بها الفخر الرازي في المطالب العالية حيث قال :«واحتج القائلون بامتناع قيام الحوادث بذات الله تعالى بوجه:

الحجة الأولى: أن نقول: كل ما كان قابلا للحوادث فإنه لا يخلو عنها،وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ...»

ثم أخذ يشرح ويوضح ويستدل على هذه الشبهة بأدلة عقلية عارية من الاستدلال بدليل الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

ثم تجده بعد أسطر يؤكد كلامه على أن هذه الحجة مما اتفق عليه المتكلمون مما يلزم القول على حد زعمه بلوازمها الفاسد حيث قال:« ثم من المتفق عليه بين المتكلمين: أن كل ما لا يخلو عن المحدث فهو محدث، فيلزم القطع بأن كل ما يقبل

(١) بيان تلبيس الجهمية ١٩٩/١

الحوادث فإنه يكون محدثا، ولما ثبت أنه تعالى متره عن الحوادث ثبت أنه يمتنع كونه قابلا للحوادث »(١)

الرد على هذه الشبهة :

قد سبق الرد على هذه الشبهة بالتفصيل عند الرد على الكلابية أسلاف الأشاعرة القدماء ولكن هنا أود أن أوضح أمرا أرى أنه ذو بال في هذا الموضع و فيه رد أيضا على الأشاعرة في اعتمادهم على دليل الحدوث ألا وهو:

موقف أبي الحسن الأشعري من دليل الأعراض وحدوث الأجسام:

أبو الحسن الأشعري يخالف المتكلمين عموما في استدلالهم بدليل الأعراض والحدوث ويصف طريقتهم بأن طريقة مخالفة لمنهج النبوة فقد قال:«وكان ما يستدل به من أخباره ـــ عليه السلام ـــ على ذلك أوضح دلالة من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال بها الفلاسفة، ومن تبعها من القدرية، وأهل البدع المنحرفين عن الرسل ـــ عليهم السلام ـــ »(٢)

فهذا هو موقف رئيسهم من هذا الدليل الذي يعد من أقوى الأدلة لديهم في نفي الصفات لما التزموا به فإلى متى وهم متمسكون به وهو كما قال الأشعري من طرق أهل البدع المنحرفين عن طريق منهج رسل الله جميعا.

٢– شبهة الكمال والنقصان.

وهذه من الشبه التي تمسك بها القوم فيما نفوه من صفات الله، أو قاموا بتأويلها ويبين الرازي هذه الشبهة زاعما أنها حجة من الحجج التي تدل على ما ذهبوا إليه فيقول:« إن الصفة التي حدثت في ذات الله تعالى: إما أن تكون من صفات الكمال، وإما أن لا تكون من صفات الكمال، فإن كانت من صفات الكمال كانت تلك الذات قبل حدوث تلك الصفة فيها خالية عن صفة الكمال، والخلو عن صفة الكمال نقصان فيلزم كون تلك الذات ناقصة والنقصان على الله محال،

---

(١) المطالب العالية ٢/ ٧٢ـــ٧٣

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص ١٨٥

وإن كانت تلك الصفة ليست من صفات الكمال، كان إثباتها في حق الله تعالى حالا ـــ ولعله محالا ـــ لحصول الاتفاق على أن صفات الله تعالى بأسرها يجب أن تكون من صفات الكمال والمدح »[(١)]

الرد على هذه الشبهة:

هذه الحجة التي احتجوا بها من أضعف الحجج كما يقول شيخ الإسلام[(٢)] لذا فهي باطلة من وجوه:

أحدها: لا نسلم أن عدم هذه الأمور قبل وجودها نقص، بل لو وجدت قبل وجودها لكان نقصا، مثال ذلك: تكليم الله لموسى ـــ عليه السلام ـــ ونداؤه له، فنداؤه حين ناداه صفة كمال، ولو ناداه قبل أن يجيء لكان ذلك نقصا، فكل منها كمال حين وجوده، ليس بكمال قبل وجوده.

الثاني: لا نسلم أن عدم ذلك نقص؛ فإن ما كان حادثا امتنع أن يكون قديما، وما كان ممتنعا لم يكن عدمه نقصا، إنما النقص فوات ما يمكن من صفات الكمال.

الثالث: أن هذا يرد في كل ما فعله الرب وخلقه فيقال: إن كان نقصا فقد اتصف بالنقص، وإن كان كمالا فقد كان فاقدا له.

فإن قال المخالف: صفات الأفعال عندنا ليست بنقص ولا كمال.

قيل: إذا قلتم ذلك أمكن المنازع أن يقول: هذه الحوادث ليست بنقص ولا كمال[(٣)].

الرابع: أن يقال: إذا عرض على العقل الصريح ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها، وذات لا يمكنها ذلك البتة بل هي بمنزلة العاجز الذي لا يمكنه فعل يقوم به باختياره؛ فإن العقل الصريح يقضي بأن هذه الذات أكمل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:« وهذه الطريقة هي من أعظم الطرق في إثبات

---

(١) المطالب العالية ص ٢/ ٧٣

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل١/ ٤٨١

(٣) انظر: المصدرنفسه ١/ ٥٨٨

الصفات، وكان السلف يحتجون بها ويثبتون أن من عبد إلها لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، فقد عبد ربا ناقصا معيبا... ويثبتون أن هذه صفات كمال، فالخالي عنها ناقص، ومن المعلوم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه يثبت للمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص تتره عنه مخلوق، فالخالق سبحانه أحق بتتريهه عنه »[(١)]

الخامس: أن يقال: الحوادث التي يمتنع كون كل منها أزليا ولا يمكن وجودها إلا شيئا فشيئا إذا قيل: أيهما أكمل: أن يقدر على فعلها شيئا فشيئا أو لا يقدر على ذلك؟ كان معلوما بصريح العقل أن القادر على فعلها شيئا فشيئا أكمل ممن لا يقدر على ذلك، وهم يقولون: إن الرب لا يقدر على شيء من هذه الأمور، ويقولون: إنه يقدر على أمور مباينة له[(٢)].

هذا ما أردت ذكره من شبهات الأشاعرة والرد عليها ولهم شبهات أخرى تعرضت للرد عليها عند الحديث عن شبهات الطوائف السابقة ولأجل ختم هذا الموضع بقي بعض المسائل التي تمسك بها الأشاعرة في رد وتأويل صفة الرحمة وجب بيان الحق فيها وهي ما يأتي ذكره في **المسألتين التاليتين**:

المسألة الأولى: الرد على قولهم: إن الرحمة ضعف وخور ورقة في الطبع وتألم على المرحوم فهي مستحيلة في حق الله تعالى

هذا القول لا شك في بطلانه وبيان بطلانه يظهر بالوجوه التالية:

الأول: أن الضعف والخور مذموم من الآدميين، والرحمة ممدوحة فقد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [(٣)] وقد نهى الله عباده عن الوهن والحزن فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٥١١، ٥٩٠

(٢) انظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية لعبدالله الغصن ٢٥٩، ولمعرفة المزيد عن هذه المسألة انظر: درء التعارض ١/ ٤٦٧، ٤٧٩، ٥٠٤، ٥٢١، ٥٨٥.

(٣) سورة البلد، آية ١٧

[١] وندبهم إلى الرحمة فقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:« لا تنزع الرحمة إلا من شقي »[٢] وقال:«من لا يرحم لا يرحم» وغير ذلك من الأحاديث، ومحال أن يقول: لا ينزع الضعف والخور إلا من شقي، ولكن لما كانت الرحمة تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور كما في رحمة النساء ونحو ذلك، ظن الغالط أنها كذلك مطلقا.

الثاني: فلو قدر أنها في حق المخلوقين مستلزمة لذلك، لم يجب أن تكون في حق الله تعالى مستلزمة لذلك، ونظير ذلك العلم فإن حقيقته المتصف بها تعالى ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق.

بل نفس الإرادة التي يردون الرحمة إليها في حقه تعالى مخالفة لإرادة المخلوق إذ هي ميل قلبه إلى الفعل أو الترك، وإرادته تعالى بخلاف ذلك.

الثالث: فإنه قد علم بالاضطرار: أنا إذا فرضنا موجودين : أحدهما يرحم غيره فيجلب له المنفعة ويدفع عنه المضرة، والآخر قد استوى عنده هذا وهذا، وليس عنده ما لم يقتضي جلب منفعة، ولا دفع مضرة كان الأول أكمل.[٣]

المسألة الثانية: الرد على تأويلات الأشاعرة لصفة الرحمة:

الأشاعرة حينما توهموا التشبيه عند إثبات صفة الرحمة واجهوا النصوص الواردة فيها بالتأويلات الباطلة كما ذكر في الأمثلة السابقة وفعلهم هذا حينما فسروها بالإرادة وما كان في معناها لا ينفعهم شيئا ولا يحل لهم المعضلة التي وقعوا فيها فهم كمن يستجير من الرمضاء بالنار ، وبيان ذلك كالآتي:

فإن هؤلاء الأشاعرة يجعلون رحمته تعالى عبارة عما يجعله من النعمة، أو يجعلونها هي إرادته وينفون أن تكون له صفة هي الرحمة

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٣٩

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند٣/ ١٦٤، حديث رقم ٨٠٠٧ ، والبخاري في الأدب المفرد، باب ارحم من في الأرض قال عنه الألباني أنه حسن .انظر: صحيح الأدب المفرد ص ١٤٩

(٣) انظر: مجموع الفتاوى٦/ ٦٩ـــ ٧٠، مجموع الرسائل والمسائل٥/ ٦٧، جلاء الأفهام لابن القيم ص١٢٠، لوائح الأنوار للسفاريني١/ ١٦٠، شرح العقيدة الواسطية لهراس ص٣٩

فجوابنا لمن فعل هذا يقال: لم أثبت له إرادة، وأنه تعالى مريد حقيقة ونفيت حقيقة الرحمة. فإن قال: لأن إثبات هذا تشبيه؛ لأن الرحمة رقة تلحق المخلوق والرب متره عن مثل صفات المخلوقين.

يقال له : وكذلك الإرادة المعروفة هي ميل الإنسان إلى ما ينفعه وما يضره والله متره عن الاحتياج إلى عباده.

فإن قال: الإرادة التي أثبتها لله ليست مثل إرادة المخلوقين.

يقال له: وكذلك الرحمة التي نثبتها لله ليست مثل رحمة المخلوقين.

فإن قال: لا أعقل من الرحمة إلا هذا.

يقال له: ونحن لا نعقل من الإرادة إلا هذا، ومعلوم عند كل عاقل أن إرادتنا ورحمتنا بالنسبة إلينا كإرادته ورحمته بالنسبة إليه فلا يجوز التفريق بين المتماثلين فتثبت له إحدى الصفتين وتنفي الأخرى، وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق، وغاية ما عنده أن يقول: إني أثبت الإرادة بالفعل؛ لأن وجود التخصيص في المخلوقات دال على الإرادة.

فيقال له: فإنه يسلك في إثبات الرحمة نظير الدليل العقلي الذي أثبت به الإرادة، وذلك أن ما في المخلوقات من وجود المنافع للمحتاجين، وكشف الضر عن المتضررين، والإحسان إلى المخلوقات وأنواع الرزق والهدى والمسرات هو دليل على رحمة الخالق سبحانه وتعالى، فلم يبق بعد ذلك إلا الإقرار بالرحمة وإثباها لله حقيقة من غير تأويل أو تعطيل(١).

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ٣٦ــــ ٣٧ بتصرف، مجموع الفتاوى١٣/١٦٠

الخاتمة

وتشتمل على:

أهم النتائج

والتوصيات

الخاتمة

الحمد لله الرحمن الرحيم، مسبغ النعم، ودافع النقم، أحمده سبحانه وأشكره على أن وفقني للكتابة في موضوع: ((**المسائل العقدية المتعلقة بصفة الرحمة لله تعالى والرد على المخالفين على ضوء الكتاب والسنة**))، وعونه لي على إتمامه وها أنا أصل إلى ختمه ونهايتة مسطرا ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات والتي ستكون بأذن الله موضحة في النقاط التالية:

فمن أهم النتائج والفوائد التي وقفت عليها أثناء بحثي في هذا الموضوع ما يلي:

١- ضرورة الرجوع بمعاني الألفاظ لا سيما عند التنازع إلى الكتاب والسنة؛ لثبوت المعاني الصحيحة فيهما، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق مستندا على ما جاء في الكتاب والسنة.

٢- وبالنسبة لمسألة ورود لفظة العقيدة في الكتاب والسنة وفي كلام السلف وفي معاجم اللغة يمكن إجماله في الآتي:

أ ــــ لم ترد كلمة العقيدة بلفظها في القرآن الكريم، وإنما ورد فيه مادتها.

ب ــــ توصل بعض الباحثين أن كلمة العقيدة وردت في السنة المطهرة، واستدل على ذلك بأحاديث ذكر بعضها في موطنه من هذه الرسالة.

ج ــــ أن السلف الصالح لهم السبق في استخدام كلمة العقيدة، وشاهد ذلك ما

ورد عنهم من أقوالهم في مصنفاتهم وما نقل عنهم من هذا، وهذا يؤكد بطلان قول من زعم أن كلمة العقيدة قد استحدثت في العصر العباسي للمعنى الذي استعملت فيه.

د ــــ أن معاجم اللغة العربية المتقدمة لم تذكر كلمة العقيدة بلفظها، بل ذكرت مادتها على معاني متعددة كالشد والربط واللزوم والتأكيد والإبرام.

هـــ ــــ أن العقيدة بمعناها العام قد ورد في بعض معاجم اللغة المتأخرة كالمصباح المنير والمعجم الوسيط.

٣- أن العقيدة الصحيحة هي التي جاءت في الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، وهي : الإيمان الجازم بالله وما يجب له من الوحدانية والربوبية والإفراد بالعبادة والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٤ــــ أن أهل الرحمة الذين هم أتباع الأنبياء قولا وفعلا، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة فإنهم لا يختلفون فمن خالفهم في شيء فإنه فاته من الرحمة بقدر ذلك.

٥ــــ أن من أصول أهل السنة والجماعة المتفق عليها بينهم وجوب التزام ما جاء في الكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما .

٦ــــ أن وصف الله سبحانه وتعالى بصفة الرحمة لا يلزم منه أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق، فرحمة المخلوق رقة في القلب إذا وجدها من نفسه انعطف على المرحوم وانثنى عليه، ورحمة الله للعباد جود وفضل.

٧ــــ الصحيح أن الاسمين الكريمين الرحمن الرحيم وإن كانا مشتقين من الرحمة ودالين على اتصاف الله بصفة الرحمة الواسعة العظيمة أنه يوجد بينهما فرق واختلاف من بعض المعاني والوجوه، فهما وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى إلا أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم.

٨ــــ يجب الإيمان بالاسمين الكريمين ــــ الرحمن الرحيم ــــ وإثباتهما لله - سبحانه- لدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على ذلك؛ لذا فإنه لا يجوز

بحال إنكارهما، أو نفيهما عن الله عز وجل .

٩ـــــ أن الاسمين الرحمن الرحيم قد وردا في كتاب الله في كثير من الآيات فقد وردا مقترنين في ستة مواضع،وورد اسم الرحمن منفردا في واحد وخمسين موضعا، كما ورد اسم الله الرحيم منفردا في ١٣٢موضعا من كتاب الله.

١٠ـــــ أن ضابط أسماء الله عند العلماء المحققين أنها هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها.

١١- أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، أنه يجب الإيمان بأسماء الله كلها، وصفاته، والإيمان بأحكام الصفات، فالاسم عند أهل السنة والجماعة لا يتم الإيمان به إلا بإثبات ثلاثة أركان:

١- إثبات الاسم.

٢- إثبات ما دل عليه من معنى وهي الصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

٣- إثبات الأثر الذي ترتب عليه.

١٢- أن الراجح في الأسماء المضافة كأرحم الراحمين، وخير الراحمين، وذي الرحمة الواسعة هو القول بإثباتها لله تعالى، وأنه يصح إطلاق أمثال هذه الأسماء على الله عز وجل.

١٣- أن مما توصلت إليه أن الاقتران بين أسماء الله عزوجل وصفاته سبحانه وختم الآيات بها له دلالاته العظيمة وأسراره الجليلة، وأن معرفة ذلك من تدبر آيات الله الذي رغب الله به في كتابه، وأن التوفيق له والوقوف عليه هو من رحمة الله بخلقه وجوده وكرمه .

١٤ـــــ أن مما قرره أهل السنة والجماعة:أن كل اسم من أسماء الله جل وعلا يتضمن صفة كمال تثبت لله تبارك وتعالى، فإذا اقترن باسم آخر من أسمائه تعالى كان له سبحانه ثناء من كل اسم منهما باعتبار نفراده وثناء من اجتماعهما، وذلك قدر زائد على مفرديهما وكذلك الاقتران بين صفات الله عز وجل.

١٥ـــــ أن من الفروق بين اسمي الجلالة الرحمن الرحيم: أن الرحمن اسم خاص

بالله لا يسمى به غيره، وأما اسمه الرحيم فإنه يصح إطلاقه على غير الله مع نفي المماثلة بين الله وبين خلقه.

١٦ــــ أن معنى الرحمة معلوم للعباد، وأنها أحق الحقيقة كما أن للمخلوق رحمة حقيقة تختص به فكذلك الله عز وجل له رحمة تختص به، ولكن لا نعلم كيفيتها؛ لأن العلم بالكيفية فرع عن العلم بكيفية الذات وكنهها، فإذا كان ذلك غير معقول للبشر فكيف يعقل لهم كيفية الصفات.

١٧ــــ أن من قواعد نصوص الصفات عند أهل السنة والجماعة أنها إذا دلت على صفة معينة في بعض المواضع فإن ذلك لا يوجب أن تحمل دلالة النصوص على ذلك حيث وردت، بل لا بد من النظر في كل نص بخصوصه مع مراعاة ما يقتضيه سياق النص بمفرده ثم ينظر إلى ما يبينه من نظائره في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنواع دلالاتها على المعاني.

١٨ــــ أن صفة الرحمة من الصفات الثابتة لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة، ودلالة العقل والفطرة وإجماع أهل الإيمان، ولم ينكر ذلك إلا شواذ الناس من أهل الطوائف.

١٩ــــ أن من دلالة القرآن: الدلالة الشرعية العقلية وهي تلك الأدلة التي دل عليها الشرع وأثبتها وهي ما كان معلوما منها بالعقل فهي شرعية عقلية.

٢٠ــــ أن صفة الرحمة من الصفات التي تكون ذاتية وتكون فعلية، فهي من الصفات التي إذا نظرنا لأصلها فهي صفة ذاتية، وإذا نظرنا لأفرادها فهي صفة فعلية كصفة الكلام والخلق والرَّزق.

٢١- أن من المسائل التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة أن الله كتب على نفسه الرحمة كما أخبر جل وعلا في كتابه وكما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، وأن الله هو الذي أوجب ذلك على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا على خلقه من غير أن يوجب ذلك عليه أحد جل وتقدس سبحانه عن ذلك

٢٢- من المسائل المتعلقة بصفة الرحمة وشاء الله الهداية والتوفيق لها ما يلي:

ـــــ أنه يشرع التوسل بصفة الرحمة كما يشرع التوسل بأسمائه وصفاته.

ـــــ مشروعية الاستعاذة بصفة الرحمة.

ـــــ مشروعية القسم بصفة الرحمة.

ومما لا يشرع:

ـــــ أنه لا يشرع دعاء الرحمة من دون الله كقول: يارحمة الله

ـــــ أنه لا يشرع تعبيد الاسم لصفة الرحمة مثل : عبدالرحمة

ـــــ أنه لا يشرع قول اللهم ارحمني إن شئت.

ـــــ الحذر الشديد من القنوط من رحمة الله لما له من أثر على توحيد العبد، ومنافاته لرجاء رحمة الله عز وجل .

ـــــ أن قول: اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك، من المسائل التي تضاربت فيها أقوال أهل العلم ما بين مانع ومجيز، والذي رجحه المحققون من أهل العلم جوازه والعلم عند الله.

٢٣- أن صور ومظاهر رحمة الله أظهر من أن تبين، وأكثر من تحصى فقد ملأت العالم العلوي والسفلي، وشملت الدنيا والآخرة فيما يعلمه الإنسان وفيما لا يعلمه مما لا يحصيه إلا الله عز وجل.

٢٤ـــــ من رحمة الله بعباده أن جعل لنيل رحمته أسبابا بينها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فما على العباد إلا الجد والاجتهاد في تحصيلها.

٢٥ـــــ من الفوائد العظيمة: أن الإيمان بصفات الباري -جل وعلا-ــ ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها له آثار عظيمة، وفوائد نافعة في اعتقاد العبد وفي أقواله وأفعاله وجميع تصرفاته.

٢٦ـــــ من آثار الإيمان بصفة الرحمة أنه يقرر أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا شأن أسماء الله وصفاته فكلما إزداد العبد فعرفة بها إزداد إيمانه وقوي يقينه.

٢٧ـــــ من عجيب آثار الإيمان بصفة الرحمة أن من تعلق بها أوصلته إلى الله وقادته

إلى مولاه، وملأت قلبه بحبه وإجلاله وتعظيمه، فقام له بحقه عليه وأخلص له في عبادته بمنتهى الذل ومنتهى الحب رغبة ورهبة.

٢٨ـــــ أن أول من أنكر اسم الله الرحمن هم مشركو مكة، فكانوا بذلك سلفا لكل من نفى عن الله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته، فبئس السلف لبئس الخلف.

٢٩ـــــ أهل السنة والجماعة هداهم الله للحق المبين، وجعلهم سيفا مسلولا لصدي كل من حاد عن الصراط المستقيم فمن المسائل التي رد أهل السنة على من قال فيها بغير الحق:

ـــــ ردهم على من أنكر اسم الله تعالى الرحمن.

ـــــ ردهم على من استبعد أن يكون اسم الرحمن نعتا لله تعالى.

ـــــ ردهم على من زعم المجاز في اسم الله الرحمن و إبطالهم لذلك.

ـــــ ردهم على من ألحد في اسمي الجلالة الرحمن الرحيم.

٣٠ـــــ أن الصفات الاختيارية: هي الأمور التي يتصف بها الرب ـــــ فتقوم بذاته وقدرته كصفة الرحمة وصفة الكلام وغيرهما من الصفات التي نطق بها الكتاب والسنة.

٣١- أن أهل السنة والجماعة يقولون بإثبات الصفات الاختيارية لله تعالى كقولهم في سائر صفات الله عز وجل ولهم أدلة كثيرة جدا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء من أقوال سلف الأمة.

٣٢- أن الطوائف المخالفة لأهل السنة لهم مواقف متباينة تجاة الصفات الاختارية:

ـــــ فمنهم من يذهب إلى نفيها بناء على أصلهم في نفي الصفات وهو الجهمية والمعتزلة.

ـــــ ومنهم ومن يثبت أصل الصفات ولا يثبت الصفات الاختيارية ويجعلون جميع الصفات ذاتية وهم الكلابية.

ـــــ ومنهم من يقول بإثبات الصفات الاختيارية ولكن يجعلها حادثة بعد أن لم

تكن وهم الكرامية.

ــــ ومنهم من يسميها بمسألة حلول الحوادث ويقولون بنفيها، وإذا ورد شيء من ذلك في النصوص فهم إما أن يثبتوها بما لا يتعارض مع أصلهم، وإما أن يؤولوها وهذا هو الغالب من مذهبهم وهم الأشاعرة.

٣٣- عند الوقوف على أقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الرحمة تبين أن المخالفين لهم ليس لهم حجة فيما ذهبوا إليه لا من جهة السمع ولا من جهة العقل، وغاية ما لديهم أنهم أبتلوا بشبهات عقلية ووساوس شيطانية عارضوا بها الوحي المترل من السماء.

٣٤ــــ ظهر عند بحث صفة الرحمة أن المخالفين فيها ينقسمون إلى قسمين:

ــــ منهم المخالفون المثبتون لها.

ــــ ومنهم المخالفون الذين ينفون صفة الرحمة.

فأما المخالفون المثبتون لها فهم :

١ــ الكلابية: وهم من الفرق التي تثبت صفة الرحمة ولكن كما سبق أن إثباتهم يشوبه شيء من البدعة وذلك أنهم جعلوها صفة ذاتية لازمة لذات الباري سبحانه ثابتة له أزلا وأبدا، وأنها لا تتعلق بمشيئته واختياره وإرادته وقدرته.

٢ــ الكرامية: وهم يقولون بإثبات صفة الرحمة، وأنه سبحانه وتعالى يرحم بمشيئته وقدرته، وأن صفة الرحمة قائمة بذاته ولكنهم خالفوا أهل السنة في قولهم أنها حادثة بعد أن لم تكن، بل صارت الرحمة ممكنة له بعد أن كانت ممتنعة عليه من غير تجدد شيء أوجب إمكان الرحمة والقدرة عليها؛ لامتناع حوادث لا أول لها.

فهم بذلك جعلوا الرب في الأزل معطلا من الرحمة غير قادر عليها تعالى عما يقول الظالمون.

٣ــ **قدماء الرافضة:** وهم أيضا من جملة الصفاتية الذين يثبتون الصفات، ولكنهم وقعوا في آفة التمثيل فلم يقنعوا بما كان عليه أهل السنة والجماعة في الصفات بل غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التمثيل لذا فهم يمثلون صفة الرحمة

بصفات المخلوقين تعالى الله عما يقولون.

ـــــ وأما المخالفون الذين ينفون صفة الرحمة فهم :

١ – الفلاسفة:

وهم بناء على أصلهم في نفي الصفات فإنهم لا يثبتون صفة الرحمة ولا يثبتون كذلك الأسماء الحسنى الدالة عليها كالرحمن الرحيم بل يعطلون جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى تعطيلا يستلزم نفي ذاته جل وعلا.

٢–ــ والجهمية :

وهم النفاة لكل صفة وصف الله بها نفسه في محكم تتريله أو على لسان رسوله صلى الله عليه الصلاة والسلام لذا فهم لا يثبتون صفة الرحمة بل ينفونها عن الله سبحانه لجهلهم بالله عز وجل .

٣– والمعتزلة

فهم على إجماعهم في نفي الصفات وإثبات الأسماء لذا كان من الضلال الذي وقعوا فيه نفيهم لصفة الرحمة فوافقوا بذلك الجهمية في هذا السبيل الذي سلكوه فبئس التابع كما بئس المتبوع.

٤ــــ الأشاعرة:

أما الأشاعرة فهم متفقون على موقفهم من صفة الرحمة وما كان مثلها من صفات الباري جل وعلا فهم لا يثبتونها على ظاهرها لذلك لما وجدوا في الأدلة وصف الله بهذه الصفة وعجزوا عن ردها وإنكارها قالوا: إنما المراد لازمها أو إرادة لازمها كما هو موضح من مذهبهم في موضعه من هذه الرسالة.

٣٥ــــ توفيق الله سبحانه وتعالى لأهل السنة والجماعة في سلوك سبيل المرسلين وسلامتهم ما ابتلي به من حاد عن سبيلهم وكان من نتائج ذلك موقفهم في باب الأسماء والصفات حينما أخذوا بما في الكتاب والسنة وترك ما خالف ذلك، ووقوفهم في وجوه هذه الجموع المتلاحقة ممن ضل عن الطريق ومنابذتهم بالحجج البينات والبراهين الساطعات فكان النصر حليفا لهم على كل من خالفهم على مر

العصور والأزمان.

وأخيرا : فإن كان لي وصية فإني أوصي طلبة العلم والباحثين بدراسة أسماء الله وصفاته بدراسات مستقلة يركز عليها بالبحث والدراسة وجمع ما هو منثور من مسائلها في بطون كتب العلم من تراث علماء سلف الأمة وتقديمها للمكتبات في عالمنا الإسلامي تقريرا للعقيدة السلفية الصحيحة وردا على كل ما خالفها من الباطل والله أعلم وهو الهادي الحق المبين وهو حسبي ونعم الوكيل

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤ــــ فهرس الأعلام.

١- فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	١	الفاتحة	١٣٨، ١٥٤، ٢١٠
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ	٢	الفاتحة	١٣٥، ١٤٣، ١٥٤، ١٩٧
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	٣	الفاتحة	١٠١ ، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٣، ٢١٠، ٣٧٠
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ	٢٠	البقرة	٣٨٨
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ	٢١ـــ٢٢	البقرة	٢١٧، ٣٦٢
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ	٣٧	البقرة	١٧٩، ١٨٠
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ	٥٤	البقرة	١٧٩

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ	١٤٧	الأنعام	١٢٥، ٢٥٣،٢٩٠
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا	١٥٣	الأنعام	٧٩
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ	١٥٥	الأنعام	٣٤٥
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي	١٦٢	الأنعام	٢٧٦
الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ	١-٣	الأعراف	٨٠ ، ٢٥١
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ	١١	الأعراف	٤٥٤
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا	٢٣	الأعراف	٣٣٩،٣٩٩
قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ	٣٣	الأعراف	٤٤٢
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ	٥٤	الأعراف	٣٧٠
وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا	٥٦	الأعراف	٣٤٦
إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ	٥٦	الأعراف	٢٤٤،٣٤٦،٢٤٤،٢٢٦
وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ	٥٧	الأعراف	٢٠٦، ٢٢٧
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ	٥٩	الأعراف	٣٦٢
قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا	١٤٩	الأعراف	٣٤٠
وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ	١٥١	الأعراف	١٢٠، ٥٢٣
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ	١٥٦	الأعراف	١٦٣ ، ٢١٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٣ ، ٢٥٥،٢٥٤،٣١٣،٣٤٥،٣٨٠،٥٢٣
إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ	١٦٧	الأعراف	١٣٩

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ	٢١	المجادلة	٢٣٧، ٢٣٨
رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ	١٠	الحشر	١٨٢
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ	٢٢	الحشر	١٠١، ١٤٠
هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ	٢٤	الحشر	٩٧
قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا	١١	الطلاق	٢٩١
وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ	١٣	التحريم	١٦٨
ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا	٣	الملك	٣٧٠
وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ	١٠	الملك	٤٧٣
وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ	١٩	الجن	١٧٤
سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ	١	المعارج	٢٠
هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ	١ــ٢	الإنسان	٣٣٢
وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ	٨	الإنسان	٤٠٥
إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ	٩	الإنسان	٣٠٠
يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ	٣١	الإنسان	٣٤٣،٣٧٣

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهرس الآثار

٤ـــ الأعلام المترجم لهم

٥ـــــ فهرس الفرق والطوائف

٦ــــــ فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة

٧ـــ فهرس المصادر والمراجع

ــــــ **القرآن الكريم**

ــــ **آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**: هدى بنت ناصر الشلالي، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـــــ ــــ٢٠٠٠م

ــــ **الإبانة عن أصول الديانة**: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ط٥، المدينة المنورة: مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٠٩هـــــ

ــــ **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**: لأبي عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: سيد عمران، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هــ .

أثر العقيدة الإسلامية في إختفاء الجريمة: د/ عثمان جمعة ضميرية،ط١، جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢١هـــــ .

ــــ **الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء، دراسة تحليلية**: أ.د.عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط١، الرياض: دار ابن الأثير، ١٤٢٣ه.

إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام:للإمام ابن دقيق العيد، ط.د.بيروت: دار الكتب العلمية، ت .د.

الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: سعود بن عبدالعزيز محمد العريفي، ط١، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤١٩هــ

ــــ **الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين**: للشيخ عبدالرحمن السعدي، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٢هــ

الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة: عبدالقادر بن شيبة الحمد، ط٢، المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان، ١٤٢٦هـــــ ــــ ٢٠٠٥م.

ـــــ **الأذكار**: للإمام النووي، ط.د. تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط ، دمشق: مطبعة الملاح، ١٣٩١هـــــ ــ

ـــــ **الأربعون في الشفقة والرحمة**: عطاالله عبدالغفار السندي، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٢هـــــ ـــــ ٢٠٠٢م.

ـــــ **الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**: للشيخ صالح الفوزان، ط . د . القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١١هـــــ ـــــ ١٩٩٠م

ـــــ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني،ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـــــ ـــــ ١٩٨٥م.

ـــــ **الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية**: عبدالعزيز المحمد السلمان، ط٨، الرياض: مطبعة المدينة ، ١٣٩٩هـــــ

ـــــ **أساس البلاغة**: لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـــــ ـــــ ١٩٩٨م.

الأسئلة والأجوبة في العقيدة: صالح بن عبدالرحمن الأطرم، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـــــ

الإستغاثة في الرد على البكري: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٣،تحقيق: د/ عبدالله بن دجين السهلي، الرياض: دار المنهاج، ١٤٣١هـــ

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله القرطبي، ط١، تصحيح: عادل مرشد، الأردن: عمان، دار الأعلام، ١٤٢٣هـــ

ـــــ **أسرار البلاغة**: لأبي عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط .د.، جدة: دار المدني، ١٤١٢هـــــ

أسماء الله الحسنى: لابن القيم، ط ٤، جمع وتعليق: يوسف على بديوي، أيمن الشوَّا، مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، ١٤٢٣هـــــ ـــــ ٢٠٠٢م.

الأسماء الحسنى والصفات العلى: عبدالهادي بن حسن وهبي، ط١، الجبيل: دار الدليل الأثرية،١٤٢٨هـــــ ٢٠٠٧م.

الأسماء والصفات: للبيهقي، ط .د. لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

اسم الله الأعظم: د/ عبدالله بن عمر الدميجي، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٩هـ

الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عرفان الدمشقي، ط٤، القاهرة: المكتبة الحضرية، ١٤٢٧هـ.

ـ **اشتقاق أسماء الله:** لأبي القاسم الزجاجي، ط٢، تحقيق: عبدالمحسن المبارك، بيروت: الرسالة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط١، دراسة وتحقيق: عادل أحمد وعلي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ط . د.، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ .

أضواء من سورة الفاتحة: عبدالقادر أحمد عطا،ط ١، دار البيان، ١٣٩٨هـ

إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: للشيخ صالح الفوزان، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

اعتقاد أهل السنة: للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، طذ، تحقيق: جمال عزون، الإمارات العربية، دار الريان، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م

الأعلام: خير الدين الزركلي، ط٧، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

أعلام السنة النشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ط٧، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم، تعليق: طه عبدالرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن القيم ،ط .د. تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، تاريخ .د.

أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات: لمرعي بن يوسف الكرمي، ط١، تحقيق: شعيب الأربؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٥م.

الاقتصاد في الاعتقاد: لعبدالغني المقدسي، ط٣، تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي، المدين المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لشيخ الإسلام بن تيمية، ط١، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م.

أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان: جمع ودراسة وتحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله المبْدل، ط١، الرياض: دار التوحيد، ١٤٢٤هـ ـــ ٢٠٠٣م.

ـــ **إيثار الحق من أصول التوحيد:** لابن الوزير، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م.

الإيمان: لشيخ الإسلام، ط٥، تحقيق: الألباني، لبنان: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٦م.

بحوث عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية منها: ناصر بن عبدالكريم العقل، ط٢، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٨م.

بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية: جمع ومراجعة: يسري السيد محمد و صالح أحمد الشامي، ط٢، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٣١هـ

بدائع الفوائد: لابن القيم، ط١،تحقيق: بشير محمد عيون،سوريا: دار لبنان، ١٤١٥هـ

البداية والنهاية: للإمام الحافظ ابن كثير، ط٢، تحقيق: عبدالرحمن اللادقي ومحمد غازي، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٧م.

بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود: عبدالله الجميلي، ط٢، المدينة

المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٩هـــ ـــ ١٩٩٩م.

بيات تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، الأردن: الدار العثمانية، ١٤٢٩هـــ، وطبعة أخرى هي طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـــ

تاريخ تدوين العقيدة السلفية: عبدالسلام بن برجس العبدالكريم، ط١، الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٦هـــ ٢٠٠٥م.

التبيان في أقسام القرآن: لابن القيم، ط١، تحقيق: عصام فارس، محمد إبراهيم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـــ ـــ ١٩٩٤م.

تجريد أسماء الصحابة: للحافظ شمس الدين الذهبي، بيروت: دار المعرفة.

التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

ـــ **تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام:** للشيخ ابن باز،ط .د.المدينة المنورة: دار الخضيري، تاريخ.د.

تحفة المودود بأحكام المولود: لابن القيم، ط١، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الدمام: دار ابن القيم، ١٤٢١هـــ

تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات: فوز بنت عبداللطيف بن كامل الكردي، ط٣، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٥هـــ ـــ ٢٠٠٤م.

تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ المقدسي: د/ عبدالرزاق البدر، ط١، غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـــ

تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للإمام الحافظ الذهبي، ط١، تحقيق: غنيم عباس غنيم و أيمن سلامة، القاهرة: مطبعة الفاروق الحديثة،١٤٢٥هـــ

التسعينية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، تحقيق: د/ محمد بن إبراهيم العجلان، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـــ ـــ ١٩٩٩م

تشنيف الأسماع في الرد على من خالف الكتاب والسنة والإجماع: أحمد بن

إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي، ط١، تحقيق: عبدالعزيز بن إبراهيم الجبرين، الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٥هـ ــــ ٢٠٠٤م.

التعبد بالأسماء والصفات: وليد بن فهد الودعان،ط١، الرياض: كنوز إشبيليا، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

التعليق المختصر على القصيدة النونية: للشيخ صالح الفوزان، ط١، سنة ١٤٢٤هـ ــــ ٢٠٠٤م.

التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: للشيخ الألباني، ط١، المملكة العربية السعودية: دار باوزير، ١٤٢٤هـ .

تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى، وضع حواشيه: عبداللطيف عبدالرحمن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ــــ ١٩٩٩م

تفسير أسماء الله الحسنى: لأبي إسحاق الزجاج، ط٥، تحقيق: يوسف الدقاق، دمشق: دار المأمون للتراث ، ١٤٠٦هـ وطبعة ١٣٩٩هـ

تفسير البغوي، معالم التنزيل: للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان الحرش، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩هـ

تفسير البيضاوي مع حاشية شيخ زاده: تركيا: مكتبة الحقيقة، ١٤١٩هـ ــــ ١٩٩٨م.

ــــ **تفسير الطبري:** المسمى جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط١، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.

تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ بن كثير، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ

تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار: للسيد محمد رشيد رضا، ط٢، القاهرة: دار المنار، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.

التمهيد في الكلام على التوحيد: جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبدالهادي، ط١، تحقيق: د/ محمد بن عبدالله السمهري الرياض: دار بلنسية، ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٧م.

التمهيد لشرح كتاب التوحيد: للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط١، الرياض: دار التوحيد ، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لابن عبدالبر النمري الأندلسي، ط٤، تحقيق: أسامة بن إبراهيم، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٩هـ ـــ ٢٠٠٨م.

التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية: للشيخ عبدالعزيز الناصر الرسيد، ط٢، الرياض: دار الرشيد ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٥م.

التوسل وأنواعه وأحكامه: للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني،ط١، تنسيق: محمد عيد العباسي، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠١م.

التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية: د/ محمد بن عبدالرحمن الخميس، ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، لا١٤٢٩هـ

توضيح بعض المصطلحات العلمية في شرح العقيدة الطحاوية: د/ محمد بن عبدالرحمن الخميس، ط١، الكويت: دار إيلاف، ١٤٢٠هـ ـــ ١٩٩٩م.

التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ، ط .د. عنيزة: مركز صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م.

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: للشيخ العلامة سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط٢ تحقيق: أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٩هـ ـــ ٢٠٠٨م.

تيسير العلام شرح عمدة الأحكام: للشيخ عبدالله البسام، ط . د. مكة المكرمة: مكتبة دار حراء للنشر والتوزيع، ت .د.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي،

ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ، طبعه مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٧هـ وطبعة أخرى في مجلد واحد تحقيق: عبدالرحمن معلا اللويحق، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، ١٤٢٧هـ.

تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن : للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ السعدي، طبعه مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٧هـ

جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبدالبر، ط. د. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

جامع العلوم والحكم: لأبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط٢، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

جامع اللآلي شرح بدء الأماني في علم العقائد لعلي بن عثمان الأوشي: محمد أحمد كنعان، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط١، تصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام: لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، ط٢، تحقيق: شعيب الأربؤوط، عبدالقادر الأربؤوط، الرياض: مكتبة دار البيان،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

جناية التأويل الفاسد على العقيدة: محمد أحمد لوح، ط١، الخبر: دار ابن عفان، ١٤١٨.

الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه: عبدالرزاق طاهر،ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات: لنور الحسن محمد صديق حسن خان القنوجي، ط١، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٢، تحقيق:

علي بن حسن، عبدالعزيز العسكر، حمدان الحمدان، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن القيم، ط١، تحقيق: أبي حذيفة عبيدالله بن عالية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ

جهود الإمام ابن قيم الجوزية في تقرير توحيد الأسماء والصفات:للدكتور وليد بن محمد العلي، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٥هـ

الحاوي للفتاوى: لجلال الدين السيوطي، ط.د. دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: للإمام الحافظ قَوَّام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ط١، تحقيق: د/ محمد بن ربيع المدخلي، الرياض: دار الراية، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية: للشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي، ط . د. الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: عبدالرحيم بن صمايل السلمي، ط١، الرياض:دار المعلمة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

الخطط المقريزية:للإمام المقريزي، ط .د.، القاهرة، مكتبة الآداب، تاريخ .د.

درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٩هـ

دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: للدكتور/ سعود بن عبدالعزيز الخلف، ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط٧، سنة ١٤٢٥هـ ـــ ٢٠٠٤م.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر، بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٣م.

الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد: للإمام الشوكاني، ط١، تحقيق: أبو عبدالله الحلبي، دار بن خزيمة ١٤١٤هـ

الدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية: جيلاني بن خضر العروسي، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٣م.

دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـــ عرض ونقد ـــ: د/ عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف، ط١، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٧هـ

دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية: للدكتور/ عبدالله بن صالح الغصن، ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ.

دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات: محمد بن عبدالله السمهري، ط١، الرياض: دار بلنسية، ١٤٢٠هـ

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لابن فرحون المالكي، ط بدون، تحقيق: أبو النور محمد الأحمدي، القاهرة: دار التراث، تاريخ النشر بدون.

ذم التأويل: لابن قدامة، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، ط١، الإمارات العربية: دار الفتح، ١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٤م.

ذم التأويل وأهله: لأبي إسماعيل الهروي عبدالله بن محمد الأنصاري،ط . د.، تخريج وتعليق: عبدالله بن محمد الأنصاري، المدينة المنورة: مكتبة الغرباءالأثرية، ت .د.

الرحمة والعظمة في السيرة النبوية: محمد إبراهيم الحمد، ط١، الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤٢٨هـ ـــ ٢٠٠٧م.

الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأويله على غير

تأويله: أحمد بن محمد بن حنبل، ط١، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، الدوحة ـــ قطر: دار الإمام البخاري، ١٤٢٩هـــ

الرد على شبهات المستغيثين بغير الله: للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تصحيح: الشيخ عبدالسلام بن برجس بن ناصر، ط.د. سنة١٤٠٩هـــ ـــ ١٩٨٩م.

رسائل في الأديان والفرق والمذهب: محمد بن إبراهيم الحمد، ط١، الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤٢٣هـــ .

رسائل في العقيدة: للشيخ حماد الأنصاري، ط١، الإمارات العربية، مكتبة الفرقان، ١٤٢٤هـــ .

رسائل في العقيدة: محمد بن إبراهيم الحمد،ط١، الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤٢٣هـ

رسالة إلى أهل الثغر: لأبي الحسن الأشعري، ط٢، تحقيق: عبدالله شاكر الجنيدي، المدين المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٢هـــ ٢٠٠٢م.

رسالة التوحيد: محمد عبده، ط١١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ

الروح: للإمام ابن قيم الجوزية، ط١، اعتناء:صالح أحمد الشامي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٥هـــ ـــ ٢٠٠٤م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة الألوسي البغدادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ـــ **الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية:** زيد آل فياض، ط .د. الرياض: دار الوطن، ١٤١٤هـ .

ـــ **زاد المعاد في هدي خير العباد:** لابن القيم، ط١٤، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـــ ١٩٨٦م.

ـــ **سلسلة الأحاديث الصحيحة:** للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، الأردن: المكتبة الإسلامية، ١٤٠٦هـــ

السنة: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: لجنة من العلماء بإشراف عبدالله بن حسن آل الشيخ، مكة المكرمة: المطبعة السلفية، ١٢٤٩هـ

السنة: للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، ط٣، تحقيق: باسم بن فيصل الجوابرة، الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبدالله محمد بن زيد القزويني، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية.

سنن أبي داود: للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، طبعة دار الفكر.

سنن النسائي: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، مصر: دار الريان للتراث.

ــ **سير أعلام النبلاء:** للإمام شمس الدين الذهبي، ط٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ومأمون الصاغرجي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان،١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥م.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمحمد بن محمد مخلوف، بيروت: دار الكتاب العربي.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد، ط١، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، محمود الأربؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ .

شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى: عمر سليمان الأشقر، ط١، عمان: الأردن، دار النفائس، ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٨م.

شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة: د/ حصة بنت عبدالعزيز الصغير، ط١، الرياض: دار القاسم، ١٤٢٠هـ

شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة: سعيد بن علي بن وهف القحطاني،ط١، الرياض: مطبعة سفير، ١٣٩٩هـــ

شرح الأصبهانية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، تحقيق: محمد السعوي، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٣٠هـــ

ـــ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن تبعهم:** للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللآلكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، ط ٢، الرياض: دار طيبة، ١٤١١هـ .

شرح أصول الإيمان: لمعالى الشيخ صالح آل الشيخ، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤٣١هـــ ـــ ٢٠١٠م.

شرح حديث النزول: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٢، تحقيق:محمد بن عبدالرحمن الخميس، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٨هـــ ـــ ١٩٩٣م.

ـــ **شرح السنة:** للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي، ط ٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـــ ـــ ١٩٨٣م

ـــ **شرح السنة:** للإمام أبي محمد الحسن بن علي البربهاري، ط١، تحقيق: عبدالرحمن الجميزي، الرياض: دار المنهاج، ١٤٢٦هـــ .

شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم: للقاضي عياض، ط٣، تحقيق: يحي إسماعيل، مصر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـــ ـــ ٢٠٠٥هـــ.

ـــ **شرح الطحاوية:** لابن أبي العز الحنفي، ط٨، حققه جماعة من العلماء، وخرج أحاديثه الشيخ الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ، وطبعة أخرى بتحقيق: د. عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط. الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ ـــ ٢٠٠٥م.

شرح العقيدة السفارينية: لابن عثيمين، ط١، الرياض: مدار الوطن، ١٤٢٦هـ

شرح العقيدة الواسطية: محمد خليل هراس، ط١، تعليق:إسماعيل الأنصاري، مكة المكرمة: دار الثقافة، ١٤١٢هـــ.

شرح العقيدة الواسطية: للشيخ محمد بن إبراهيم،ط١، تحقيق: عبدالمحسن القاسم، الرياض: دار النشر.د.، ١٤٢٨هـــ

ـــ **شرح العقيدة الواسطية:** للشيخ محمد الصالح العثيمين، تخريج سعد بن فواز الصميل، ط٢، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٥هـــ .

شرح القصيدة النونية: لمحمد خليل هراس، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـــ

شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: للشيخ الدكتور/ عبدالله بن محمد الغنيمان، ط١، مصر: مكتبة لينة،١٤٠٩هـــ

شرح لمعة الاعتقاد: للشيخ ابن عثيمين، ط٣، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، الرياض: مكتبة طبرية، ١٤١٥هـــ ـــ ١٩٩٥م.

الشريعة: للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ط١، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـــ

شعب الإيمان: للبيهقي، ط١، تحقيق: محمد زغلول، بيروت: ١٤٢١هـــ ٢٠٠١م.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لابن القيم، القاهرة: مكتبة دار التراث، ت . د.

الصحاح: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ط٥، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٣٠هـــ ـــ ٢٠٠٩م

صحيح الأدب المفرد: للشيخ محمد ناصر الألباني، ط٢، الجبيل: دار الصديق، ١٤١٥هـــ ـــ ١٩٩٤م.

صحيح ابن حبان: ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـــ

ـــــ **صحيح الإمام مسلم مع شرحه**: للإمام النووي، ط١، بيروت: دار الخير، ١٤١٤هـــ

صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣،بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هــــ ١٩٨٨م.

صحيح سنن أبي داود: محمد بن ناصر الدين الألباني، ط١، الكويت: مؤسسة غراس، ١٤٢٣هــــ ـــــــ ٢٠٠٢م.

صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: علوي بن عبدالقادر السقاف، ط٣، المملكة العربية السعودية: دار الهجرة،١٤٢٦هــــ ـــــــ ٢٠٠٥م.

ـــــ **الصفات الإلهية ــ تعريفها ـــــ وأقسامها**: أ. د. محمد بن خليفة التميمي، ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٢هـــ .

الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتزية: للدكتور/ محمد أمان بن علي الجامي،ط٤، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفرقان، ١٤٢٩هــــــ ـــــ ٢٠٠٨م.

الصفدية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، تحقيق: محمد رشاد سالم،مصر: دار الهدي النبوي، ١٤٢١هــــ ـــــ ٢٠٠٠م.

الصلاة وحكم تاركها: لابن القيم، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٩هــــ ١٩٨٩م.

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: للإمام ابن القيم، ط٣، تحقيق: د/ علي بن محمد الدخيل الله، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٨هــــ ــــــ ١٩٩٨م.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين السخاوي، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هــــ

طبقات علماء الحديث: لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي، ط١، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هــــ ـــــ ١٩٩٦م.

طبقات المفسرين: أحمد بن محمد، ط١، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ ـــــ ١٩٩٧م.

طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن القيم،تخريج واعتناء ناصر النجار، ط١، مصر: مكتبة عباد الرحمن، ١٤٢٧هـ ـــــ ٢٠٠٩م.

العبر في خبر من غبر: للإمام الذهبي، ط١، تحقيق: محمد السعيد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ

عبودية الكائنات لرب العالمين: فريد إسماعيل التوني، ط١، الإسكندرية: دار الإيمان، ٢٠٠٨م

عدة الصابرين وذخرة الشاكرين: لابن القيم، تحقيق: سليم الهلالي، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ ـــــ ١٩٩٩م.

العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية:لفرج الله عبدالباري، طبعة دار الأفاق العربية.

العقيدة الإسلامية وتاريخها: د/ محمد أمان بن علي الجامي، ط١، الرياض: دار المنار.

عقيدة أهل السنة والجماعة: محمد بن إبراهيم الحمد،ط٢، الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٩هـ ـــــ ١٩٩٨م.

عقيدة التوحيد: للشيخ صالح الفوزان، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤٢٠هـ

ـــــ **عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة و أصحاب الحديث والأئمة:** للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني، ط٢،تحقيق: د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ .

العقيدة في الله: للدكتور/ عمر بن سليمان الأشقر، ط٥، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٤م.

علماء نجد خلال ثمانية قرون: للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، ط٢،

الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة والمبادئ والمقدمات: د/ محمد يسري، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين محمد بم محمود العيني، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

الفتاوى السعدية: للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ، ط .د. عنيزة: مركز صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

الفتاوى العراقية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، تحقيق: عبدالله عبدالصمد المفتي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

الفتاوى الكبرى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش، ط٥، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلميةوالإتاء، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط.د. تحقيق: ابن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الفكر.

فتح رب البرية بتلخيص الحموية:للشيخ ابن عثيمين، ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ، ط٣، الرياض: دار الثريا، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

فتح العلي الأعلى بشرح القواعد المثلى: للشيخ عبيد بن عبدالله الجابري، ط١، الإمارات العربية: مكتبة الفرقان، ١٤٢٤هـ

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للشوكاني، ط .د. بيروت: دار المعرفة، ت .د.

ـــــ **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:** للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ط١، تحقيق وتعليق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، دمشق: دار الخير،

١٤١٣هـ ـــ ١٩٩١م.

فتح المنان شرح مسند الدارمي أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن المسمى بالمسند الجامع، ط١، شرحه وقابله على الأصول: السيد أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٩م.

الفتوى الحموية الكبرى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، تحقيق: حمد التويجري، الرياض: مطتبة دار المنهاج، ١٤٣٠هـ .

الفرق بين الفرق: لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة: دار الطلائع.

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لشيخ الإسلام ابن تيمية، دمشق: دار البيان، ١٤٠٥هـ ـــ ١٩٨٥م .

فقه الأسماء الحسنى: للشيخ الدكتور/ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط١، المدينة المنورة: ١٤٢٩هـ .

الفوائد: للإمام ابن القيم، ط١، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م. وطبعة أخرى بتحقيق: د/ محمد الإسكندراني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٠هـ ـــ ٢٠٠٩م

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٣، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٩هـ ـــ ٢٠٠٨م.

القاموس المحيط: الفيروز آبادي،ط٢، إعداد: محمد المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٤هـ ـــ ٢٠٠٣م.

القول المفيد على كتاب التوحيد: للشيخ ابن عثيمين، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٥هـ

الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ط١، تحقيق:أبو الفداء عبدالله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٧٨م.

كتاب التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط١، بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٤٠٣هـ .

كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: للإمام ابن خزيمة، ط٢، تحقيق: عبدالعزيز الشهوان، الرياض: دار الرشد، ١٤١١هـ .

ـــــ **كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد:** للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن منده، ط٢، تحقيق: على بن محمد بن ناصر الفقيهي، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٤هـ .

كتاب الرد على المنطقيين المسمى نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١،تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م.

كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، ط .د . تحقيق: إبراهيم السامرائي، الجمهورية العراقية: دار الرشيد، ١٩٨٠م.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، بيروت: دار إحياء التراث العربي

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ط٢، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

ـــ **اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية:** لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط ١، الرياض: دار العاصمة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م .

ـــ **اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب:** د/ سليمان بن إبراهيم اللاحم، ط١، الرياض: دار المسلم، ١٤٢٠هـ ـــ ١٩٩٩م.

ـــ **لسان العرب:** لابن منظور الإفريقي،ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٤م.

ـــ **لسان الميزان:** لابن حجر، اعتنى به: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية.

ـــــ **لوائح الأنوار السَّنيَّة ولواقح الأفكار السُّنِّية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية:** للإمام محمد بن أحمد السفاريني، ط١، تحقيق: عبدالله بن محمد البصري، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢١هـــ ٢٠٠٠م.

ـــــ **المأثور في تفسير سورة الفاتحة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأقوال أهل اللغة والتفسير من المصنفين:** ط١، تحقيق: د/ عبدالإله بن سليمان الأحمدي، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤١٣هـــ ، ١٩٩٣م.

ـــــ **المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار:** علي بن عبدالحفيظ الكيلاني،ط١، المدينة المنورة: مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٢٨هـــ .

ـــــ **محاضرات في العقيدة الإسلامية:** فاروق أحمد دسوقي، مصر: دار الدعوة.

ـــــ **محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عيهم:** د/ مريم بنت علي الحوشاني، ط١، مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، ١٤٢٧هـــ

ـــــ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لابن القيم، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، (تاريخ: بدون)

ـــــ **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة:** د/ إبراهيم بن محمد البريكان، ط١، الرياض: دار ابن القيم، ١٤٢٣هــ ـــــ ٢٠٠٣م.

ـــــ **المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى:** كاملة الكواري، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـــ ـــــ ٢٠٠٢م.

ـــــ **المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:** جمع وترتيب: فهد بن ناصر السلمان، ط٣، الرياض: دار الوطن، ١٤١١هـــ

ـــــ **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي:** زين الدين عبدالرحمن بن رجب، ط٢، دراسة وتحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٩هـــ

ـــــ **مجموع الرسائل والمسائل:**لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٢، بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ـــــ ١٩٩٣م.

ـــــ **مجموع الفتاوى:** لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، تخريج: عامر الجزار و أنور الباز، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ .

ـــــ **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:** جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلمان، ط٢، الرياض: دار الثريا، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م.

ـــــ **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة:** للشيخ عبدالعزيز بن باز، ط٢، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، الرياض: مكتبة المعارف ، ١٤١٣هـ ـــــ ١٩٩٢م.

ـــــ **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم:** اختصار محمد بن الموصلي، ط١، تخريج: د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٥هـ .

ـــــ **المخصص:** لابن سيدة، علي بن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية.

ـــــ **المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة:** جمع وتحقيق ودراسة د/ عبدالإله بن سليمان الأحمدي، ط٣، الرياض: دار طيبة، ١٤٣٠هـ ـــــ ٢٠٠٩م.

ـــــ **المستدرك على الصحيحين:** للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، بيروت: دار المعرفة.

ـــــ **المسند:** للإمام أحمد بن حنبل، ط١، تحقيق: عبدالله بن محمد الدرويش، ...: دار الفكر، ١٤١١هـ ـــ ١٩٩١م.

ـــــ **مشكاة المصابيح:** لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م.

ـــــ **مصادرنا في تلقي العقيدة:** الشيخ صالح الفوزان، ط١، الرياض: دار كنوز اشبيليا، ١٤٣٠هـ ـــــ ٢٠٠٩ م

ــــــ **مصطلحات في كتب العقيدة**: محمد بن إبراهيم الحمد، ط١، الرياض: دار بن خزيمة، ١٤٢٧هـ .

ــــ **المصنف**: للحافظ أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ ــــ ١٩٨٣م.

المطالب العالية من العلم الإلهي: لفخر الرازي، ط١، ضبط وتخريج: محمد عبدالسلام شاهين، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ ــــ ١٩٩٩م.

المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها: عواد بن عبدالله المعتق،ط٤، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ ــــ ٢٠٠١م.

معجم ألفاظ العقيدة: عامر بن عبدالله الفالح، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ .

معجم التعريفات والضوابط والتقسيمات والفوائد في مصنفات الاعتقادية للشيخ ابن عثيمين: ط١، جمع وترتيب: أحمد بن سالم المصري، الإمارات العربية المتحدة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية

معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير: ط١، القاهرة: دار الأوقاف، ١٤٢٣هـ ــــ ٢٠٠٢م.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢، القاهرة: دار الحديث ١٤١٨هـ ١٩٨٨م .

معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، ط.د.، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ ــــ ٢٠٠٨م.

معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة،ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ ــــ ١٩٩٣م.

المعجم الوسيط: ط٤، طبعة مجمع اللغة العربية، مصر: مكتبة الشروق الدولية،١٤٢٥هـــــ

مع العقيدة والحركة والمنهج في خير أمة أخرجت للناس: علي عبدالحليم محمود، ط٣، مصر: دار الوفاء ١٤١٣هـــــ ١٩٩٢م

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د/ عبداللطيف الخطيب، الكويت: طبعة المجلس الوطني للثقافة بالكويت.

مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: لجلال الدين السيوطي، ط١، مصر: إدارة الطباعة المنيرية.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة: لابن قيم الجوزية، ط١، تحقيق: علي بن حسن الأثري، الرياض: دار ابن القيم، ١٤٢٥هـــــ ٢٠٠٤م.

المفيد في مهمات التوحيد: د/ عبدالقادر بن محمد عطا، ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٨هـــــ ـــــ ٢٠٠٧م.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن الأشعري، ط٢، تحقيق: محمد محي الدين، القاهرة: النهظة المصرية،١٣٨٩هـــ ١٩٦٩م.

مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها: جابر أمير، ط١، الرياض: أضواء السلف،١٤٢٢هـــ .

المقدمات في أصول الدين : ابراهيم بن محمد البريكان، ط١، الخبر: دار السنة، ١٤١٨هـــــ ـــــــ ١٩٩٧م.

مقدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون، ط .د.، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ت . د.

الملل والنحل: لمحمد عبدالكريم الشهرستاني، ط.د. تحقيق: محمد سعيد كيلاني، مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابي، ١٤٠٦هـــ ـــــ ١٩٨٦م.

مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر: عبدالرحمن بن زيد، ط١، الرياض: دار إشبيليا، ١٤١٨هـــــ ١٩٩٨م.

من تكلم فيه وهو موثق أو صالح الحديث: للحافظ الذهبي، ط١، تحقيق: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، سنة ١٤٢٦هـــ ٢٠٠٥م

المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: د/ زين محمد شحاتة، ط١٠، الرياض: دار بلنسية، ١٤٢٢هـــ

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، لبنان: مؤسسة الريان.

المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج المسمى اختصارا شرح صحيح مسلم: للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، ط١، بيروت: دار الخير، ١٤١٤هـــ ـــ ١٩٩٤م.

مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري: د/محمد الشيخ ، ط١، الرياض: دار المنهاج ١٤٢٧هـــ .

منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى: مشرف بن علي الحمراني الغامدي، ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـــ ـــــ ٢٠٠٥م.

منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات: للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ط٢، جدة: شركة المدينة للطباعة، ١٣٨٨هـــ .

منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة: جابر إدريس على أمير، ط١، الرياض: دار أضواء السلف، ١٤١٩هـــ ـــــ ١٩٩٨م.

منهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد: إبراهيم بن محمد البريكان، ط١، الرياض: دار ابن القيم، ١٤٢٥هـــ ـــــ ٢٠٠٤م.

منهج العقيدة في ضوء القصص القرآني: منى بنت عبدالله داود، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـــ ١٩٩٨م.

المواهب الربانية من الآيات القرآنية: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ، ط .د. عنيزة: مركز صالح الثقافي، ١٤٠٧هـــ ـــــ

١٩٨٧م.

المواهب المدخرة في خواتيم سورة البقرة: لابن أبي شريف إبراهيم بن محمد المقدسي، ط١، تحقيق: عبدالستار أبوغدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـــ ٢٠٠٠م

موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا: ط١، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٤هـــ

موسوعة علوم القرآن: عبدالقادر منصور، ط١، سورية: حلب، دار القلم العربي،١٤٢٢هـــ ٢٠٠٢م.

موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: إعداد مجموعة من المختصين،ط١، جدة: دار الوسيلة، ١٤١٨هـــ ١٩٩٨م.

الموطأ: للإمام مالك بن أنس، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

موقف ابن تيمية من الأشاعرة: د عبدالرحمن بن صالح المحمود، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـــ ـــــ ١٩٩٥م.

موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع: للشيخ الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، ط١، المدينة النبوية: مكتبة الغرباء، ١٤١٥هـــ ..

ـــ موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها: إعداد د. صالح بن غرم الله الغامدي، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٤هـــ ـــ ٢٠٠٣م.

ـــ موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات: إ.د. محمد بن خليفة التميمي، ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٢هـــ .

الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: مفرج القوسي، ط١، الرياض: دار الفضيلية ١٤٢٣هـــ

ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للحافظ الذهبي، ط١، تحقيق: على محمد و عادل

الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـــــ

النبوات:لشيخ الإسلام ابن تيمية،ط.د.بيروت:دار الكتب العلمية، **١٤٠٥هـــــ ١٩٨٥م**.

ـــــ النفي في باب صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة: تأليف أبي محمد أرزقي بن محمد، ط٢، الرياض: دار المنهاج، ١٤٣١هـــ .

نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد،ط١، تحقيق: د/ رشيد بن حسن الألمعي، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـــــ

النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، ط. د. تحقيق:طاهر الرازي، ومحمود الطناحي ، بيروت: المكتبة العلمية، ت .د.

النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى:محمد المحمود النجدي،ط٢، الكويت: مكتبة الإمام الذهبي ، ١٤١٧هـــــ .

هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة: لابن حجر العسقلاني، ط١، تخريج: الشيخ الألباني، وتحقيق: علي بن حسن الحلبي، الدمام: دار ابن القيم، ١٤٢٢هـــ

الوافي بالوفيات:صلاح الدين الصفدي، ط١، تحقيق:أحمد الأرنؤوط،تركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠هـــــ .

الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة): عبدالله بن عبدالحميد الأثري، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٢هـــــ

وسطية أهل السنة بين الفرق: للدكتور/ محمد باكريم محمد باعبدالله، ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٩هـــــ ٢٠٠٨م.

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: عبدالعزيز ناصر الجليل، ط٢،الرياض: دار طيبة، ١٤٢٩هـــــ ـــــــ ٢٠٠٨م.

فهرس المجلات والدوريات

مجلة الدراسات العقدية:العدد (٢) السنة الأولى، رجب ، عام ١٤٣٠هـــ
بحث منشور فيها بعنوان:**اللطائف الندية في بيان توحيد الربوبية**، للدكتور: أحمد بن عبدالله الغنيمان.

مجلة البحوث الإسلامية: تصدر عن إدارة البحوث العلمية بالرياض، العدد (٤٥)، عام ١٤١٦هـــ
بحث منشور فيها بعنوان: **رحمة الله أسبابها وآثارها**، للدكتور مسفر بن سعيد الغامدي.

مجلة البحوث الإسلامية: تصدر عن إدارة البحوث العلمية بالرياض، العدد (١٢)، عام ١٤٠٥هـــ
بحث منشور فيها بعنوان:بيان الأدلة الشرعية والعقلية على إثبات علو الله سبحانه فوق عرشه، للشيخ حمود بن عبدالله التويجري.

مجلة البحوث الإسلامية: تصدر عن إدارة البحوث العلمية بالرياض، العدد (١١)، عام ١٤٠٥هـــ
بحث منشور فيها بعنوان:منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين، للشيخ صالح بن سعد السحيمي.

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: العدد (٥٥)، رجب، عام ١٤٢٧هـــ ج١.
بحث منشور فيها بعنوان: **رحمة الله بخلقه في القرآن**، للدكتور: محمد السريع.

٨ ـــــ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الباب الأول

صفة الرحمة وما يتعلق بها من مسائل